

The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Usoul Eddeen

PH.D of Islamic Aqida & Contemporary Doctrines



الجامعة الإسلامية بغزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كلية أصول الدين

دكتوراه عقيدة إسلامية ومذاهب المعاصرة

الانحراف العقدي والفكري عند اليهود وأثره على الواقع الفلسطيني
Impact of creed and thoughts deviation to the
Jews people in Palestinian present situation

إعدادُ الباحثِ

بشير إسماعيل حامد حمو

إشرافُ الدكتور

صالح حسين سليمان الرقب

قُدِّمَ هَذَا البَحْثُ إِسْتِكْمَالًا لِمُتَطَلِبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الدُكْتُوراهِ
فِي العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَذَاهِبِ المعاصرةِ بِكُلِّيَّةِ أصولِ الدينِ فِي الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

نوفمبر / 2020م - ربيع ثاني / سنة 1442هـ

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الانحراف العقدي والفكري عند اليهود وأثره على الواقع الفلسطيني Impact of creed and thoughts deviation to the Jews people in Palestinian present situation

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:	بشير إسماعيل حامد حمو	اسم الطالب:
Signature:	بشير حمو	التوقيع:
Date:	2021/1/31	التاريخ:



نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ بشير اسماعيل حامد حمو لنيل درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/ برنامج أصول الدين/ العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة وموضوعها:

الانحراف العقدي والفكري عند اليهود وأثره على الواقع الفلسطيني

**Impact of creed and thoughts deviation to the Jews people in
Palestinian present situation**

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الاربعاء ٨ جمادي الأولى ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٠٢٠/١٢/٢٣ الساعة التاسعة صباحاً، في قاعة اجتماعات كلية أصول الدين اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	أ. د. صالح حسين الرقب
.....	مناقشاً داخلياً	أ. د. سعد عبد الله عاشور
.....	مناقشاً داخلياً	د. عماد الدين عبد الله الشنطي
.....	مناقشاً خارجياً	د. عبد السلام عطوة الفندي

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/برنامج أصول الدين/ العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

.....

أ. د. بسام هاشم السقا



ملخص البحث:

هذا البحث يسلط الضوء على الانحراف العقدي والفكري عند اليهود، وأثره على الواقع الفلسطيني، ويبدأ من خلال الفصل التمهيدي بتعريف الانحراف العقدي، والانحراف الفكري، ثم التعريف باليهود، واليهودية، ومناقشة ادعاء يهود اليوم صلتهم ببني إسرائيل، وبيان بطلان ذلك الادعاء؛ بإثبات اختلاف أجناس اليهود وأنهم من أصول عرقية مختلفة بعيدة كل البعد عن أصول بني إسرائيل.

وفي الفصل الأول يبين البحث المصادر الدينية والفكرية عند اليهود، ويثبت عدم قدسيتها؛ من خلال إثبات تحريفها، وعدم صحة نسبتها إلى أصحابها.

وفي الفصل الثاني يبين البحث الانحراف العقدي عند اليهود؛ من خلال بيان عقيدتهم في الإله، وفي الأنبياء، وأثرها في نقضهم العهد مع الله، ومع الأنبياء، ومن ثم يبين أثرها في نقض عهود اليهود الاتفاقيات مع الفلسطينيين.

ثم يوضح البحث عقيدة اليهود في الأرض المقدسة، وأثرها على الفلسطينيين؛ من خلال التعريف بالأرض المقدسة، وبيان مزاعم اليهود في أرض الميعاد، ونقضها، ثم بيان أثر عقيدة أرض الميعاد في احتلال اليهود فلسطين، واعتبارها الأرض التي وعدهم الله بها، ومنحها لإبراهيم ونسله من بني إسرائيل.

ثم يبين البحث عقيدة اليهود في هيكل سليمان، الذي يزعمون أنه موجود تحت المسجد الأقصى، وأثرها في مخطط اليهود لهدم المسجد الأقصى، ثم يبرز البحث الانحراف الأخلاقي عند اليهود، من خلال بيان سمات الأخلاق والشخصية اليهودية، وأثر ذلك الانحراف في التعامل مع الفلسطينيين.

وفي الفصل الثالث يبين البحث الانحراف الفكري عند اليهود؛ من خلال بيان التمييز العنصري عندهم، وأثره في التعامل مع الفلسطينيين، ثم يبين الجذور الدينية للإرهاب اليهودي، ويبين أثره في إرهاب وقتل الفلسطينيين، ومعاملة الأسرى والجرحى، وأخيرا بيان أثره في حصار غزة الذي لا يزال مستمرا حتى كتابة هذا البحث، من خلال بيان النصوص التوراتية والتلمودية التي تؤصل لذلك الإرهاب بجميع صورته.

Abstract

This research sheds light on the doctrinal and intellectual deviation of the Jews, and its effect on the Palestinian reality. It begins with an introductory chapter that gives a definition of the doctrinal deviation and intellectual deviation, then defines the Jews and Judaism. The chapter also discusses the claim of today's Jews about their connection with the Children of Israel, and explains the invalidity of that claim by proving that the Jews are different races and that they are of different ethnic origins, disconnected from the origins of the Children of Israel.

In the first chapter, the research shows the Jews' religious and intellectual sources and proves their unholiness by demonstrating that they were misrepresented and were not attributed properly. The second chapter sheds light on the doctrinal deviation of the Jews by illustrating their belief in God and the prophets, and its effect on violating their covenants with God and with the prophets. Then the chapter demonstrates the impact of this deviation on the Jews' violation of the agreements with the Palestinians.

Then the research clarifies the doctrine of the Jews in the Holy Land and its impact on the Palestinians through providing a definition of the Holy Land, stating the claims of the Jews in the Promised Land, and refuting these claims. The chapter then explains the effect of the doctrine of the Promised Land on the Jews' occupation of Palestine and considering it the land that God promised them and granted it to Abraham and his descendants from among the Children of Israel.

Then the research shows the doctrine of the Jews in the Temple of Solomon, which they claim is located under the Al-Aqsa Mosque, and its effect on the Jews' scheme to demolish the Al-Aqsa Mosque. The research highlights the behavioural deviation of the Jews, by showing the characteristics of the Jewish morals and personality, and the effect of that deviation in dealing with the Palestinians.

In the third chapter, the research shows the intellectual deviation of the Jews by explaining the racial discrimination they have, and its impact on how they treat the Palestinians. After that, the chapter looks into the religious roots of Jewish terrorism and shows its effect on terrorizing and killing the Palestinians and the treatment of prisoners and the wounded. Finally, the chapter explains the impact of Jewish terrorism in relation to the siege on Gaza, which continues until the writing of this research, through explaining the Biblical and Talmudic texts that underlie this terrorism in all its forms.

﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ
وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ □
وَرَاعِنَا لِيَا بِأَسْنَتِهِمْ وَطَعْن □ ا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ
قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا □ ا
لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا
قَلِيلًا □ ا﴾

[النساء: 46]

إهداء

أهدي بحثي هذا إلى روح والديّ الدّين ربياني صغيرا، وعلماني كبيرا، وأنشأني على حب الله ورسوله وطاعتهما، وإلى أهل بيتي الطيبين: أخواتي وإخوتي الأعزاء.

وإلى زوجتي العزيزة الطيبة المخلصة التي وقفت إلى جانبي أثناء دراستي للدكتوراه، وأثناء كتابتي لهذا البحث، وضحت بالكثير من أجل راحتي وتفرغي للكتابة.

وإلى أبنائي الأعزاء الذين أحبهم ويحبونني، وزوجاتهم الطيبات وأحفادي وعلى رأسهم حفيدي الغالي بشير. وإلى روح أخي الحبيب عامر أبو رمزي وابني علاء الدين الذين فارقا الحياة أثناء دراستي وكتابتي للبحث.

وإلى أستاذي والمُشرف على بحثي ورسالتي الأستاذ الدكتور: صالح حسين الرقب الذي وقف إلى جانبي، وساعدني وأرشدني في جميع مسائل هذا البحث.

وإلى جميع زملائي في كلية أصول الدين؛ الأكاديميين منهم، والإداريين، وعلى رأسهم عميد كلية أصول الدين الأستاذ الدكتور: رياض قاسم، الذي وقف إلى جانبي كثيرا وساندني، وإلى أرواح شهداء هذه الأمة.

إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا.

وأسأل الله أن يتقبل مني.

شكر وتقدير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد ،،،
قال رسول الله ﷺ (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)⁽¹⁾، وعلى ضوء هذا التوجيه النبوي فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل من كان له أثر في إخراج هذا البحث.
والشكر أولاً وأخيراً لله رب العالمين، الذي هداني وأكرمني بالانتساب لكلية من الكليات الشرعية، ألا وهي كلية أصول الدين، ووفقني وأعانني على تكملة دراستي والدخول إلى الدراسات العليا فيها، واختار لي قسم العقيدة، التي هي أشرف العلوم الشرعية، فالخيرة فيما اختاره الله، ثم الشكر بعد ذلك للجامعة الإسلامية ذلك الصرح العظيم الذي اهتم بالدراسات الشرعية، إلى جانب الدراسات الدنيوية الأخرى، ولمجلس أمنائها الكريم الذي يحرص على دعم الطلاب، وتقديم المنح والقروض والتسهيلات لهم في كثير من الأحيان، ولعمادة الدراسات العليا، ولعمادة كلية أصول الدين، والأساتذة الكرام الذين قاموا بتدريسي المساقات المختلفة، وعلى رأسهم: أستاذي الفاضل المشرف على رسالتي، فضيلة الأستاذ الدكتور: صالح حسين الرقب، الذي أولاني كل اهتمام ورعاية، وقام بجهد مشكور في توجيهي وإرشادي.
كما لا أنسى من الشكر والتقدير سكرتير كلية الهندسة الأستاذ: بشير غبون الذي ساعدني في تنسيق البحث، وكذلك زوجة ابني العزيزة (أم بشير) التي ساعدتني أيضاً في إخراج البحث في شكله النهائي.
وأخيراً أتوجه بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة كل من : د. عبد السلام الفندي مناقشا خارجياً وأ. د. سعد عاشور مناقشا داخلياً ود. عماد الدين الشنطي مناقشا داخلياً أيضاً.
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

(1) سنن الترمذي ، كتاب (البر والصلة)، باب (ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك)، حديث رقم (1954) ، عن أبي هريرة ، حديث صحيح : ص445، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط1 ، (بدون سنة الطباعة) ، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه : العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني .

فهرس المحتويات

أ.....	إقرار
ب.....	نتيجة الحكم على أطروحة الدكتوراة
ت.....	ملخص البحث:
ح.....	إهداء
خ.....	شكر وتقدير
د.....	فهرس المحتويات
1.....	مقدمة:
1.....	أهداف البحث:
1.....	أهمية البحث:
4.....	المطلب الثالث: القبالة، أو الكابلا، أو القبالة.
7.....	التمهيد
7.....	أولاً: تعريف الانحراف العقدي، وآثاره:
9.....	ثانياً: تعريف الانحراف الفكري، وآثاره:
12.....	ثالثاً: صلة يهود اليوم ببني إسرائيل
17.....	الفصل الأول
17.....	المصادر الدينية والفكرية عند اليهود، ودعوى قدسيتها
17.....	المبحث الأول
17.....	المصادر الدينية والفكرية عند اليهود
17.....	المطلب الأول: العهد القديم
17.....	-الأقوال الواردة في مكونات العهد القديم:
17.....	القول الأول:
18.....	القول الثاني:
18.....	القول الثالث:
19.....	أقسام العهد القديم:
19.....	القسم الأول: كتب موسى، أو الأسفار الخمسة، أو (البانثاتييك)
20.....	القسم الثاني: الأسفار التاريخية: وهي اثنا عشر سفرًا ⁰ :
21.....	القسم الثالث: أسفار الأناشيد، أو الأسفار الشعرية
21.....	القسم الرابع: أسفار الأنبياء:
21.....	المطلب الثاني
21.....	التلمود
21.....	أولاً: تعريف التلمود:
22.....	ثانياً: منزلة التلمود ومكانته عند اليهود:
23.....	ثالثاً: أقسام التلمود:
24.....	1- المشناه:
25.....	2-الجمارا
26.....	رابعاً: مقتطفات من تعاليم التلمود:

28	خامساً: آثار "التلمود" على اليهود.
28	المطلب الثالث
28	القبّالة، أو الكابلا، أو القبالة
28	أولاً- تعريف "القبّالاه":
29	ثانياً: ارتباط القبّالاه بالسحر.
30	ثالثاً: أهداف القبّالاه:
30	المبحث الثالث
30	دعوى قدسية المصادر الدينية عند اليهود.
30	المطلب الأول: دعوى قدسية العهد القديم.
30	أولاً: التحريف في العهد القديم؛ تعريفه، وأنواعه:
32	ثانياً- الأدلة على التحريف اللفظي للعهد القديم:
32	1- أدلة القرآن الكريم على التحريف اللفظي للعهد القديم:
33	2- أدلة السنة النبوية على التحريف اللفظي للعهد القديم:
33	3-التناقض بين نصوص العهد القديم:
34	أ- التناقض بين أسفار التوراة الخمسة
35	ب-التناقض فيما بين التوراة (الأسفار الخمسة)، وبقية أسفار العهد القديم:
35	د- التناقض بين نسخ التوراة الثلاثة المختلفة (العبرية، اليونانية، السامرية)
36	-أنواع التناقض بين النسخ الثلاث:
37	ثالثاً: الأدلة على التحريف المعنوي للعهد القديم:
37	1- الأدلة من القرآن الكريم على التحريف المعنوي:
38	2- أدلة التحريف المعنوي من نصوص التوراة:
39	رابعاً: الأدلة على تحريف التوراة من أقوال أهل الكتاب:
41	خامساً: الأدلة على عدم قدسية أسفار العهد القديم بانقطاع صلتها بالأنبياء.
52	المطلب الثاني
52	دعوى قدسية التلمود
52	أولاً: نصوص التلمود التي تبين قدسيته عند اليهود:
53	ثانياً: القرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان تحريف اليهود لكتبهم:
53	ثالثاً: الأدلة على تحريف التلمود، وبطلانه، وعدم نسبه إلى موسى عليه السلام:
67	الفصل الثاني
67	الانحراف العقدي والأخلاقي عند اليهود، وأثره على الواقع الفلسطيني.
67	المبحث الأول
67	عقيدة اليهود في الإله، والأنبياء، وأثرها في نقضهم الاتفاقيات مع الفلسطينيين.
67	تمهيد:
67	المطلب الأول: عقيدة اليهود في الإله.
68	ثانياً- الأمور التي يقوم عليها إيمان اليهود بالإله:
68	الأول: تجسيم الإله.
69	الثاني: الصفات البشرية للإله في عقيدة اليهود:
71	ثالثاً- الإله في التلمود.
72	المطلب الثاني

72	نقض اليهود العهود والمواثيق مع الله تعالى.
72	أولاً: المقصود بنقض العهد:
74	ثانياً: معنى الميثاق:
75	ثالثاً: أمثلة من العهد القديم على نقض اليهود المواثيق والعهود مع الله تعالى:
77	رابعاً: أمثلة من القرآن الكريم على نقض اليهود المواثيق، والعهود مع الله تعالى:
80	المطلب الثالث
80	عقيدة اليهود في الأنبياء عليهم السلام
81	أولاً: خصائص النبوة عند اليهود:
82	ثانياً: طرق تحصيل النبوة في عقيدة اليهود:
83	ثالثاً: كثرة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، والحكمة في ذلك
84	رابعاً: صفات الأنبياء في العهد القديم:
87	المطلب الرابع
87	نقض اليهود المواثيق والعهود مع الأنبياء عليهم السلام
87	أولاً: نصوص العهد القديم في نقض اليهود عهودهم مع أنبيائهم:
91	ثانياً: نصوص القرآن الكريم في نقض اليهود المواثيق والعهود مع أنبيائهم عليهم السلام:
93	ثالثاً: نقض اليهود المواثيق والعهود مع النبي محمد ﷺ:
96	المطلب الخامس
96	نقض اليهود الاتفاقيات مع الفلسطينيين
98	1- مؤتمر مدريد 1991م.
98	2- محادثات المسارات المتعددة في واشنطن.
98	3- اتفاق أوسلو 1993م.
99	- نقض اليهود اتفاق أوسلو.
99	4- تقرير ميتشل.
102	المبحث الثاني
102	عقيدة اليهود في الأرض المقدسة، وأثرها على الفلسطينيين
102	المطلب الأول: الأرض المقدسة عند اليهود.
102	تمهيد:
102	أولاً: المقصود بالأرض المقدسة:
104	ثانياً: حدود الأرض المقدسة.
107	المطلب الثاني
107	مزاعم اليهود في أرض الميعاد ونقضها
107	تمهيد:
107	الوجه الأول: عرض نصوص الوعد المزعوم، ونقضها
107	أولاً: النصوص التي مهدت للوعد في زمن نوح عليه السلام:
108	ثانياً: نصوص الوعد لإبراهيم عليه السلام، ونسله من بعده:
108	- نقض النصوص السابقة:
110	ثالثاً: نصوص الوعد لإسحاق بن إبراهيم عليهما السلام:
110	رابعاً: نص الوعد ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام.

- 111..... الرد على النص السابق.
- 111..... خامساً: نص الوعد لموسى عليه السلام:
 112..... - نقض الوعد السابق:
 113..... الوجه الثاني: أن هذه الوعود موقوتة بفترة زمنية محددة.
 114..... الوجه الثالث: أن الوعد منوط بالاستقامة.
 114..... الوجه الرابع: إبطال الوعد من الناحية التاريخية.
 116..... الوجه الخامس: إبطال الوعد من وجهة النظر الإسلامية.
 117..... - المراد بالأرض المقدسة في قوله تعالى: (يَأْقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ):
 119..... **المطلب الثالث**
- 119..... أثر عقيدة أرض الميعاد في فلسطين.
 119..... أولاً- أثر عقيدة أرض الميعاد في احتلال فلسطين
 120..... *الأطوار التي مر بها الإرهاب الصهيوني الذي يؤمن بعقيدة أرض الميعاد:
 121..... 1-حرب عام 1948م، واحتلال فلسطين.
 121..... 2- حرب 1967م، واحتلال باقي فلسطين.
 122..... ثانياً: أثر عقيدة أرض الميعاد في يهودية الدولة
 123..... - خطورة يهودية الدولة.
 124..... ثالثاً- آثار عقيدة أرض الميعاد في تهويد القدس:
 126..... - مسارات عمليات التهويد:
 126..... - وسائل تهويد مدينة القدس:
 128..... - مؤشرات إحصائية حول تهويد القدس:
 129..... **المطلب الرابع**
- 129..... **هيكل سليمان في عقيدة اليهود**.
 130..... أولاً: المقصود بالهيكل:
 131..... ثانياً: جبل الهيكل
 131..... ثالثاً: الهيكل الأول (هيكل سليمان).
 132..... رابعاً: هدم هيكل سليمان.
 132..... خامساً: الهيكل الثاني.
 132..... سادساً: هيكل هيرودس.
 133..... سابعاً: الهيكل الثالث.
 134..... ثامناً: إعادة بناء الهيكل.
 135..... تاسعاً: اختيار اليهود بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى، وسببه
 136..... عاشراً: مكانة الهيكل عند اليهود.
 139..... ج- أقوال الباحثين والمؤرخين عن مكانة الهيكل في عقيدة اليهود:
 140..... حادي عشر: ترحيب النصارى ببناء الهيكل.
 140..... ثاني عشر- إبطال الادعاءات اليهودية في هيكل سليمان عليه السلام.
 140..... الدليل الأول: عدم قدسية الأسفار التي تحدثت عن وجود الهيكل
 141..... الدليل الثاني: سليمان عليه السلام لم يبن هيكلًا؛ بل بنى لله تعالى مسجدًا
 143..... الدليل الثالث: شهادة علماء الآثار
 144..... الدليل الرابع: المسجد الأقصى لم يُبنَ على أنقاض هيكل سليمان المزعوم.
 145..... الدليل الخامس: اتجاه الهيكل المزعوم مختلف تماماً عن اتجاه المسجد الأقصى.

145	الدليل السادس: التناقض بين روايات الأسفار التي تحدثت عن الهيكل، ومن ذلك ⁰
147	الدليل السابع: اختلاف نصوص الأسفار في تحديد مكان بيت الله ⁰
148	الدليل الثامن: اختلاف الطوائف اليهودية حول المكان الذي بني فيه الهيكل المزعوم.....
149	الدليل التاسع: إن نبيّ الله تعالى سليمان <small>عليه السلام</small> هو المجدّد لبناء المسجد الأقصى ⁰
151	المطلب الخامس
151	أثر عقيدة هيكل سليمان في مخططات هدم المسجد الأقصى
151	أولاً: المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين.....
151	1- التعريف بالمسجد الأقصى:.....
151	2- أسماء المسجد الأقصى:.....
152	3- أبواب المسجد الأقصى:.....
153	4- ما ورد في القرآن الكريم من فضل بيت المقدس.....
154	6- ما ورد في السنة النبوية من فضل بيت المقدس:.....
156	ثانياً: ربط عقيدة هيكل سليمان بهدم المسجد الأقصى عند اليهود.....
157	ثالثاً: مدى إمكانية نجاح اليهود في هدم المسجد الأقصى.....
158	رابعاً: الدلائل على جدية اليهود في هدم المسجد الأقصى:.....
160	خامساً: دور الحكومة والمؤسسة اليهودية في هدم المسجد الأقصى.....
161	سادساً: الخطوات الحكومية الرسمية الممهدة لتنفيذ المؤامرة:.....
161	سابعاً: الخطوات العملية اليهودية التي تسبق هدم الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم:.....
165	ثامناً: إجراءات عملية في السنوات الأخيرة لبدء هدم الأقصى، وإقامة الهيكل المزعوم:.....
166	تاسعاً: واجب المسلمين في نصررة فلسطين ومواجهة خطة هدم المسجد الأقصى.....
171	المبحث الثالث
171	الانحراف الأخلاقي عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين
171	تمهيد:.....
171	المطلب الأول: الخلفية التاريخية والدينية لأخلاق اليهود.....
171	أولاً: أخلاق الأجداد المذمومة كما جاءت في التوراة والإنجيل:.....
173	ثانياً: أخلاق الأجداد المذمومة كما جاءت في القرآن الكريم:.....
176	المطلب الثاني
176	سمات الشخصية اليهودية
176	1- المادية:.....
177	2- العدوانية.....
178	3- القسوة والهمجية.....
181	4- الغدر والخيانة.....
182	5- المكر والكيد:.....
183	6- الذلة والمسكنة والخزي:.....
184	المطلب الثالث
184	أخلاق اليهود النفسية والاجتماعية
184	1- الكذب.....
187	2- الحسد.....
188	3- حب الدنيا.....

188	4- البخل.....
189	5- الإفساد في الأرض.....
190	6- اليهود محرفون.....
191	7- اليهود متحايلون.....
194	8- الحرص على الحياة.....
195	9- التعالي والاستعلاء.....
195	10- الميكافلية.....
196	المطلب الرابع.....
196	آثار أخلاق اليهود في التعامل مع الفلسطينيين.....
205	الفصل الثالث.....
205	الانحراف الفكري عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين.....
205	المبحث الأول.....
205	التمييز العنصري في الفكر اليهودي، وأثره على الفلسطينيين.....
205	المطلب الأول: التعالي اليهودي، والزعم بأن اليهود شعب الله المختار.....
205	أولاً: شعور اليهود بالتعالي على سائر البشر.....
206	ثانياً: زعم اليهود أنهم شعب الله المختار.....
208	ثالثاً: السبب في زعم اليهود أنهم شعب الله المختار.....
209	رابعاً: تفسير الاختيار عند اليهود.....
211	خامساً: أدلة اليهود على زعمهم بأنهم شعب الله المختار:
211	1- أدلتهم من التوراة:
212	2- أدلتهم من التلمود:
214	3- أدلتهم من القبّالاه:
214	سادساً: إبطال القرآن الكريم زعم اليهود أنهم شعب الله المختار.....
215	سابعاً: تفضيل بني إسرائيل في القرآن الكريم.....
218	المطلب الثاني.....
218	التمييز العنصري عند اليهود.....
218	أولاً: تعريف التمييز العنصري:
219	ثانياً: أصل عقيدة التمييز العنصري عند اليهود.....
220	ثالثاً: الأدلة على التمييز العنصري عند اليهود:
220	أ- الأدلة من العهد القديم على التمييز العنصري عند اليهود:
222	رابعاً: من أقوال فقهاء اليهود وفتاواهم العنصرية:
224	سادساً: مناقشة عقيدة التمييز العنصري.....
227	المطلب الثالث.....
227	الأنانية وحب الذات عند اليهود.....
227	أولاً: الأدلة القرآنية على الأنانية وحب الذات عند اليهود:
228	ثانياً: اليهود و البارانويا.....
230	ثالثاً: فقدان الثقة لدى اليهود تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين.....
231	رابعاً: أثر الإحساس بالأناء، والاستعلاء على البشر.....
232	المطلب الرابع.....

232	أثر التمييز العنصري عند اليهود في التعامل مع الفلسطينيين
233	أولاً- القوانين والتشريعات التي شرعتها الحكومة الصهيونية ضد الفلسطينيين:
233	1- قانون العودة.
234	2- قانون الجنسية.
235	3- قوانين الطوارئ والدفاع.
236	4- قوانين مصادرة الأراضي:
	ثانياً: الأعمال الهمجية التي قام بها الاحتلال الصهيوني ضد الفلسطينيين منذ احتلال فلسطين
237	وحتى اليوم:
237	1- أساليب التعذيب:
237	2- العقاب الجماعي.
240	3- التمييز في المجال الاقتصادي.
240	4- التمييز في المجال السياسي.
241	5- تدمير القرى والآثار الفلسطينية.
241	ثالثاً: طرد العرب (الترانسفير).
242	أ- النصوص التوراتية التي يعتمد عليها اليهود في فكرة طرد العرب وترحيلهم من وطنهم:
242	ب- أقوال ومواقف زعماء اليهود في التخطيط لطرد العرب وترحيلهم عن وطنهم:
243	ج- تنفيذ خطة طرد العرب.
245	المبحث الثاني
245	الانعزالية في الفكر اليهودي، وأثرها على الفلسطينيين
245	المطلب الأول
245	الجذور التاريخية للفكر الانعزالي عند اليهود.
245	أولاً: الانعزالية اليهودية.
245	1- المقصود بالانعزالية اليهودية:
245	2- أدلة العهد القديم على الانعزالية اليهودية:
246	3- أسباب الانعزالية اليهودية:
247	4- فترات العزلة التي مر بها اليهود:
249	5- دور الدين اليهودي في عزلة اليهود:
250	6- أسماء مناطق الانعزال اليهودي:
257	ثانياً: بناء الجدر في الفكر اليهودي.
257	1- بناء الجدران العالية فكرة صهيونية قديمة.
258	2- الأدلة على بناء الجدر والأسوار والقرى المحصنة في العهد القديم وفي القرآن الكريم:
260	3- بناء الجدر في الفكر الصهيوني الحديث.
262	المطلب الثاني
262	أثر الانعزالية على الواقع الفلسطيني
262	أولاً: الرؤية الصهيونية للجدار العازل:
263	ثانياً: خطط الفصل لدى الحكومات الصهيونية:
263	1- خطة إسحق رابين للفصل:
264	2- خطة إيهود باراك للفصل:
264	3- خطط أرئيل شارون للفصل:
265	ثالثاً: شكل الجدار ومكوناته:

267	رابعاً: مراحل بناء الجدار:
268	خامساً: مسارات الجدار حول شرقي القدس:
269	سادساً: الدوافع النفسية اليهودية لإقامة الجدار ⁰ :
272	سابعاً: أهداف الجدار:
272	1- الأهداف السياسية:
273	2- الأهداف الاقتصادية:
273	3- الأهداف الأمنية:
274	4- الأهداف الديموغرافية:
274	ثامناً: تداعيات وآثار الجدار الفاصل:
282	المبحث الثالث
282	الجنور الدينية للإرهاب في الفكر اليهودي، وأثره في الواقع الفلسطيني
282	المطلب الأول: الإرهاب في الفكر اليهودي
282	أولاً- تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً:
284	التعريف المختار للإرهاب:
286	ثانياً- الجنور الدينية للإرهاب الصهيوني، وأثرها على الحركة الصهيونية:
286	أ- نصوص العهد القديم التي تحدثت عن الإرهاب اليهودي:
288	ب- نصوص التلمود التي تحدثت عن ممارسة اليهود للإرهاب:
291	ج- الإرهاب في بروتوكولات حكماء صهيون:
295	رابعاً- الفكر والإرهاب:
296	خامساً- إرهاب الكيان اليهودي المحتل (إرهاب الدولة):
296	أ- المقصود بإرهاب الدولة:
296	ب- أشكال إرهاب الكيان اليهودي المحتل:
299	المطلب الثاني
299	المنظمات الصهيونية الإرهابية، والأعمال التي قامت بها
299	أولاً- المنظمات الصهيونية الإرهابية:
304	ثانياً- الأعمال الإرهابية التي قامت بها المنظمات الصهيونية:
307	ثالثاً- إرهاب المعتصمين الصهاينة ⁰ :
311	رابعاً: القتل و الإبادة الجماعية في الفكر اليهودي:
311	1- مفهوم الإبادة الجماعية:
313	2- نصوص العهد القديم التي تتحدث عن الإبادة الجماعية:
316	3- المذابح والمجازر:
316	أ- مذبحه قرיתי بلد الشيخ و حواسة (1/1/1948م)، في الجنوب الشرقي لحيفا
317	ب- مذبحه "دير ياسين"
317	ج- مذبحه قبية (14-15/10/1953م):
317	د- مذبحه "كفر قاسم" (29 أكتوبر 1956م):
318	هـ- مذبحه صبرا و شاتيلا (16-18/9/1982م):
319	و- مذبحه المسجد الإبراهيمي:
320	خامساً: قتل المدنيين الفلسطينيين
321	1- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الأولى:
321	أ- الانتفاضة الفلسطينية الأولى:

- 321ب- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الأولى⁰.
- 3222- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الثانية "انتفاضة الأقصى":
- 322أ- الانتفاضة الفلسطينية الثانية:
- 323ب- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الثانية:
- 324ج- عمليات الاغتيال:
- 325د- المنازل المهتمة في قطاع غزة:
- 325هـ- المنازل المهتمة في الضفة الغربية
- 325قتل المدنيين في الحروب الثلاثة الأخيرة على غزة:
- 326الحرب الأولى على غزة:
- 328ب- الحرب الثانية على غزة:
- 329ج- الحرب الثالثة على غزة:
- 333-التدمير المنهج في الحرب الأخيرة:
- 334المطلب الثالث**
- 334معاملة الأسرى الفلسطينيين**
- 334أولاً: الأحكام الواردة في التعامل مع الأسرى في العهد القديم:
- 3341- قتل الجميع: الرجال والنساء والأطفال:
- 3352- قتل الذكور البالغين، دون النساء والأطفال:
- 3363- استرقاق الجميع:
- 3374- الفداء على مال يدفع كجزية ثابتة لا تنقطع:
- 3375- الاستيلاء على الأرض وتقسيمها، مع طرد السكان دون قتلهم أو أسرهم:
- 3376- التنكيل بالأسرى:
- 338ثانياً: معاملة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني:
- 3381- عدد الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني:
- 3382- معاناة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي:
- 338أ- المعاملة العامة لجميع الأسرى والمعتقلين⁰:
- 339ب- الأوضاع الصحية الصعبة للأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني:
- 341ج- العزل الانفرادي:
- 342د- معاملة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال الصهيوني:
- 343هـ- معاملة الأسرى الفلسطينيين الأطفال في سجون الاحتلال الصهيوني:
- 343و- تعذيب الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني:
- 345و- شهداء مقابر الأرقام:
- 346المطلب الرابع**
- 346حصار قطاع غزة**
- 346أولاً: المقصود بحصار غزة:
- 3461- تعريف الحصار لغة:
- 347ثانياً: نشأة الحصار على غزة:
- 350ثالثاً: أسباب حصار غزة:
- 351رابعاً: الملامح العامة للحصار الصهيوني على قطاع غزة:
- 352خامساً: نصوص العهد القديم التي تحدثت عن الحصار:
- 358خاتمة البحث:

358	أولاً: نتائج البحث:
360	ثانياً: التوصيات:
362	- المراجع والمصادر:
362	- أولاً: المراجع والمصادر العربية:
386	ثانياً: المصادر والمراجع العبرية:
386	ثالثاً: المصادر والمراجع الإنجليزية:
387	رابعاً: المواقع الإلكترونية:

مقدمة:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفبه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فقد أرسل الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل معهم الكتب لغاية واحدة، وهدف واحد، ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الطواغيت التي تعبد من دونه.

قال الله عز وجل: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل: 36].

وكانت عقيدة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام عقيدة واحدة، هي عقيدة التوحيد الخالص، قال تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: 5]، ولكن أتباع الأنبياء والرسل حرفوا تلك العقيدة الخالصة في جميع أركانها، ومن أولئك الأتباع: اليهود.

وهذه الدراسة تبين ذلك التحريف للعقيدة الذي أدى إلى تلك الانحرافات العقيدية والفكرية عند اليهود، وتبين آثار تلك الانحرافات على الواقع الفلسطيني.

أهداف البحث:

- 1- بيان الانحراف العقدي والفكري عند اليهود.
- 2- التأصيل العقدي لما يقوم به اليهود ضد الفلسطينيين.
- 3- بيان أهمية العامل الاعتقادي والفكري، وأثره في السلوك البشري.
- 4- إبراز الجوانب العدوانية في العقيدة اليهودية المحرفة.
- 5- مقاومة عقائد اليهود المحرفة بعقيدة صحيحة غير محرفة هي: عقيدة الإسلام المحفوظة بحفظ الله تعالى لها.
- 6- التحذير من التعامل مع اليهود؛ لأنهم شر على العالم كله.

أهمية البحث:

وتكمن أهمية البحث في كونه:

- 1- يساهم في كشف تحريف اليهود لمصادرهم الدينية.
- 2- يساهم في كشف الانحراف الخلقي والسلوكي عند اليهود.
- 3- يبطل ادعاء يهود اليوم بأنهم من نسل بني إسرائيل.
- 4- يؤصل لعداوة اليهود للشعب الفلسطيني من المصادر الدينية اليهودية.

5- يبين أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الواقع الفلسطيني.
مشكلة البحث:

أراد الباحث تسليط الضوء على الانحراف العقدي والفكري عند اليهود، والذي لحق بمصادر العقيدة عندهم، وأثره على الواقع الفلسطيني، من حروب، ودمار، وتقتيل، وحصار.
حدود البحث:

وتتكون حدود الدراسة من:

- 1- الحد الزمني: بدء الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين عام 1948م، وما قام به من الجرائم ضد الشعب الفلسطيني حتى كتابة هذا البحث سنة 2020م.
- 2- الحد المكاني: فلسطين المحتلة منذ عام 1948م.
- 3- الحد الموضوعي: النصوص العقدية والفكرية في المصادر الدينية عند اليهود.
بالإضافة إلى:
أ- القرآن الكريم.
ب- كتب تفسير القرآن الكريم.
ج- نصوص السنة النبوية.
د- كتب شروح السنة النبوية.
هـ- كتب العقائد والملل والنحل.
- 4- الحد البشري: اليهود.

منهج البحث:

- سأتبع لتحقيق أهداف هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج الوصفي النقدي، والمنهج الإحصائي، وذلك على النحو التالي:
- 1- أعرض الانحراف العقدي أو الفكري عند اليهود من خلال كتبهم المقدسة، أو ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية.
 - 2- ثم أبين أثر ذلك الانحراف في ممارساتهم مع الشعب الفلسطيني.
 - 3- وسأرد على مزاعم وادعاءات اليهود في كثير من القضايا المتعلقة بذلك الانحراف.
 - 4- وسأعتمد لتحقيق ذلك على:
أ- آيات القرآن الكريم، التي ورد فيه ذلك الانحراف العقدي أو الفكري؛ وذلك بذكر اسم السورة، ورقم الآية التي وردت فيها.
ب- كتب تفسير القرآن الكريم القديمة والحديثة.

- ج- نصوص السنة النبوية التي ورد فيها ذلك الانحراف العقدي أو الفكري، وسأقوم بتخريج الأحاديث من مظانها، وعزوها إلى مصادرها، وذكر حكم علماء الحديث على الحديث، ما عدا ما أخرجه البخاري ومسلم.
- د- كتب شروح السنة النبوية.
- هـ- كتب العقائد والملل والنحل.
- و- التوراة.
- ز- التلمود.
- ح- بروتوكولات حكماء صهيون.
- ط- المعاجم اللغوية.
- ي- بعض الكتب الفكرية الحديثة.
- ك- بعض المقالات التي كتبت حول ذلك الموضوع.
- ل- بعض المراجع الأجنبية التي تحدثت عن اليهود وعقائدهم وفكرهم.
- الدراسات السابقة:**

تعددت الدراسات المتعلقة باليهود والتحريف الذي أصاب التوراة من بعد موسى عليه السلام، وكذلك ما يقوم به اليهود من جرائم بحق الشعب الفلسطيني، وفي حد ما اطلع عليه الباحث من دراسات لم يجد دراسةً مكتوبةً تتحدث عن تأصيل هذه الجرائم التي يقوم بها العدو الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني من المصادر الدينية عند اليهود، وهذه أهم الدراسات التي تناولت الحديث عن الانحراف العقدي والفكري عند اليهود، وأهمها:

رسالة ماجستير بعنوان: أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، للباحث: عطا الله بخيت حماد المعاينة، سنة 1409هـ، بجامعة أم القرى بمكة.

هذه الدراسة تتميز عن سابقتها بأنها تتناول الحديث عن تأصيل الجرائم التي قام بها اليهود ضد الشعب الفلسطيني بشكل تفصيلي، وأكثر عمقاً.

هيكل البحث:

التمهيد:

- أولاً: تعريف الانحراف العقدي.
- ثانياً: تعريف الانحراف الفكري.
- ثالثاً: صلة يهود اليوم ببني إسرائيل.

الفصل الأول: المصادر الدينية والفكرية عند اليهود، ودعوى قدسيتها.
وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المصادر الدينية والفكرية عند اليهود.
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العهد القديم.

المطلب الثاني: التلمود.

المطلب الثالث: القبالة، أو الكابلا، أو القبالة.

المبحث الثاني: دعوى قدسية المصادر الدينية عند اليهود.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى قدسية العهد القديم.

المطلب الثاني: دعوى قدسية التلمود.

الفصل الثاني: الانحراف العقدي والأخلاقي عند اليهود، وأثره على الواقع الفلسطيني.
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة اليهود في الإله، والأنبياء، وأثرها في نقضهم الاتفاقيات مع الفلسطينيين.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: عقيدة اليهود في الإله.

المطلب الثاني: نقض اليهود المواثيق والعهد مع الله تعالى.

المطلب الثالث: عقيدة اليهود في الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الرابع: نقض اليهود المواثيق والعهد مع الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الخامس: نقض اليهود الاتفاقيات مع الفلسطينيين.

المبحث الثاني: عقيدة اليهود في الأرض المقدسة، وأثرها على الفلسطينيين.
وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: المقصود بالأرض المقدسة

المطلب الثاني: مزاعم اليهود في أرض الميعاد، ونقضها.

المطلب الثالث: أثر عقيدة أرض الميعاد.

المطلب الرابع: هيكل سليمان في عقيدة اليهود.

المطلب الخامس: أثر عقيدة هيكل سليمان في مخطط هدم المسجد الأقصى.
المبحث الثالث: الانحراف الأخلاقي عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين.
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الخلفية التاريخية والدينية لأخلاق اليهود.

المطلب الثاني: سمات الأخلاق والشخصية اليهودية.

المطلب الثالث: أخلاق اليهود النفسية والاجتماعية.

المطلب الرابع: أثر أخلاق اليهود في التعامل مع الفلسطينيين.

الفصل الثالث: الانحراف الفكري عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين.
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التمييز العنصري في الفكر اليهودي، وأثره على الفلسطينيين.
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعالي اليهودي، والزعم بأنهم شعب الله المختار.

المطلب الثاني: التمييز العنصري عند اليهود.

المطلب الثالث: الأنانية وحب الذات عند اليهود.

المطلب الرابع: أثر التمييز العنصري عند اليهود في التعامل مع الفلسطينيين.

المبحث الثاني: الانعزالية في الفكر اليهودي، وأثرها على الفلسطينيين.
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الجذور التاريخية للفكر الانعزالي عند اليهود.

المطلب الثاني: أثر الانعزالية على الواقع الفلسطيني.

المبحث الثالث: الجذور الدينية للإرهاب في الفكر اليهودي وأثره في الواقع الفلسطيني.
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإرهاب في الفكر اليهودي.

المطلب الثاني: المنظمات الصهيونية الإرهابية والأعمال التي قامت بها.

المطلب الثالث: معاملة الأسرى والجرحى الفلسطينيين.

المطلب الرابع: حصار غزة.

الخاتمة، وتشمل: نتائج البحث والتوصيات، وفهرس المراجع، وفهرس الموضوعات.

التمهيد

أولاً: تعريف الانحراف العقدي.

ثانياً: تعريف الانحراف الفكري.

سادساً: صلة يهود اليوم ببني إسرائيل.

التمهيد

أولاً: تعريف الانحراف العقدي، وآثاره:

هذا مصطلح مركب من كلمتين: الانحراف، والعقيدة، ولكي نعرفه تعريفاً سليماً لا بد من تعريف كل كلمة من الكلمتين.

1- تعريف الانحراف لغة، واصطلاحاً:

أ- تعريف الانحراف في اللغة:

الانحراف في اللغة: من الفعل (حَرَفَ)، وَحَرَفَ عَنْهُ حَرْفًا: مَالَ وَعَدَلَ، وَحَرَفَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ حَرْفًا: صَرَفَهُ وَغَيَّرَهُ، وَحَرَفَ الشَّيْءَ: أَمَالَهُ، وَحَرَفَ الْكَلَامَ تَحْرِيفًا: غَيَّرَهُ تَغْيِيرًا، وَصَرَفَهُ عَنْ مَعَانِيهِ، وَأَنْحَرَفَ عَنِ الشَّيْءِ انْحِرَافًا: مَالَ عَنْهُ مَيْلًا، وَيُقَالُ: انْحَرَفَ مَزَاجُهُ: مَالَ عَنِ الْاِعْتِدَالِ، وَأَنْحَرَفَ إِلَى فُلَانٍ: مَالَ إِلَيْهِ.⁽¹⁾

ب- تعريف الانحراف في الاصطلاح:

هناك تعريفات كثيرة للانحراف كمصطلح، ومن هذه التعريفات:

1- "انتهاك للتوقعات، والمعايير الاجتماعية. والفعل المنحرف ليس أكثر من أنه حالة من التصرفات السيئة".⁽²⁾

2- "الخروج من جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان".⁽³⁾

2- تعريف العقيدة لغة، واصطلاحاً:

أ- تعريف العقيدة لغة:

العين والقاف والذال: أصلٌ واحد، يدلُّ على شِدَّةٍ وَشِدَّةٍ وَثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فِرْوَعُ النَّبَابِ كُتْلَاهَا. وَعَقَدْتُ الْحَبْلَ عَقْدًا، وَنَحْوَهُ، فَانْعَقَدَ. وَالْعُقْدَةُ: مَوْضِعُ الْعَقْدِ مِنَ النَّظَامِ، وَنَحْوَهُ. وَأَعَقَدْتُ الْعَسَلَ، فَانْعَقَدَ. وَعُقْدَةُ كُلِّ شَيْءٍ: إِبْرَامُهُ. وَعُقْدَةُ النِّكَاحِ: وَجُوبُهُ. وَعُقْدَةُ الْبَيْعِ: وَجُوبُهُ. وَأَعْتَقَدَ الشَّيْءَ: صَلَّبَ. وَأَعْتَقَدَ الْإِخَاءَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَهُمَا: أَي تَبَّتْ، وَعَاقَدْتَهُ مِثْلَ عَاهَدْتَهُ، وَهُوَ الْعَقْدُ. وَالْجَمْعُ: عُقُودٌ، قَالَ تَعَالَى: {أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} [المائدة: 1].⁽⁴⁾

(1) انظر: الصحاح- الفارابي: 4/ 1343، ولسان العرب، ابن منظور: 42/9-43، والقاموس المحيط،

الفيروزآبادي: ص800، والمعجم الوسيط(إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر): 167/1.

(2) مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث، محمد سلامة غباري: ص 6.

(3) الإسلام والشباب، محمد الزحيلي: ص 163.

(4) انظر: كتاب العين، الفراهيدي: 1/140، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس: 4/ 86 - 87، والمفردات في

غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ص576، ومختار الصحاح، الرازي: ص214.

والعقيدة هي: "الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده".⁽¹⁾
يتبين مما سبق: أن الفعل "عقد" تدور معانيه المختلفة حول: الجمع، والربط، والشد،
واللزوم، والوثوق، والثبات، والصلابة في الشيء.

فالعقيدة بمعنى: الاعتقاد، وهي: ما عقد عليه القلب، أي: جزم به يقيناً، فكأن العقيدة
هي: العهد الموثوق، المشدود، الذي استقر في القلب، وقوي، واشتد، وثبت، ورسخ في الأعماق.
ب- تعريف العقيدة اصطلاحاً:

اختلفت عبارات العلماء قديماً وحديثاً في تعريفاتهم لمصطلح العقيدة؛ ولكنها قريبة في
المضمون، والمقصد؛ فتعريفات المعاصرين لا تختلف عن تعريفات المتقدمين؛ إلا من حيث:
الصياغة والأسلوب.⁽²⁾

1- عرفها "الجرجاني" بالجمع، فقال: "العقائد: ما يقصد فيه نفس الاعتقاد، دون العمل".⁽³⁾
2- وعرفها "السفاريني" بقوله: "الاعتقاد: هو حكم الذهن الجازم؛ فإن كان موافقاً للواقع؛ فهو
صحيح، وإلا فهو فاسد".⁽⁴⁾

3- وعرفها "سيد سابق" بقوله: "العقيدة: هي التصديق بالشيء، والجزم به، دون شك، أو ريب،
فهي بمعنى: الإيمان، يقال: اعتقد كذا، أي: آمن به. والإيمان بمعنى: التصديق، يقال: آمن
بالشيء، أي: صدق به تصديقاً لا ريب فيه، ولا شك معه".⁽⁵⁾

يتبين مما سبق: أن المعنى الاصطلاحي للعقيدة في كتب العقيدة القديمة والحديثة يدور
حول الإيمان، والتصديق اليقيني الجازم الذي لا يخالطه شك، ويوافق الواقع، والذي محله القلب،
وليس للجوارح فيه دور؛ لأنها محل الأعمال، لا الاعتقاد، والإيمان، وأن المعنى الاصطلاحي
مأخوذ من المعنى اللغوي للعقيدة؛ فهو قريب من معاني (عقد) اللغوية، من: الجزم، واليقين،
والثبات، والصلابة، والشدة؛ لأن العقيدة الصحيحة تحتاج إلى تلك المعاني كلها.

3- تعريف الانحراف العقدي:

بعد تعريف كل من الانحراف والعقيدة يمكن تعريف الانحراف العقدي بأنه: الميل والخروج
عن جادة الصواب، والبُعد عن الوسط المعتدل، وترك الاتزان في قضايا وأركان الإيمان.

(1) المعجم الوسيط: 614/2.

(2) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان، د. سعد عاشور: 3/1.

(3) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: ص152. وانظر: المعجم الوسيط: 614/2.

(4) لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية، لشرح الدرر المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد

بن سالم السفاريني الحنبلي: 60/1.

(5) العقائد الإسلامية، السيد سابق: ص9.

4- آثار الانحراف العقدي ومخاطره:

إن للانحراف العقدي آثارا كثيرة وخطيرة، في مجالات عديدة وواسعة، وهذه بعضها:

1- حصول التفرق والاختلاف المذموم:

لقد كان أهل الجاهلية الأولى مختلفين متفرقين، لا يجمعهم دين، ولا ينفادون لسلطان، فبعث الله نبيه محمداً ﷺ، فجمعهم على دين واحد، فتآلفت القلوب بعد عداوات وبغضاء، واجتمعت بعد تفرق وشتات، قال الله تعالى ممتناً على أهل الإسلام بهذه المنة العظيمة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]، وقد ذم الله تعالى أهل الاختلاف والافتراق فقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19]⁽¹⁾

2- تسلط الأعداء وسقوط الدول: فقد أخبر الله تعالى أن الإيمان به ورسوله ﷺ والجهاد عن دينه سبب لخير الدنيا والآخرة، وأن البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به الرسول ﷺ سبب لشَر الدنيا والآخرة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40].

3- إدخال أصول وعبادات ليست من شرع الله تعالى، وقد أدى ذلك إلى اهتمام الناس بالبدع والمحدثات التي أدت إلى ضعف المجتمع وافتراقه، وانتشار مساوئ الأخلاق.

4- ظهور فكرة تقارب الأديان وانصهارها معاً، وإلغاء الفوارق العقائدية بين الأديان، والدعوة إلى السلام والوفاق، وهذا يعارض قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]

5- انتشار الوثنية والشرك، وفعل المنكرات والمحرمات، والإلحاد في الدين؛ حيث يعد هذا الأثر من الآثار الواضحة والمنتشرة في البلاد الإسلامية.⁽²⁾

ثانياً: تعريف الانحراف الفكري، وآثاره:

الانحراف الفكري مركب من كلمتين: الانحراف، والفكري.

وقد سبق تعريف الانحراف لغة واصطلاحاً عند تعريف الانحراف العقدي، وبقي تعريف الفكر.

(1) انظر: الانحراف العقدي، آثاره ونتائجه، د. أحمد بن علي سير المباركي: ص31، رابطة العالم الإسلامي، المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة.

(2) انظر (2-5): الانحراف العقدي، آثاره ونتائجه، د. أحمد بن علي سير المباركي: ص37.

1- تعريف الفكر في اللغة:

جاء في المنجد في مادة "فكر": "فَكَرَ فِكْرًا وَفَكَرًا، وَفَكَرَ وَأَفَكَرَ، وَتَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ: أَعْمَلَ الْخَاطِرَ فِيهِ وَتَأَمَّلَهُ. الْفِكْرُ: جَمْعُهُ أَفْكَارٌ: تَرَدَّدَ الْخَاطِرُ فِيهِ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّدْبِيرِ بِطَلَبِ الْمَعْنَى. يُقَالُ: لِي فِي الْأَمْرِ فِكْرٌ أَيْ: نَظْرٌ وَرَوِيَّةٌ".⁽¹⁾

والفكر: "إِعْمَالُ الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ"⁽²⁾، وهو أعلى صور العمل الذهني بما فيه من تركيب وتحليل وتنسيق، فكل ما أنتجه عقل الإنسان من رأي ناتج عن تأمل وتحليل وتركيب فهو فكر.⁽³⁾

2- تعريف الفكر في الاصطلاح:

ذكر الفيومي تعريفين للفكر، وهما:

- 1- تَرَدُّدُ الْقَلْبِ بِالنَّظَرِ وَالتَّدْبِيرِ لِطَلَبِ الْمَعْنَى.
- 2- تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الدِّهْنِ، يُبَوِّصَلُ بِهَا إِلَى مَطْلُوبٍ، يَكُونُ عِلْمًا أَوْ ظَنًّا.⁽⁴⁾
- 3- وعرفه د. "عبد الرحمن الزنيدي" بأنه "الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي: النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها، أي: الموضوعات التي أنتجها العقل البشري".⁽⁵⁾

3- تعريف الانحراف الفكري:

يُعد مصطلح "الانحراف الفكري" من المصطلحات الحديثة؛ ويتصف مفهوم الانحراف الفكري بكونه "مفهوما نسبيا متغيرا، فما قد يُعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما لا يُعد كذلك في مجتمع آخر؛ وذلك لاختلاف القيم، والمعايير الدينية والاجتماعية السائدة".⁽⁶⁾

وبناء على ما سبق: فقد عرّف الانحراف الفكري بتعاريف عدة، ومنها:

- 1- "الميل إلى غير الحق في أصول الدين فيما ينتجه عقل الإنسان من رأي".⁽⁷⁾

(1) المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف: ص591.

(2) لسان العرب، ابن منظور: 65/5.

(3) انظر: المعجم الفلسفي: ص137.

(4) المصباح المنير، الفيومي: 479/2.

(5) حقيقة الفكر الإسلامي، د. عبد الرحمن الزنيدي: ص10.

(6) نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي (رسالة دكتوراة): ص 70.

(7) مقال بعنوان: "حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري"، د. عبد الله بن عبد العزيز الزايد، مجلة البحوث الإسلامية: عدد77، ص238.

2- "ذلك النوع من الفكر الذي يخالف القيم الروحية والأخلاقية والحضارية للمجتمع، ويخالف الضمير المجتمعي، وأهم من هذا كله هو: ذلك النوع من الفكر الذي يخالف المنطق والتفكير السليم، ويؤدي إلى ضرب وتفكك وحدة وكيان المجتمع".⁽¹⁾

بناء على ما سبق: فإن الفكر المنحرف مرادف للبعضاء، والعدوانية، والعنف، وزعزعة الأمن، والاستقرار الاجتماعي لدى الأفراد، وهو ينتمي إلى التفكير السطحي، غير العقلاني الذي لا يحتاج إلى جهد عقلي، أو منطقي، أو ذهني، ولا يقوم على منهجية علمية؛ لأن هدف الفكر المنحرف زرع البلبلة، والتشكيك، وإسقاط ما هو قائم من فكر وأخلاق ومعتقدات.⁽²⁾

4- آثار الانحراف الفكري، ومخاطره:

إن للانحراف الفكري آثارا كثيرة وخطيرة، في مجالات عديدة وواسعة، لا تقل خطورة عن آثار الانحراف العقدي، وهذه بعضها:

1- الإضرار السياسي العالمي:

إن من أعظم آثار الانحراف: آثاره في السياسة العالمية، ونظام العلاقات بين الدول؛ وذلك أن الانحراف الذي جعل قلب الإنسان يمتلئ بالقسوة والأنانية، دفع الإنسان إلى تطبيق هذه القسوة والأنانية في مجال العلاقات السياسية العالمية أيضا؛ ولذلك لجأت الدول الاستعمارية الكبرى إلى وسائل خبيثة في استعباد الشعوب الضعيفة، والحصول على خيراتها، ونهب ثرواتها.⁽³⁾

2- وقوع البلاء، وعموم الفوضى، وظهور الفساد.

3- تدمير القيم والأخلاق وروح المجتمع.⁽⁴⁾

4- تهديد النظام العام، وتقويض الأمن الوطني بمقوماته المختلفة، حيث يهدف إلى زعزعة القناعات الفكرية، والثوابت العقدية والمقومات الأخلاقية والاجتماعية.⁽⁵⁾

5- استغلال العولمة لنشر الثقافة الغربية وعولمتها، حيث استثمر الغرب أدوات العولمة كالإعلام المرئي المتمثل في القنوات الفضائية وغيرها، أو المسموع، وكذلك أدوات الاتصال الحديثة، ومن أهمها الإنترنت؛ وذلك لأجل تذويب الهوية الخصوصية للعالم الإسلامي.

(1) الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، أحسن مبارك طالب: ص 132.

(2) انظر: الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، أحسن مبارك طالب: ص 132.

(3) انظر: الانحراف العقدي، آثاره ونتائجه، د. أحمد بن علي سير المباركي: ص 39.

(4) انظر (2،3): الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، أحسن مبارك طالب: ص 133.

(5) إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة، زيد بن

زيد بن أحمد الحارثي: ص 53، الفصل الدراسي الثاني/1428هـ-1429هـ.

6- تشويه الفكر الإسلامي، وتهميش قيمته، وتمجيد الغرب وفكره المنحرف على المستوى الداخلي والخارجي.

7- التأثير على التعليم والإعلام واللغة والأدب، حيث تعد هذه الأمور من الأسس التي تعتمد عليها الأمم في ثقافتها.⁽¹⁾

ثالثاً: صلة يهود اليوم ببني إسرائيل.

يقول د. صالح الرقب: "إذا كانت هذه الأرض (فلسطين) ملكاً لبني إسرائيل، بناء على الوعد الإلهي الذي أعطاه الرب لإبراهيم ونسله، وبناء على حقهم التاريخي القديم، حيث أقام أجدادهم وآباؤهم الإسرائيليون في فلسطين ملكاً، فالسؤال هو: ما علاقة يهود اليوم بذلك؟ وما علاقة اليهود الذين قدموا إليها من جميع دول العالم، وهم ينتمون في الأصل إلى أعراق، وأجناس وقوميات شتى، لا تربطهم بـيعقوب (إسرائيل) أية علاقة قومية، أو عرقية؟ وما علاقة اليهود المجموعين من أنحاء وأشتات الأرض بفلسطين الأرض المباركة؟

إنّ المزاعم والادعاءات المزيفة التي صنعتها اليهودية، ومن ثمّ روجتها الصهيونية المسيحية، والصهيونية اليهودية هي التي أوجدت العلاقة بين يهود اليوم، وأبناء إبراهيم عليه السلام؛ ولكن أتى تصمد هذه المزاعم والادعاءات أمام حقائق البحث العلمي، والدراسات الموضوعية التاريخية، التي كشفت عن زيوف ما تمّ إشاعته، وترويجه".⁽²⁾

ومما يؤكد عدم نقاوة الجنس اليهودي حتى في أقدم عصوره التاريخية، وأنه دخلت في صفوف بني إسرائيل شعوب أخرى غير إسرائيلية ما قاله "لامبروزو" من علماء الأجناس: "إن اليهود المعاصرين أقرب إلى الجنس الآري من الجنس السامي، وإنهم طائفة دينية تميزت بمميزات اجتماعية واقتصادية، وانضم إليها عبر القرون أناس ينتمون إلى شتى الأجناس البشرية، وبينهم عدد من سكان الحبشة، والألمان الآريين، ومن التامل من الأقوام الهندية، ومن الخزر"⁽³⁾ من الجنس المغولي، الذين تحولوا- كما يقول المؤرخ اليهودي ابن ميمون- إلى اليهودية في القرن العاشر، ثم دفعتهم الهجرات البشرية إلى أوروبا الوسطى والغربية".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ انظر (5-7): الانحراف العقدي، آثاره ونتائجه، د. أحمد بن علي سير المباركي: ص 40-41.

⁽²⁾ ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، صالح الرقب: ص 102-103.

⁽³⁾ الخزر: هم شعب من أصل تركي، حكموا تخوم أوروبا الشرقية، الممتدة بين القوقاز ونهر الفولجا، وأسسوا إمبراطورية يهودية عرفت بإمبراطورية الخزر، من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، وقد لعبت دوراً هاماً في تشكيل أقدار أوروبا في العصور الوسطى، انظر: "القبيلة الثالثة عشرة، ويهود اليوم"، آرثر كيبستر: ص 21.

⁽⁴⁾ العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة: ص 340.

ويتحدث "آرثر كيستلر" - وهو يهودي مجري⁽¹⁾ - عن "دولة يهودية" كانت تحكم تخوم أوروبا الشرقية، الممتدة بين القوقاز، ونهر الفولجا من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، عرفت بـ"إمبراطورية الخزر"، وهم شعب من أصل تركي، وقد لعبت دورا هاما في تشكيل أحداث أوروبا في العصور الوسطى، والعصور الحديثة أيضا.

ويتحدث عن اعتناق دولة الخزر "اليهودية" سنة 740م؛ حيث اعتنق ملك الخزر، وحاشيته، والطبقة العسكرية الحاكمة الديانة اليهودية، وأصبحت "اليهودية" الدين الرسمي لدولة الخزر، ثم يتحدث عن هجرة قبائل وجماعات خزرية إلى الأقاليم الواقعة في شرق أوروبا، خاصة روسيا، وبولندا، حيث أكبر تجمعات من اليهود في العصر الحديث، ويخلص من ذلك إلى نتيجة، مفادها: أن الأغلبية من يهود شرق أوروبا - وبالتالي يهود العالم - كان أصلهم من الخزر؛ لا من أصل سامي.⁽²⁾

وقد ورد في دائرة المعارف اليهودية فصل مستقل عن "اليهود الخزر بعد سقوط مملكتهم" كتبه محررو دائرة المعارف، جاء فيه: "أكد القراءون Karaites (أفراد مذهب يهودي أصولي) الناطقون بالتركية من أبناء القرم، وبولندا، وأماكن أخرى وجود علاقة بينهم، وبين الخزر، وهي علاقة يعززها الدليل المنبثق من الفولكلور، والأنثروبولوجيا⁽³⁾، وكذلك اللغة، وهناك - فيما يبدو - قدر ضخم من الأدلة، التي تثبت الوجود المستمر لسلسلة الخزر في أوروبا".⁽⁴⁾

وبناء على هذا الكلام يؤكد "كيستلر" بأن الأغلبية الكبرى من اليهود في العالم كله في الوقت الحاضر هم من أصل أوربي شرقي، وبالتالي هم في الدرجة الأولى من أصل خزري، وهذا يعني - عنده - أن أجدادهم لم يأتوا من الأردن؛ بل من نهر الفولجا، ولم يجيئوا من أرض كنعان؛ بل من القوقاز، التي هي مهد الجنس الآري.

(1) آرثر كيستلر: أديب موسوعي الثقافة، قبلته إنجلترا لاجئا قبيلا الحرب العالمية الثانية، وصار من كتابها المشهورين، وهو يهودي من أب مجري، وأم نمساوية، ولد في بودابست سنة 1905 في أسرة متوسطة الحال، من أشهر كتاباته: كتاب "القبيلة الثالثة عشرة، ويهود اليوم". انظر: مقدمة مترجم كتاب "القبيلة الثالثة عشرة، ويهود اليوم"، أحمد نجيب هاشم: ص 5، 7.

(2) انظر: القبيلة الثالثة عشرة، ويهود اليوم، آرثر كيستلر: ص 21، 23.

(3) الأنثروبولوجيا: علم الإنسان الاجتماعي، وهو من ضمن الفروع الأربعة أو الخمسة التي تؤلف علم الإنسان والذي يدرس كيفية تصرف البشر المعاصرين في مجموعات اجتماعية. <https://ar.wikipedia.org/wiki>

(4) القبيلة الثالثة عشرة، كيستلر: ص 24.

ويعتبر "كيسنلر" أن يهود اليوم من حيث التركيب الوراثي أقرب إلى قبائل الهون، والأوجور Uigur، والماجيار Magyar، منهم إلى ذرية إبراهيم، وإسحق، ويعقوب.⁽¹⁾

يتبين من كلام "كيسنلر" -وهو يهودي، ومطلع على تاريخ اليهود القديم والحديث- أن الأغلبية العظمى من يهود اليوم ليسوا إسرائيليين، من ذرية النبي إسرائيل عليه السلام؛ وإنما هم في الحقيقة من الخزر، الذين في أوروبا الشرقية، موطن اليهود الشرقيين الأشكنازيم.⁽²⁾

من كل ما سبق يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

- 1- ادعاء اليهود المعاصرين أنهم نسل بني إسرائيل القدماء ادعاء باطل زائف، لا يستند إلى أساس علمي، أو واقع تاريخي.
- 2- أن كلمة يهودي أصبحت تطلق على كل شخص انتسب إلى الديانة اليهودية، وأخذها كدين له؛ لأن اليهود في مختلف أنحاء العالم من سلالات، وأجناس مختلفة، ولا تجمعهم أية رابطة جنسية وراثية، أو لغة، أو ثقافة؛ بل تجمعهم العقيدة الدينية وحدها.
- 3- أن اليهود المعاصرين أقرب إلى الجنس "الآري" من الجنس السامي، وإنهم طائفة دينية.
- 4- أن الأغلبية من يهود شرق أوروبا "اليهود الأشكنازيم" - وبالتالي يهود العالم- كان أصلهم من الخزر، الذين كانت لهم إمبراطورية باسمهم "إمبراطورية الخزر"، اعتنقت اليهودية من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، وأن تلت رعايا دولة الخزر كانوا من اليهود، أي: أن أجدادهم لم يأتوا من الأردن؛ بل من نهر الفولجا، ولم يجيئوا من أرض كنعان؛ بل من القوقاز.
- 5- أن اليهودية لم تدم في الخزر؛ فبعد حوالي قرن ونصف من دخول اليهودية إلى الخزر جاء الروس، ففضوا على مملكة الخزر، فتنشرد أهلها، وانتشر معظم اليهود في روسيا، وأوروبا الشرقية.

(1) انظر: المصدر السابق نفسه: ص24-25.

(2) الإشكناز: هم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا، و "إشكناز" -حسب الرواية التوراتية- اسم أحد أحفاد نوح؛ أما الاشتقاق الحالي لكلمة "الإشكناز" فهو من كلمة "إشكناز" بمعنى "ألمانيا"، ومن الصعب معرفة متى حدث هذا الترادف، وثمة آراء احتمالية عدة، فهناك من يربط بين إشكناز وإسكندنافيا، وهناك من يربط بينها وبين الساكسون، ومن ثم بينها وبين ألمانيا، ومع زمن راشي أصبح هذا الترادف أمراً مقبولاً تماماً، فهو يشير إلى "لشون إشكناز"، أي: "اللسان الألماني"، أو "اللغة الألمانية"، وكان يشير إلى "إرتس إشكناز"، أي: "أرض ألمانيا"، ومن هنا أصبح المصطلح يشير إلى يهود فرنسا وألمانيا، ونسلهم من اليهود الذين هاجروا إلى إنجلترا وشرق أوروبا (بولندا وليتوانيا) بعد حروب الفرنجة. موسوعة اليهود، د. المسيري: 125/2.

- 6- أنه، وحسب دراسة حديثة أنثروبولوجية على يهود الكيان الإسرائيلي المحتل لفلسطين تم التوصل إلى أن 95% من اليهود ليسوا من بني إسرائيل التوراة؛ وإنما هم أجنب متحولون من الجنس المغولي، إلى اليهودية في القرن العاشر، أو مختلطون بغيرهم من الأجناس.
- 7- أن اليهود اليوم هم أقارب الأوروبيين، والأمريكيين، وأن اليهود في أوروبا، وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء، وأن غربتهم هي في فلسطين فقط؛ حيث وجودهم فيها ليس إلا استعماراً واغتصاباً.
- 8- سقوط ادعاء الصهيونية في "أرض الميعاد"؛ لأن الأنثروبولوجيا تحطم أي أساس جنسي يدعونه؛ لأنه لا علاقة لهم جنسياً، أو أنثروبولوجياً بفلسطين.
- 9- أن طوائف اليهود الرئيسة طائفتان رئيستان: طائفة "الآشكنازيم"، وطائفة "السفارديم". وينسب إلى الأولى اليهود الألمان، ويهود بولونيا، وأغلبية يهود روسيا. وأن هؤلاء يؤلفون حوالي تسعة أعشار اليهود في العالم، ومنهم أكثر المهاجرين إلى أمريكا، وطائفة "السفارديم" التي تشمل في الوقت الحاضر يهود البلاد الإسلامية.
- 10- أن اليهود "الآشكنازيم"، وهم الأوروبيون المتهودون لم يتسن لهم، ولا لأجدادهم أن يروا فلسطين في حياتهم، ولم يكن لهم أية صلة بها.

الفصل الأول

المصادر الدينية والفكرية عند اليهود، ودعوى قدسيتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المصادر الدينية والفكرية عند اليهود.

المبحث الثاني: دعوى قدسية المصادر الدينية عند اليهود.

الفصل الأول

المصادر الدينية والفكرية عند اليهود، ودعوى قدسيتها

المبحث الأول

المصادر الدينية والفكرية عند اليهود.

المطلب الأول: العهد القديم.

أطلق على الأسفار اليهودية اسم (العهد القديم)، وقد سميت باسم (العهد القديم)؛ تمييزاً لها عما عند النصارى من أسفار أطلق عليها اسم (العهد الجديد). والمراد بكلمة (العهد) في كلتا التسميتين (العهد القديم، والعهد الجديد): ما يرادف الميثاق، الأول: مع موسى عليه السلام، والثاني: مع عيسى عليه السلام. وأول من أطلق اسم العهد القديم على أسفار اليهود: (بولس) في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: "بَلْ أَعْلَظْتُ أَذْهَانَهُمْ، لِأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذَلِكَ الْبُرْزُوعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ".⁽¹⁾

-الأقوال الواردة في مكونات العهد القديم:

اختلف أحبار اليهود في عدد أسفار العهد القديم إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول:

وهو قول الأكثرية: إنها أربعة وعشرون سفرًا، وهؤلاء يقسمونها إلى ثلاثة أقسام رئيسية⁽²⁾:

القسم الأول: التوراة.

"توراة": كلمة عبرية، مشتقة من فعل "يوريه"، بمعنى: "يُعَلِّم"، أو "يوجِّه"، وربما كانت مشتقة من فعل "باراه"، بمعنى: "يُجْري قرعة". وكانت "توراة" تُستخدم بمعنى: "وصايا"، أو "شريعة"، أو "علم"، أو "أوامر"، أو "تعاليم"، وكان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية، ثم

(1) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس: 14/3. انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د.علي عبدالواحد وافي: ص13، وتأثر اليهودية، د. الزغبى: ص47.

(2) انظر هذه الأقسام: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد حسنين علي: ص13-14، وتأثر اليهودية، د. الزغبى: ص47-51، وفلسطين بين الحقائق والأباطيل، مهندس أحمد عبد الوهاب: ص22، نقلا عن دائرة المعارف الأمريكية: 612/3، 1959م.

أصبحت تشير إلى أسفار موسى الخمسة، ثم أصبحت الكلمة تعني: العهد القديم كله، مقابل تفسيرات الحاخامات. ويُشار إلى التوراة أيضاً بأنها: القانون، أو الشريعة.⁽¹⁾

وهذه الأسفار الخمسة هي:

1- التكوين 2- الخروج 3- اللاويين 4- العدد 5- التثنية.⁽²⁾

القسم الثاني: الأنبياء (بالعبرية: نفييم)⁽³⁾

وهو في حد ذاته قسمان:

الأول: الأنبياء المتقدمون، أو الأنبياء الأول، ويشتمل على أربعة أسفار.

الثاني: الأنبياء المتأخرون، أو الأنبياء الآخر.

القسم الثالث: الكتابات، أو كتب الحكمة والأناشيد.⁽⁴⁾

ويحتوي هذا القسم على أحد عشر سفراً.⁽⁵⁾

القول الثاني:

يرى أصحابه أن عدد الأسفار يجب أن يتفق وعدد حروف الأبجدية العبرية، وهي:

اثنان وعشرون حرفاً؛ فالأسفار يجب أن تكون اثنين وعشرين سفراً؛ فدمجوا بعضها ببعض.⁽⁶⁾

القول الثالث:

يرى أصحابه أن عدد الأسفار تسعة وثلاثون سفراً؛ ذلك أنهم لم يدمجوا الأسفار؛ وإنما

اعتبروا صموئيل، والملوك، وأخبار الأيام ستة أسفار بدلاً من ثلاثة، فقسموا كل سفر منها إلى

سفرين، فأعطوا الأول منهما لفظ: الأول، والثاني: لفظ الثاني؛ حيث قسموا أسفار العهد القديم

(التسعة والثلاثين) إلى (أربعة أقسام) على الترتيب الآتي⁽⁷⁾:

(1) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 86/5-87.

(2) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره، ومذاهبه، د. حسن ظاظا: ص 13.

(3) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 110/5.

(4) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 84/5.

(5) انظر هذا القول: تأثر اليهودية، د. الزغبى: ص 52.

(6) انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 14، و تأثر اليهودية، د. الزغبى: ص 52.

(7) انظر هذا الكلام، وهذا التقسيم بأقسامه الأربعة: تأثر اليهودية، د. الزغبى: ص 53-54، والأسفار المقدسة،

د. وافي: ص 14-16، وأباطيل التوراة، د. البار: 180/1-203.

أقسام العهد القديم:

القسم الأول: كتب موسى، أو الأسفار الخمسة، أو (البانتاتيك)⁽¹⁾، وهي⁽²⁾:

أ- سفر التكوين: (Genese).

ويسمى بالتكوين لأنه يتحدث عن تاريخ العالم، من: تكوين السموات والأرض؛ (لذلك سمي: سفر التكوين)، وقصة آدم، ونوح، والطوفان، وسام، وحام، ويافت، وإبراهيم، وتركز على سلالته، ممثلة في: إسحاق، ويعقوب، وينتهي بيوسف، واستقراره في مصر، ولحاق يعقوب وأبنائه.

ويحتوي هذا السفر على خمسين (50) إصحاحاً.⁽³⁾

ب- سفر الخروج: (Exode = الخروج).

ويُسمى سفر الخروج في العبرية: "شيموت"، أي: "الأسماء"، وهي كلمة مأخوذة بتركيب الحروف الأولى من كلمات العبارة الافتتاحية فيه.⁽⁴⁾

ويعرض هذا السفر تاريخ بني إسرائيل في مصر، واضطهاد الفراعنة لهم، وخروجهم من مصر مع موسى عليه السلام، ومرحلة التيه التي قضاها في صحراء سيناء، ويشتمل بجانب ذلك على بعض الشرائع في العبادات، والمعاملات.

ويتكون هذا السفر من أربعين (40) إصحاحاً.

(1) البانتاتيك: كلمة يونانية، تعني: الأسفار الخمسة. انظر: الأسفار المقدسة عند اليهود، وأثرها في انحرافهم، عرض ونقد، محمود قدح: ص333، الجامعة الإسلامية بالمدينة، السنة الثالثة والثلاثون - العدد (111).

(2) انظر هذه المكونات للعهد القديم: أباطيل التوراة، د.البار: 159/1-176، والأسفار المقدسة، قدح: ص333-334، والأسفار المقدسة، د. وافي: ص14-16.

(3) وضع اليهود والنصارى مصطلحات لكتبهم؛ ليسهل الرجوع إلى نصوصها، ومن تلك المصطلحات: السفر، والإصحاح، والفقرة. فالسفر يتكون من مجموعة من الإصحاحات والإصحاح يتكون من عدد من الفقرات.

- والسفر يعني: (الكتاب، أو الباب)، وجمعه أسفار، وله عنوان، أو مسمى، فيقال مثلاً: سفر التكوين.

- والإصحاح يعني: (الفصل)؛ حيث إن السفر يشتمل على عدة إصحاحات، ولكل إصحاح رقم، فيقال مثلاً: الإصحاح الأول، الإصحاح الثاني، وهكذا. وقد يرمز للإصحاح بالرمز: (صح).

- والفقرة تعني: (العبارة، أو النص)؛ فالإصحاح الواحد يحتوي على عدة فقرات، أو نصوص مرقمة.

كما تختصر تلك المصطلحات في عدة رموز، مثاله: (تك: 35-21/7)، ومعناه: سفر التكوين، الإصحاح السابع، الفقرات من الفقرة الحادية والعشرين إلى الفقرة الخامسة والثلاثين. الأسفار المقدسة، قدح: ص333.

(4) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 91/5.

ج- سفر اللاويين: (Levitiques = الطقوس الكهنونية).

يُسمّى "سفر اللاويين" في العبرية: "فايقرا"، أي: "دعا، أو نادى"، وهي الكلمة التي يبدأ بها سفر اللاويين. وكان في الماضي يُعرّف باسم: "تورات كوهانيم"، أي: "شريعة الكهنة"⁽¹⁾، ويسمى بـ"الأخبار" في النسخة الكاثوليكية.⁽²⁾ وسمي باللاويين؛ لأن القائمين على ما في هذا السفر من أضاحي وقرابين وعبادات، وشرائع، ومعاملات هم اللاويون، الذين هم سدنة الهيكل. واللاويون: من نسل (لاوي)، أو (ليفي) أحد أبناء يعقوب، وهي القبيلة التي ينتمي إليها موسى وهارون. ويقع هذا السفر في سبعة وعشرين (27) إصحاحاً.

د- سفر العدد: (Numberes = تعداد).

ويُسمّى "سفر العدد" بالعبرية "بميدبار"، أي: "في البرية"، وهي أول كلمة ترد في السفر.⁽³⁾ وسمي بذلك؛ لغلبة الأعداد في إصحاحاته، فقد اهتم هذا السفر بإحصاء تفصيلي لقبائل بني إسرائيل، وجيوشهم، وأموالهم، وذبائحهم، ومدنهم بجانب بعض الأحكام المتعلقة بالعبادات، والمعاملات. ويشتمل هذا السفر على ستة وثلاثين (36) إصحاحاً.

هـ- سفر التثنية: (Deuteronomie = تثنية الشريعة)

ويُسمّى هذا السفر أيضاً "تثنية الاشتهار"، ومعنى "سفر التثنية" بالعبرية: "ديفاريم"، أي: "الكلمات"، وهي أول كلمة ترد في السفر. ويُسمّى أيضاً: "مشنا تورا"، ومعناها: "إعادة الشريعة، وتكرارها على جماعة إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء."⁽⁴⁾ ويقع هذا السفر في أربعة وثلاثين (34) إصحاحاً. القسم الثاني: الأسفار التاريخية: وهي اثنا عشر سفرًا⁽⁵⁾:

(1) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 92/5.

(2) انظر: تاريخ بني إسرائيل، دروزة: ص14.

(3) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 91/5.

(4) انظر: المصدر السابق، د. المسيري: 91/5.

(5) انظر تفاصيل هذه الأسفار: الكتب التاريخية، د. مراد كامل: ص58-66، وأباطيل التوراة، د. البار: ص209-215. الفكر الديني، ظاظا: ص39-54،

القسم الثالث: أسفار الأناشيد، أو الأسفار الشعرية

وهي عبارة عن مواضع دينية مؤلفة تأليفاً شعرياً، وعددها خمسة أسفار. (1)

القسم الرابع: أسفار الأنبياء:

وعدها سبعة عشر سفرًا. (2)

ويعتقد اليهود بنبوّة أصحاب هذه الأسفار السبعة عشر، وبارسالهم إلى بني إسرائيل؛ ماعداً (يونان) الذي أرسل إلى أهل نينوى، وهو النبي (يونس) عليه السلام المذكور في القرآن، حسب المقابلة بين محتواه، وقصته في القرآن. (3)

مما سبق يتبين: أن اختلاف أحبار اليهود في عدد أسفار العهد القديم إلى ثلاثة أقوال، أقلها: اثنان وعشرون سفرًا، وأكثرها: تسعة وثلاثون سفرًا فيه دلالة واضحة على التحريف الحاصل في هذه الأسفار؛ لأنها لو كانت من عند الله؛ لما كان فيها هذا الاختلاف البين، فالفرق كبير وواضح بين اثنين وعشرين سفرًا وتسعة وثلاثين، والله تعالى يؤكد بأن أي كتاب فيه اختلاف كبير؛ لا يمكن أن يكون من عند الله، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]

المطلب الثاني

التلمود

أولاً: تعريف التلمود:

كلمة التلمود لفظة عبرية، معناها: التعاليم، أو الشريعة الشفوية⁽⁴⁾، وأصلها (תלמוד) ، من الفعل العبري: (למד)، ولفظها: (لامد)، وتعني: (علم ودرس)، أو الدراسة، والتعلم، والمعرفة⁽⁵⁾، وتعود كل من كلمة (تلمود) العبرية، وكلمة (تلميذ) العربية إلى أصل سامي واحد.⁽⁶⁾

(1) انظر: الفكر الديني، ظاظا: ص56، واليهودية، شلبي: ص242-243، وتأثر اليهودية، الزغبي: ص442

(2) انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص112-113، وبنو إسرائيل، د. مهران: ص49/3.

(3) انظر: تاريخ بني إسرائيل، دروزة: ص15.

(4) انظر: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، د. محمد علي البار: ص23.

(5) יחזקיל، קוגמן، מלון עברי ערבי בירות 1970. לז 37. وترجمته (حزقيال كوغمان، القاموس العبري العربي: ص37، بيروت، 1970م) وانظر: موسوعة اليهود، المسيري: 125/5، وبنو إسرائيل، د. مهران : 317/3.

(6) انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 125/5، وبنو إسرائيل، مهران: 317/3.

والتلمود هو: مجموعة قواعد، ووصايا، وشرائع دينية، وأدبية، ومدنية، وشروح، وتفاسير، وتعاليم، وروايات كانت تنقل، وتدرس شفهيًا، ثم دونت بعد ذلك.⁽¹⁾

هذا، ولم يرد اسم التلمود في القرآن الكريم، أو السنة الصحيحة، ولعله المقصود في قوله ﷺ: "إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه، وتركوا التوراة"⁽²⁾، فهو ليس وحياً من الله؛ وإنما هو تفاسير، وشروحات، واجتهادات، واستنباطات أحبار اليهود لنصوص التوراة، ولأقوال منسوبة، مكذوبة على موسى ﷺ، دُوت وجمعت في القرن الثاني الميلادي.⁽³⁾

مما سبق يتبين: أن كتاب التلمود الذي يزعم اليهود أنه نزل على موسى ﷺ، طالما أنه لم يرد ذكره في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية على أنه كتاب أنزل على موسى، وأن الذي ورد أنه نزل عليه هو فقط "التوراة"، وكذلك صحف موسى، على خلاف حول اعتبارها جزءاً من التوراة، أو هي صحف مستقلة عنه⁽⁴⁾؛ فإننا غير ملزمين بالإيمان به.

ثانياً: منزلة التلمود ومكانته عند اليهود:

"تظهر أهمية التلمود ومكانته من كونه يعد التفسير المعتمد والشعري للنصوص التوراتية عند اليهود الأرثوذكس، الذين يمثلون أغلبية يهود العالم، وهذا يعني: أن أي تفسير للتوراة يخالف ما جاء في التلمود لا يمكن أن يكون معتمداً لديهم، وفق هذه النظرة؛ فالتلمود يفرض سلطته على النص التوراتي، ويجعله تابعاً له عملياً".⁽⁵⁾

قال جينزبرج: "أعطى التلمود اليهودي **جنة روحية** خالدة، يلجأ إليها كيفما شاء، هارباً من العالم الخارجي، بكل ما فيه من حقد ومظالم، وعلى صفحات التلمود وجدت أجيال اليهود المتعاقبة؛ إشباعاً لأعمق أمانيتها الدينية، وكذلك وجد اليهود في التلمود نافذتهم لأسمى استلهاMATهم الفكرية، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية؛ فإن التلمود لا يزال بعد التوراة القوة الروحية والأخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية".⁽⁶⁾

وقد ورد في التلمود البابلي ما يدل على أهميته ومنزلته عند اليهود، ومما ورد فيه:

(1) انظر: أساس الدين، هلال فارحي: ص ٢٢، القاهرة، ١٩٣٧.

(2) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي موسى، وحسنه الألباني. صحيح الجامع الصغير، وزيادته، أبو عبد الرحمن، محمد ناصر الدين، الألباني: 409/1، حديث رقم (2044).

(3) انظر: الأسفار المقدسة، قدح: ص 351-352.

(4) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ص 65.

(5) التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 21/1.

(6) التلمود، تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان: ص 34.

- 1- "أولئك الذين يكرسون أنفسهم لقراءة التوراة يؤدون فضيلة لا ريب فيها؛ لكنها ليست كبيرة، وأولئك الذين يدرسون المشنا⁽¹⁾، يؤدون فضيلة، سوف ينالون المكافأة عليها؛ أولئك الذين يأخذون على عاتقهم دراسة الجمارا⁽²⁾، يؤدون فضيلة سامية جداً".⁽³⁾
- 2- قال الحكماء: تم مقارنة الكتاب المقدس بالماء، المشنا بالنبيذ، وشاس⁽⁴⁾ للخمر المبتل، العالم لا يمكن أن يوجد دون النبيذ، ولا يمكنه الوجود بدون خمر مبتل؛ ولكن الرجل الغني يتمتع بثلاثتهم، كذلك أيضا من المستحيل للعالم أن يوجد من غير كتاب مقدس، ومن دون مشنا؛ ولكن لن يوجد أبداً من دون شاس".⁽⁵⁾
- 3- يقول الحبر ليفي بن حاما باسم الحبر شمعون بن لاخش: "ما معنى الآية "فأعطيك لוחي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم"⁽⁶⁾ لוחي الحجارة هما: الوصايا العشر؛ أما الشريعة فهي التوراة (الأسفار الخمسة الأولى) والوصية فهي المشنا أما التي كتبتها فتعني أسفار الأنبياء والكتابات والمقصود ب (لتعليمهم) فهو الجمارا".⁽⁷⁾
- ويُعدُّ التلمود بالنسبة لليهود بمثابة تطبيق التوراة، رغم الفروق بينهما، ويعتبر التلمود أيضا سجلاً حافلاً، يبين لنا من خلال المناقشات، والشروح، والأمثلة، والردود كيف كان اليهود يحاولون تطبيق الوصايا والفرائض التوراتية في حياتهم اليومية.⁽⁸⁾
- ثالثاً: أقسام التلمود:**

ينقسم التلمود إلى جزئين هامين:

1- المشناه Mashanh "משנה"، وهو الأصل (المتن).

2- الجمارا Gemara (גמרא): شرح المشناه.⁽⁹⁾

(1) سيرد معنى المشنا بالتفصيل من هذا البحث ص24.

(2) سيرد معنى الجمارا بالتفصيل من هذا البحث ص26.

(3) التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 21/1.

(4) يعود اسم (شاس) إلى أن التلمود ينقسم إلى المشناه والجمارا، وتبلغ أقسام المشناه ستة، وتسمى بالعبرية سداريم، أي: المباحث، ولذا يطلق على التلمود لقب شيشا سيداريم، أي: المباحث الستة، وتختصر إلى حرفي شاس. انظر: التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 35/1.

(5) التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 190/20 د.

(6) يقصد هذا النص "فأعطيك لَوْحِي الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ". سفر الخروج: 12/24

(7) التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 19/2.

(8) انظر: بنو إسرائيل، د. مهران : 320/3-321.

(9) انظر: التلمود: تاريخه، وتعاليمه، ظفر الإسلام خان: ص11، والأسفار المقدسة، قدح: ص352، وبنو إسرائيل، د. مهران: 337/3.

1- المشناه:

أ- المشناه لغة:

"מִשְׁנָה": تعني في اللغة العبرية: "التعلم"، و"التكرار"، والدراسة، وهو مشتق من الفعل "מִשְׁנָה"، بمعنى: "كرر"، و"أعاد".⁽¹⁾

ب- المشناه اصطلاحاً:

هي: مجموعة الأحكام، والتعاليم، والتفاسير المفصلة للتوراة، والفتاوى، والوصايا التشريعية، وخلاصة القوانين التي استتبها الحاخامات، وتناقلوها عبر الأجيال شفاهة؛ لتوافق أحوال اليهود، طبقاً لطبيعة العصر الذي يعيشون فيه، عبر تراكم خبرات الحاخامات، خلال مئات السنين.⁽²⁾

ج- مباحث المشناه:

تتألف المشناه من ستة أقسام رئيسة تسمى: "سداريم"، وكل سدر يضم عدداً من الأسفار، أو الكتب، تضم عدداً من الإصحاحات، أو الفصول، تسمى: "برقيم".⁽³⁾ وهذه الأقسام كما يلي⁽⁴⁾:

القسم الأول: زرايم (أحكام المزروعات):

يتناول القوانين الشرعية، الخاصة بالزراعة، سواء ما يتعلق بالحقل، أم المزروعات، ويشمل هذا القسم أحد عشر مبحثاً.

-
- (1) أبرهه ابن شوشن : המלון החדש, כרך רביעי , למ"4/157, وترجمته (أبراهام بن شوشان، القاموس الجديد: 157/4) و חנוך אלביק: מבוא למשנה, הוצאת מוסד ביאליק ודביר, תל- אביב, 1983, למ"1. وترجمته (חנוك ألبيك، مقدمة للمشناه: نشره معهد بياليك ودفير، تل أبيب: ص1، 1983م)
- (2) אנציקלופדיה כללית כרטא בכרך אחד, כרטא משרד הביטחון, 1990, למ"985 وترجمته (الموسوعة العامة، كارتا، في مجلد واحد، وزارة الدفاع، ص985، 1990م) والتلمود، خان: ص14، ولעדין שטיינזליץ: התלמוד לחול، למ 9. وترجمته (عدين شتاينسالترس، التلمود للجميع: ص9)
- (3) اليهودية بين النظرية والتطبيق، علي خليل: ص29.
- (4) انظر هذه الأقسام وتفاصيلها: التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 1/42-52، واليهود تاريخ وعقيدة، د. كامل سعفان: ص157-158، واليهودية بين النظرية والتطبيق، علي خليل: ص29-34، والفكر الديني، د. ظاظا: ص80-88، وبنو إسرائيل، د. مهران: 3/331-335.
- Jacob Neusner : Rabbinic Political Theory , Religion in the Mishnah, Chicago, P.21 وترجمته (يعقوب نيوسنر، النظرية السياسية الحاخامية، الدين في المشناه: ص21، شيكاغو)
- The New Encyclopedia Britannica, Vol. 22, the University of Chicago, 1986, p431 وترجمته (الموسوعة البريطانية الحديثة، جامعة شيكاغو ص431، 1986م)

القسم الثاني: موعيد (الأعياد):

يعرض هذا القسم لأحكام السبوت والأعياد، كما يناقش مختلف المناسبات الدينية، وقواعد الطقوس التي تنظم الاحتفالات الدينية الخاصة بكل عيد، أو مناسبة دينية، والأحوال التي يجب أن يكون عليها المعبد استعداداً لهذه المناسبات المقدسة.

القسم الثالث: نشيم (النساء):

يعالج هذا القسم بشيء من التفصيل الأحكام، والقوانين، والوصايا المتعلقة بالأسرة، والعلاقات الزوجية، ويوضح إجراءات الخطوبة، والزواج، وكذلك أحوال الطلاق، وشروطه، كما يتناول الأحكام الخاصة بالأرملة، والإجراءات التي يجب أن تتبعها إذا مات زوجها، ولم تتجب منه، ويحتوي هذا القسم على سبعة مباحث.

القسم الرابع: نزيقين (الأضرار):

يشمل هذا القسم الأحكام الخاصة بالخسائر، والأضرار، والتعويضات المترتبة عليها، ويتكون هذا القسم من عشرة مباحث.

القسم الخامس: قداشيم (المقدسات):

يختص بموضوعات القرابين والتضحيات المتعلقة بالهيكل، وما يخص الكهنة من هذه القرابين، وطقوس وشعائر تقديمها. ومعظم الأحكام الواردة في مباحث هذا القسم مرتبطة بوجود الهيكل، فالغرض الأساس منها هو خدمة الهيكل، ومساعدة الكهنة القائمين على خدمته، ويضم هذا القسم أحد عشر مبحثاً.

القسم السادس: طهوروت (الطهارات):

ويختص بالأحكام والتشريعات الخاصة بالنجاسات والطهارات في التشريع اليهودي، متخذاً مما ورد في التوراة مرجعية تشريعية له، وخاصة ما ورد في سفر اللاويين، الإصحاحات: من الحادي عشر إلى الخامس عشر. ويتناول هذا القسم تلك الأحكام في اثني عشر مبحثاً.

2- الجمارا.

أ- معنى الجمارا:

الجمارا: كلمة ذات أصل آرامي، تعني: "الإكمال"، وهو عبارة عن: مجموعة المناظرات، والتعاليم، والتفاسير التي دونت في المدارس اليهودية، بعد الفراغ من كتابة المشناه.⁽¹⁾

(1) انظر: العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة: ص174.

رابعاً: مقتطفات من تعاليم التلمود:

تشير العديد من النصوص والشروحات التلمودية إلى أن كل من هو غير يهودي فهو وثني.⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس لم يختلف جمهور العلماء التلموديين اليهود على تصنيف النصارى ضمن الوثنيين⁽²⁾؛ إلا أن عدداً من علماء اليهود التلموديين قد استثنى المسلمين ولم يعتبرهم وثنيين وعلى رأس هؤلاء العلماء الربى موسى بن ميمون.⁽³⁾ وهذا يعني: أن عدداً آخر غير أولئك قد اعتبر المسلمين وثنيين، مثلهم مثل النصارى. ومن النصوص الواردة في التلمود التي تدل على بشاعة تعاليمه، ومخالفتها للتعاليم الدينية الصحيحة:

- 1- "إذا ضرب أمة إسرائيلياً فالأمة يستحق الموت".⁽⁴⁾
- 2- "إذا سرق أولاد نوح (أي غير اليهود) شيئاً ولو كانت قيمته طفيفة جداً يستحقون الموت لأنهم قد خالفوا الوصايا التي أعطاهما الله لهم وأما اليهود فمصرح لهم أن يضرروا الأمة (غير اليهودي)".⁽⁵⁾
- 3- "إذا نطح ثور يهودي ثور أمة فلا يلزم اليهودي شيء من الأضرار ولكن إذا كان الأمر بالعكس يلتزم الأمة بجميع قيمة الضرر الذي حصل لليهودي".⁽⁶⁾
- 4- "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرج من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين".⁽⁷⁾ ومما جاء في التلمود أيضاً⁽⁸⁾:
- 5- "يُقْتَلُ الوثني إذا ضرب إسرائيلياً؛ لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية؛ ولذلك قتل موسى مصرياً؛ لأنه ضرب يهودياً". [سنهدين: ص 58].

⁽¹⁾ التلمود البابلي: 62/1، نقلا عن قرارات إسرائيل المصيرية، يهوشفاط هرخابي: ص 186.

⁽²⁾ المصدر السابق: 62/1، نقلا عن قرارات إسرائيل المصيرية، يهوشفاط هرخابي: ص 188.

⁽³⁾ المصدر السابق نفسه: 62/1، نقلا عن قرارات إسرائيل المصيرية، يهوشفاط هرخابي: ص 187.

⁽⁴⁾ المصدر السابق نفسه: 58/1، نقلا عن الكنز المرصود، (روهلنج) و(إشيل لوران): ص 73.

⁽⁵⁾ المصدر السابق نفسه: 58/1، نقلا عن الكنز المرصود، (روهلنج) و(إشيل لوران): ص 78.

⁽⁶⁾ المصدر السابق نفسه: 58/1، نقلا عن الكنز المرصود، (روهلنج) و(إشيل لوران): ص 78.

⁽⁷⁾ المصدر السابق نفسه: 58/1-59، نقلا عن الكنز المرصود، (روهلنج) و(إشيل لوران): ص 90.

⁽⁸⁾ انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، (روهلنج) و(إشيل لوران): ص 114-116.

6- "حُرِّمَ في التلمود اشتراك اليهود مع الوثني، لأنه يعرض نفسه في هذه الحالة للحلف بالأصنام". [سنهدين: ص63].

7- "كل من كان خارجاً عن الديانة اليهودية يسمى: (ولد نوح)؛ لأن بني إسرائيل انفصلوا عن هؤلاء القوم، وآمنوا بالله من وقت ظهور إبراهيم لغاية إسرائيل. ويقتل الأمي من أولاد نوح على يد ديان واحد، وشهادة شاهد واحد، ولو كان قريباً له. ويقتل أيضاً إذا ضرب امرأة حاملاً، وقتل حملها. وأما الإسرائيلي فلا يقتل لذلك؛ بل يدفع دية الولد. ولا يقتل أيضاً في الأحوال التي توجب القتل إلا على يد عشرين دياناً، وشاهدين". [سنهدين: ص57].

8- "إذا سب اسم الجلالة أحد من أولاد نوح، ثم دخل في دين اليهود عوفي من القتل. وكذلك الأمر بالنسبة لمن قتل آخر، أو زنى بامرأة من طائفته. وأما من قتل يهودياً، أو زنى بامرأة يهودية، فيستحق الموت، بدون رحمة". [سنهدين: ص71].

9- "إن الله حلل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل؛ لما رآهم قد خالفوا السبع وصايا المختصة بعبادة الأوثان، والزنا، والقتل، والسرقه، وأكل لحم الحيوانات الغير مذبوحة، وخصاء الإنسان، وإيلاد الحيوان من غير جنسه". [كومات كوماه: ص39].

10- "إن ثبت في الآخرة أن اليهود أتموا الوصايا في هذه الدنيا يصير عرض أفعالهم أمام الأميين؛ لعلمهم يخجلون". [عابوره زاده: ص4].

11- "حُرِّمَ في التلمود على اليهود أن يسكنوا خلاف البلاد المقدسة، وهي: (أورشليم، والخليل، وصفد، وطبريا)؛ لأنهم يعدون كعابدي الأصنام. ومحرم عليهم قبول دعوة باقي الأمم، والأكل من مأكولاتهم، ولو كان صانعاً يهودياً؛ فإذا دعا أجنبي يهودياً في فرح، وأكل هذا الأخير من مأكولاته، فكأنه يأكل من ميتة!! ويأثم اليهودي أيضاً إذا ذهب عند الأجنبي في فرح، ولو قبل الاحتفال بثلاثين يوماً، سواء حصل ذلك في فرح زوجية، أو في دعوة أخرى" [عابوره زاده: ص8].

12- "يجب على اليهودي أن يبذل مجهوده؛ لمنع استملاك باقي الأمم للعقارات، وأن لا يمدحهم، ولا يصفهم بالحسنات والجمال، ولا يهبهم شيئاً بدون ثمنه". [عابوره زاده: ص20].

هذه مقتطفات من تعاليم التلمود، وبعض النماذج والأمثلة من نصوص التلمود، يتبين من خلالها: أن تعاليم التلمود قائمة على نظرة الاستعلاء والكبرياء على الأمم غير اليهودية، واستعبادها، والتحكم بها، وأن العالم ملك لليهود وحدهم، دون غيرهم، وأن اعتقادهم هذا يعطيهم الحق المطلق في احتلال ما شاءوا من الأرض، وهذا ما يفسر احتلالهم فلسطين، أنها: عقيدة تلمودية تورانية، كما سيأتي ذلك في المباحث القادمة.

خامساً: آثار "التلمود" على اليهود.

إن للتلمود آثاراً عديدة على اليهود، في المجالات الدينية، والثقافية، والسياسية، وهي⁽¹⁾:

أ- الأثر الديني:

وذلك بتحول عقيدتهم من التوحيد إلى الشرك، الممزوج بالأساطير والخرافات؛ فاليهود يخشون الحاخامات أكثر مما يخشون الله، وأن الله -في معتقدهم الفاسد- قد أخطأ، واعتذر للحاخامات، الذين كتبوا التلمود، وأن الأحبار أفضل من الأنبياء.

ب- الأثر الثقافي:

ويظهر هذا الأثر في حرص الأحبار على تعليم أجيالهم التلمود، واعتباره أساساً لوحدهم القومية، وأنهم وحدهم شعب الله المختار، وفيهم كل خصال القوة والنباهة والذكاء، التي تخولهم للتغلب على الشعوب الضعيفة، واستغلال خيراتها، والتسلط على ممتلكاتها.

ج- الأثر السياسي:

ويتضح هذا الأثر بمحاربتهم العلنية، أو الخفية، لكل أنظمة الحكم، إن لم تكن موالية لهم، أو متآزرة معهم.

وهكذا يظهر أثر (التلمود) الديني، والثقافي، والسياسي على اليهود؛ مما يجعلهم مشركين، وليسوا موحدين، ويحسبون حساباً للحاخامات أكثر من الله تعالى، ويحترمون أحبارهم أكثر من أنبيائهم. وأن التلمود مصدر وحدتهم، وأنه جعلهم شعب الله المختار؛ مما يعطيهم الحق في محاربة أنظمة الحكم غير الموالية لهم.

المطلب الثالث

القبالة، أو الكابلا، أو القبالة

من مصادر الفكر اليهودي: القبالة، وفي بعض الكتب: الكابلا، أو القبالة.⁽²⁾

أولاً- تعريف "القبالة":

هي علم التأويلات الباطنية، وتمثل الازدهار الأقصى للتفكير الأسطوري عند اليهود.⁽³⁾

(1) انظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري: ص 196-197.

(2) انظر: اليهود تاريخ وعقيدة، د. كامل سحان: ص 216، وأساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق: ص 159.

(3) انظر: المصدر السابق: نفس الصفحة.

ويطلق عليها البعض "الكبالا"، ويعتبرونه كتاباً يتوارثه اليهود منذ قديم الزمان، يعالج التصوف اليهودي عن طريق السحر، الذي يمثل جزءاً من الطقوس الدينية التي يمارسونها سرّاً؛ لئلا تطلع الشعوب الأخرى عليها؛ لما فيها من المكر والكيد لتلك الشعوب، والتحريض عليها.⁽¹⁾ وهي مشتقة من كلمة عبرية بمعنى: التواتر، أو القبول، أو التقبل، أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي: "التقاليد، والتراث"، أو "التقليد المتوارث"، وأصل معناها: تراث اليهودية الشفوي المتناقل المعروف باسم "الشريعة الشفوية"، ثم أصبحت الكلمة تعني في أواخر القرن الثاني عشر: أشكال التصوف، والعلم الحاخامي المتطور.⁽²⁾

ومن أبرز التراث القبالي: كتاب الزوهار⁽³⁾، وكتاب الباهير⁽⁴⁾.

وكتاب الزوهار أهم الكتب في هذا التراث. ويتناول طبيعة الخالق وعلاقته بمخلوقاته، وأسرار الأسماء الإلهية، وروح الإنسان وطبيعتها ومصيرها، والخير والشر، وأهمية التوراة، والماشيح والخلص، ويهتم أيضاً بالتاريخ والطبيعة والإنسان.⁽⁵⁾

ثانياً: ارتباط القبّالاه بالسحر.

هناك جانب نظري للقبّالاه، وجانب عملي:

فالجانب النظري خاص بالطريق إلى المعرفة الباطنية، والفيض الإلهي، والجانب العملي: أقرب إلى السحر، الذي يستخدم التسييح باسم الله، ورموز الحروف والأرقام الأولية لتحقيق الغايات.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق: ص 159.

⁽²⁾ انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 164/5.

⁽³⁾ الزوهار **Zohar**: كلمة عبرية تعني: "الإشراق"، أو "الضياء". وكتاب الزوهار أهم كتب التراث القبّالي، وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية، على المعنى الباطني للعهد القديم، ويعود تاريخه الافتراضي، حسب بعض الروايات، إلى ما قبل الإسلام والمسيحية، وهو ما يحقق الاستقلال الفكري (الوهمي) لليهود، وكتابته بلغة غريبة، تحقق العزلة لأعضاء الجماعات اليهودية الوظيفية. موسوعة اليهود، المسيري: 181/5.

⁽⁴⁾ الباهير **Bahir**: كلمة عبرية، معناها: الساطع، أو المشرق، وهي اسم كتاب مجهول المؤلف، يُعدُّ أقدم النصوص القبّالية. وقد كان هذا الكتاب معروفاً في جنوب فرنسا في نهاية القرن الثاني عشر (في منطقة عُرفت بالنزعات الهرطقية)، وإن كان تاريخ تأليفه لا يزال مجهولاً، ثم انتقل إلى إسبانيا في القرن الثاني عشر، أو في القرن الثالث عشر، ثم انتقل بعد ذلك إلى إيطاليا. ويحتوي الكتاب على أول محاولة لشرح النظرية القبّالية الحلولية في الفيض الإلهي، وفكرة تناسخ الأرواح، ويحاول وضع أسس التفسير الصوفي لحروف الأبجدية العبرية، كما ترد في الرموز الصوفية القبّالية في شجرة الحياة مثلاً. المصدر السابق: 175/5.

⁽⁵⁾ انظر: اليهود تاريخ وعقيدة، د. كامل سعفان: ص 217.

⁽⁶⁾ انظر: اليهود تاريخ وعقيدة، د. كامل سعفان: ص 216-217.

وترتبط القبّالاه في جانبها العملي بعدد من العلوم السحرية، مثل: التنجيم، والسيمايا⁽¹⁾،
والفراسة، وقراءة الكف، وعمل الأحجبة، وتحضير الأرواح.⁽²⁾

ثالثاً: أهداف القبّالاه:

- 1- الحفاظ على مبادئ اليهود العدوانية المتطرفة تجاه الشعوب الأخرى؛ بإيجاد المناخ المناسب؛ لتعيش هذه المبادئ؛ وذلك بإشعال نار الحقد، والتعصب العنصريّ في صدور اليهود، بما تتضمنه من الكيد الذي يحضهم عليها، كشعائر دينية مقدسة.
- 2- إشباع الغريزة العدوانية اليهودية؛ باستنزاف دماء أعدائهم، واستخدامها في الطقوس الدموية.
- 3- تحقيق طمأنينة وراحة نفسية بتعاليم الكبّالاه، تجعلهم يستشعرون أنهم يمارسون شعائر مقدسة، تقربهم إلى الله، وترفع عنهم غضب الله منذ الحقب التاريخية الغابرة.⁽³⁾

المبحث الثالث

دعوى قدسية المصادر الدينية عند اليهود.

يعتقد اليهود بقدسية مصادرهم الدينية؛ العهد القديم، والتلمود، وأنها نزلت من عند الله تعالى، وأوحاها إلى موسى عليه السلام، وسيثبت الباحث في هذا المبحث أن هذه المصادر محرّفة وليست مقدسة -كما يزعمون-.

المطلب الأول: دعوى قدسية العهد القديم.

أولاً: التحريف في العهد القديم؛ **تعريفه**، وأنواعه:

1- معنى التحريف:

أ- التحريف لغة:

من الفعل حَرَّفَ يَحْرِفُ، تحْرِيفًا، فهو مُحْرِفٌ، والمفعول مُحْرَفٌ. وحَرَّفَ الشَّيْءَ: أَمَّالَهُ، وحَرَّفَ القلم: قطعَه محرَّفًا، وجعل له حرفًا مائلًا.

(1) السيمياء: هُوَ العِلْمُ الَّذِي يَتَصَرَّفُ بِهِ فِي خِيَالِ الْإِنْسَانِ؛ لِيُحَدِّثَ مِنْهُ مِثَالَاتٍ خِيَالِيَّةً، لَا وَجُودَ لَهَا فِي الْخَارِجِ، وَيَلْتَنِّدُ بِهَا، وَيَفْرَعُ عَنْهَا، كَمَا يَلْتَنِّدُ وَيَفْرَعُ بِالصُّورِ الْخَارِجِيَّةِ. دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمَد نكري: 201/2.

(2) انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 165/5، واليهود تاريخ وعقيدة، د. كامل سغان: ص 217.

(3) انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق: ص 159.

وحرّف الكلام: حرّفه، زوّره، وغيره وصرّفه عن معانيه، قال تعالى: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ"، أي: يميلون به عن مواضعه التي وضعه الله فيها.⁽¹⁾

- الفرق بين (عَنْ مَوَاضِعِهِ) و(مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) في قوله تعالى: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) [النساء: 46] وقوله تعالى (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) [المائدة: 41]:
(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) هذا الكلام على أوائل اليهود، الذين حرّفوا التوراة، الأوائل و قوله تعالى: (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) بعد زمن طويل.⁽²⁾ هذا في زمن الرسول.
ب- التحريف اصطلاحاً:

هو: "إخراج الوحي والشريعة عما جاءت به؛ بالتغيير والتبديل في الألفاظ، أو بالكتمان والتأويل الفاسد والتفسير الباطل".⁽³⁾
أو هو إمالة كلام الله عن مواضعه التي وضعه الله فيها؛ إما لفظاً بإهماله، أو تغيير وضعه، أو إزالتها وإثبات غيرها، وإما معنىً بحمله على غير المراد، وإجرائه في غير مورد.⁽⁴⁾

2- أنواع التحريف في العهد القديم:

لقد وقع التحريف في العهد القديم بأدلة كثيرة سيأتي الحديث عنها مفصلاً، وهو نوعان:
تحريف لفظي، وتحريف معنوي.

أ- التحريف اللفظي: وهو التغيير في ألفاظ نصوص العهد القديم إما بالتبديل أو بالزيادة أو بالنقص.⁽⁵⁾

وأنواعه ثلاثة، وهي:

1- تحريف الألفاظ بالتبديل. 2- تحريف بالزيادة. 3- تحريف بالنقص.⁽⁶⁾

ب- التحريف المعنوي: وهو تأويل اللفظ، أو إخفاء معناه.⁽⁷⁾

⁽¹⁾ انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل: 475/1.

⁽²⁾ انظر: أ. د. فاضل السامرائي على صفحته على الفيسبوك <https://www.facebook.com/fadelsalehsamra22y>

⁽³⁾ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي: 179/1.

⁽⁴⁾ انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: 127/2.

⁽⁵⁾ انظر: إظهار الحق، محمد رحمت الله الهندي: 430-429/2.

⁽⁶⁾ انظر: إظهار الحق، الهندي: 427/2، والتوراة: دراسة وتحليل، شنيوي: ص62، والمدخل لدراسة التوراة

والعهد القديم، د. محمد علي البار: ص120، والكتاب المقدس في الميزان، عبدالسلام محمد: ص109-115.

⁽⁷⁾ انظر: الكتاب المقدس، عبدالسلام محمد: ص107.

وعرفه د. "محمد شتيوي" بأنه: "حمل اللفظ على غير محمله، وذلك بصرف اللفظ عن معناه الظاهري إلى معنى بعيد، لا يحتمله اللفظ، دون وجود قرينة تستدعي هذا".⁽¹⁾

ثانياً- الأدلة على التحريف اللفظي للعهد القديم:

1- أدلة القرآن الكريم على التحريف اللفظي للعهد القديم:

أخبر القرآن الكريم في العديد من آياته، عن قيام اليهود بهذا النوع من التحريف في التوراة، زاعمين أنه من عند الله، وما هو من عند الله؛ بل هو من عند أنفسهم، ومن هذه النصوص القرآنية التي أثبتت التحريف اللفظي:

أ- قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

ب- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].

قال الطبري -في تفسير هذه الآية-: "... (يلوون)، يعني: يحرفون، (ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب)، يعني: لتظنوا أن الذي يحرفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله، يقول الله عز وجل: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فحرفوه وأحدثوه من كتاب الله، ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف، والكذب، والباطل، فألحقوه في كتاب الله، (من عند الله)، يقول: مما أنزله الله على أنبيائه، (وما هو من عند الله)، يقول: وما ذلك الذي لووا به ألسنتهم فأحدثوه مما أنزله الله إلى أحد من أنبيائه؛ ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم افتراء على الله، يقول عز وجل: (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون)، يعني بذلك: أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله، والشهادة عليه بالباطل، والإلحاق بكتاب الله ما ليس منه؛ طلباً للرياسة، والخسيس من حطام الدنيا".⁽²⁾

ج- وقوله تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) [المائدة: 41].

⁽¹⁾ من قضايا التوراة، د. شتيوي: ص 73.

⁽²⁾ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: 535/6.

يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية: "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ، أي: يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها، إما لفظاً: بإهماله أو تغيير وضعه، وإما معنى: بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده".⁽¹⁾

2- أدلة السنة النبوية على التحريف اللفظي للعهد القديم:

ومما يدل على التحريف اللفظي للتوراة من السنة النبوية ما ورد عن اليهود أنهم أخفوا صفات النبي الخاتم محمد ﷺ، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة. والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة النبي ﷺ معروفة، وكانوا قبل بعثته ﷺ يستفتحون به على العرب، فيقولون: إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظلم زمانه نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله ﷺ منهم من آمن به، ومنهم من كفر به، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89]⁽²⁾؛ لذلك كان النبي ﷺ في مجادلته لأهل الكتاب يقول لهم: "قوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله".⁽³⁾

وكان يقول ذلك أيضاً عبد الله بن سلام - اليهودي الذي أسلم - لغيره من اليهود: "والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله".⁽⁴⁾

ويتمثل هذا التحريف بأنواعه الثلاثة بالاختلاف والتناقض بين كثير من نصوص العهد القديم الموجود بين أيدي اليهود اليوم، حيث فيها من الاختلافات والتناقضات الشيء الكثير.

3- التناقض بين نصوص العهد القديم:

ومما يدل على التحريف اللفظي في العهد القديم: الاختلاف والتناقض بين نصوصه، وهو على ثلاثة أنواع:

أ- التناقض بين أسفار التوراة الخمسة.

ب- التناقض بين الأسفار الخمسة، وبقية أسفار العهد القديم.

ج- التناقض بين نسخ التوراة المختلفة (العبرية، اليونانية، السامرية).⁽⁵⁾

⁽¹⁾ أنوار التنزيل، البيضاوي: 127/2.

⁽²⁾ انظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني: ص84.

⁽³⁾ صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: 62/5، رقم (3911).

⁽⁴⁾ صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: 62/5، رقم (3911).

⁽⁵⁾ انظر أنواع التناقض، والأمثلة عليها: إظهار الحق، الهندي: 429/2-525، والكتاب المقدس، عبد السلام

أ- التناقض بين أسفار التوراة الخمسة.

وهو نوعان: تناقض في السفر الواحد، وتناقض بين الأسفار المختلفة.

1- التناقض في السفر الواحد، والأمثلة عليه:

أ- ما ورد في سفر التكوين:

أن الله غضب في زمن نوح على النوع الإنساني، فجعل أعمار البشر لا تتجاوز (120) سنة، ثم ذكر أعمار أولاد نوح، من عاش (600) سنة، أو (400) سنة، مما يظهر التناقض.

ففي سفر التكوين: "قَالَ الرَّبُّ: لَا يَبْدِينُ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبَدِ، لِزَيْعَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً".⁽¹⁾

وفي نفس السفر: "هَذِهِ مَوَالِيدُ سَامٍ: لَمَّا كَانَ سَامٌ ابْنٌ مِئَةَ سَنَةٍ وَوَلَدَ أَرْفَكْشَادَ، بَعْدَ الطُّوفَانِ بِسَنَتَيْنِ. وَعَاشَ سَامٌ بَعْدَ مَا وَوَلَدَ أَرْفَكْشَادَ خَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ شَالِحَ. وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ بَعْدَ مَا وَوَلَدَ شَالِحَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلَاثَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ...".⁽²⁾

فالتناقض واضح بين الفقرتين؛ فالفقرة الأولى تقرر أن عمر الإنسان لن يزيد عن مئة وعشرين سنة، في حين تذكر الفقرة الثانية أن عمر سام ابن حام (600) سنة، وعمر أرفكشاد بن سام (438) سنة.

2- التناقض بين الأسفار الخمسة، والأمثلة عليه:

- ما ورد في سفر التثنية:

"لَا يَدْخُلُ ابْنُ زَنَى فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ".⁽³⁾

وفي سفر التكوين: نجد أن فارض ابن زنى من يهوذا، وأمه ثامار⁽⁴⁾، وأن داود هو البطن العاشر من فارض، قد دخل في جماعة الرب، وحل روح الرب عليه.⁽⁵⁾

ويعلق الشيخ الهندي على ذلك بقوله: "فهذا الحكم لا يمكن أن يكون من جانب الله، وما كتبه موسى عليه السلام، وإلا يلزم أن لا يدخل داود عليه السلام، ولا آباؤه إلى فارض في جماعة الرب؛ لأن

محمد: ص 109-115، وبنو إسرائيل، د. محمد بيومي مهران: 198/3 - 205.

⁽¹⁾ سفر التكوين: 3/6.

⁽²⁾ سفر التكوين: 10/11-26.

⁽³⁾ سفر التثنية: 2/23.

⁽⁴⁾ انظر: سفر التكوين: 38/24-30.

⁽⁵⁾ انظر: سفر صموئيل: 16/13.

داود عليه السلام بطن عاشر من فارض، كما يفهم من الباب الأول من إنجيل متى، وفارض ولد الزنا، كما هو مصرح في الباب الثامن والثلاثين من سفر الخليقة، و"هارسلي" المفسر حكم بأن هذه الألفاظ "حتى يمضي عليه عشرة أعقاب" إلحاقية⁽¹⁾.

ب-التناقض فيما بين التوراة (الأسفار الخمسة)، وبقيّة أسفار العهد القديم:

ومن أمثله:

- ما جاء في سفر التثنية: "فَعِنْدَمَا فَنِي جَمِيعُ رِجَالِ الْحَرْبِ بِالْمَوْتِ مِنْ وَسَطِ الشَّعْبِ، كَلَّمَنِي الرَّبُّ قَائِلًا: أَنْتَ مَا رَأَى الْيَوْمَ بِنُحْمِ مُوآبَ، بِعَارٍ. فَمَتَى قَرَّبْتِ إِلَى تُجَاهِ بَنِي عَمُونَ، لَا تُعَادِهِمْ وَلَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ، لِأَنِّي لَا أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُونَ مِيرَاثًا، لِأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أُعْطِيْتُهَا مِيرَاثًا"⁽²⁾.

ولكن بالنظر إلى "سفر يشوع" نجد الأمر مخالفاً لما سبق ذكره إذ يقول: "وَأَعْطَى مُوسَى لِسِبْطِ جَادَ، بَنِي جَادَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: فَكَانَ تُخْمُهُمْ يَعْزِيزُ وَكُلُّ مُدُنِ جِلْعَادَ وَنِصْفِ أَرْضِ بَنِي عَمُونَ إِلَى عَرُوعِيرَ..."⁽³⁾.

ففي النص الأول: ينهاهم عن الاعتداء على بني عمون، وتحريم أرضهم عليهم، والثاني: يعطي نصف أرض بني عمون لسبط جاد بني جاد.

د- التناقض بين نسخ التوراة الثلاثة المختلفة (العبرية، اليونانية، السامرية).

قبل الحديث عن التناقض بين نسخ التوراة المختلفة لا بد من التعريف بهذه النسخ⁽⁴⁾:

1- النسخة العبرية:

وهي المعتمدة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستانت، وعدد أسفارها: تسع وثلاثون سفرًا.

2- النسخة اليونانية (السبعينية):

وهي المعتمدة عند الآباء الأولين من الحواريين، إلى القرن الخامس عشر، وكان الاعتقاد أن النسخة العبرية محرفة، واليونانية صحيحة؛ إلا أن الأمر عكس، فأصبحت المحرفة صحيحة، والصحيحة محرفة. وأسفارها ست وأربعون سفرًا، وهي معتمدة عند الكاثوليك والأرثوذكس، وسميت بالسبعينية لأن اليهود يقولون: إن سبعين من علماء الإسكندرية، تحت رعاية بطليموس الثاني (282-246 ق.م) ترجموا الأسفار الخمسة الأولى إلى اليونانية، في

⁽¹⁾ إظهار الحق، الهندي: 483/2-484.

⁽²⁾ سفر التثنية: 19-16/2.

⁽³⁾ سفر يشوع: 24/13، 25.

⁽⁴⁾ انظر: إظهار الحق، الهندي: 429/2-430، والكتاب المقدس، عبدالسلام محمد: ص 108-109.

النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، أما بقية أسفار العهد القديم فقد ترجمت في الفترة بين سنة (250-100 ق.م).⁽¹⁾

3-النسخة السامرية:

وهي المعتمدة عند اليهود السامريين. وتشتمل على خمسة أسفار فقط. وهذه الأسفار ليست ترجمة؛ بل هي النص العبراني نفسه، مكتوبًا بالحروف السامرية، أو العبرانية القديمة.

-أنواع التناقض بين النسخ الثلاث:

وهذا التناقض الموجود في تلك النسخ الثلاثة ثلاثة أنواع، وهي:

أ- التناقض بتبديل الألفاظ. ب- التناقض بالزيادة. ج- التناقض بالنقص.⁽²⁾

- التناقض بتبديل الألفاظ:

ومن الأمثلة على ذلك:

1- الزمان من خلق آدم عليه السلام إلى طوفان نوح عليه السلام، وفق النسخة العبرية: (ألف وستمائة وست وخمسون) سنة (1656)، وحسب النسخة اليونانية: (ألفان ومائتان واثنان وستون) سنة (2262)، والنسخة السامرية تذكر أنه: (ألف وثلاثمائة وسبع) سنين (1307).⁽³⁾

فالاختلاف والتناقض واضح بين هذه النسخ، بحيث يصعب أن يوفق بينها أبدًا.

يقول الشيخ رحمت الله الهندي - تعقيبًا على ذلك -: "فبين النسخ المذكورة في بيان المدة المسطورة فرق كثير، واختلاف فاحش، لا يمكن التطبيق بينها، ولما كان نوح عليه السلام في زمن الطوفان ابن (ستمائة سنة)، على وفق النسخ الثلاث، وعاش آدم عليه السلام (تسعمائة وثلاثين) سنة؛ فيلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن (مائتين وثلاث وعشرين) سنة، وهذا باطل باتفاق المؤرخين، وتكذبه العبرانية واليونانية؛ إذ ولادته على وفق الأولى بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة، وعلى وفق الثانية بعد موته بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة 732".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ انظر: المدخل لدراسة التوراة، د. البار: ص10، وتأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. الزغبى: ص58-59.

⁽²⁾ انظر: إظهار الحق، الهندي: 427/2، ومن قضايا التوراة، شتيوي: ص62، وأباطيل التوراة، د. البار:

ص120، والكتاب المقدس، عبد السلام محمد: ص109-115.

⁽³⁾ انظر: إظهار الحق، الهندي: 431/2، والكتاب المقدس، عبد السلام محمد: ص109.

⁽⁴⁾ إظهار الحق، الهندي: 432/2.

ب-التناقض بالزيادة:

والأمثلة في ذلك كثيرة، منها:

1- في سفر التكوين: "فَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ (بِهَوَاهُ يِرَاهُ). حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: "فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى".⁽¹⁾

يذكر الشيخ الهندي في ذلك، فيقول: "ولم يطلق على هذا الجبل "جبل الله" إلا بعد بناء الهيكل -حسب ما ذكره الكتاب المقدس- الذي بناه سليمان عليه السلام، بعد (أربعمائة وخمسين سنة) (450) من موت موسى عليه السلام، ويذكر عن (آدم كلارك) في تفسير سفر عزرا بأن هذه الجملة إلحاقية، وأن الجبل لم يطلق عليه ذلك الاسم ما لم يُبين عليه الهيكل".⁽²⁾

ج-التناقض بالنقص:

والأمثلة في ذلك كثيرة، منها:

1- حول قضية قتل قابيل لهابيل، ورد في التوراة نصان، أحدهما: في النسخة العبرية، يقول: "وقال قابيل لهابيل أخيه، ولما صارا في الحقل قام قابيل على هابيل فقتله".

وواضح من هذا النص أن مقول القول ساقط من النص، وهو: ما قاله قابيل لهابيل أخيه. فنجد ذلك القول في التوراة السامرية واليونانية، وهو: "وقال قابيل لهابيل أخيه: تعال نخرج إلى الحقل، ولما صارا في الحقل قام قابيل على أخيه فقتله". وبالمقارنة بين النص العبري، والنص الثاني نرى أن جملة "تعال نخرج إلى الحقل" ساقطة من النسخة العبرية، واستقامة التعبير تقتضي وجود هذه الجملة في النص، وبالتالي: فالتحريف بالنقص واقع في النسخة العبرية، التي يدعي أكثر اليهود صحتها، وصدق نقلها وقوة سندها.⁽³⁾

ثالثاً: الأدلة على التحريف المعنوي للعهد القديم:

1- الأدلة من القرآن الكريم على التحريف المعنوي:

لقد ثبت أن اليهود قاموا بفعل هذا النوع من التحريف، وذلك عندما أخضعوا التوراة لأهوائهم وأهواء أحيارهم، ففضلوا ما فرضه الكهنة والأخبار عليهم على ما طلبه الله منهم.⁽⁴⁾ وقد أكد القرآن الكريم التحريف المعنوي الذي قام به اليهود في العديد من الآيات، ومنها:

⁽¹⁾ سفر التكوين: 14/22.

⁽²⁾ إظهار الحق، الهندي: 473/2، وانظر بمعناه: الكتاب المقدس، عبدالسلام محمد: ص113.

⁽³⁾ انظر: التوراة، شتيوي: ص71-72، وبنو إسرائيل، د. مهران: 209/3.

⁽⁴⁾ انظر: من قضايا التوراة، د. شتيوي: ص73.

أ- قول الله عز وجل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75].

يقول الطبري-في معنى التحريف الوارد في الآية-: " (ثم يحرفونه): ثم يبدلون معناه، وتأويله، ويغيرونه. وأصله من: انحراف الشيء عن جهته، وهو: ميله عنها إلى غيرها. فكذلك قوله: (يحرفونه)، أي: يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غيره. فأخبر الله جل ثناؤه أنهم فعلوا ما فعلوا من ذلك على علم منهم بتأويل ما حرفوا، وأنه بخلاف ما حرفوه إليه؛ فقال: (يحرفونه من بعد ما عقلوه)، يعني: من بعد ما عقلوا تأويله، (وهم يعلمون)، أي: يعلمون أنهم في تحريفهم ما حرفوا من ذلك مبطلون كاذبون".⁽¹⁾

ب- وقوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ...﴾ [النساء: 46].
يقول الطبري -في تفسير التحريف في هذه الآية-: "يبدلون معناها، ويغيرونها عن تأويله".⁽²⁾

2- أدلة التحريف المعنوي من نصوص التوراة:

أ- جاء في التوراة: "أَقِيمُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ أَجْعَلُ كَلَامِي فِي فِيهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ مَا أَمْرُهُ، وَالَّذِي لَا يَقْبَلُ قَوْلَ ذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِي أَنَا أَنْتَقِمُ مِنْهُ وَمِنْ سِبْطِهِ".⁽³⁾

فحرفوا هذا النص، وتأولوه، فقالوا: هذه بشارة بنبي من بني إسرائيل، وجعلوا كلمة "إخوتهم" بمعنى: "منهم"، أي: من بني إسرائيل. أو أن هذه بشارة بنبي يبعث آخر الزمان؛ ولكن حتى الآن لم يظهر هذا النبي، وقد يكون المراد من النص الاستفهام الإنكاري.⁽⁴⁾

ج- جاء في التوراة: "جاء الله تعالى من طور سيناء وأشرق نوره من سيعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوات المقدسين".⁽⁵⁾

فحمل أحبار اليهود كلمة "فاران" التي هي جبال مكة على جبال الشام، وذلك؛ ليستبعدوا مجيء نبي من هذا المكان.

والتوراة نفسها فيها الرد على هذا التحريف، فقد جاء فيها:

⁽¹⁾ جامع البيان، الطبري: 249/2.

⁽²⁾ المصدر السابق: 432/8.

⁽³⁾ سفر التثنية: 18/18-19.

⁽⁴⁾ انظر: من قضايا التوراة، د. شتيوي: ص 74.

⁽⁵⁾ سفر التثنية: 33/2-3.

أن "إسماعيل أقام في برية فاران، وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر"، ومعروف أن إسماعيل كان مقيماً بأرض مكة، وكان يعيش على جبالها؛ ففاران هي جبال مكة؛ وليست جبال الشام.⁽¹⁾ ومن نصوص التوراة التي تدل على تحريفها أيضاً⁽²⁾:

1- "فَعِنْدَمَا كَمَلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هَذِهِ التَّوْرَةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا، أَمَرَ مُوسَى اللّٰوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلًا: "حُدُّوا كِتَابَ التَّوْرَةِ هَذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَيْكُمْ؛ لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ؛ لِأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدُكُمْ وَرِقَابِكُمْ الصُّلْبَةَ، هُوَ ذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمْ الْيَوْمَ، فَذْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي، اجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شَيْخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعَرَفَاءِكُمْ؛ لِأَنطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهَذِهِ الكَلِمَاتِ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؛ لِأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ".⁽³⁾

هذا النص يوضح علم موسى ﷺ بطبيعة قومه (بني إسرائيل) المتمردة على أوامر الله تعالى، وعلمه أنهم بعد موته سيفسدون، ويزيغون عن طريق الحق. وهذا تصريح منه ﷺ بتحريف بني إسرائيل من بعده للتوراة التي نزلت عليه.

2- قول المزمور ينسب إلى داود ﷺ: "مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحْرِفُونَ كَلَامِي".⁽⁴⁾ هذا تصريح واضح بتحريف بني إسرائيل لكلام نبي من أنبيائهم، وهو داود ﷺ فيما نسب إليه من المزامير.

رابعاً: الأدلة على تحريف التوراة من أقوال أهل الكتاب:

وردت على ألسنة كثير من علماء أهل الكتاب اعترافات صريحة بتحريف التوراة، وأنها لم تعد تلك التوراة التي نزلت على موسى ﷺ، ومن هذه الاعترافات⁽⁵⁾:

1- ما ورد في الوثيقة المسكونية، التي صدرت عن المجمع المسكوني للفاثيكان الثاني (1962-1965)، من جمل وعبارات تؤكد وجود شوائب، وشيء من البطلان في أسفار العهد القديم، فالوثيقة تقول: "بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح، تسمح أسفار العهد القديم لكل بمعرفة من هو الله، ومن هو الإنسان، بما لا يقل عن معرفة

⁽¹⁾ انظر: من قضايا التوراة، د. شتيوي: ص 75.

⁽²⁾ انظر هذه النصوص (1-4): الكتاب المقدس، عبد السلام محمد: ص 107-108.

⁽³⁾ سفر التثنية: 31/24-29.

⁽⁴⁾ سفر المزامير: 5/4-56.

⁽⁵⁾ انظر هذه الاعترافات (1-3) - حسب ذكرها هنا-، والتعليق عليها: القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والعلم، د. موريس بوكاي: ص 62، ص 31، ص 32.

الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان؛ غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب، وشيء من البطلان".

يقول موريس بوكاي-معلقا على نص تلك الوثيقة:- "إن هذا النص جزء من تصريح شامل، صوت عليه نهائيا بأغلبية 2344 صوتا ضد 6 أصوات، لا يبدو أن هذا التصريح قد اكتسب هذه الأغلبية الساحقة الصورية.

فالواقع أننا نجد في تعليقات الوثيقة الرسمية، التي وقعها الأسقف "فيبر" جملة تصحح- بشكل واضح- الدعوى ببطلان بعض النصوص التي يحتوي عليها الإعلان الرسمي للمجمع، تقول: لا شك أن بعض أسفار التوراة اليهودية تحتوي على مرمى وقتي، وبها شيء غير كامل".
2- و"يذكر الأب "ديفو" أن التراث اليهودي الذي امتثل له عيسى والرسل كان مقبولا حتى نهاية القرون الوسطى، وكان الرفض الوحيد لهذه الدعوى "أبين إسرا" في القرن الثاني عشر. وفي القرن السادس عشر أشار "كارلتشاد" إلى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات (سفر التثنية الإصحاح 34 الآيات من 5 إلى 12).

ويذكر المؤلف -بعد ذلك- نقادا آخرين يرفضون أبوة موسى، على الأقل لجزء من الأسفار الخمسة، ويذكر على وجه الخصوص دراسة "ريشار سيمون" التاريخ النقدي للعهد القديم، وفيها يؤكد "سيمون" على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث، والتكرارات، وفوضى الروايات، وفوارق الأسلوب في أسفار موسى الخمسة.

لقد أثار الكتاب ضجة وسخطا، ولم يتابع أحد حجة د. "سيمون" تقريبا، وهي أن مراجع العصور القديمة في كتب التاريخ في بداية القرن الثامن عشر كثيرا ما تستعين بما كتب موسى".

3- ونشر "جان أستروك"⁽¹⁾ في 1753م دراسة بعنوان "قرائن عن المذكرات الأصلية، التي يبدو أن موسى قد استخدمها لتحرير سفر التكوين"، يؤكد فيها على تعدد المصادر. ولم يكن أول من أشار إلى هذا. على أي حال كانت لديه شجاعة أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية، هي: وجود نصين جنبا إلى جنب في سفر التكوين، يحتوي كل منهما على خاصية مختلفة في تسمية الرب؛ إذ يسميه أحدهما بيهوه، ويسميه الثاني بألوهيم.

(1) جان أستروك: هو بروفيسور في الطب في مونتيليه وباريس، أصدر كتابًا صغيرًا مجهول المصدر، والذي لعب دورًا أساسيًا في أصول التحليل النصي الناقد لأعمال الكتاب المقدس، ولد بفرنسا سنة 1684 م، وتوفي في مايو 1766 م <https://ar.wikipedia.org/>

إذن فسفر التكوين يحتوي على نصين جنبا إلى جنب، ثم قام "إيخهرون" (1780-1783) بنفس الاكتشافات بالنسبة للكتب الأربعة الأخرى، ثم جاء "إيلجن" (1798)، ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما استروك، وهو النص الذي يسمى فيه الرب بألوهيم ينقسم هو أيضا إلى قسمين. وبهذا تفتتت تماما كتب أسفار موسى الخمسة".
ومن اعترافات علماء أهل الكتاب أيضا بتحريف التوراة: ما نقله مهندس أحمد عبد الوهاب عن دائرة المعارف الأمريكية، ومن ذلك⁽¹⁾:

مما سبق من أقوال بعض علماء أهل الكتاب، من يهود ونصارى عن كتاب العهد القديم بأسفاره المختلفة، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك: أن هذا الكتاب قد دخله التحريف في كثير من أسفاره، وأن ما ذهب إليه هؤلاء العلماء أبعد مما ذهب إليه علماء المسلمين عند حديثهم عن التوراة، حيث يعتقدون -كما أخبر القرآن الكريم في عدة مواضع- أن التوراة هي الكتاب الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام، وهذا ما يشكك فيه علماء أهل الكتاب المذكورون آنفا، حيث يطعنون في صحة نسبة الأسفار الخمسة -التي تشكل التوراة- إلى موسى عليه السلام.

وأقوالهم هذه أكبر من كل الأدلة، كما قال القرآن الكريم: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: 26]؛ ولأنه كما يقال: "الاعتراف سيد الأدلة"، والقاعدة الجوهرية في الحوار والمناظرة تقول: "من فمك أدينك".

خامساً: الأدلة على عدم قدسية أسفار العهد القديم بانقطاع صلتها بالأنبياء.

1- التوراة، أو الأسفار الخمسة:

هناك العديد من العلماء الغربيين، من اليهود ومن غير اليهود، الذين قالوا بعدم قدسية أسفار العهد القديم، من خلال انقطاع صلتها بالأنبياء.
وقد كان العالم اليهودي الكبير "ابن عزرا"⁽²⁾ أول من تنبه إلى خطأ نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام، ورغم أن فكره كان حرا؛ إلا إنه لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه

(1) انظر الأقوال (4،5): فلسطين بين الحقائق والأباطيل، مهندس أحمد عبد الوهاب، ص24، ص29، نقلا عن دائرة المعارف الأمريكية: 615/3.

(2) ابن عزرا: الحاخام إبراهيم بن مئير ابن عزرا، عاش ما بين 1092 م و1167م، وهو واحد من أكثر علماء اليهود وأدبائهم شهرة في العصور الوسطى، برع ابن عزرا بالفلسفة، وعلم الفلك، والتنجيم، والطب، والشعر، وعلم اللغات والتفسير، ولذلك لقب بالحكيم وبالكبير وبالطبيب الماهر. توفي سنة 1167م.

[/https://ar.wikipedia.org](https://ar.wikipedia.org)

صراحة، واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة، فقد شكك في نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام بأسلوب المداراة؛ حتى لا يثير غلاة المتعصبين من اليهود، وأثبت بهذا الأسلوب، ويكلمات قليلة، أن موسى عليه السلام ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة؛ بل إن مؤلفها شخص آخر، عاش بعده بزمن طويل، وأن موسى عليه السلام كتب سفرًا مختلفًا، وبرهن على ذلك بالآتي:

- 1- لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية؛ لأنه لم يعبر نهر الأردن.
 - 2- كان سفر موسى مكتوباً على حائط المعبد، الذي لم يتجاوز اثني عشر لوحاً، أي: أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن.
 - 3- قيل في سفر التثنية: "وقد كتب موسى التوراة"⁽¹⁾، ولا يمكن أن يقول موسى ذلك عن نفسه.
 - 4- في سفر التكوين يعلق الكاتب قائلاً: "وكان الكنعانيون في هذه الأرض"⁽²⁾، مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب هذا السفر، أي: بعد موت موسى وطرد الكنعانيين، "وبذلك لا يكون موسى هو الراوي".
 - 5- في سفر التكوين: سمي "جبل موريا" جبل الله⁽³⁾، ولم يُسمَّ بهذا الاسم إلا بعد بناء المعبد، وهو ما تم بعد عصر موسى عليه السلام.
 - 6- في سفر التثنية: وضعت بعض الآيات في قصة عوج ملك باشان، توحى بأن الرواية كتبت بعد موت موسى بمدة طويلة؛ إذ يروي المؤلف أشياء حدثت منذ زمن بعيد⁽⁴⁾.
- ومن أشهر نقاد العهد القديم: الفيلسوف اليهودي، باروخ سبينوزا⁽⁵⁾، الذي وضع نقداً شاملاً للعهد القديم، فوصفه على أنه كتاب أدبي قومي، وقد نقده تاريخياً وفلسفياً، فعرض للغته، ونصه، وزمن تأليفه، ومستوى مؤلفيه⁽⁶⁾.

(1) وهذا هو النص بالكامل: "وَكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ التَّوْرَةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لَأْوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِجَمِيعِ شُبُهَاتِ إِسْرَائِيلَ". سفر التثنية: 9/31.

(2) وهذا هو النص: "وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حَبِئْتًا فِي الْأَرْضِ". سفر التكوين: 6/12.

(3) والنص هو: "قَدَعَا إِبْرَاهِيمُ اسْمَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ «يَهُوهُ يَرَاهُ». حَتَّى إِنَّهُ يُقَالُ الْيَوْمَ: «فِي جَبَلِ الرَّبِّ يُرَى». سفر التكوين: 14/22.

(4) انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا: ص258-260، وتأثر اليهودية، د.الزغبى: ص329-330.

(5) سبينوزا: فيلسوف يهودي، ولد بأمستردام، في 1632م، وتوفي سنة 1677م، وهو من أسرة برتغالية، طرده المعبد المحلي؛ لانتقاده ادعاءات معينة، نادى بها الكتاب المقدس. فلاسفة الشرق، أ. ف. توملين: ص100، ومقدمة مترجم كتاب: علم الأخلاق لسبينوزا: ص7.

(6) انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص53-54.

وقد نفى سبينوزا نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام، ودلل على ذلك بعدة أدلة، وهي:

1- إن التوراة لا تتحدث عن موسى بضمير الغائب فحسب؛ وإنما تعطي عنه شهادات عديدة، مثل: تحدث الله مع موسى، كان الله مع موسى وجها لوجه، وكان موسى رجلا حليما جدا أكثر من جميع الناس (العدد 12: 3)⁽¹⁾... لقد مات موسى خادم الله، ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى. وعلى العكس، يتحدث موسى، ويقص أفعاله بضمير المتكلم في التثنية... فيقول: كلمني الرب (التثنية، 2: 1، 17)... فطريقة الكلام، والشواهد، ومجموع نصوص القصة كلها، يدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار؛ بل كتبها شخص آخر.

2- رواية التثنية لا تقص فقط موت موسى ودفنه، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين؛ بل تروي أيضا أنه فاق جميع الأنبياء إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده "ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجها لوجه" (التثنية، 34: 8، 10)⁽²⁾.

وهذه الشهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه، أو شخص آخر أتى بعده

مباشرة؛ بل شخص عاش بعده بقرون عديدة.

3- بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التي عرفت بها في زمن موسى؛ بل أطلقت عليها أسماء عرفت بعده بوقت طويل؛ فقد ورد أن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان (التكوين، 14: 14)، وهو اسم لم تأخذه المدينة التي تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة (القضاة، 18: 29).

4- تمتد الروايات في بعض الأحيان إلى ما بعد موت موسى عليه السلام، فيروى في الخروج (16: 35) أن بني إسرائيل أكلوا المن أربعين يوما، حتى وصلوا إلى أرض مسكونة، على حدود بلاد كنعان، أي: حتى اللحظة التي يتحدث عنها سفر يشوع (5: 12).

من هذه الملاحظات كلها يستنتج سبينوزا: أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة؛ بل

كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة.⁽³⁾

2- أسفار الأنبياء، وهي قسمان:

القسم الأول: أسفار "الأنبياء المتقدمون"، أو الأنبياء الأول:

وهي أربعة أسفار: 1- يشوع 2- القضاة 3- صموئيل الأول، والثاني 4- الملوك الأول والثاني.

⁽¹⁾ في النسخة التي اعتمدت عليها خطأ (العدد 125: 3)، والصواب هو (العدد 12: 3).

⁽²⁾ في النسخة التي اعتمدت عليها خطأ (التثنية، 34: 1)، والصواب هو (التثنية، 34: 8، 10).

⁽³⁾ انظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا: ص 260-262، وتأثر اليهودية، د. الزغبي: ص 334-

1- سفر يشوع:

نفى سبينوزا ادعاء نسبة سفر يشوع إليه، وانتهى إلى أن هذا السفر ليس من وضع يشوع؛ وإنما من وضع شخص آخر، وأنه كتبه بعد يشوع بقرون عديدة، حيث إن رواياته تمتد إلى الوقائع التي حدثت بعد موته.⁽¹⁾

ويقول حبيب سعيد: "يشوع هو إسم البطل في السفر؛ وليس كاتبه، ولو أن بعض المصادر اليهودية تدعي أنه هو الذي كتب السفر الذي يحمل إسمه؛ وليس لهذا السفر كاتب معين بالذات؛ إنما هو سجل للحوادث، ذات الأهمية الخاصة".⁽²⁾

2- سفر القضاة:

يقول عنه سبينوزا: "لا يظن أحد ذو عقل سليم أن القضاة أنفسهم هم الذين كتبوا سفرهم؛ لأن مقدمة الإصحاح الحادي والعشرين تدل على أن كاتباً واحداً قد كتبه".⁽³⁾

ويذكر "حبيب سعيد" قول أبحار اليهود بأن صموئيل هو كاتب سفر القضاة، وأن الآباء الأولين في تاريخ الكنيسة سلموا بهذا الزعم؛ لكن سعيد ينفي وجود أي دليل يثبت ذلك، ولا يجزم باسم أو أسماء الكتّاب الذين جمعوا وقائع هذا السفر، وعن التاريخ الذي ظهر فيه.⁽⁴⁾

3- سفر صموئيل:

ينسب التلمود كتابة هذين السفرين إلى صموئيل النبي؛ وهذا غير صحيح؛ بدليل ذكر خبر وفاة صموئيل في هذين السفرين، إضافة إلى أن السفرين يرجعان إلى مصادر متعددة، متفاوتة الموضوع والزمن، ولا جامع بين محتوياتها، حتى يُقرَّرَ أنهما لمؤلف بعينه.⁽⁵⁾

ونفى سبينوزا أن يكون صموئيل كتب سفره؛ لأن الرواية تمتد إلى ما بعد موته بقرون.⁽⁶⁾

4- سفر الملوك:

ترجع التقاليد اليهودية كتابة هذين السفرين إلى إرميا؛ ولكنه زعم لا يستند إلى دليل، وخاصة أن السفر الثاني تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر إرميا، فلا يعقل أن يكون هو كاتبه.⁽⁷⁾

(1) انظر: مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، حسن حنفي: ص 25، وتأثر التوراة، د. الزغبى: ص 358.

(2) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 92.

(3) مقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، حسن حنفي: ص 25.

(4) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 93-94.

(5) انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 68-69.

(6) انظر: تأثر التوراة، د. الزغبى: ص 359، ومقدمة رسالة في اللاهوت والسياسة، حسن حنفي: ص 25.

(7) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 99.

والصحيح - كما ذكر العلماء والمؤرخون - أن السفرين عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية، جمعت ونسقت معا، واستقى كاتبهما موادها من سجلات البلاط، وسجلات الهيكل، وسير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية، والحكايات الشعبية.⁽¹⁾

القسم الثاني: أسفار "الأنبياء المتأخرون":

أ- الأنبياء الكبار: إشعياء، إرميا، حزقيال.

1- سفر إشعياء:

اختلفت آراء الشراح والباحثين حول هذا السفر. وقد أجمع النقاد على أن إشعياء كتب جزءا من هذا السفر، وقال بعضهم: كتب السفر كله، وذهب البعض الآخر إلى أن السفر كتبه اثنان، وقال آخرون: إن الكتاب ثلاثة⁽²⁾، ولعل الرأي الأخير هو الأرجح.⁽³⁾

2- سفر إرميا:

ذهب العلماء إلى أن السفر اليوم ليس من تأليف النبي إرميا؛ بل صاغه صديقه باروخ بن نيريا، ويرجح البعض منهم أن باروخا هذا، أو مؤلفا غيره - فيما بعد - هو الذي أضاف الفصول التاريخية عن حياة النبي، وعن الحوادث السياسية التي جرت في ذلك العصر.⁽⁴⁾

ويؤكد سبينوزا أن جزءا كبيرا من سفر إرميا مأخوذ من مؤرخين مختلفين، بعد أن يسرد روايات مختلفة ومتناقضة، في إصحاحات هذا السفر المختلفة.⁽⁵⁾

3- سفر حزقيال:

الرأي السائد بين علماء أهل الكتاب أن بعض أجزاء هذا السفر كتبها أشخاص في تاريخ متأخر، وأن حزقيال لم يكتب السفر كله في وضعه الحالي، وفي بعض المواضع القليلة تظهر أساليب مختلفة من الكتابة؛ مما يثبت أن أكثر من كاتب واحد اشترك في صياغته.⁽⁶⁾

ب- أسفار الأنبياء الصغار (الاثني عشر):

1- سفر هوشع:

يذكر العلماء أن نص سفر هوشع مضطرب؛ نظرا لتعرضه لكثير من الحذف والإضافة، حيث إنه قد كتب بعد موت هوشع بمدة طويلة، وكان عصر رسالته ما بين 750-725 ق. م.

(1) انظر: تاريخ شعب العهد القديم، الأب ديلي (أستاذ في جامعة باريس): ص 206، وتأثر التوراة، د. الزغبي: ص 360.

(2) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 102، و تأثر التوراة، د. الزغبي: ص 361.

(3) انظر: تأثر التوراة، د. الزغبي: ص 361.

(4) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 112.

(5) انظر: رسالة في اللاهوت، سبينوزا: ص 301-302.

(6) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 116.

ومن المرجح أن تدوين السفر -كما وصلنا- قد تم قبل القرن السادس قبل الميلاد.⁽¹⁾

2- سفر يوثيل:

يذهب كثير من الباحثين إلى أن السفر ليس من تأليف شخص واحد، وأن الإصحاح الثالث - على وجه الخصوص - لا يمكن أن يكون "يوثيل" هو كاتبه؛ ولذلك فالوحدة مفقودة بالسفر.⁽²⁾

يقول د. فؤاد علي: "وينتهي الباحث في هذا السفر إلى أنه يتكون من مجموعتين مستقلتين، وكل مجموعة لها مؤلفها الخاص، كما أن كل مؤلف يختم مجموعته بعبارة خاصة".⁽³⁾

3- سفر عاموس:

من المؤكد عند بعض العلماء أن سفر عاموس -إلى جانب كلامه- قد دخله شيء كثير من القديم والحديث. ومن المرجح أن هذا السفر لم يصلنا في لغة المؤلف ولا في أسلوبه؛ بل في لغة أخرى، وأسلوب آخر؛ مما يشكك في نسبة السفر إلى صاحبه.⁽⁴⁾

4- سفر عوبديا:

لا يعرف تاريخ كتابة هذا السفر، وهناك تخمين أنه في القرنين السادس أو الخامس ق.م.⁽⁵⁾

5- سفر يونان:

يؤرخ سفر يونان بحوالي عام 350 ق.م، ولا يعرف من الذي كتبه، وليس هناك ما يثبت أن يونان -والذي كانت نبوءته في نينوى في الفترة (765-759 ق.م)- هو كاتب السفر.⁽⁶⁾ ومن المرجح أن مؤلفه هو أحد قضاة اليهود، وكان ذلك في القرن الرابع ق.م.⁽⁷⁾

6- سفر ميخا:

نسبة إلى النبي (ميخا) الذي تتبأ من 751-693 ق.م، وكان معاصراً لإشعيا⁽⁸⁾؛ لكن

⁽¹⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 107، وبنو إسرائيل، د. مهران: 47/3.

⁽²⁾ انظر: بنو إسرائيل، د. مهران: 48/3، نقلاً عن مصادر أجنبية.

⁽³⁾ التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 108، وبنو إسرائيل، د. مهران: 49/3.

⁽⁴⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 112.

⁽⁵⁾ المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 127، وتاريخ شعب العهد القديم، الأب ديلي: ص 339.

⁽⁶⁾ انظر: تأثر التوراة، د. الزغبى: ص 365، وبنو إسرائيل، د. مهران: 50/3.

⁽⁷⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 116.

⁽⁸⁾ انظر: قاموس الكتاب المقدس، د. جورج بوست: 396/2.

هذا السفر ينقصه الترتيب، ويحتوي بعض التناقض؛ ولعل سبب ذلك: بعض الإضافات التي أضيفت إليه فيما بعد. وفي ثنايا السفر بعض النبوءات، التي ترجع إلى ما قبل عصر السبي أو بعده، ولا يمكن تأريخها تماما.⁽¹⁾

7- سفر ناحوم:

ينسب هذا السفر إلى نبي اسمه (ناحوم)، ولا يعرف شيء عن حياة هذا النبي⁽²⁾، ويرجح البعض أن هذا السفر قد ظهر حوالي عام 612 ق. م.⁽³⁾

8- سفر حبقوق:

ينسب هذا السفر إلى نبي اسمه حبقوق، ولا يمكن تعيين التاريخ الذي ظهر فيه بالضبط، على أن أكثر الشراح يذهبون إلى أن هذا السفر كتب ما بين (597-609 ق. م)⁽⁴⁾، وهناك من يحدد ذلك بعام 615 ق. م.⁽⁵⁾، وذلك فيما عدا الإصحاح الثالث منه، الذي ينسب إلى مؤلف آخر، من عصر ما بعد السبي البابلي، ربما في القرن الرابع، أو الثالث ق. م.⁽⁶⁾

9- سفر صفنيا:

يشكك الباحثون في نسبة هذا السفر إلى صفنيا؛ وذلك لعدم انسجام عباراته واضطرابها؛ مما يدل على أنها ليست لمؤلف واحد بعينه، حيث إن السفر -كما هو في ترتيبه الحالي- يدل دلالة واضحة على أن يداً متأخرة قامت بترتيبه.⁽⁷⁾

10- سفر حجي:

هذا السفر وضع مباشرة بعد عام 520 ق. م، ويختلف عن الأسفار التي دونت قبل السبي، وأحياناً يروي شخص آخر عبارات حجي، فيقدم لها، ويعرضها عرضاً جيداً.⁽⁸⁾

11- سفر زكريا:

ينسب هذا السفر إلى زكريا، الذي كان معاصراً لحجي، حسبما يذكر التقليد اليهودي⁽⁹⁾؛

⁽¹⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 117-118، وتأثر التوراة، د. الزغبى: ص 365.

⁽²⁾ انظر: تاريخ شعب العهد القديم، الأب ديلي: ص 301.

⁽³⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 120.

⁽⁴⁾ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 132.

⁽⁵⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 121.

⁽⁶⁾ انظر: بنو إسرائيل، د. مهران: 55/3.

⁽⁷⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 122-123.

⁽⁸⁾ انظر: المصدر السابق: ص 124.

⁽⁹⁾ انظر: قاموس الكتاب المقدس: 511/1، والمدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 136.

لكن طريقة كتابة اعلاناته، وأسلوبه، يدلان على أنها ليست من عمل زكريا؛ ولهذا يرجح علماء الكتاب المحدثون أنها لم تتخذ شكلها الحالي إلا بعد الاسكندر الأكبر (323 ق. م).⁽¹⁾ يقول د. مهران: "وهناك اتفاق عام على أن الإصحاحات الستة الأخيرة (من التاسع إلى الرابع عشر) ليست من عمل زكريا، وأنها كتبت في القرن الثالث ق.م، وحتى هذا فهو مجرد تخمين مشهور، أكثر منه حقيقة تستند إلى دليل واضح، ومن ثم فهناك من يرجعها إلى عام 160 ق.م".⁽²⁾

12- سفر ملاخي:

ينسب هذا السفر إلى نبي يسمى "ملاخي"، آخر أنبياء العهد القديم، الذي لا يعرف عنه إلا ما هو مدون في سفره، وقيل: إن الاسم "ملاخي" هو لقب لاسم كاتب آخر، كعزرا مثلاً⁽³⁾، وأن مؤلف هذا السفر مجهول وغير معروف⁽⁴⁾، وخاتمة السفر وضعت في عصر متأخر، ولمؤلف آخر.⁽⁵⁾

3- الكتابات:

ويحتوي هذا القسم على أحد عشر سفراً، وهي:

- 1- المزامير 2- الأمثال 3- أيوب 4- نشيد الأنشاد 5- المراثي 6- راعوث 7- استير
- 8- الجامعة 9- دانيال 10- عزرا ونحميا 11- أخبار الأيام الأول والثاني.⁽⁶⁾

1- سفر المراثي:

لم يذكر في الكتاب المقدس اسم مؤلف هذا السفر؛ غير أن التقليد اليهودي جرى على أن إرميا هو مؤلف المراثي⁽⁷⁾؛ لكن هذا الرأي لا دليل عليه في نص المراثي، ولا في موضوعها.⁽⁸⁾

وقد رأى كثير من العلماء أن أسلوب كتابتها يختلف عن أسلوب إرميا، اختلافاً كبيراً،

⁽¹⁾ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 138.

⁽²⁾ بنو إسرائيل، د. مهران: 58/3.

⁽³⁾ انظر: قاموس الكتاب المقدس: 369/2.

⁽⁴⁾ المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 139-140، والتوراة الهيروغليفية، فؤاد علي: ص 129.

⁽⁵⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 129.

⁽⁶⁾ انظر: تأثر اليهودية، د. الزغبى: ص 50-51.

⁽⁷⁾ انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص 73.

⁽⁸⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 168.

وأنها تضمنت أفكارا، لا يقرها هذا النبي⁽¹⁾؛ وإنما نسبت إليه؛ نظرا لشهرته وقت كتابتها.⁽²⁾

2- سفر عزرا ونحميا:

نسبة إلى عزرا ونحميا؛ لكنهما في وضعهما الحالي لم تكتبهما يد عزرا، ولا يد نحميا، وإن كانت بعض أجزاءه من كتابتهما، فهما قد كتبا الحوادث التي وقعت لهما بواسطتهما، واستخدمها ذلك الكاتب، الذي نسق السفر وصاغه، على الصورة الموجودة حاليا.⁽³⁾

ونفى د. "فؤاد علي" أن يكون القسم الثاني من سفر عزرا -الذي يتحدث عن نشاط عزرا الحاخام العالم بالشريعة- من وضع مؤلف واحد؛ بل أرجعه إلى عدة مصادر مختلفة.⁽⁴⁾

والأقوال متضاربة حول الإصحاح العاشر من السفر، المنسوب إلى نحميا، هل هو لنحميا، أم لعزرا، وما مدى صحة القوائم الواردة وأصالتها، وهل ترجع إلى النص الأصلي، أم لا؟⁽⁵⁾

3- سفر أخبار الأيام الأول والثاني:

ذهب علماء التقليد اليهودي إلى أن عزرا هو الذي قام بتأليف وكتابة سفري أخبار الأيام الأول والثاني⁽⁶⁾، الذين كانا في الأصل سفرا واحدا، مثل: سفري صموئيل، والملوك⁽⁷⁾؛ لكن سبينوزا ذكر أن سفر أخبار الأيام قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة، وربما بعد إعادة بناء المعبد، في عصر المكابيين، ونفى العلم اليقيني بالمؤلفين الحقيقيين لهذا السفر.⁽⁸⁾

4- سفر المزامير:

يقول د. الزغبى: "إنه يجب أن نفرق دائما بين المزامير المذكورة في أسفار العهد القديم، وبين الزبور الذي ذكره القرآن الكريم على أنه الكتاب السماوي، الذي آتاه الله لداود ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163]".⁽⁹⁾

⁽¹⁾ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 158.

⁽²⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 169.

⁽³⁾ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 170.

⁽⁴⁾ انظر: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 182.

⁽⁵⁾ انظر: المصدر السابق: ص 187.

⁽⁶⁾ انظر: تأثر التوراة، د. الزغبى: ص 371، نقلا عن مصادر أجنبية.

⁽⁷⁾ انظر: المصدر السابق: ص 371.

⁽⁸⁾ انظر: رسالة في اللاهوت، سبينوزا: ص 298.

⁽⁹⁾ تأثر التوراة، د. الزغبى: ص 441.

وقد ذهب علماء الكتاب المقدس إلى أن ثلثي المزامير، وعددها (مائة زمور)، تنسب إلى مؤلفين مختلفين، وأن الثلث الباقي، وعدده (خمسون زمورا)، كتَّابه مجهولون.⁽¹⁾

5- سفر الأمثال:

بالرغم من أن هذا السفر ينسب إلى سليمان، فإنه في نظر العلماء المحدثين من نقاد الكتاب المقدس يعتبر مجموعة من الأقوال المأثورة، مروية عن أكثر من مصدر واحد⁽²⁾، فقد اتفقوا على أن هذا السفر ليس كله تراثا عبريا، فأسقطوا الحجة القائلة بأن سليمان هو مؤلفه، فسفر الأمثال عبارة عن: مجموعة متفرقة من الحكم والأمثال، التي لا تربط بينها رابطة، وليس في أسلوبها وحدة أو تناسق، فهو ليس من وضع مؤلف بعينه.⁽³⁾

6- سفر نشيد الأنشاد:

لا يعرف مؤلف هذا السفر على وجه اليقين، وإن كان اليهود ينسبونه إلى سليمان عليه السلام، ويعتقدون أنه كتبه في شبابه، وكتب سفر الأمثال في رجولته، وسفر الجامعة في شيخوخته.⁽⁴⁾

7- سفر الجامعة:

يقول الشيخ رحمة الله الهندي - عن مؤلف هذا السفر - : "قال البعض: إنه من تصنيف سليمان عليه السلام، وقال (رب قمحي)، وهو عالم مشهور من علماء اليهود: إنه تصنيف أشعيا، وقال علماء (تالميودي)⁽⁵⁾: إنه تصنيف حزقيا، وقال (كروتيس): إن أحداً صنفه (زروبابل)؛ لأجل تعليم ابنه أبيهود، وقال (جهان) من العلماء المسيحية، وبعض علماء جرمن: إنه صنف بعد ما أُطلق بنو إسرائيل من أسر بابل، وقال زرقيل: إنه صنف في زمان (انتيوكس إيبي فانس)، واليهود بعد ما أطلقوا من أسر بابل أخرجوه من الكتب الإلهامية؛ لكنه أدخل بعد ذلك فيها".⁽⁶⁾

8- سفر أيوب:

يتساءل "حبيب سعيد" عن سفر أيوب: أهو تاريخ واقعي، أم هو قصة تمثيلية روائية؟ ويجيب: بأن قدامى الشراح يرون أنه تاريخ واقعي؛ بل نسبه بعضهم إلى موسى عليه السلام، فالسفر في الترجمة السريانية موضوع بين سفري التثنية ويشوع، ويضيفون إلى ذلك: أن أيوب

(1) انظر: تأثر التوراة، د. الزغبى: ص443-444.

(2) انظر: الفكر الديني الاسرائيلي، د. حسن ظاظا: ص59.

(3) انظر: تأثر التوراة، د. الزغبى: ص456.

(4) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص154.

(5) أي: علماء التلمود.

(6) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي: 144/1.

شخصية تاريخية، بدليل قول الكاتب في مستهله: "رجل في أرض عوص"، وقد أشير إليه في سفر حزقيا (14: 14).⁽¹⁾

9- سفر دانيال:

أجمعت الروايات اليهودية والمسيحية على نسبة هذا السفر إلى دانيال، وظل قداماء الشراح والمفسرون الكاثوليك حتى آخر القرن التاسع عشر يرجحون أن السفر قد كتبه دانيال في بابل، وأن عزرا قد حمله معه مع الأسفار الأخرى، عند عودته إلى أورشليم⁽²⁾؛ لكن هناك أدلة تعترض ذلك الإجماع، وتدحض هذا الترجيح، وتثبت أن سفر دانيال قد كتب بعد السبي البابلي بثلاثة قرون، أو أربعة⁽³⁾.

10- سفر استير:

هذا السفر يحتوي على قصة طويلة، حدثت مع استير اليهودية، دعت كثيرين من علماء اليهود والمسيحية إلى التفكير طويلا في قيمة هذا السفر، وصحة ضمه إلى العهد القديم. وهذا السفر الذي يتحدث عن عيد "بوريم" البابلي الأصل ما هو في الواقع إلا انتحال من الأدب البابلي، وهذا يعلل معارضة كثيرين من العلماء لاقحام هذا السفر في العهد القديم. ويدل على عدم تاريخية هذه القصة ملاحظات كثيرة ذكرها د. "فؤاد علي"، موضحا أن

التاريخ الإيراني لا يعرف ملكة تدعى "قشتي"، أو "استير".⁽⁴⁾

11- سفر راعوث:

إن قصة هذا السفر كتبت في تاريخ متأخر، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنه كتب في زمن اشتدت فيه رغبة اليهود في التخلي عن زوجاتهم الأجنبية، وأغلب الظن أن القصة كتبت في زمن عزرا ونحميا، أي: في النصف الثاني من الأربع مائة سنة قبل الميلاد.⁽⁵⁾ مما سبق يتبين: أن نسبة أسفار العهد القديم إلى أصحابها نسبة باطلة، وغير صحيحة، وأن إدعاء هذه النسبة قائم على التخمين، والزعم الباطل بدون دليل؛ فالذين نسبت إليهم تلك الأسفار لم يكتبوها حقا، وإذا كتبوا شيئا منها فإنه قد حرف، أو بدل، أو زيد عليه، أو أنقص منه، فالثقة في تلك النسبة المزعومة معدومة؛ بل إن كثيرا من العلماء والمؤرخين يجهلون تماما

⁽¹⁾ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 149.

⁽²⁾ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 167، وتأثر التوراة، د. الزغبى: ص 503.

⁽³⁾ انظر: تأثر التوراة، د. الزغبى: ص 504.

⁽⁴⁾ انظر ماسبق، والملاحظات بالتفصيل: التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي: ص 172-174.

⁽⁵⁾ انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 157، وبنو إسرائيل، د. مهران: 68/3.

مؤلفي أغلب هذه الأسفار، ولا يعرفون زمن تأليفها، كل ذلك يؤكد عدم قدسية أسفار العهد القديم، مادامت صلتها بالأنبياء منقطعة، وغير ثابتة، ومطعون فيها.

المطلب الثاني

دعوى قدسية التلمود

يعد التلمود عند بعض الفرق اليهودية مصدراً مقدساً من مصادرهم؛ فبعضهم يعده بعد التوراة، وبعضهم يساويه بالتوراة، وبعضهم يقدمه ويرفعه عن منزلة التوراة، وهذا المطلب سيتحدث عن دعوى قدسية التلمود؛ إن كان مقدساً حقاً، أم لا.

أولاً: نصوص التلمود التي تبين قدسيته عند اليهود:

من النصوص التي وردت في التلمود، وعلى السنة الكهنة⁽¹⁾:

1- جاء في كتاب يهودي اسمه (كرافت)، مطبوع في سنة 1509: "علم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء. وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة؛ لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال لك الحاخام: إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس، فصدق قوله، ولا تجادله، فما بالك إذا قال لك: إن اليمنى هي اليمنى، واليسرى هي اليسرى".

2- وقال أحد علماء اليهود المسمى (ميمانود)، المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر: "مخافة الحاخامات هي مخافة الله".

3- "من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الإلهية".

4- وقال الحاخام مناحم في أقوال الحاخامات المتناقضة لبعضها: "إنها كلام الله مهما وجد فيها من التناقض، فمن لم يعتبرها، أو قال: إنها ليست أقوال الله، فقد أخطأ في حقه تعالى".

5- وذكر في كثير من كتب اليهود: "إن أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها منزلة من السماء، ومن يحقرها فمئثوا جهنم وبئس المصير".

والحاخامات الذين ألفوا التلمود يأمرن بالطاعة العمياء لهم، ويدعون أن ما جاء في التلمود من التناقض بين أقوال الحاخام (هلال)، والحاخام (شماي) صادر كله من الله، ولو أن هذين الحاخامين لم يتفقا على لفظة مهمة أو غير مهمة. وقد حصلت مشاحنة ما بين حاخامين، أحدهما: يدعى الرابي (شايا)، والثاني: (بار كباره)، وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال: كيت وكيت، ولم يفصل في الخلاف الواقع بينهما، فجاء الحاخام (روسكي)، وقال: "إن الحاخامين المذكورين قالوا الحق؛ لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ".

(1) الكنز المرصود: ص33.

هذه دعوة لانصياع الشعب إلى الحاخامات، ليقود الحاخامات حركة الشعب، فيسلم قياده تماماً. والحاخامات يهدفون إلى تأكيد قدر قدمهم الراسخة في الإفتاء والافتئات على الله بما جاء في تلمودهم: "قد وقع اختلاف بين الرب وعلماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد حاخامات الريانيين، واضطر الرب أن يعترف بخطئه".⁽¹⁾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ثانياً: القرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان تحريف اليهود لكتبهم:

لم يرد اسم التلمود في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة؛ ولكن القرآن الكريم أكد وأثبت أن اليهود يكتبون كتباً من عندهم، يزعمون أنها من عند الله تعالى، وهي في الحقيقة من كتابتهم؛ وليس من عند الله تعالى، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79]، وهذا ما أشارت إليه السنة النبوية المطهرة، فقد روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً، فاتبعوه، وتركوا التوراة".⁽²⁾ ومعنى ذلك: أن كتاب التلمود الذي يزعم اليهود أنه نزل على موسى عليه السلام، طالما أنه لم يرد ذكره في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية على أنه كتاب أنزل على موسى عليه السلام، وأن الذي ورد أنه نزل عليه فقط هو "التوراة"، وكذلك صحف موسى، على خلاف حول اعتبارها جزءاً من التوراة، أو هي صحف مستقلة عنه⁽³⁾؛ فإننا غير ملزمين بالإيمان به.

ثالثاً: الأدلة على تحريف التلمود، وبطلانه، وعدم نسبته إلى موسى عليه السلام:

هناك أدلة كثيرة على تحريف التلمود، وبطلانه، وعدم نسبته إلى موسى عليه السلام منها:

1- شهادات علماء اليهود:

أ- شهادة المهتدي السموأل⁽⁴⁾ في كتابه (إفحام اليهود):

⁽¹⁾ انظر: خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود، إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن: ص 125.
⁽²⁾ رواه الطبراني في الأوسط عن أبي موسى، وحسنه الألباني. صحيح الجامع الصغير، الألباني: 409/1، رقم (2044)، وقال الهيثمي: وَرَجَالُهُ نَقَاتٌ. مجمع الزوائد، أبو الحسن نور الدين الهيثمي: 192/1.
⁽³⁾ انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين: ص 65.
⁽⁴⁾ هو: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، الأندلسي، المتوفى عام 570هـ، كان من أعظم أبحار اليهود قبل إسلامه، أتقن كثيراً من العلوم والفنون وتبحر فيها، كالرياضيات والطب والتاريخ، وكتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود" يدل على واسع علمه؛ فقد أظهر في أثناء مناقشاته لعقائد اليهود، وتحليله لنصوص التوراة وأوهام الأبحار وضلالاتهم، وكشف أخطاءهم ومغالطاتهم؛ ولذلك استطاع أن يفحم علماء عصره من اليهود. انظر: مقدمة بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، لعبد الوهاب طويلة: ص 10.

قال السموأل: "وكانت اليهود في قديم الزمان تُسَمَّى الفقهاء بالحكماء، وهم الذين يدعون (الحاخاميم)، وكان لهم في الشام والمدائن مدارس، وكان لهم ألوف من الفقهاء، وذلك في زمن دولة النبط البابليين، والفرس، ودولة الروم، حتى اجتمع لهم الكتابان اللذان اجتمعت فقهاؤهم على تأليفهما، وهما (المشناة، والتلمود).

فأما المشناة: فهو الكتاب الأصغر، ومبلغ حجمه ثمانمائة ورقة، وأما الجمارا: فهو الكتاب الأكبر، ومبلغه نحو نصف حمل بَعْلٍ لكثرتِه، ولم يكن الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد، وإنما ألفوه في جيل بعد جيل.

فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مرَّ جيل عليه زادوا فيه، وأن هذه الزيادات المتأخرة تناقض أوائل هذا التأليف، علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك، ويمنعوا من الزيادة فيه، أدى إلى الخلط الظاهر والتناقض الفاحش، فقطعوا الزيادة فيه، ومنعوا من ذلك، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه، وحرّموا من يضيف إليه شيئاً آخر، فوقف على ذلك المقدار".⁽¹⁾

2- شهادة دائرة المعارف اليهودية العامة⁽²⁾ عن تلمود أورشلیم:

ورد في دائرة المعارف اليهودية العامة أن "النص الحالي لتلمود فلسطين في حالة فاسدة جداً، والنساخ الذين نقلوه لم يترددوا في تصحيحه كلما وجدوا أن المعنى بعيد عن إدراكهم، وقد تكرر وقوع ذلك كثيراً بسبب أسلوب التلمود البليغ، وبسبب لغة النص غير المألوفة، ومشكلة النص هذه أدت إلى زيادة هذه الأخطاء التي يقع فيها النساخ، مثل: وقوع التباس بين حروف متشابهة، وحذف حروف، وترك سطور، وإساءة فهم الرموز".⁽³⁾

3- اختلاف اليهود على قداسة التلمود، وإنكار طوائف كثيرة منهم له:

اختلفت فرق اليهود فيما بينها على قدسية التلمود والاعتراف به، ككتاب من عند الله تعالى، فمنهم من يرون في المشناة وشروحها تكميلات مقدسة، وضعت خصيصاً لخدمة النص الأساس المقدس، وهو: العهد القديم، واعتبر الإيمان بها واجباً؛ لأنها تستمد قدسيتها من قدسيته، وهناك من يؤمن بالتلمود ويغالي في تقديسه؛ بل يرفعه إلى درجة أعلى من التوراة نفسها، ومنهم من يرفضون المشناة وشروحها شكلاً وموضوعاً، وكل ما يتعلق بها، ويقولون: إنها من الأعمال التي تبعث على الضلال والكفر، ومنهم من يخالفون في معظم تعاملاتهم أحكام المشناة وشروحها، ومنهم من يحاربون التلمود وينقدون آراءه وأحكامه، ومن الفرق المعاصرة من اعتبر

⁽¹⁾ بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل المغربي: ص 183-187.

⁽²⁾ مؤلفها: بيير سلنجر، <https://www.quranicthought.com/ar/books>

⁽³⁾ التلمود: تاريخه، وتعاليمه، ظفر الإسلام خان: ص 25.

أن التلمود لم يعد صالحا بوضعه القديم لملائمة العصر الحديث، وهذه مواقف بعض الفرق اليهودية من التلمود:

أ- فرقة السامريين:

أتباع هذه الفرقة لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة (التوراة)، ويضيفون إليها سفر يشوع، تلميذ موسى وخليفته، وهم بذلك ينكرون قدسية باقي الأسفار، ويعتبرونها من صنع البشر، وعلى ذلك؛ فهم يرفضون المشنا وشروحها، ويقولون: إنها من الأعمال التي تبعث على الضلال والكفر، وقد بقي منهم اليوم نحو ثلاثمائة، وهم في نابلس.⁽¹⁾

ب- فرقة الفريسيين⁽²⁾:

أهم فرق اليهود، وأكثرها عددا في ماضي اليهود وحاضرهم، وتعود نشأتها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وهذه الفرقة تؤمن بالعهد القديم، وبكل ما يتعلق به من شروح وتفسير، فأتباعها يرون في المشنا وشروحها تكميلات مقدسة، وضعت خصيصا لخدمة النص الأساس المقدس، وهو: العهد القديم؛ ولذلك يعد الإيمان بها واجبا؛ لأنها تستمد قدسيتها من قدسيته، فيعتقدون أن المشنا وشروحها مندمجة اندماجا عضويا في التوراة، فلا يجوز الإيمان بالتوراة مع الشك في مكملاتها.⁽³⁾

ج- فرقة الصدوقيين⁽⁴⁾:

هم أشراف اليهود، ورجال الكهنوت منهم، وقد اختلف في سبب تسميتهم، وأشهر الأقوال أنها نسبة إلى زعيمهم صدوق الكاهن، الذي عاش في القرن الثالث الميلادي، وكان أحد تلاميذ "انتيجنوس السوخي"، الذي كان من كبار كهنة الهيكل الثاني؛ لكن الصدوقيين لا يوافقون على هذه النسبة، فهم ينسبون أنفسهم إلى "صدوق" أقدم من هذا بكثير، وهو الكاهن الأعظم لداود عليه السلام، الذي تولى أخذ البيعة لابنه سليمان عليه السلام، وتنصيبه على العرش، فعينه سليمان عليه السلام كاهنا أعظم لهيكله.

(1) انظر: الأدب اليهودي في المرحلة التلمودية، د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور: ص 49-50، والفكر الديني الإسرائيلي، د. حسن ظاظا: ص 247.

(2) الفريسيون: اسمهم مشتق من معنى الإفراز، دلالة على انفصالهم عن عامة الشعب فيما يختص بالسلوك، واسمهم بالعبرية "قروشيم"، أي: الذين امتازوا عن الجمهور، وعزلوا عنه. انظر: تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس: ص 87. والفكر الديني الإسرائيلي، د. حسن ظاظا: ص 252.

(3) انظر: الأدب اليهودي، د. مصطفى منصور: ص 50، والفكر الديني، د. حسن ظاظا: ص 253.

(4) انظر: تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس: ص 88. والفكر الديني، د. حسن ظاظا: ص 257.

وهذه الفرقة من الفرق المعاصرة للفريسيين، وكان الفريسيون غير راضين عن صدوق؛ لاعتقادهم أن أفكاره مضادة للتوراة، وكان الصدوقيون يختلفون مع الفريسيين اختلافا كبيرا في كثير من القضايا العقدية والفقهية، وموقفهم من المشنا وشروحها مخالف لموقف الفريسيين، فقد كانوا يؤمنون فقط بقدسية العهد القديم، ويرفضون غيره من المشنا وشروحها، وكل ما يتعلق بها.

د - فرقة الأسينيين⁽¹⁾:

بدأت هذه الفرقة في الظهور في القرن الأول للميلاد، وهي تتميز عن سائر الفرق اليهودية بميلها لحياة التقشف والرهبة، وهم يخالفون في معظم تعاملاتهم أحكام العهد القديم والمشنا وشروحها، فعلى الرغم من أنهم لا ينكرون الكتب اليهودية المقدسة شكلا، نجدهم ينتقون ما يتفق مع عاداتهم وأنظمتهم من تلك النصوص موضوعا، ويهملون ما دون ذلك.⁽²⁾

هـ - فرقة القرائيين⁽³⁾:

ظهرت هذه الفرقة في القرن الثامن الميلادي، وأخذت تسميتها من إيمان أتباعها الشديد بنص العهد القديم، والمعروف بالمقرا، فكلمة "قراي" نسبة إلى مقرا. ورفضت هذه الفرقة التلمود، واكتفت بما في التوراة بغير تفسير، فأتباع هذه الفرقة لم يرفضوا فقط الاعتراف بالتلمود والابتعاد عنه وعن أحكامه؛ وإنما أخذوا يحاربون التلمود وينقدون آراءه وأحكامه.⁽⁴⁾

و - فرقة الأصبهانيين (العيسويين)⁽⁵⁾:

هم أتباع إسحاق بن عوبديا، المعروف بأبي عيسى الأصفهاني، وكان في زمن المنصور العباسي (750-754م)، وكان ينكر التلمود، وأدخل تعليمات كثيرة على الأحكام اليهودية.

ز - فرقة البنيامينيين⁽⁶⁾:

هم أتباع بنيامين بن موسى النهاوندي الفارسي (830-860م)، وهي فرقة متشعبة من

(1) لا يعرف بالتحديد سبب هذه التسمية، فلم يرد مكتوبا بالعبرية قط؛ ولكنه هكذا باليونانية واللاتينية، والشائع بين العلماء أن معنى الكلمة: الأطباء، وأصلها آرامي، هو: "آسيا"، أي: الطبيب والمداوي، أو كما تقول العرب: "الآسى"، وعلى هذا يمكن تسمية هذه الفرقة "الأساة"، وهناك أقوال أخرى في سبب التسمية. انظر: الفكر الديني، د. حسن ظاظا: ص 265، نقلا عن دائرة المعارف العبرية، جينبير، 2/ 223-246، مادة "آسيم".

(2) انظر: تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس: ص 89.

(3) القراؤون (العنانية): نسبة إلى عنان بن داود، يخالفون سائر اليهود في أحكام السبت والأعياد، وكانوا يقيمون في مصر والشام وتركيا، ويتركزون حالياً حول الرملة. انظر: الفكر الديني، د. حسن ظاظا: ص 247.

(4) انظر: الفكر الديني، د. حسن ظاظا: ص 295-296، والأدب اليهودي، د. مصطفى منصور: ص 51.

(5) انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: 1/ 214.

(6) انظر: المصدر السابق: 1/ 217، وبذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل: ص 171.

طائفة القرائين (العنانيين)، ويخالفونهم في بعض المسائل والأحكام، وينكرون التلمود. وهناك فرق أخرى غير ما ذكر. (1)

وفي العصر الحديث عادت الاختلافات والمناقشات مرة أخرى حول أهمية التلمود وقدسيتها، وكيفية تحقيق الإفادة منه، وتركزت هذه المناقشات بين عدة فرق، أهمها ثلاث، هي: الإصلاحية، والأرثوذكسية، والمحافظة.

الأولى: ترجع نشأتها إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، وبداية القرن التاسع عشر، ويتلخص موقفها من المشنا والتلمود؛ بل والكتاب المقدس ذاته، في أنها مجتمعة لم تعد صالحة بوضعها القديم لملائمة العصر الحديث ومدنيته. (2)

والفرقة الثانية: هي الأرثوذكسية⁽³⁾، تعود بداياتها إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وأهم ما يميزها: إيمانها بالمشنا والتلمود، باعتبارها الشريعة الشفوية التي تلقاها موسى عليه السلام، إلى جانب الشريعة المكتوبة. وهذه الطائفة بالنسبة لموقفها من التلمود، وصلتها بالإصلاحيين، تعد امتداداً للفريسيين، بالنسبة لموقفهم من التلمود، وصلتهم بالقرائين. (4)

أما الفرقة الثالثة: وهي المحافظة، فكانت وسطاً بين هاتين الفرقتين، فهي لم تتفق مع الإصلاحية في تحررها من التقاليد اليهودية، وخالفت أيضاً الأرثوذكسية في بعدها عن التنوير ومجارة الحضارة. (5)

يتبين مما سبق: أن الفرق اليهودية قديماً وحديثاً مختلفة فيما بينها على قدسية التلمود والاعتراف به، مما يطعن في قدسيته، ويظهر زيف ادعائهم نسبه إلى موسى عليه السلام.

4- مبادئ التلمود وتعاليمه الباطلة تؤكد أن التلمود ليس وحياً من الله عز وجل:
وهذه مقتطفات من مبادئ التلمود وتعاليمه:

1- "يُقْتَلُ الوثني إذا ضرب إسرائيلياً؛ لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية؛ ولذلك قتل موسى مصرياً؛ لأنه ضرب يهودياً". [سنهدين: ص58].

(1) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني: 215/1، والفكر الديني، حسن ظاظا: ص183-321.

(2) انظر: المصدر السابق: ص53.

(3) الأرثوذكسية: لفظ أطلقه الإصلاحيون عليهم؛ لأنهم يعارضون دعوتهم للإصلاح، والمصطلح في المسيحية يعني: "الاعتقاد الصحيح"، وهي لفظة يونانية الأصل. انظر: الحركة الصهيونية، د. محمد خليفة حسن:

ص65، والقوى الدينية، د. رشاد الشامي: ص76،

(4) انظر: الأدب اليهودي في المرحلة التلمودية، د. مصطفى منصور: ص53.

(5) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي: ص56.

2- "حُرِّمَ في التلمود اشتراك اليهود مع الوثني، لأنه يعرض نفسه في هذه الحالة للحلف بالأصنام". [سنهدين: ص63].

3- "كل من كان خارجاً عن الديانة اليهودية يسمى: (ولد نوح)؛ لأن بني إسرائيل انفصلوا عن هؤلاء القوم، وآمنوا بالله من وقت ظهور إبراهيم لغاية إسرائيل. ويقتل الأمي من أولاد نوح على يد ديان واحد، وشهادة شاهد واحد، ولو كان قريباً له. ويقتل أيضاً إذا ضرب امرأة حاملاً، وقتل حملها. وأما الإسرائيلي فلا يقتل لذلك؛ بل يدفع دية الولد. ولا يقتل أيضاً في الأحوال التي توجب القتل إلا على يد عشرين دياناً، وشاهدين". [سنهدين: ص57].

4- "إذا سب اسم الجلالة أحد من أولاد نوح، ثم دخل في دين اليهود عوفي من القتل. وكذلك الأمر بالنسبة لمن قتل آخر، أو زنى بامرأة من طائفته. وأما من قتل يهودياً، أو زنى بامرأة يهودية، فيستحق الموت، بدون رحمة". [سنهدين: ص71].

5- "إن الله حلل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل؛ لما رآهم قد خالفوا السبع وصايا المختصة بعبادة الأوثان، والزنا، والقتل، والسرقة، وأكل لحم الحيوانات الغير مذبوحة، وخصاء الإنسان، وإيلاد الحيوان من غير جنسه". [كوماتارات كوماه: ص39].

6- "إن ثبت في الآخرة أن اليهود أتموا الوصايا في هذه الدنيا يصير عرض أفعالهم أمام الأميين؛ لعلمهم يخجلون". [عابوره زاده: ص4].

7- "حُرِّمَ في التلمود على اليهود أن يسكنوا خلاف البلاد المقدسة، وهي: (أورشليم، والخليل، وصفد، وطبريا)؛ لأنهم يعدون كعابدي الأصنام. ومحرم عليهم قبول دعوة باقي الأمم، والأكل من مأكولاتهم، ولو كان صانعاً يهودياً؛ فإذا دعا أجنبي يهودياً في فرح، وأكل هذا الأخير من مأكولاته، فكأنه يأكل من مينة!! ويأثم اليهودي أيضاً إذا ذهب عند الأجنبي في فرح، ولو قبل الاحتفال بثلاثين يوماً، سواء حصل ذلك في فرح زوجية، أو في دعوة أخرى" [عابوره زاده: ص8].

8- "يجب على اليهودي أن يبذل مجهوده؛ لمنع استملاك باقي الأمم للعقارات، وأن لا يمدحهم، ولا يصفهم بالحسنات والجمال، ولا يهبهم شيئاً بدون ثمنه". [عابوره زاده: ص20].

9- "ولا يجوز ربط بهائم بني إسرائيل في خان أمي؛ خشية أن يفتعل بها؛ لأن الأمم الخارجين عن اليهود فساق، يحبون الفسق بالحيوانات أكثر من نسائهم، وهم فتاك، طبعهم الرداءة والخيانة من وقت اجتماع حواء بإبليس، عندما اتخذ صورة حية، وقد كان بنو إسرائيل كذلك، لولا تغيير

أطوارهم بالحسنات من حين وقوفهم على طور سينا؛ وبناء على ذلك: ممنوع جلوس المرأة اليهودية مع الأجانب، وممنوع ذلك لليهودي أيضاً؛ مخافة أن يقتل". [عابوره زاده: ص22].⁽¹⁾ ومن مبادئ التلمود وتعاليمه أيضاً:

- أ- الاستهزاء بالله تعالى، ووصفه بالنقائص، وصفات العيب والتجسيم والعنصرية.
- ب- شتم المسيح عليه السلام وأمه مريم عليها السلام بأفدع الشتائم، وأشنع الأوصاف.
- ج- استعلاء الشعب اليهودي وتفوقه، وبأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن الدنيا خلقت لهم.
- د- غير اليهود من البشر حيوانات خلقهم الله تعالى في صورة البشر؛ لأجل خدمة اليهود، ويسمونهم بـ (الجويم) ⁽²⁾، أو (الأمميين).
- هـ- الحقد والكراهية لجميع الأميين.
- و- إباحة الربا الفاحش مع غير اليهود؛ بل استحبابه والحث عليه.
- ز- جواز التعامل بالغش والخداع مع الأمميين (غير اليهود)، والحث على إلحاق الأذى بهم، والسرقة منهم، وغير ذلك من القبائح التي يجوز فعلها مع الأمميين، ولا يجوز فعلها مع اليهود.
- ح- لا ينبغي لليهودي أن يرد الأشياء التي يفقدها الأجانب (غير اليهود)، ولا يجوز للطبيب اليهودي أن يعالج الأجانب؛ إلا بقصد الحصول على المال، أو للتمرن على المهنة.
- ط- من يتجرأ على الاعتداء على اليهودي فإن مصيره القتل، وأي يهودي يشهد ضد يهودي آخر أمام أجنبي ولصالحه فإنه يلعن ويسب علانية أمام اليهود.
- ي- ينتظرون مسيحاً مخلصاً في آخر الزمان، من نسل داود، يقيم مملكة اليهود، ويعز دينهم، ويدل ويبيد أعداءهم.
- ك- لا قيمة للعهد والمواثيق والأيمان عند اليهودي مع الأجنبي (الأممي)، ولليهودي أن يتحرر منها متى شاء.
- ل- لا قيمة لأعراض غير اليهود، فلليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات، وليس للمرأة اليهودية أن تبدي أية شكوى إذا زنا زوجها بأجنبية (غير يهودية)، كما أن اللواط بالزوجة جائز.

⁽¹⁾ الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص114-116.

⁽²⁾ الجويم: كلمة عبرية على صورة الجمع ومفردا "جوي" استخدمها العبريون في العصور القديمة بمعنى الهوام والحشرات وقد خصصتها العنصرية اليهودية منذ القدم للإشارة الى الناس جميعا من غير بني اسرائيل. انظر: الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص32.

م- إن السلطة في الأرض لليهود، وعليهم أن يبذلوا جهودهم في سبيل ذلك بشتى الوسائل والطرق المشروعة وغير المشروعة.

ن- إباحة طرق استخدام السحر وتعاليمه.⁽¹⁾

تلك مقتطفات من تعاليم التلمود، وبعض النماذج والأمثلة من نصوص التلمود، التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون وحيا من عند الله تعالى؛ لأنها قائمة على نظرة الاستعلاء والكبرياء على الأمم غير اليهودية، واستعبادها، والتحكم بها، وأن العالم ملك لليهود وحدهم، دون غيرهم، وأن اعتقادهم هذا يعطيهم الحق المطلق في احتلال ما شاءوا من الأرض، وهذا ما يفسر احتلالهم فلسطين على أنها عقيدة تلمودية توراتية، كما سيأتي ذلك في المباحث القادمة.

5- مراحل نقل وتدوين وتحريف التلمود:

قسم د. إبراهيم الدسوقي مراحل نقل وتدوين التلمود إلى أربع مراحل في كل مرحلة منها كان يحدث تحريف للتلمود:

"الأولى: مرحلة المشافهة: استمرت حوالي 800 عام (1250 ق. م - 450 ق. م)،

وقد تم النقل الشفاهي في عصور مناهضة اليهود وتشريدهم، وما ساد حياتهم الاجتماعية والسياسية من فساد وجهالة وأمية، وتأثير القوة المهيمنة عليهم، لا يؤمن معه سلامة النقل.

الثانية: مرحلة الكتابة: (1450 ق. م - 500 ق. م) حوالي ألف عام، ساد فيها إبادة

وتشريد اليهود، وظهور المسيح والمسيحيين، واللجوء إلى التحريف والكذب، ومحاربة المسيحية لليهود، وما ترتب على ذلك من فوضى في النقل والدس في الكتابة.

الثالثة: مرحلة ظهور الإسلام وانتشاره: (ميلاد الرسول ﷺ عام 571م)، وما جرى من

مناهضة ومحاربة اليهود له، وكان من أدوات حربهم له تحريف التوراة والتلمود؛ ليثبتوا فيه ما يناقض ما جاء به محمد ﷺ.

الرابعة: استمرار التحريف من بعد ظهور الإسلام إلى الآن: فاستمر الحاخامات في

التدخل في نصوصه، ومضمونه لأسباب متعددة منها:

1- ما يحمله بعضهم من آراء وأفكار، بجانب ما يراه يناسب العصر والظروف من نصوص قائمة.

2- ما سببه لهم بعض نصوصه ومضمونه من اضطهادات وإبادات، بسبب ما تحمله النصوص من استفزاز لمشاعر المسيحيين، وما يتضمنه من روح عداوية للبشر، وانقلاب للقيم

⁽¹⁾ انظر: الأسفار المقدسة، قدح: ص362-363. وللتوسع في دراسة تعاليم التلمود راجع: الكنز المرصود، والتلمود تاريخه وتعاليمه، خان، وكنوز التلمود، ترجمة محمد خليفة التونسي، والفكر الديني، د. حسن ظاظا.

والموازين العقلية؛ لذلك نجد أنه عند طباعته لأول مرة حوالي 1523م وإلى الآن، فإنه يتخذ كامل الحيطه والحذر فيما يبقى منه وفيما يحذف أو يضاف، ثم لمن يوزع، وبين أي الأوساط يتداول".⁽¹⁾

6- الاختلاف الكبير بين التلمود البابلي والتلمود الفلسطيني:

إن من أعظم الدلائل على أن كلاما ما هو ليس كلام الله أن يكون ذلك الكلام فيه اختلاف كبير بين فقراته وعباراته، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]. وهذا ينطبق تماما على التلمود البابلي والتلمود الفلسطيني الذين يعتبرهما من يؤمن من اليهود بالتلمود مقدسين، وموحى بهما من عند الله تعالى؛ فإن بينهما من الاختلافات ما ينفي نسبتها إلى الله تعالى، وهذه بعض الاختلافات بينهما:

- 1- الخلاف بين التلمود البابلي، والتلمود الفلسطيني شكلا وموضوعا على نص الجمارا؛ فهي في التلمود البابلي أكمل وأشمل، وأعمق منها في التلمود الفلسطيني؛ لذلك فإن اليهود لا يعتدون كثيرا بالتلمود الفلسطيني؛ بينما يعد التلمود البابلي هو الأكثر تداولاً عند اليهود.⁽²⁾
- 2- يرى "ديورانت" أن الجمارا في التلمود البابلي أربعة أمثاله في التلمود الفلسطيني.⁽³⁾
- 3- يرجع د. "منصور" السبب في تفوق التلمود البابلي على التلمود الأورشليمي إلى أمرين، الأول: اشتمال التلمود البابلي على شروح وتفصيلات مستفيضة لجميع مباحث المشنا، عكس التلمود الفلسطيني الذي لم يتناول جميع مباحث المشنا بالشرح والتفسير، والثاني: أن فترة "الأموراثيم" الذين وضعوا التلمود البابلي كانت أطول من فترة "الأموراثيم" الذين وضعوا التلمود الفلسطيني.⁽⁴⁾
- 4- الجمارا البابلية أكمل وأشمل من الجمارا الفلسطينية؛ لذلك فإن التلمود البابلي هو الأكثر تداولاً، وهو الكتاب القياسي عند اليهود؛ ولذا، فحين يُستخدم لفظ "التلمود" بمفرده، محلياً بأداة التعريف؛ فإن المقصود به هو: التلمود البابلي دون سواه، وذلك على أساس الميزة، والأفضلية، والتفوق.⁽⁵⁾

(1) خفايا التلمود، ابراهيم الدسوقي عبد الرحمن: ص 57-58.

(2) انظر: موسوعة المفاهيم، المسيري: ص 141، وترجمة متن التلمود، د. منصور: 17/1.

(3) قصة الحضارة، ول ديورانت: 15/14.

(4) انظر: ترجمة متن التلمود، د. منصور: 17/1.

(5) انظر موسوعة اليهود، المسيري: 126/5.

5- يبلغ عدد كلمات التلمود البابلي مليونين ونصف مليون كلمة في نسخته الأصلية؛ وعلى هذا: فإن حجمه يبلغ ثلاثة أضعاف حجم التلمود الفلسطيني. وقد كُتبت التلمود بأكثر من لغة؛ فالمشناه كُتبت بعبرية خاصة تُسمى: عبرية المشناه، أما الجماراه فكُتبت بالآرامية، (كُتبت الجماراه الفلسطينية باللهجة الآرامية الغربية، أما الجماراه البابلية فكُتبت باللهجة الآرامية الشرقية).⁽¹⁾

6- يمتاز التلمود البابلي بالجدل العقلي العميق والشمولية على التلمود الفلسطيني الذي يكاد يخلو من ذلك، حيث تتسم الشروح الواردة في التلمود الفلسطيني بأنها أقصر وأكثر حرفية وقرباً من النص، وتتأثر بعض المفاهيم القانونية في التلمود البابلي بالقانون الفارسي.

7- يختلف التلمودان في بعض المواضيع الفقهية، كما هو الحال في الموقف من الوثنيين، فقد كان التلمود البابلي أكثر تسامحاً؛ لأن وضع اليهود في بابل كان جيداً، ويذكر التلمود البابلي أن الأغيار خارج فلسطين لا يمكن اعتبارهم من الوثنيين؛ بينما نجد التلمود الفلسطيني يحرم بيع أي سلعة للوثنيين في الأيام الثلاثة التي تسبق أي عيد وثني، وأن علماء بابل حرّموا البيع في أيام العيد الوثني وحسب.

8- يعد تلمود بابل أشمل وأعمق من تلمود فلسطين، ويرجع كثير من المؤرخين سبب ذلك الاختلاف في هذه الناحية إلى طبيعة الظروف التي سادت زمن كتابة كل من التلمودين؛ فتلمود بابل ألف في فترة استغرقت قرناً من الزمان، في سلام وأمن؛ أما تلمود فلسطين فجمع على عجل، وفي ظروف غير مساعدة، بسبب اضطهاد الرومان.

9- يختلف التلمودان في أسلوبهما في دراسة وتحليل المشنا اختلافاً ملموساً، ففي حين يميل التلمود البابلي إلى الإسهاب، نرى أن أسلوب التلمود الأورشليمي يميل إلى الإيجاز، وبينما يميل تلمود بابل إلى التحليل والمقارنة والاستنتاج، فإن التلمود الفلسطيني يميل إلى البرهان والمنطق، وإذا كان تلمود أورشليم لا يلجأ إلى استنباط الفتاوى والقوانين، نرى أن التلمود البابلي يهتم بذلك كثيراً، وبينما لا يحتوي التلمود الفلسطيني إلا على سدس الأساطير -هاجادا-، يحتوي البابلي على حوالي الثلث، وبينما يهتم تلمود بابل بموضوع الملائكة والشياطين، يقتصر التلمود الفلسطيني على بعض إشارات محدودة إلى الشياطين، والسحر والشعوذة.⁽²⁾

10- يقول إبراهيم الدسوقي -في كتابه "خفايا التلمود"-، في معرض حديثه عن الجمارا : "والثابت أن الجمارتين (الفلسطينية والبابلية) ظلنا مبعثرتين ومتأثرتين ومختلفتين عن بعضهما؛

(1) انظر: المصدر السابق: 126/5.

(2) انظر: (6-9) مقدمة التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 32/1-33.

بل ومتضاربتين، ثم تم جمع كل منهما وفصله عن الآخر؛ ولكن حتى بعد جمعهما وتدوينهما لم يسلمتا من الإضافات، فقد عبث بكل منهما يد التعديل والتبديل والحذف والإضافة، على مر الأزمنة، حسب اختلاف ثقافة ومشارب وتوجهات ودوافع الذين تناولتها أيديهم وظروفهم؛ لذلك ليس من الغريب أو المستغرب أن تجد فيهما كثيرا من الوقائع التاريخية الغير مؤكدة والغير دقيقة، وعلى غير ترتيب زمني، كما تضمنت معتقدات لا يقبلها أي عقل، ويجدها كل فكر، ورغم ذلك ظلت تتوارثها الأجيال، وتتعامل بها ومعها أكثر مما تتعامل مع التوراة نفسها؛ ولكن بقي أوجه الاختلافات بين الجمارتين كبيرا؛ بل يزداد اتساعاً⁽¹⁾.

يتبين مما سبق: أن الاختلاف بين التلمودين واضح وكثير، مما يؤكد عدم قدسية التلمود.

7-إضافات وتحريف الأخبار للتلمود:

يقول إبراهيم الدسوقي: "هناك فترات زمنية ظهر فيها من أخبار اليهود من كان له إضافاته الواضحة وجهوده البارزة في الشرح أو الإضافة، ومنهم من كان له أهدافه غير الخافية في تحريفه لمحاربة النصرانية، وتكذيب عيسى عليه السلام، أو النيل من المسيحية، وقد استمر الأخبار في الإضافة، وكذلك في التحريف؛ بل نشطوا بعد ظهور الإسلام وانتشاره، ورأوا فيه خطرا يهددهم، مما يستلزم محاربتة، أو حتى الحد من هذا الانتشار، الذي أصبح خطرا على مكانتهم بين اليهود. وتآمر اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم، وتحالفهم مع المشركين ثابت في السيرة النبوية؛ بل وفي تاريخ المسلمين إلى اليوم.

وعبر المراحل كلها استمر الحاخامات يضيفون إليه من عندياتهم ما يلائم مصالحهم، ويعدلون فيه ويبدلون، ويخفون منه بعض العبارات...وبهذا النظر فإن مسلسل العبث بالتلمود لا يزال مستمرا، وأن صفحات التلمود مازالت مفتوحة للتغيير والتبديل؛ لكنها ليست مفتوحة لكل الناس، ولا حتى لكل اليهود⁽²⁾.

ويقول الدسوقي أيضاً: "وهناك رواية أخرى تقول: إن المشناة لم تدون إلا بعد ظهور المسيح بمائة وخمسين عاما، عندما قام الحاخام (يهودا هناسي) الذي يلقب بالرئيس، وهو حاخام فريسي مقدسي، جمع شروح الفريسيين الذين سبقوه للتوراة في سفر واحد هو المشناة؛ ولكن دارسي التاريخ اليهودي يقولون: إن في المشناة إشارات إلى أحداث ووقائع؛ بل وأسماء لم

(1) خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود، ابراهيم الدسوقي عبد الرحمن: ص72-73.

(2) المصدر السابق: ص48-49.

يكن لها وجود قبل أو في حياة "يهودا هناسي"، بما يعني: أنه حدث إضافة إليها بعد حياته من مآثورات الأمم، واستمرت هذه الإضافات تتوالى لأجيال بعد ذلك.⁽¹⁾

8- التلمود عبارة عن آراء الأخبار، وفيه نقاط متعارضة:

ومما يطعن في قدسية التلمود: أنه عبارة عن آراء الأخبار، وفيه نقاط متعارضة كثيرة، وهذا ما أكده من كتب عن التلمود، من المتخصصين البارزين في الأديان، يقول إبراهيم خليل أحمد في كتابه "إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية": "لم يكن التلمود كتاب قوانين يطلب إلى اليهود إطاعتها جملة وتفصيلاً؛ بل كان سجلاً لآراء الأخبار، جمعه جامعوه ليهتدي به الناس إلى الحياة الصهيونية، وليست كتابة التلمود ثمرة تفكير؛ بل هي التفكير نفسه، فكل الآراء المختلفة دونت فيه، وكثيراً ما تترك النقط المتعارضة دون أن تحل أو تفسر، وكأننا اجتزنا خمسة عشر قرناً من الزمان، كما ننصت إلى نقاش أشد المدارس إخلاصاً للتلمود، ونستمع إلى آراء وكتابات وتفسيرات الأخبار: (عقياً، ومائير، ويهودا هنسيا، ورب) في أثناء جدلهم العنيف".⁽²⁾

ويقول ظفر الإسلام خان: "التلمود مركب عجيب لآراء متناقضة أحياناً، وأمثال وأحكام، وهو يختلف مع التوراة كثيراً في أحكامه. إنه يعتبر الذين يؤمنون بما جاء في التوراة بشأن ذنوب أبناء روبين، وأبناء أيلي، وأبناء صموئيل، أنهم على خطأ. إنه يبيح الربا، وتقديم الأطفال قرباناً لـ"مولوخ"، رغم تحريم التوراة. إنه يبيح الغش، ويعلله بما جاء في التوراة: "مع الطاهر ستكون طاهراً، ومع المتمرد (النجس) ستكون كذلك".⁽³⁾

ويقول د. السيد فرج - بعد أن عرف التلمود بأنه "مجموعة من الروايات الشفوية التي كانت تنقل من جيل إلى جيل، في شؤون العقيدة والشريعة والتاريخ والسير، على السنة أخبار اليهود وفقهائهم، شرحاً وتفسيراً للتوراة"-: "وكانت هذه الشروح تتعرض للوضع والكذب من الناقلين والكتابين والراوين فقد كان كتبة التلمود يكتبون ما شاءوا ويزعمون أن هذا من عند الله".⁽⁴⁾

يتبين مما سبق: أن التلمود ليس كتاب الله تعالى؛ بل هو أقوال وآراء الأخبار، وهي أقوال متناقضة ومتعارضة، وهذا وحده يكفي للحكم على أنه ليس كلام الله تعالى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

(1) خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود، إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن: ص 66-67.

(2) إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية، إبراهيم خليل أحمد: ص 38-39.

(3) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان: ص 90.

(4) اليهود واليهودية، التاريخ والعقيدة والأخلاق، د. السيد فرج: ص 119-121.

9- التعديلات التي تعرض لها التلمود:

منذ عهد موسى عليه السلام إلى اليوم تعرض التلمود لعدة تعديلات، كان أهمها⁽¹⁾:

1- تعديل إسحاق يعقوب الفاسي سنة (1032م-434هـ)

2- تعديل موسى بن ميمون (1180م-576هـ)

3- تعديل يعقوب بن أستير (1430م)

4- تعديل جوزيف كاروا (1488م-1577م)

5- تعديل أبووشاسين (1580م).

ويذكر العلامة (ريفلو)، وهو من الباحثين في الشرائع القديمة في باريس في أوائل القرن

العشرين أن من محتويات التلمود:

- قواعد وأصول مستحدثة مغايرة لما جاء في التوراة.

- العديد من الإضافات زيادة عما جاء في التوراة.

- أن هذه القواعد المستحدثة والإضافات الزائدة التي أدخلها فقهاؤهم و(الأرباب) إنما نقلوها عن شرائع البلدان الأخرى المجاورة لهم، أو المتغلبة عليهم، حيث كان لزاما عليهم أن يوفقوا بينها وبين ما جاء في توراتهم، كذلك صاغوا تلمودهم بما يضمن لهم الوفاق مع من حولهم مراعاة لمصالحهم وأمنهم، فكان عليهم أن يسرعوا في اقتباس الأحكام، ويطوعوها، ويصبغوها بصبغتهم، وإضفاء القداسة عليهم؛ لذلك نجد أن التلمودينقل من مذاهب الشرائع القديمة والجديدة في زمن تدوينه؛ ولأنهم تشتتوا وانتشروا في العديد من البلاد، سواء في عهد السبي البابلي، أو فتوحات الرومان لفلسطين ومصر، فعن طريق اختلاط اليهود بأهل بابل، ثم الرومان في فلسطين، كما في مصر قبل الخروج وبعده؛ إلا أن ما يجب ذكره أن أخذهم عن غيرهم إنما كان أخذًا انتقائيًا بما يتفق مع توجهاتهم ونزعات نفوسهم العنصرية، عنصرية الديانة والجنس، بما يضمن لهم الأمان.⁽²⁾

يتبين مما سبق: أن التلمود ليس كتابا مقدسا من عند الله تعالى، طالما فيه ما فيه مما

سبق ذكره؛ من اختلاف الفرق اليهودية قديما وحديثا على قدسيته، والاعتراف به، ومن الاختلاف الكبير بين فقراته وعباراته بين التلمودين (البابلي الفلسطيني)، وأنه عبارة عن أقوال وآراء الأحرار، وهي أقوال متناقضة ومتعارضة، فيصدق عليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

(1) انظر (1-5): خفايا التلمود، ابراهيم الدسوقي عبد الرحمن: ص 99-100.

(2) انظر: المصدر السابق: ص 100-101.

الفصل الثاني

الانحراف العقدي والأخلاقي عند اليهود، وأثره على الواقع الفلسطيني.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة اليهود في الإله، والأنبياء، وأثرها في نقضهم للاتفاقيات مع الفلسطينيين.

المبحث الثاني: عقيدة اليهود في الأرض المقدسة، وأثرها على الفلسطينيين.

المبحث الثالث: الانحراف الأخلاقي عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين.

الفصل الثاني

الانحراف العقدي والأخلاقي عند اليهود، وأثره على الواقع الفلسطيني.

المبحث الأول

عقيدة اليهود في الإله، والأنبياء، وأثرها في نقضهم الاتفاقيات مع الفلسطينيين.

تمهيد:

إن تحريف اليهود للتوراة، وتزويرهم لها، والادعاء بأنها من عند الله عز وجل نتج عنه: انحراف في عقيدتهم في قضايا الإيمان وأركانه. وفي هذا المبحث: سيكون الحديث عن عقيدتهم في الله تعالى، وعقيدتهم في الأنبياء، كنموذج لذلك الانحراف العقدي الذي عليه اليهود، وسيكون الحديث فيه أيضاً عن أثر ذلك الانحراف في معاملتهم للفلسطينيين.

المطلب الأول: عقيدة اليهود في الإله.

إن لليهود نظرة خاصة فيما يتعلق بالإله، لا تختلف كثيراً عن نظرة الأقوام الآخرين، الذين يعبدون آلهة شتى؛ ففي عهد موسى عليه السلام انحرف اليهود عن التوحيد الذي أمرهم به موسى عليه السلام، فقد عبدوا الأوثان، واخترعوا لإلههم صورة خاصة بهم، وأطلقوا عليه اسم (يهوه)، الذي لا يهيمه غير اليهود (شعب الله المختار)، فمما ذكرته التوراة عن (يهوه): "وَقَالَ اللَّهُ أَيُّضًا لِمُوسَى: هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهُوهَ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، هَذَا اسْمِي إِلَى الْأَبَدِ، وَهَذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ قَدُورٍ".⁽¹⁾

فهذا النص من التوراة يبين أن لبني إسرائيل إلهاً خاصاً بهم، اسمه (يهوه). وهذا الاسم من إضافات اليهود وتحريفاتهم؛ لأنه يستحيل أن يتصف الإله بهذه الصفة (أن يكتفي بألوهيته لبني إسرائيل فقط)، وهذا ما تؤكد توراة السامرة، فالنص فيها يختلف، وليس فيه ذكر للفظه (يهوه)، فنقول: "وخاطب الله موسى، وقال له: أنا الله، وتجليت لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب بالقادر الكافي، واسمي (الله) ما ناحيتهم. وأيضاً بنتت عهدي معهم؛ لإعطاء لهم أرض كنعان، تجاوزهم التي استجاروا بها"⁽²⁾.⁽³⁾

⁽¹⁾ سفر الخروج: 15/3.

⁽²⁾ سفر الخروج: 2/6-4، التوراة السامرية، النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية: ص 119-120.

⁽³⁾ انظر: دراسات في الأديان، د. الشنطي: ص 52.

أولاً: مظاهر انحراف عقيدة اليهود كما وردت في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم كثير من مظاهر انحراف اليهود في عقيدتهم في الإله الحق، منها:

- 1- الشرك بالله في العبادة، كعبادتهم للعجل بعد ذهاب موسى ﷺ للقاء ربه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: 51]
 - 2- جرأتهم على الله تعالى في وصفهم له بالفقر والبخل، كقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: 181]، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: 64].
 - 3- القول على الله بغير علم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: 80]، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 111].
 - 4- زعمهم أن الله تعالى تعب من خلق السموات والأرض، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: 38]، ذلك لكمال قوته.
 - 5- نسبتهم الابن إلى الله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30].⁽¹⁾
- وعزير هذا الذي ذكره القرآن الكريم هو عزرا الذي أوجد توراة موسى بعد أن ضاعت، فبسبب ذلك وبسبب إعادته بناء الهيكل سُمِّي عزرا ابن الله.⁽²⁾

ثانياً- الأمور التي يقوم عليها إيمان اليهود بالإله:

يقوم إيمان اليهود بإلههم على أمرين⁽³⁾:

الأول: تجسيم الإله.

إن الطبيعة اليهودية طبيعة مادية، تميل إلى التجسيم، والتشبيه، والتمثيل، والأمثلة على

ذلك كثيرة، ومنها:

- 1- علقوا إيمانهم بموسى على رؤية الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 55].
- 2- طلبوا من موسى ﷺ أن يجعل لهم إلهاً محسوساً، كما للوثنيين، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138].

(1) انظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد الحمد: ص 91.

(2) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي: 501/1-502، مراجعة: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.

(3) انظر: الأسفار المقدسة، قدح: ص 366، ودراسات في الأديان، د. الشنطي: ص 53-62 بتصرف.

3- بعد ذهاب موسى ﷺ للقاء ربه عبدوا عجلًا جسداً من دون الله تعالى، ونسبوا صناعته إلى هارون ﷺ، ففي سفر الخروج: "وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: فِيمَ اصْنَعُ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونَ: انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاثْنِي بِهَا. فَفَرَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا...".⁽¹⁾؛ ولكن القرآن الكريم نزه هارون ﷺ عن تهمة الشرك التي نسبها اليهود إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أُوزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: 83-88].

فهارون ﷺ بريء من شركهم، والحق أن السامري هو الذي صنع لهم هذا العجل.

مما سبق يتبين: أن إيمان اليهود بالإله يقوم على تصورهم المادي لكل شيء، ومن ذلك: تصورهم للإله، حيث يتصورونه جسماً مادياً، يشبه أجسام المخلوقين؛ فليس هو الإله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]، كما هو الحق في العقيدة الإسلامية الصحيحة، التي لم يصبها التحريف الذي أصاب عقيدة اليهود في إلههم الذي يتصورونه.

الثاني: الصفات البشرية للإله في عقيدة اليهود:

وردت في أسفار العهد القديم نصوص كثيرة تجسم الخالق، وتشببهه بالإنسان، وتصفه بكثير من صفات الحوادث والنقص، التي يتمتع وصفه بها، إلى غير ما هناك من الأمور التي تستبعد العقل، وتمنع وقوعها من قبل الله سبحانه، وتنزهه عنها.

ومن الصفات التي وصف بها الإله في العهد القديم ما يأتي:

1- النزول إلى الأرض لينظر المدينة والبرج: "فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَا بَنُو آدَمَ يَبْنِيَانِهِمَا. وَقَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا شَعْبٌ وَاحِدٌ وَلِسَانٌ وَاحِدٌ لَجَمِيعِهِمْ، وَهَذَا ابْتِدَاؤُهُمْ بِالْعَمَلِ".⁽²⁾

(1) سفر الخروج: 5-1/32.

(2) سفر التكوين: 6-5/11.

2- الندم: حيث ندم الرب أن جعل شاول ملكا على بني إسرائيل كما في سفر صموئيل الأول: "وَلَمْ يَعْذُ صَمُوئِيلُ لِرُؤْيَةِ شَاوُلَ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ، لِأَنَّ صَمُوئِيلَ نَاحَ عَلَى شَاوُلَ. وَالرَّبُّ نَدِمَ لِأَنَّهُ مَلَّكَ شَاوُلَ عَلَى إِسْرَائِيلَ".⁽¹⁾

1-الراحة بعد التعب: ففي سفر التكوين: "فَأَكْمَلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. وَفَرَعَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ، فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ، وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لِأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا".⁽²⁾ ولقد رد الله عز وجل عليهم زعمهم هذا بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:38].

2- الأسف والحزن:

جاء في سفر التكوين: "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرٍ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ، فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمِ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لِأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ".⁽³⁾

3- إثبات الأبوة لله عزوجل.

جاء في سفر التكوين: "وَحَدَّثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْتُمُونَ عَلَى الْأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لَأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. فَقَالَ الرَّبُّ: لَا يَبْدِينِ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبَدِ، لِزَيْغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. كَانَ فِي الْأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوُلِدَ لَهُمْ أَوْلَادًا، هَؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنذُ الدَّهْرِ دَوُو اسْمًا".⁽⁴⁾

4- الضعف والعجز في مصارحته يعقوب عليه السلام:

ففي سفر التكوين: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَحَذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقٌّ فَحَذِيَ يَعْقُوبُ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ، وَقَالَ: أَطْلَفْنِي،

⁽¹⁾ سفر صموئيل الأول: 35/15.

⁽²⁾ سفر التكوين: 3-1/2، وانظر: الخروج 11/20-12.

⁽³⁾ سفر التكوين: 7-5/6.

⁽⁴⁾ سفر التكوين: 4 - 1 / 6.

لَأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ. فَقَالَ: لَا أَطْلُقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي، فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ، فَقَالَ: لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ".⁽¹⁾

6- الاستفادة من الضحايا المقدمة لله.

جاء في سفر الخروج: "وَتَقَطَّعُ الْكَبْشَ إِلَى قِطْعِهِ، وَتَغْسِلُ جَوْفَهُ وَأَكَارِعَهُ وَتَجْعَلُهَا عَلَى قِطْعِهِ وَعَلَى رَأْسِهِ، وَتُقَدُّ كُلُّ الْكَبْشِ عَلَى الْمَذْبَحِ. هُوَ مُحْرَقَةٌ لِلرَّبِّ. رَائِحَةُ سُرُورٍ، وَقُدُّ هُوَ لِلرَّبِّ"⁽²⁾

7- رؤية الله حقيقة في الدنيا.

نسب اليهود رؤية الله تعالى إلى بعض الأنبياء، مثل: يعقوب، وموسى، كما نسبوا ذلك إلى شعبهم، ففي سفر التكوين: "فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ "فَنِيئِيلَ" قَائِلًا: لِأَنِّي نَظَرْتُ اللَّهَ وَجْهًا لَوَجْهِهِ، وَنَجَّيْتُ نَفْسِي".⁽³⁾

وأيضاً في سفر الخروج: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمْ الْيَوْمَ وَغَدًا، وَلْيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، وَيَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ. لِأَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَنْزِلُ الرَّبُّ أَمَامَ عُيُونِ جَمِيعِ الشَّعْبِ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ".⁽⁴⁾

8- وصف الله بالجهل وعدم العلم: "وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الْإِلَهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الْإِلَهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنادى الرَّبُّ الْإِلَهَ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ".⁽⁵⁾

مما سبق يتبين: أن عقيدة اليهود في إلههم تقوم- زيادة على ما سبق- على تجسيم الخالق، وتشبيهه بالإنسان، ووصفه بكثير من صفات النقص التي تعترى الإنسان، والتي ينتزه الله تعالى عنها، بما يدل على انحراف عقيدتهم وفسادها، وبالتالي تحريف العهد القديم الذي يستند إليه اليهود في اعتقاداتهم.

ثالثاً-الإله في التلمود.

وصف التلمود الله تعالى بصفات البشر؛ فهو يبكي، ويلبس التمام، ويجلس على عرش يحيط به طائفة من الملائكة، يقومون على خدمته.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ سفر التكوين: 24/32 - 28.

⁽²⁾ سفر الخروج: 29 / 17، 18، 19 - 25.

⁽³⁾ سفر التكوين: 30/32.

⁽⁴⁾ سفر الخروج: 10/19 - 11.

⁽⁵⁾ سفر التكوين: 3/8 - 9.

⁽⁶⁾ انظر: قصة الحضارة، ديورانت: 14/18 - 19.

يقول التلمود: "إن النهار اثنتا عشرة ساعة: في الثلاث الأولى منها: يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاث الثانية: يحكم، وفي الثلاث الثالثة: يطعم العالم، وفي الثلاث الأخيرة: يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك".⁽¹⁾

وقال مناخم: "إنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة، ومع (اسموديه) ملك الشياطين في مدرسة في السماء، ثم ينصرف (اسموديه) منها بعد صعوده إليها كل يوم). والحوت كبير جداً، يمكن أن يدخل في حلقه سمكة طولها 300 فرسخاً، بدون أن تضايقه. وبالنسبة لحجمه الكبير رأى الله أن يحرمه زوجته؛ لأنه إن لم يفعل ذلك لامتلأت الدنيا وحوشاً أهلكت من فيها؛ ولذلك حبس الله الذكر بقوته الإلهية، وقتل الأنثى، وملحها، وأعدّها لطعام المؤمنين في الفردوس.

ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعد ما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها، وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزار كالأسد قائلاً: (تباً لي؛ لأنني صرحت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل، ونهب أولادي، وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط، بعد أن كن ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان".⁽²⁾

إن التلمود - وهو الكتاب المقدس الثاني بعد العهد القديم - لا يقل شناعة في وصفه الإله عن وصف العهد القديم له؛ بما يدل على أن التلمود صناعة يهودية رديئة؛ لأنه يستحيل أن يكون الخالق على نفس صفات المخلوقين التي يصفه بها التلمود، ومن قبله العهد القديم.

المطلب الثاني

نقض اليهود العهود والمواثيق مع الله تعالى.

أولاً: المقصود بنقض العهد:

1- النقض لغة:

النقض: مصدر نقضته، أنقضه نقضاً، وهو مأخوذ من مادّة (ن ق ض) التي تدلّ على نكث شيء، والنقض في الشعر من هذا، ونقض العهد منه أيضاً.⁽³⁾

⁽¹⁾ الكنز المرصود، ترجمة: د. يوسف نصر الله: 35/1.

⁽²⁾ انظر: الكنز المرصود، ترجمة: د. يوسف نصر الله: 35/1، وبنو إسرائيل، د. مهران: 355/2-356.

⁽³⁾ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: 378/5.

قال الرازي: "نَقَضَ البناء والحبل والعهد: من باب نصر. و (النقاضة) بالضم: ما نقض من حبل الشعر، و (المناقضة) في القول: أن يتكلم بما (يتناقض) معناه، و (الانتقاض): الانتكاث. و (النقض) بالكسر (المنقوض)⁽¹⁾

2- النقض اصطلاحاً:

هو: انتثار العقد من البناء والحبل والعقد، وهو ضد الإبرام، ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد.⁽²⁾

وقال القرطبي: "النقض: إفساد ما أبرمته من بناء أو حبل أو عهد".⁽³⁾

3- العهد لغة:

من الفعل: عَهَدَ، يقال: عَهَدَ إليه، يَعْهَدُ عَهْدًا. والعَهْدُ: المَوْثِقُ، وجمعه: عُهُودٌ. ويكون العَهْدُ فِي أَشْيَاءٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَمِنْهَا: الحِفاظُ، ورعاية الحُرْمَةِ، والوصيَّةُ، وَمِنْهُ: قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يس: 60]، يَعْنِي: الوصيَّةُ، والعهد: الأمان، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) [البقرة: 124].⁽⁴⁾

4- العهد اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "العهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، هذا أصله، ثم استعمل في الموثق الذي تلزم مراعاته، وهو المراد".⁽⁵⁾

5- عهد الله اصطلاحاً:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) [البقرة: 27]: "واختلف الناس في تعيين هذا العهد، فقيل: هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهره، وقيل: هو وصية الله تعالى إلى خلقه، وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه على السنة رسله، ونقضهم ذلك: ترك العمل به، وقيل: بل نصب الأدلة على وحدانيته بالسّموات والأرض وسائر الصنعة هو بمنزلة العهد، ونقضهم: ترك النظر في ذلك، وقيل: هو ما عهده إلى من أوتي الكتاب أن يبيّنوا نبوة محمد ﷺ، ولا يكتموا أمره، فالآية على هذا في أهل الكتاب. قال أبو إسحاق الرّجّاج: عهده- جَلَّ وَعَزَّ- ما أخذه على

⁽¹⁾ مختار الصحاح، الرازي: ص 318.

⁽²⁾ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: 821.

⁽³⁾ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 246/1.

⁽⁴⁾ انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: 102/1-103، وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى

الهروي، أبو منصور: 98/1. والصحاح: تاج اللغة، وصاح العربية، الجوهري: 515/2.

⁽⁵⁾ التعريفات، الجرجاني: ص 159.

النَّبِيِّينَ وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ: أَلَّا يَكْفُرُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودليل ذلك: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) [آل عمران: 81] إلى قوله تعالى: (وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي)، أي: عهدي".⁽¹⁾

6- نقض العهد اصطلاحاً:

عدم الوفاء بما أعلن الإنسان الالتزام به أو قطعه على نفسه من عهد أو ميثاق، سواء فيما بينه وبين الله تعالى، أو فيما بينه وبين الناس.⁽²⁾

ثانياً: معنى الميثاق:

1- الميثاق لغة:

الميثاق: العهد، مِفْعَالٌ مِنَ الْوَثَاقِ صَارَتْ الْوَاوُ يَاءً لَانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا. وَهُوَ فِي الْأَصْلِ حَبْلٌ، أَوْ قَيْدٌ يُشَدُّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالِدَابَّةَ.

والجمع: الموثائق، والميثاق، والميثاق، والميثاق. والموثق: الميثاق، والموثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: (وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقْتُمْ بِهِ) [المائدة: 7]، وأوثقته في الوثاق، أي: شده. قال تعالى: (فَشُدُّوا الْوَثَاقَ) [محمد: 4]، والوثاق بكسر الواو لغةً فيه، والوثيق: الشيء المحكم، ويُقال: اسْتَوَثَقْتُ مِنْ فُلَانٍ، وَتَوَثَّقْتُ مِنَ الْأَمْرِ، إِذَا أَخَذْتَ فِيهِ بِالْوَثَاقَةِ، وَاسْتَوَثَقْتُ مِنْهُ، أَي: أَخَذْتَ مِنْهُ الْوَثِيقَةَ، وَأَخَذَ الْأَمْرَ بِالْأَوْثَاقِ، أَي: الْأَشَدَّ الْأَحْكَمَ، وَالْمَوْثِقُ مِنَ الشَّجَرِ: الَّذِي يُعَوَّلُ النَّاسُ عَلَيْهِ إِذَا انْقَطَعَ الْكَلَاءُ وَالشَّجَرُ، وَنَاقَةٌ وَثِيقَةٌ، وَجَمَلٌ وَثِيقٌ، وَنَاقَةٌ مُوَثَّقَةٌ الْخَلْقِ: مُحْكَمَةٌ.⁽³⁾

2- الميثاق اصطلاحاً:

قال القرطبي: "الميثاق هو العهد المؤكّد باليمين".⁽⁴⁾

3- الميثاق الذي أخذه الله على بني إسرائيل: هو العهد المؤكّد الشديد، بأن يعملوا بما أمرهم الله به، وينتهوا عما نهاهم الله عنه مما ذكر في التوراة⁽⁵⁾ التي فيها شريعتهم التي اختارها لهم، وليقبلنها بجد ونشاط.⁽⁶⁾

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 246/1.

(2) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: 5632/11.

(3) انظر: الصحاح: تاج اللغة، وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الجوهري، الفارابي: 1563/4، و مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي: ص 332، ولسان العرب، ابن منظور: 372/10-373.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 247/1.

(5) انظر: جامع البيان، الطبري: 362/9، وتفسير القرآن العظيم، بن كثير: 447/2.

(6) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: 124/6.

ثالثاً: أمثلة من العهد القديم على نقض اليهود المواثيق والعهد مع الله تعالى:

ورد في العهد القديم نصوص كثيرة فيها نقض بني إسرائيل العهد مع الله تعالى، في كثير من الأحداث التي تعرضوا لها؛ فعاقبهم الله تعالى لنقضهم العهد معه، من هذه النصوص:

1- "وَكَانَ كَلَامُ الرَّبِّ إِلَيْهِ يَقُولُ: مَا لَكَ هَهُنَا يَا إِبْرَائِيلَ؟ فَقَالَ: قَدْ غَرْتُ غَيْرَةَ لِلرَّبِّ إِلَهِي الْجُنُودِ، لِأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيْتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا".⁽¹⁾

ورد في شرح العهد القديم كيفية نقض العهد في هذا النص كما يلي:

1- تركوا عهد الرب، مع أنهم مارسوا العلامة الظاهرة للعهد، وهي الختان.

2- تركوا عبادة الرب وخدمته.

3- اضطهدوا خدامه وأنبياءه.

4- لم يهجروا مذابح الرب فحسب؛ بل هدموها ونقضوها.

هذه المذابح أقامها أناس صالحون غير قادرين على الذهاب إلى أورشليم، ويرفضون التبعد للعجلين أو للبعل؛ مع أن هذه المذابح تحطم وحدة الجماعة المقدسة؛ لكن التزم بها أناس صالحون حتى لا يُحرموا من تقديم الذبائح. بنوها وهم مخلصون في محبتهم لله".⁽²⁾

2- "وَقَالَ الرَّبُّ لِي: تَوَجَّدَ فِتْنَةٌ بَيْنَ رِجَالِ يَهُودَا وَسَكَّانِ أُورُشَلِيمَ. قَدْ رَجَعُوا إِلَيَّ أَنَا أَبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَبَوْا أَنْ يَسْمَعُوا كَلَامِي، وَقَدْ ذَهَبُوا وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا. قَدْ نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُودَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ. لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَانَذَا جَالِبٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهُ، وَيَصْرُخُونَ إِلَيَّ فَلَا أَسْمَعُ لَهُمْ".⁽³⁾

ورد في شرح هذا النص ما يأتي: "يوضح الله سر غضبه على خطاياهم، ألا وهو

نقضهم للعهد معه، فهو يريد أن تكون معاملاته مع شعبه على مستوى الأب مع بنيه، والعريس مع عروسه المحبوبة لديه، الساكنة معه في بيته؛ وليس كسيدٍ أمرٍ ناهٍ".⁽⁴⁾

3- "قُلْ لِلْبَيْتِ الْمُتَمَرِّدِ: أَمَا عَلِمْتُمْ مَا هَذِهِ؟ قُلْ: هُوَذَا مَلِكٌ بَابِلَ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ أُورُشَلِيمَ وَأَخَذَ مَلِكَهَا وَرُؤَسَاءَهَا وَجَاءَ بِهِمْ إِلَيَّ إِلَى بَابِلَ. وَأَخَذَ مِنَ الزَّرْعِ الْمَلِكِيِّ وَقَطَعَ مَعَهُ عَهْدًا وَأَدْخَلَهُ فِي قَسَمٍ،

⁽¹⁾ سفر الملوك الأول: 9/10-10.

⁽²⁾ تفسير الكتاب المقدس-العهد القديم- من تفسير وتأملات الآباء الأولين القمص تادرس يعقوب، موقع الأنبا تكلا هيمنوت [/https://st-takla.org](https://st-takla.org)

⁽³⁾ سفر إرميا: 9/11-11.

⁽⁴⁾ تفسير الكتاب المقدس-العهد القديم- من تفسير وتأملات الآباء الأولين القمص تادرس يعقوب، موقع الأنبا تكلا هيمنوت [/https://st-takla.org](https://st-takla.org)

وَأَخَذَ أَقْوِيَاءَ الْأَرْضِ، لِيَتَكُونَ الْمَمْلَكَةُ حَقِيرَةً وَلَا تَرْتَفِعَ، لِتَحْفَظَ الْعَهْدَ فَتَنْتَبِتَ. فَتَمَرَّدَ عَلَيْهِ بِإِرْسَالِهِ رُسُلَهُ إِلَى مِصْرَ لِيُعْطُوهُ خَبِلاً وَشَعْبًا كَثِيرِينَ. فَهَلْ يَنْجَحُ؟ هَلْ يُفْلِتُ فَاعِلٌ هَذَا؟ أَوْ يَنْقُضُ عَهْدًا وَيُفْلِتُ؟ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنَّ فِي مَوْضِعِ الْمَلِكِ الَّذِي مَلَكَهُ، الَّذِي أزدري قِسْمَهُ وَنَقَضَ عَهْدَهُ، فَعِنْدَهُ فِي وَسْطِ بَابِلٍ يَمُوتُ". (1)

ورد في شرح هذا النص ما يأتي: "لم يترك الرب الأحجبة غامضة؛ بل قدم للبيت المتمرد تفسيرها؛ حتى لا يكون لهم عذر في اندفاعهم على الاتكال على فرعون مصر وجيوشه، وقد ركز في التفسير على خطورة كسر العهد ونقضه، والحنث بالقسم، حتى وإن كان مع ملك وثني؛ مما اضطر الرب نفسه إلى التدخل لتأديبهم بالهزيمة. لقد أكد أن الخراب لا يتم بقوة بشرية؛ بل قام الله نفسه ضدّهم لتأديبهم. هكذا اعتبر الله أن القسم قسمه هو، والحنث به إهانة له شخصياً، فلا يقدر فرعون بكل جيوشه أن ينقذه من يد الرب، ولا من يد نبوخذ نصر، وأن الذي يسطاده في شبكته هو الرب، فيحمله إلى بابل ليموت هناك، مقابل خيانتة للعهد. سيسقط هو ومشيروه وجيشه بالسيف، وبقية الشعب يُسبى، ويشنت في كل ربح". (2)

وفي شرح آخر للنص: "وبهذا نفهم المقصود، أن الله قصد إخضاع شعبه، واستعبادهم لملك بابل؛ لتأديبهم على خطاياهم، وإخضاعهم له؛ بسبب تمردهم عليه، وعبادتهم للأوثان، واغتصاب حق الضعفاء، والمساكين الضعفاء، وخفض كبريائهم". (3)

4- "وَقُلْ لِلْمُتَمَرِّدِينَ، لِيَبَيِّنَ إِسْرَائِيلُ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: يَكْفِيكُمْ كُلُّ رَجَاسَاتِكُمْ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، بِإِدْخَالِكُمْ أَبْنَاءَ الْعَرِيبِ الْعُلْفَ الْقُلُوبِ الْعُلْفَ اللَّحْمَ لِيَكُونُوا فِي مَقْدِسِي، فَيَنْجَسُوا بَيْتِي بِتَقْرِيْبِكُمْ خُبْرِي الشَّحْمِ وَالْدَّمِ. فَتَنْقُضُوا عَهْدِي فَوْقَ كُلِّ رَجَاسَاتِكُمْ". (4)

ورد في شرح هذا النص ما يأتي: "في عتاب حازم كشف الرب للاولين أخطاءهم الماضية؛ ليس فقط ليتداركوها فلا يسقطوا فيها في المستقبل؛ وإنما بالأكثر لكي يعوضوا السنوات الماضية الشريرة بالجهاد الإيجابي، لحساب ملكوت الله. وكأن توبتهم لا تقف عند كفهم عن الشر؛ بل بالأحرى تلزمهم باستخدام الطاقات والمواهب والوقت إلخ... التي كانت تعمل لحساب الشر؛ لكي تُستخدم لحساب ملكوت الله... حصر أخطاءهم في أمرين:

(1) سفر حزقيال: 16-12/17.

(2) تفسير الكتاب المقدس-العهد القديم- من تفسير وتأملات الآباء الأولين القمص تادرس يعقوب، موقع الأنبا تكلا هيمنوت [/https://st-takla.org/](https://st-takla.org/)

(3) شرح الكتاب المقدس -العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري، موقع الأنبا تكلا هيمنوت [/https://st-takla.org/](https://st-takla.org/)

(4) سفر حزقيال: 44/6-7.

أولاً : إهمالهم في حراسة بيت الرب، حراسة أقداسه، وإقامة حراس يحرسون عنهم هذه المقدسات، فدخل إلى بيته غرباء، غلف القلب والجسد معاً، ينجسون بيته! ليس شيء أمرّ على قلب الله من أن يهمل الكهنة والخدام بيت الرب، حتى يصبح الموضع الذي فيه يكمن سرّ القداسة هو بعينه مكاناً للشر! لقد حذر الرب كثيراً في العهدين أن من يفسد هيكل الله سيفسده الرب، وأن من يُسيّب المرأة إيزابل تغوى أولاده وتفسد مقدساته يززع الرب منارته... كما أن إهمال اللاويين في الحراسة يلزمهم بالتوبة أن يعودوا إلى حراسة بيت الرب.

ثانياً: لقد خدم اللاويون الشعب أثناء عبادة الأصنام، وأعثروهم؛ لهذا وجب عليهم بالتوبة أن يذبخوا للرب من أجل الشعب؛ لكي يردوا العائرين. وكأنه يليق بنا في توبتنا، لا أن نرجع فقط عن سقطاتنا؛ بل ونرد الذين تعثروا بسببنا، وذلك من خلال خدمتنا المقدسة لهم في الرب".⁽¹⁾

رابعاً: أمثلة من القرآن الكريم على نقض اليهود الموائيق، والعهود مع الله تعالى:

لا يوجد قوم مثل اليهود في الاستخفاف بالعهود والموائيق، وفي عدم مراعاتها، أو الالتزام بها، وفي جرأتهم عليها، والقيام بنقضها.

وقد ذكر القرآن الكريم نماذج من العهود والموائيق التي أخذت على اليهود ونقضوها، بعضها جاء بلفظ "الميثاق"، وبعضها جاء بلفظ "العهد"، وبعضها لم يرد فيها لفظ "الميثاق"، ولكن تحمل في طياتها معنى الميثاق:

- أما الآيات التي ورد فيه لفظ (الميثاق)، فهذه نماذج منها:

1- آيات ذكرت أن الله تعالى أخذ الميثاق على بني إسرائيل أن يؤمنوا بالتوراة جملة، ويعملوا بما فيها تفصيلاً، مثل:

أ- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِنَسَمَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 93].

ب- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [البقرة: 63-64].

قال الطبري في هذه الآية-: "قال ابن زيد: لما رجع موسى من عند ربه بالألواح قال لقومه بني إسرائيل: إن هذه الألواح فيها كتاب الله، فيه أمره الذي أمركم به، ونهيه الذي نهاكم

(1) تفسير الكتاب المقدس-العهد القديم- القمص تادرس يعقوب، موقع الأنبا تكلا هيمنوت

[/https://st-takla.org](https://st-takla.org)

عنه، فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله حتى نرى الله جهرة، حتى يطلع الله إلينا، فيقول: هذا كتابي، فخذوه! فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى، فيقول: هذا كتابي فخذوه؟ قال: فجاءت غضبة من الله، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم، فماتوا أجمعون. قال: ثم أحياهم الله بعد موتهم، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله، فقالوا: لا، قال: أي شيء أصابكم؟ قالوا: متنا ثم حيينا! قال: خذوا كتاب الله، قالوا: لا، فبعث ملائكته فننقت الجبل فوقهم، فقيل لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعم، هذا الطور، قال: خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم، قال: فأخذوه بالميثاق⁽¹⁾.

2- آيات ذكرت أن الله تعالى أخذ ميثاق بني إسرائيل على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره، وأن يحسنوا إلى الوالدين، ويصلوا الأرحام، ويحسنوا إلى الأيتام، والمساكين، ويخاطبوا الناس بالحسنى، ويقيموا الصلاة، ويؤدوا زكاة أموالهم، من هذه الآيات: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 83].

لكن اليهود نكثوا عهدهم مع الله ونقضوا ميثاقه، بعدما أخذ ميثاقهم على الوفاء له، فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولوا عنه معرضين، إلا من عصمه الله منهم، فوفى الله بعهده وميثاقه، وهذا معنى قوله تعالى -في هذه الآيات-: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ)⁽²⁾.

3- آيات ذكرت أن الله تعالى أخذ ميثاق بني إسرائيل ألا يقتل بعضهم بعضاً، وألا يخرجوا غيرهم من قومهم من ديارهم، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [البقرة: 84-85].

فقد أخذ الله تعالى الميثاق -كما في هذه الآية- على بني إسرائيل ألا يقتل بعضهم بعضاً، ولا يخرجوه من منزله، ولا يعاون أحداً عليه، فأقروا بمعرفة هذا الميثاق وصحته، وشهدوا به؛ ولكنهم نقضوا ذلك الميثاق، وفعلوا ما هو ضده⁽³⁾.

(1) جامع البيان، الطبري: 157/2. هذا الأثر عن بني إسرائيل، لا يخالف القرآن؛ بل هو إلى الموافقة أقرب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 155].

(2) انظر: المصدر السابق نفسه: 298/2.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 319/1.

4- آيات ذكرت أن الله أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَيَبَيِّنَنَّ للناس ما أنزل إليهم من ربهم ولا يكتُمونه، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187].

قال الطبري في معناها: " (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ)، لَيَبَيِّنَنَّ للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم، وهو التوراة والإنجيل، وأنتك لله رسول مرسل بالحق، ولا يكتُمونه (فنبذوه وراء ظهورهم)، يقول: فتركوا أمر الله وضيعوه، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك، فكتُموا أمرك، وكذبوا بك (واشتروا به ثمنًا قليلًا)، يقول: وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتُموه من أمر نبوتك، عوضًا منه خسيسًا قليلًا من عرض الدنيا".⁽¹⁾

-أما الآيات التي ورد الحديث فيها بلفظ (العهد)، فهذه نماذج منها:

1- آية تشير إلى تأصل نقض العهد في النفسية اليهودية المريضة، واستمراره طيلة المسيرة اليهودية الحاقدة الناقضة للعهود والمواثيق، وجمَعَتْهُ مع نقضهم العهد بالإيمان بالرسول محمد ﷺ إذا بعث، واتباعه، وتبيين أمره للناس، وهي: قوله تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 100-101]⁽²⁾.

يقول الطبري-في تفسير هذه الآية-: "وأما العهد، فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم لَيَعْمَلُنَّ بما في التوراة مرة بعد أخرى، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى، فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك، وعير به أبناءهم، إذ سلخوا منهاجهم في بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالإيمان به من أمر محمد ﷺ من العهد والميثاق، فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعته وصفته، فقال تعالى ذكره: أو كلما عاهد اليهود من بني إسرائيل ربهم عهدًا، وأوثقوه ميثاقًا... (نبذوه فريق منهم): طرحه فريق منهم، فتركه، ورفضه، ونقضه... وأما "النبذ": فإن أصله -في كلام العرب- الطرح".⁽³⁾

و قال د. الخالدي -معقبا على هذه الآية-: "والذي يلفت النظر في الآية كلمة (كلما)، وهي تدل على أن نقض العهد عملية متكررة عند يهود، فكل عهد يعقدونه يقومون بنقضه، مهما كان الطرف الآخر الذي عقده معه؛ لأن (كلما) حرف يفيد التكرار والاستمرار، ويدل على

⁽¹⁾ جامع البيان، الطبري: 459/7.

⁽²⁾ انظر: الشخصية اليهودية، د. صلاح الخالدي: ص 243-244.

⁽³⁾ جامع البيان، الطبري: 401-400/2.

تحقق وتوفر وجود جوابها عند وجود شرطها، (كلما) حرف شرط، وفعلها في الآية(عاهدوا عهدا)، فيتكرر وجود الجواب بتكرار وجود الفعل.

والعجيب في الآية أنها تدل على خبث ومكر اليهود في نقض العهود، فعندما يعقدون عهدا لا يقومون جميعا بنقضه؛ وإنما ينقضه فريق منهم، والآخرون قد يتبرأون من هذا الفريق الناقض، وقد يعلنون معارضتهم لفعله، مع أنهم هم الذين رتبوا الأدوار، وأوحوا إلى الناقض بذلك. إنه مكر يهودي حاقداً، واضح في تاريخ يهود".⁽¹⁾

مما سبق يتبين: أنه لا يوجد قوم مثل اليهود في الاستخفاف بالعهد والمواثيق، وفي عدم مراعاتها، أو الالتزام بها، وفي جراتهم عليها، والقيام بنقضها. وهذا خلق متأصل في النفسية اليهودية، فاليهود موسومون بالغدر، ونقض العهود، وكما أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم، فنقضوا. وكما عاهدهم رسول الله ﷺ، فلم يفوا بالعهد. وأن نقض العهد عملية متكررة عند اليهود، فكل عهد يعقدونه يقومون بنقضه، مهما كان الطرف الآخر الذي عقده معه، وأن دين اليهود، وطبعهم، وعاداتهم نبذ العهود، ونقضها.

المطلب الثالث

عقيدة اليهود في الأنبياء عليهم السلام

أخبرنا الله تعالى عن كيفية تعامل اليهود مع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم إليهم، ولاتهامهم أنفسهم، فهم ما بين مُكذِّبين لهم أو قاتلين. قال الله تعالى منكرًا على اليهود هذا التصرف منهم: ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:87].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:21].

ومن الأنبياء المقتولين على يد اليهود: زكريا، ويحيى عليهما السلام، وتآمروا على قتل عيسى عليه السلام؛ لكن الله تعالى نجاه من كيدهم، ورفعاه إلى السماء⁽²⁾، وكذلك حاولوا قتل رسول الله ﷺ مرارًا، كما في أحداث غزوة بني النضير، وسمّوا الشاة وقدموها له.⁽³⁾

⁽¹⁾ الشخصية اليهودية، د. الخالدي: ص244.

⁽²⁾ انظر: موسوعة البحوث المنبرية <http://www.alminbar.net>

⁽³⁾ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يُذكر في سُمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، 139/7، حديث رقم

(5777)، والرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري: ص236، دار العصماء - دمشق، ط1، 1427هـ.

أولاً: خصائص النبوة عند اليهود:

للنبوة عند اليهود خصائصها التي تختلف عن نظرة المسلمين إليها، ويعطون النبوة معنى مختلفاً عن معناها الحقيقي والصحيح عند المسلمين، فمن هذه الخصائص:

أ- عدم التفريق بين النبوة والرسالة، فهما اسمان لمسمى واحد.

ب- الخلط بين النبوة وبين عدة ظواهر أخرى، مثل: الكهانة، والعرافة، والسحر، وتفسير الأحلام، والتنبؤ؛ وذلك واضح في تعدد أصناف الأشخاص الذين ينتسبون إلى النبوة في التاريخ الديني اليهودي.⁽¹⁾

يقول د. البار: "يُفاجأ من يطالع العهد القديم بالأعداد الكبيرة للأنبياء، وهم يطلقون لفظ نبي على كل شخص يتنبأ بأمور المستقبل، ووظيفة النبي عندهم **تشبه وظيفة المنجمين**، حتى إنهم زعموا: أن لكل ملك من ملوك مملكة يهوذا أو مملكة إسرائيل مجموعة كبيرة من الأنبياء، يتنبأون له عما ينبغي أن يفعله؛ هل يقاتل، أم لا؟ هل يخرج لملاقاة العدو، أم يمكث في المدينة؟ هل يسافر إلى المنطقة الفلانية، أم يؤخر السفر؟".⁽²⁾

ج- اتصال النبوة بالملك؛ بحيث يجعلون النبوة تحتلّ مكان الملك، ففي أحيان كثيرة أصبح الأنبياء يحتلون مكان الملوك في إدارة شؤون اليهود؛ السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأخلاقية، ويقررون مصائرهم زمن السلم، وزمن الحرب⁽³⁾، من ذلك ما ذكره قاموس الكتاب المقدس من أن طاعة بني إسرائيل لموسى ما كانت إلا لاعتقادهم في قيادته وسلطته عليهم، بصفته أنجح القواد الحربيين عليهم؛ لا لكونه نبياً مرسلًا فقط.⁽⁴⁾

د- اختصاص النبوة ببني إسرائيل وحدهم، دون غيرهم من البشر؛ إذ لا يعترفون بأنبياء غير أنبيائهم؛ عدا أيوب عليه السلام، حتى إبراهيم وإسحاق ويعقوب يعتبرونهم من أنبيائهم؛ أما عن نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فينكرونها أشدّ الإنكار، ويقيّمون الشبه الزائفة على ذلك.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر (أ، ب): موسوعة البحوث المنبرية <http://www.alminbar.net>

⁽²⁾ أباطيل التوراة، د. البار: ص 222-223.

⁽³⁾ انظر: سفر الخروج: 17 / 13. وموسوعة البحوث المنبرية <http://www.alminbar.net>

⁽⁴⁾ انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص 930، مع اعترافهم بنبوته.

⁽⁵⁾ موسوعة البحوث المنبرية <http://www.alminbar.net>

ثانياً: طرق تحصيل النبوة في عقيدة اليهود:

لتحصيل النبوة في عقيدة اليهود طرق كثيرة وغريبة، منها:

1- **اللمس:** انتقال النبوة من نبي لآخر أمر معروف من أنبياء بني إسرائيل إلى غيرهم من البشر العاديين بمجرد اللمس، فإذا وضع نبي يده على آخر ليهبه النبوة فإنه يتنبأ دون أن يختصه الله بذلك.⁽¹⁾

2- الضرب بالدفوف، وعزف الناي، والرقص:

من نساء بني إسرائيل من يحملن رسالة النبوة، وهن يتنبأن بالدفوف والناي، وترقص النساء من ورائهن⁽²⁾، كأمثال: مريم أخت موسى وهارون، وقد ذكرت أسفار العهد القديم عدداً من هؤلاء النسوة اللاتي ادّعين النبوة، ومنهن: (دبورة) التي كانت قاضية لبني إسرائيل، وقائدة وحاكمة في عصر القضاة، و(خلدة) أيضاً نبية، وقد ظهرت في عصر الملك (يوشياهو) في مملكة يهوذا في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وغيرهن الكثير.⁽³⁾

3- التنبؤ الجماعي.

حدثت هذه الطريقة مع النبي صموئيل، فقد جاء في سفر صموئيل الأول: "فَهَرَبَ دَاوُدُ وَنَجَا وَجَاءَ إِلَى صَمُوئِيلَ فِي الرَّامَةِ وَأَخْبَرَهُ بِكُلِّ مَا عَمِلَ بِهِ شَاوُلُ. وَذَهَبَ هُوَ وَصَمُوئِيلُ وَأَقَامَا فِي نَائِيَتٍ. فَأَخْبَرَ شَاوُلُ وَقِيلَ لَهُ: هُوَذَا دَاوُدُ فِي نَائِيَتٍ فِي الرَّامَةِ. فَأَرْسَلَ شَاوُلُ رُسُلًا لِأَخْذِ دَاوُدَ. وَلَمَّا رَأَوْا جَمَاعَةَ الْأَنْبِيَاءِ يَتَنَبَّأُونَ، وَصَمُوئِيلَ وَأَقْفًا رَئِيسًا عَلَيْهِمْ، كَانَ رُوحُ اللَّهِ عَلَى رُسُلِ شَاوُلَ فَتَنَبَّأُوا هُمْ أَيْضًا. وَأَخْبَرُوا شَاوُلَ، فَأَرْسَلَ رُسُلًا آخَرِينَ، فَتَنَبَّأُوا هُمْ أَيْضًا. ثُمَّ عَادَ شَاوُلُ فَأَرْسَلَ رُسُلًا ثَالِثَةً، فَتَنَبَّأُوا هُمْ أَيْضًا."⁽⁴⁾

(1) انظر: سفر العدد: 25/11، والسنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، شرح سفر العدد، القس وليم

مارش: ص39، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1973م.

(2) النص في ذلك: "فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدَّفَّ بِيَدِهَا، وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ. وَأَجَابَتْهُمُ مَرْيَمُ: رَيَّمُوا لِلرَّبِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَعَظَّمَ. الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ طَرَحَهُمَا فِي الْبَحْرِ". سفر الخروج: 15 / 20-

21، وانظر: قاموس الكتاب المقدس: ص850، وسفر العدد: 26 / 59، وصموئيل الأول: 10 / 5، وسفر الخروج: 68 / 25، وسفر القضاة 11 / 24، وسفر المزمير: 4 / 150.

(3) انظر: أباطيل التوراة، د. البار: ص223-224.

(4) سفر صموئيل الأول: 19/18-21.

2- التعري والانطراح على الأرض.

وهذا ما حصل مع شاول أمام صموئيل: "فَدَهَبَ هُوَ أَيْضًا إِلَى الرَّامَةِ وَجَاءَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي عِنْدَ سِيخُو وَسَأَلَ وَقَالَ: أَيْنَ صَمُوئِيلُ وَدَاوُدُ؟ فَقِيلَ: هَا هُمَا فِي نَائُوتَ فِي الرَّامَةِ. فَدَهَبَ إِلَى هُنَاكَ إِلَى نَائُوتَ فِي الرَّامَةِ، فَكَانَ عَلَيْهِ أَيْضًا رُوحُ اللَّهِ، فَكَانَ يَذْهَبُ وَيَتَنَبَّأُ حَتَّى جَاءَ إِلَى نَائُوتَ فِي الرَّامَةِ. فَخَلَعَ هُوَ أَيْضًا نِيَابَهُ وَتَنَبَّأَ هُوَ أَيْضًا أَمَامَ صَمُوئِيلَ، وَأَنْطَرَحَ عُرْيَانًا ذَلِكَ النَّهَارَ كُلَّهُ وَكُلَّ اللَّيْلِ. لِذَلِكَ يَقُولُونَ: أَشَاوُلُ أَيْضًا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ؟" (1)

3- الخداع، والخيانة، والكذب، والتحايل.

ونبي هذه الطريقة - كما تزعم التوراة- يعقوب عليه السلام، حيث تزعم التوراة خيانة ومخادعة النبي الكريم يعقوب عليه السلام لأبيه، وكذبه عليه؛ لتحصيل البركة والنبوة بدل عيسو أخيه، ولم يستطع إسحاق مباركة عيسو بعد مخادعة يعقوب له. (2)

ثالثاً- كثرة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، والحكمة في ذلك.

من النعم الكثيرة التي امتن الله بها على بني إسرائيل: كثرة الأنبياء المرسلين إليهم. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام، فيما ذكر به قومه نعم الله عليهم وآلاءه لديهم، في جمعه لهم خير الدنيا والآخرة لو استقاموا على طريقتهم المستقيمة، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ أي: كلما هلك نبي قام فيكم نبي، من لدن أبيكم إبراهيم وإلى من بعده. وكذلك كانوا، لا يزال فيهم الأنبياء يدعون إلى الله ويحذرون نقمته، حتى ختموا بعيسى عليه السلام، ثم أوحى الله إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وهو أشرف من كل من تقدمه منهم عليه السلام". (3)

ففي هذه الآية الكريمة بيان واضح على كثرة أنبياء بني إسرائيل، الذين أرسلهم الله تعالى إليهم، وهي نعمة من نعم الله تعالى الكثيرة عليهم؛ ولكنهم لم يحفظوها، ولم يصونها؛ بل كفروا بها، وجحدوها.

(1) صموئيل الأول: 22/19-24.

(2) انظر القصة كاملة: سفر التكوين: 1/27-29.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 72/3.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ".⁽¹⁾

قال ابن حجر في شرح الحديث: "أي: أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد؛ بعث الله لهم نبياً يقيم لهم أمرهم، ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة".⁽²⁾

فالحكمة من كثرة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام هي: كثرة انحرافهم، وفسادهم، وتعقيد نفسياتهم، وسوء أخلاقهم، وتمكن الشر والإيذاء من نفوسهم؛ بحيث صعب علاجهم وإصلاحهم، فلا يكاد يقدر على هذا إنسان عادي، مهما بلغ من الصلاح والتقوى والصبر والحكمة والفتنة؛ فاحتاج الأمر إلى أن يكون الأنبياء هم الذين يتولون هذا.⁽³⁾

رابعاً: صفات الأنبياء في العهد القديم:

وصف العهد القديم الأنبياء بأرذل الصفات وأحط الأخلاق، وهو أمر غريب جداً؛ إذ أن الأنبياء هم خير البشر وصفوتهم؛ ولكن اليهود أرادوا أن يبرروا لأنفسهم ارتكاب الجرائم. فإذا كان الأنبياء خونة، لصوصاً، ومخادعين، وكذبة، وزناة؛ فمن باب أولى أن يكونوا هم كذلك، ولا لوم عليهم، ولا عتاب!!⁽⁴⁾

وقد وصف العهد القديم الأنبياء بصفات كثيرة تطعن في نبوتهم، وتصفهم بارتكاب الكبائر؛ فضلاً عن الصغائر، ومن أهم هذه الصفات ما يلي:

1- شرب الخمر والتعري:

اتهموا بهذه الصفة نبي الله نوح عليه السلام، حيث زعم اليهود في كتابهم أن نوحاً عليه السلام، شرب الخمر وتعري داخل خبائه، ففي سفر التكوين: "وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَالْحَا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكَرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافِثُ الرَّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَى إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَ عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجَّهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدُ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخُوْتِهِ. وَقَالَ: مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَاْفِثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ."⁽⁵⁾

(1) رواه البخاري: 169/4، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم 3455 .

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: 497/6.

(3) انظر: الشخصية اليهودية، د. الخالدي: ص 116-117.

(4) انظر: أباطيل التوراة، د. البار: ص 224.

(5) سفر التكوين: 9/20-27.

ففي هذه الرواية أن نوحاً عليه السلام شرب الخمر وتعرى، وأن (حاماً) لم يستر عورة أبيه، ومن ثم دعا نوح على (كنعان)، وهو واحد من أبناء (حام).

وبالنظر في هذه الرواية بدقة يتبين مدى التلفيق والخداع الذي سلكه اليهود لتبرير تصرفاتهم، فلماذا يسكر نوح عليه السلام ويتعرى، ولا يستره حام، وتقع اللعنة على كنعان؟ هل العدل يقتضي أن يؤخذ الابن باثم والده؟ وهذا خلاف ما جاء في التوراة؛ ففي حزقيال "النفس التي تخطئ هي تموت. ألاين لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. برُّ البار عليه يكون، وشرُّ الشرير عليه يكون".⁽¹⁾

ومع التسليم بأن الابن يحمل إثم الأب، لماذا يحمل كنعان على وجه الخصوص إثم والده حام دون إخوته الأربعة؟ وهذا ما تذكره التوراة "وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَائِيمُ وَقُوطُ وَكَنْعَانُ"⁽²⁾، فلماذا لم يحمل ابنه كوش، أو قوط، أو مصرايم؟! ولكن هذه الرواية المكذوبة جاءت لتبرير عداوة اليهود لحام وبنيه بشكل عام، وللكنعانيين (الفلسطينيين) على وجه الخصوص؛ وبذلك يتبين لنا أصل عداوة اليهود للعرب والفلسطينيين؛ فهي ذات أصول تورانية محرفة.⁽³⁾

2- الزنا بالمحارم:

من الأنبياء الذين وصفهم العهد القديم بهذه الصفة: نبي الله لوط عليه السلام، حيث افتري عليه بأنه عليه السلام قد زنى بابنتيه؛ الكبرى، والصغرى، وأن البنيتين أنجبتا من ذلك الزنى⁽⁴⁾، وقد ذكر الله عز وجل لنا صلاح لوط عليه السلام وأهل بيته، وطهارتهم، على لسان أعدائه، فقال جلَّ وعلا: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْغِضُونَ﴾ [النمل: 56].

3- الكذب والاحتيال لنيل البركة:

من الأنبياء الذين وصفهم العهد القديم بهذه الصفة: يعقوب عليه السلام، حيث ذكر أنه احتال لأخذ النبوة والبركة من أبيه إسحاق عليه السلام لنفسه.⁽⁵⁾

4- الشرك بالله:

من الأنبياء الذين وصفهم العهد القديم بهذه الصفة: هارون عليه السلام الذي ادعى أنه صنع العجل لبني إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته "وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمْ اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى

(1) سفر حزقيال: 20/18.

(2) سفر التكوين: 6/10.

(3) انظر: أباطيل التوراة، د. البار: ص 225-227، والأسفار المقدسة، قدح: ص 367.

(4) انظر القصة كاملة: سفر التكوين: 30/19-38.

(5) انظر القصة كاملة: سفر التكوين: 27/18-29.

الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاثُونِي بِهَا. فَفَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالْإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ".⁽¹⁾

فهل يعقل أن نبيًا أرسله الله لدعوة قومه إلى عبادة الله وحده يصنع لقومه عجلاً، ويدعوهم إلى عبادته؟! وقد بيّن الله عزّ وجلّ في القرآن أن الذي صنع لهم العجل هو السامري، قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه:85]؛ أما هارون عليه السلام فقد قام بواجبه من ناحية نهيه عن عبادة العجل، قال جلّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ [طه:90].

5- الزنا والقتل:

زعم العهد القديم أن داود عليه السلام زنى بامرأة أحد قادة جيشه، اسمه (أوريا)، وحبلت من ذلك الزنى، ثم إنه تسبب في مقتل زوجها، حيث أمر أن يُجعل في مقدمة الجيش؛ حتى يعرضه للقتل، ثم بعد مقتل زوجها تزوّجها، ومات ذلك المولود الأول، ثم حبلى مرة أخرى، فأنجبت النبي سليمان عليه السلام.⁽²⁾

6- عبادة الأصنام:

زعم العهد القديم أن سليمان عليه السلام تزوّج بنساء مشركات، يعبدن الأصنام، ثم هو عبد الأصنام معهم، وبنى للأصنام أيضاً معابد لعبادتها.⁽³⁾ وهذا افتراء كبير من افتراءات اليهود على أنبياء الله تعالى، وكذبهم عليهم، وهذا من أقوى أدلة تحريف العهد القديم.

مما سبق يتبين فساد عقيدة اليهود في أنبيائهم، وانحرافها عن العقيدة الصحيحة، التي تؤكد على أن الأنبياء والرسل هم صفوة الله من خلقه، وأنهم معصومون من ارتكاب صغائر الذنوب؛ فضلا عن كبائرها.

وقد يسأل سائل لماذا طعن اليهود في أنبيائهم، وقد كان لهم الفضل العظيم عليهم بعد فضل الله فيما نالوا من خير الدنيا وعزّها؟

⁽¹⁾ سفر الخروج: 32/5-5.

⁽²⁾ انظر القصة كاملة: سفر صموئيل الثاني: 11/2-5.

⁽³⁾ انظر القصة كاملة: سفر الملوك الأول: 11/1-10.

والجواب: أن أولئك المحرفين للتوراة أرادوا أن يبرروا ما هم فيه من فساد وانحراف وفسق، فألصقوا أنواعاً من التُّهم بأنبيائهم، حتى لو احتجَّ عليهم أحد بانحرافهم؛ احتجوا له بأن النبي الفلاني عمل كذا وفعل كذا، كذباً وزوراً، وأيضاً ليخدموا غرضاً في نفوسهم، كما ورد في طعنهم في نبي الله نوح ولوط عليهما السلام. وقد عبر القرآن عن هذا الموقف أجمل تعبير، فقال الله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسْتَ بِرَأْيِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: 79].

المطلب الرابع

نقض اليهود المواثيق والعهد مع الأنبياء عليهم السلام.

لقد اشتهر اليهود في تاريخهم الطويل مع أنبيائهم بنقض العهد معهم، وهذه بعض النصوص التي تؤكد هذه الخصلة فيهم:

أولاً: نصوص العهد القديم في نقض اليهود عهودهم مع أنبيائهم:

1- جاء في سفر الخروج أن الرب كلم موسى، قائلاً له: "قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عِبَادِيَّتِهِمْ وَأَخْلِصُكُمْ بِذِرَاعِ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامِ عَظِيمَةٍ، وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا. فَتَعَلَّمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ. وَأَدْخِلُكُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا الرَّبُّ".⁽¹⁾

فماذا كان رد بني إسرائيل على نبيهم موسى عليه السلام؟ إنهم لم يسمعوا قوله "فَكَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ هَكَذَا، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى".⁽²⁾

يقول القس وليم مارش في معنى (لم يسمعوا لموسى): "أي لم يصدقوا موسى، ولم يلتفتوا إلى كلامه، فتغيروا عما كانوا عليه في أول الأمر"⁽³⁾، واستدل على هذا المعنى من فقرة سابقة على هذا النص، وهي "فَأَمِنَ الشَّعْبُ... خَرُوا وَسَجَدُوا".⁽⁴⁾

وفي نص آخر قريب من النص السابق في عدم سماعهم كلام موسى عليه السلام "فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَكَذَا، وَالنَّقَطُوا بَيْنَ مُكْثَرٍ وَمَقْلَلٍ. وَلَمَّا كَالُوا بِالْعُمُرِ، لَمْ يُفْضِلِ الْمُكْثَرُ وَالْمَقْلَلُ لَمْ يُنْقِصْ. كَانُوا قَدِ انْقَطُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أَكْلِهِ. وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: لَا يُبْقِ أَحَدٌ مِنْهُ إِلَى الصَّبَاحِ.

⁽¹⁾ سفر الخروج: 6/2-8.

⁽²⁾ سفر الخروج: 6/9.

⁽³⁾ السنن القويم، القس وليم مارش: ص30.

⁽⁴⁾ سفر الخروج: 31/4. السنن القويم، القس وليم مارش: ص30.

لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى، بَلْ أَبْقَى مِنْهُ أَنَا إِلَى الصَّبَاحِ، فَتَوَلَّدَ فِيهِ دُودٌ وَأَنْتَنَ. فَسَخَطَ عَلَيْهِمْ مُوسَى". (1)

إن عدم سماع بني إسرائيل لقول موسى ﷺ في النصين السابقين هو نقض لعهد الإيمان به وبكلامه، الذي هو وحي من الله تعالى.

2- ورد في سفر ملاحي "أَمَا أَنْتُمْ فَحَدِّثُوا عَنِ الطَّرِيقِ وَأَعْتَرِثُمْ كَثِيرِينَ بِالشَّرِيعَةِ. أَفَسَدْتُمْ عَهْدَ لَآوِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَأَنَا أَيْضًا صَيَّرْتُكُمْ مُحْتَقَرِينَ وَدَنِيئِينَ عِنْدَ كُلِّ الشَّعْبِ، كَمَا أَنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا طُرُقِي بَلْ حَابَيْتُمْ فِي الشَّرِيعَةِ. أَلَيْسَ أَبٌ وَاحِدٌ لِكُلِّنَا؟ أَلَيْسَ إِلَهٌ وَاحِدٌ خَلَقَنَا؟ فَلِمَ نَعْذُرُ الرَّجُلَ بِأَخِيهِ لِتَدْنِيْسِ عَهْدِ آبَائِنَا؟". (2)

جاء في شرح هذا النص: "لكون عهدي مع لاوي؛ فهم أعباء من أجل الآباء. كان عهد الله مع آبائهم عهداً للحياة والسلام، فإله أفرزهم لنفسه، وأعطاهم أن يكونوا خداماً له، يلتزمون بخدمته، فيكون لهم سلام في هذا العالم، وحياة أبدية. وقد أعطى الله سبط لاوي هذه الكرامة لتقواهم، فمنهم موسى وهارون. وهم قد أظهروا شجاعة ضد من عبدوا العجل الذهبي...؛ ولأنهم أفسدوا عهد لاوي، أي: أفسدوا الكهنوت، وخانوا الأمانة، ولم يحفظوا هم أنفسهم الوصية (لَمْ تَحْفَظُوا طُرُقِي)...؛ بل حابيتهم في الشريعة". (3)

ويقول القس وليم مارش في شرح النص السابق: "ما أعظم الفرق بين لاوي -كما هو مصور هنا-، والكهنة في زمان ملاحي، فإنهم أعتروا كثيرين بالشريعة؛ لأنه لما رأى الناس سلوكهم احتقروا الكهنة، واحتقروا الشريعة أيضاً؛ لأن الشعب لا يميزون بين الكلام والمتكلم، فيرفضون التعليم بسبب سلوك المعلم، وأفسدوا عهد لاوي بما أنهم قصروا عن إتمام الواجبات المطلوبة منهم بموجب وظيفتهم، فيقصر الرب عن منح البركات الموعود بها". (4)

فإفساد بني إسرائيل عهد لاوي هو نقض لعهدهم مع أنبيائهم من سبط لاوي، فقد كان موسى وهارون عليهما السلام من سبطهم، كما هو وارد في الشرح السابق.

3- جاء في سفر الخروج "ثُمَّ ارْتَحَلَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَرِّيَّةِ سِينَ بِحَسَبِ مَرَاكِبِهِمْ عَلَى مُوجِبِ أَمْرِ الرَّبِّ، وَتَزَلُّوا فِي زَفِيدِيمَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِيَشْرَبِ الشَّعْبُ. فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَقَالُوا: أَعْطَوْنَا مَاءً لِنَشْرَبَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: لِمَاذَا تُخَاصِمُونِي؟ لِمَاذَا تُجْرِبُونَ الرَّبَّ؟ وَعَطِشَ

(1) سفر الخروج: 17/16-20.

(2) سفر ملاحي: 2/8-10 (يراجع)

(3) شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري <https://st-takla.org>

(4) السنن القويم، القس وليم مارش: ص5.

هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَذَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِنُثَمِّتَنَا وَأَوْلَادَنَا وَمَوَاشِينَا بِالْعَطَشِ؟".⁽¹⁾

جاء في شرح هذا النص: "وفي رفيديم أيضاً تذمر الشعب على موسى قائلين: "لماذا أصعدتنا من مصر لنثميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش" في هذه المرة صرخ موسى بقلبه، كما بلسانه، قائلاً: "ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرحمونني؟!..." صرخ موسى لله مؤمناً أن النعمة الإلهية تفوق كل إمكانيات الطبيعة؛ إذ يستطيع الله بطريقة أو بأخرى أن يروي ظمأ هذا الشعب".⁽²⁾

وفي شرح آخر لهذا النص: "هذا التذمر يثبت أن فهمهم، أو إيمانهم مازال ضعيفاً، وهم مازالوا في حاجة لمزيد من الامتحانات والتجارب، حتى يثبت إيمانهم... هذه المرة صرخ موسى بلسانه؛ وليس بقلبه فقط".⁽³⁾

وفي نص آخر قريب من هذا النص "فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَيْتَنَا مِتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمْ أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذَا الْقَفْرِ لِكَيْ نُثَمِّتَا كُلَّ هَذَا الْجُمْهُورِ بِالْجُوعِ".⁽⁴⁾

جاء في شرح هذا النص: "إن التذمر جزء من طبيعة هذا الشعب؛ إذ يتسلط على قلوبهم، ويبررونه، بسبب أو بآخر... لم يكن الجوع هو السبب في التذمر؛ بل كان ذلك طبعهم، فإنهم حتى بعد أن قدم لهم هذا الطعام اليومي الطازج الذي لا يتعبون فيه لم يكفوا عن التذمر؛ بل عادوا ليكون قائلين: "من يطعمنا لحمًا؟".⁽⁵⁾

وجاء في شرح آخر: "هنا يتذمر شعب إسرائيل بسبب نقص الطعام، لدرجة أن قالوا: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، أي: ليتنا متنا مع المصريين في أثناء الضربات التي أصابهم بها الرب؛ فالموت السريع في نظرهم أفضل من الموت البطيء بالجوع في الصحراء، وتذكروا أكل مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم... على أن الجوع لم يكن هو السبب في

⁽¹⁾ سفر الخروج: 3-1/17.

⁽²⁾ تفسير الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص تادرس يعقوب [/https://st-takla.org](https://st-takla.org)

⁽³⁾ شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري [/https://st-takla.org](https://st-takla.org)

⁽⁴⁾ سفر الخروج: 3-2/16.

⁽⁵⁾ تفسير الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص تادرس يعقوب [/https://st-takla.org](https://st-takla.org)

التذمر؛ بل كان طبعهم الرديء هو السبب، فحتى بعد أن أعطاهم الله المن، فشبعوا عادوا للتذمر، وقالوا عن المن: إنه خبز وطعام سخيف، واشتهوا اللحم".⁽¹⁾

والتذمر هنا سواء كان على موسى وهارون عليها السلام، أو على موسى عليه السلام وحده، أو على أنبياء آخرين هو دين وطبع بني إسرائيل، كما ورد في نصوص عديدة، وكما في شرح هذه النصوص، وهو نوع من أنواع نقض العهد؛ حيث كان المفترض فيهم أن يسمعو ويطيعوا أمر أنبيائهم في كل شيء، ومنه هذا الأمر، وهو: الأكل من هذا الطعام الذي أنزله الله تعالى إليهم، وعدم الاعتراض عليه؛ بل يلزمهم الصبر في ذلك؛ لكنهم -كما حكى القرآن الكريم عنهم- لم يصبروا ﴿وَأَذُ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61].

وفي الآية بيان وتأکید واضح لسبب الذلة والمسكنة التي ضربها الله عليهم، وغضبه الذي باؤوا به، هذا السبب هو: كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وهذا قمة النقص لعهدهم مع أنبيائهم.

4- ورد في سفر نحيا "وَعَصَوْا وَتَمَرَّدُوا عَلَيْكَ، وَطَرَحُوا شَرِيعَتَكَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ الَّذِينَ أَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ لِيُرِدُّوهُمْ إِلَيْكَ، وَعَمَلُوا إِهَانَةً عَظِيمَةً. فَدَفَعْتَهُمْ لِيَدِ مُضَائِقِيهِمْ فَضَايِقُوهُمْ. وَفِي وَقْتِ ضَيْقِهِمْ صَرَخُوا إِلَيْكَ، وَأَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ سَمِعْتَ، وَحَسَبَ مَرَاغِمِكَ الْكَثِيرَةَ أَعْطَيْتَهُمْ مُخْلَصِينَ خَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ مُضَائِقِيهِمْ. وَلَكِنْ لَمَّا اسْتَرَاخُوا رَجَعُوا إِلَىٰ عَمَلِ الشَّرِّ فُذَّامَكَ، فَتَرَكْتَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ، فَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ ثُمَّ رَجَعُوا وَصَرَخُوا إِلَيْكَ، وَأَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ سَمِعْتَ وَأَنْقَذْتَهُمْ حَسَبَ مَرَاغِمِكَ الْكَثِيرَةَ أحيانًا كثيرة. وَأَشْهَدْتَ عَلَيْهِمْ لِيُرِدَّهُمْ إِلَىٰ شَرِيعَتِكَ، وَأَمَّا هُمْ فَبَعَوْا وَلَمْ يَسْمَعُوا لَوْصَايَاكَ وَأَخْطَأُوا ضِدًّا أَحْكَامِكَ، الَّتِي إِذَا عَمَلَهَا إِنْسَانٌ يَحْيَا بِهَا. وَأَعْطَوْا كِتَابًا مُعَانِدَةً، وَصَلَّبُوا رِقَابَهُمْ وَلَمْ يَسْمَعُوا. فَاحْتَمَلْتَهُمْ سِنِينَ كَثِيرَةً، وَأَشْهَدْتَ عَلَيْهِمْ بِرُوحِكَ عَنْ يَدِ أَنْبِيَائِكَ فَلَمْ يُصْغُوا".⁽²⁾

وفي سفر إرميا "لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ كُلُّكُمْ عَصَيْتُمُونِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لِباطِلِ ضَرَبْتُ بَنِيكُمْ. لَمْ يَقْبَلُوا تَأْدِيبًا. أَكَلْ سَيْفُكُمْ أَنْبِيَاءَكُمْ كَأَسَدٍ مُهْلِكٍ".⁽³⁾

⁽¹⁾ شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري <https://st-takla.org>

⁽²⁾ سفر نحيا: 9/26-30.

⁽³⁾ سفر إرميا: 2/29-30.

جاء في شرح هذا النص: "لأنهم عصوا الرب وخاصموه ضريبهم، وهو ضرب حتى الشبان منهم، فهم قد تقسوا كالكبار، وهم قتلوا أنبياء الله، فكانوا كأسد يلتهم ضحيته بفرح ولذة؛ ولكن بعد الضربات البسيطة التي استعملها الله لم يتوبوا".⁽¹⁾

هذا النص صريح وواضح في نقضهم العهد مع أنبيائهم؛ ليس باللفظ، أو بعدم الاستماع إليهم، كما في النصوص السابقة؛ بل بأعظم وأشد من ذلك؛ بقتلهم والقضاء عليهم.

ثانياً- نصوص القرآن الكريم في نقض اليهود الموائيق والعهد مع أنبيائهم عليهم السلام.

تميز اليهود بنقض العهد والموائيق التي كانوا يعاهدون عليها، قال تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100]، ومن جملة هذه العهود والموائيق التي أخذت عليهم ونقضوها، ولم يوفوا بها: عهودهم وموائيقهم مع الله تعالى تجاه أنبيائهم؛ وذلك: (بالإيمان بهم، وتعزيرهم)، أي: توقييرهم، وطاعتهم، ونصرتهم.⁽²⁾

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ...﴾ [المائدة: 12].

ومن الأمثلة على نقضهم ذلك الميثاق؛ بعدم توقييرهم واحترامهم وطاعتهم لأنبيائهم⁽³⁾:
1- إيذاؤهم نبي الله موسى ﷺ مع أنه أنقذهم من ظلم فرعون، واتهامهم إياه في نفسه وجسمه واستقامته، وافترائهم عليه، ورفضهم أوامره وتوجيهاته. وكم عنفهم موسى ﷺ، وأغلظ لهم القول، وأنكر عليهم هذا الإيمان المزاجي! قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ اللَّهُ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69].

قال الطبري -جامعاً المعاني الواردة في تفسيرها، وما قيل في إيذاء موسى ﷺ:-
"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص. وجائز أن يكون كان: ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله: إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا".⁽⁴⁾
فإيذاء بني إسرائيل لنبيهم موسى ﷺ هو نقض للعهد مع أنبيائهم، بتوقييرهم واحترامهم؛ لأن هذا الإيذاء يتنافى ويتعارض مع التوقير والاحترام.

⁽¹⁾ شرح الكتاب المقدس -العهد القديم- القمص أنطونيوس فكري [/https://st-takla.org](https://st-takla.org)

⁽²⁾ انظر: جامع البيان، الطبري: 120/10.

⁽³⁾ انظر الأمثلة (1-3) بدون التدليل عليها، ولا تفصيلها: الشخصية اليهودية، د. الخالدي: ص 183-184.

⁽⁴⁾ جامع البيان، الطبري: 335/20.

2- رفضهم أوامر هارون عليه السلام، بعدم عبادة العجل، واقتراؤهم عليه؛ بادعائهم أنه هو الذي أمرهم بذلك، وأنه عبد العجل معهم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [طه: 90-91].
قال ابن كثير: "فاتبعوني" أي: فيما أمركم به، واتركوا ما أنهاكم عنه. {قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى} أي: لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه. وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه".⁽¹⁾

إذن هارون عليه السلام كان قد حذرهم من عبادة العجل، وطلب منهم أن يطيعوه في هذا الأمر؛ لكنهم خالفوا أمره، وعبدوا العجل، فكانوا بذلك مخالفين العهد والميثاق مع أنبيائهم: بطاعتهم وتوقيرهم واحترامهم؛ بل زادوا الطين بلة، فاتهموا هارون عليه السلام في التوراة المحرفة أنه هو الذي صنع لهم ذلك العجل، وأمرهم بعبادته؛ بل قام بعبادته معهم.⁽²⁾

3- حينما أخبرهم نبي من أنبيائهم أن الله اختار لهم طالوت ملكا، وبعد أن قادمهم طالوت للجهاد نقضوا العهد معه، وانسحبوا من جيشه. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا بِآيَةٍ نَكُونُ بِكَ فَاعْتَمِدْنَا بِكَ وَاللَّيْلَةَ نَأْتِيكَ مِنْ بَيْنِ الْأَنْجَارِ فَجَاءَهُمْ نَبِيُّهُمْ فَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ظُفِّرُوا كُمُومًا وَاجْتَمِعُوا يَوْمَ يُنَادِي الْمَلَأُ فَمُرَّ كَتِفَيْكُمْ وَجَمِعُوا يُخَالِفُوا عَهْدَ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ نُوحًا وَقَالَ نَبِيُّهُمْ لِيُذْهِبْ عَنْكُمْ آلِهَاتِكُمْ إِنَّهُمْ عَلَى آلِهَاتِهِمْ لَكَاذِبُونَ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا فَظَنُّوا أَنَّهُ لَغْوٌ يُسْتَعْزَمُ بِكُمُومٍ فَاسْتَفْتَاهُ عَلَيْهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعِ آلِهَاتِنَا فَاسْتَجِبْ لَهُمْ مَا جِئْتُم بِهَا مِنَ الْآيَاتِ فَاسْتَفْتَاهُ عَلَيْهِمْ قَالُوا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّمَا تَأْتِيكُمْ بِالْبَاطِلِ أَعِزَّةٌ تُؤْتِيكُمْ بِآيَاتِنَا وَقَوْمٌ لَكُمْ آيَاتٌ فَاصْتَفَوْا كَثِيرًا فَأَخْرَجْنَا الْمَثَلِينَ إِنَّهُمْ عَلَى آلِهَاتِهِمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [البقرة: 246].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية -بعد أن ذكر الأقوال الواردة في تسمية النبي الذي قال لهم ذلك القول-: "ومنهم من يقول: شمعون، وهو بمعناه، فشب ذلك الغلام، ونشأ فيهم، وأنبته الله نباتا حسنا، فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه، وأمره بالدعوة إليه وتوحيده، فدعا بني إسرائيل، فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم، وكان الملك أيضا قد باد فيهم، فقال لهم النبي: فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكا ألا تفوا بما التزمتم من القتال معه {قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا؟ قال الله تعالى: {فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين} أي: ما وفوا بما وعدوا؛ بل نكل عن الجهاد أكثرهم، والله عليم بهم".⁽³⁾

فهذا صريح في نقض اليهود عهدهم مع نبيهم الذي طلبوا منه أن يبعث لهم ملكا

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 312/5.

(2) انظر: سفر الخروج: 1/32-6.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 665/1.

يقاتلون معه في سبيل الله. فبعد أن أعطوه العهد أن يقاتلوا معه، وفرض عليهم القتال، نقضوا عهدهم مع ذلك النبي، ولم يجاهدوا معه.

ثالثاً- **نقض اليهود الموائيق والعهد مع النبي محمد ﷺ.**

أ- **وثيقة العهد بالموادعة بين النبي محمد ﷺ ويهود المدينة المنورة.**

أول قدوم النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وقبل معركة بدر الكبرى، كتبت وثيقة تستهدف تنظيم العلاقة بين الأمة الإسلامية وبين يهود المدينة، وهي تتألف من **أربعة وعشرين بنداً**.⁽¹⁾ وقد جمع كتاب "نصرة النعيم" هذه البنود **الأربعة والعشرين**، فقد ورد في هذا الكتاب عنها⁽²⁾: "ويدل أولها على: التزام اليهود بالمساهمة في نفقات الحرب الدفاعية عن المدينة: (وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين). وقد ركزت الوثيقة في عشرة بنود من صدرها على تنظيم العلاقة بالمتهودين من قبيلتي: الأوس والخزرج، مع التركيز على نسبتهم إلى عشائهم العربية، حيث أقرت تحالفهم مع المؤمنين.

(وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم نفسه وأثم، فإنه لا يوتغ⁽³⁾ إلا نفسه وأهل بيته).

وهكذا تعرضت الوثيقة إلى ذكر يهود بني النجار، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جشم، وبني الأوس، وبني ثعلبة، وجفنة، وبني الشطيبة، فأفردت لليهود كل مجموعة قبيلة بنداً خاصاً بهم وأكدت على (أن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم).

غير أن ذلك لا يعني إعفاء اليهود من أعباء المساهمة في نفقات الدفاع عن المدينة. (وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين)

فهذه الوثيقة بهذه البنود الأربعة والعشرين شملت كل ما يتعلق بالمعاملات مع اليهود، وحددت علاقة المسلمين معهم، وشملت كل طوائف يهود المدينة؛ لذلك فهي وثيقة عامة شاملة.

ب- **طوائف يهود المدينة الذين نقضوا العهد والموائيق مع النبي محمد ﷺ.**

يرجع يهود المدينة الذين وادعهم النبي ﷺ إلى ثلاث طوائف: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، وثلاثتهم قد نقضوا العهد، طائفة بعد طائفة⁽¹⁾، وعدَّ ابن حجر العسقلاني أن أول

(1) نشرت الوثيقة بأكملها في **مجموعة الوثائق السياسية، لمحمد حميد الله الحيدر آبادي**: ص 59-62.

(2) نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - ﷺ، تأليف عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي: 269/1-270.

(3) الوتغ: الملامة والإثم وقلة العقل، العين، الفراهيدي: 4/438، وتهذيب اللغة، الأزهري: 8/157.

طائفة قد نقضت العهد هي: بنو قينقاع، ثم بنو النضير، ثم بنو قريظة.(2)

1- بنو قينقاع أول من نقض العهد.

وهو قول ابن هشام من كُتَّاب السيرة النبوية، ونقله عن ابن إسحاق حيث قال: إن بني قَيْنُقَاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد.(3) وممن قال بهذا القول أيضا: السهمودي، وذكر أن النبي ﷺ حاربهم بعد بدر في شوال، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فنزلوا على حكمه، فأراد قتلهم، فاستوهم منه "عبد الله بن أبي"، وكانوا حلفاءه، فوهمهم له، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعاء.(4)

فهؤلاء رواة السيرة الكبار: ابن إسحاق، وابن هشام، ومعهم ابن حجر العسقلاني من علماء الحديث الشريف وشراحه العظام، قالوا قولاً واحداً: **إن أول من نقض العهد من طوائف اليهود هم: بنو قينقاع. وقولهم هذا هو الصواب والحق؛** لما اشتمل من أدلة ذكرها ابن حجر في فتح الباري وهي أدلة قوية ووجيهة.(5)

2- بنو النضير ونقض العهد مع رسول الله ﷺ.

وردت عدة روايات فيما حدث من بني النضير من نقض العهد مع رسول الله ﷺ، منها: أ- ما أورده ابن حجر عن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ **خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الرجلين الذين قتلها عمرو بن أمية الضمري،** وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم يستعينهم قالوا: نعم، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال. قال: وكان جالساً إلى جانب جدار لهم، فقالوا: **من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه، فيقتله ويريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فأتاه الخبر من السماء، فقام مظهرًا أنه يقضي حاجة، فحاصره رسول الله ﷺ ست ليال، فسألوا أن يجلوا عن أرضهم على أن لهم ما حملت الإبل، فصلحوا على ذلك.**(6)

ب- ومن هذه الروايات: رواية لابن مَرْدَوَيْهِ، أوردها ابن حجر في الفتح، مصححاً إسنادها، وفيها أن كفار قريش كتبوا إلى عبد الله بن أبي وغيره يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه؛ فهم ابن أبي ومن معه بقتال المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ، وأخبرهم بكيد قريش لهم ففرقوا، فلما كانت

(1) انظر: فتح الباري، ابن حجر: 332/7. ووفاء الوفاء، السهمودي: 215/1.

(2) انظر: فتح الباري، ابن حجر: 332/7. ووفاء الوفاء، السهمودي: 215/1.

(3) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب: 47/2.

(4) انظر: وفاء الوفاء، السهمودي: 215/1.

(5) انظر هذه الأدلة: فتح الباري، ابن حجر: 332/7.

(6) انظر: المصدر السابق: 331/7.

وقعة بدر كتبت قريش بعدها إلى اليهود يتهددونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فحاصروهم رسول الله ﷺ، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها. (1)

وقد رجح ابن حجر هذا السبب، مرجحا رواية ابن مردويه، ومعتبرا إياها أقوى من رواية ابن إسحاق التي فيها: أن سبب غزوة بني النضير: طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين. (2)

3- بنو قريظة ونقض العهد.

ورد الحديث عن نقض بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ في القرآن الكريم، وكتب السنة، والسيرة النبوية، فما ورد في القرآن الكريم:

- قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: 55-56]

وقد بين ابن عباس ؓ من المقصود في هذه الآية، فقال: "هم قريظة، فإنهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وأعانوا عليه المشركين بالسلاح في يوم بدر، ثم قالوا: أخطأنا، فعاهدتهم مرة أخرى، فنقضوه أيضا يوم الخندق". (3)

فهذه الآية نزلت في بني قريظة من اليهود، عندما عاهدتهم رسول الله ﷺ ألا يحاربوه، وألا يعاونوا أحدا عليه، فنقضوا عهدهم، وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله ﷺ، ثم قالوا: نسينا، فعاهدتهم ثانية، فنقضوا العهد مرة أخرى، ومالتوا الكفار يوم الخندق، وركب كعب بن الأشرف زعيمهم إلى مكة، فحالفهم على محاربة رسول الله ﷺ. (4)

وهكذا، ومن خلال استعراض ما كان من اليهود بطوائفهم الثلاث (بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة) مع رسول الله ﷺ، تتبين حقيقة اليهود، وطبيعتهم التي جبلوا عليها، من: الخيانة، والغدر، ونقض العهود والمواثيق، وهي متأصلة ومتجذرة فيهم، مصداقا لقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْآ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100]

(1) انظر: المصدر السابق: 331/7.

(2) انظر: المصدر السابق نفسه: 332/7.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي: 497/15.

(4) انظر: التفسير الواضح، الحجازي: 839/1.

المطلب الخامس

نقض اليهود الاتفاقيات مع الفلسطينيين.

إضافة لما سبق من ذكر نقض اليهود العهد مع الله تعالى، ومع الأنبياء الذين أرسلوا إليهم، ومع رسول الله محمد ﷺ، فإنهم كذلك نقضوا العهود والمواثيق في اتفاقاتهم المتعددة مع العرب ومع الفلسطينيين؛ فعندما بدأت مباحثات مدريد أفصح (اسحق شامير)⁽¹⁾، رئيس وزراء العدو الصهيوني بعدها أنه كان ينوي ترك المفاوضات تدور عشر سنين في الفراغ، وبعدها أعلن عن اتفاقيات أوسلو التي وقّع عليها (إسحاق رابين)⁽²⁾، وشارك فيها (شمعون بيريز)⁽³⁾ نقضها

(¹) اسحق شامير: ولد ببولندا في 1915م، وانضم إلى حركة الشبيبة "بيتار"، هاجر إلى فلسطين، وفي 1940م أصبح عضواً في منظمة شتيرن، وفي 1970 انضم إلى حزب حيروت بزعامة مناحيم بغيرن، وفي 1973م أنتخب عضواً في الكنيست عن حزب الليكود، وكان عضواً في لجنة الخارجية والأمن، وفي 1977م تولى منصب رئيس الكنيست، وبعد استقالة بغيرن في 1983م أصبح رئيساً للوزراء، وفي 1984م تم تشكيل حكومة وحدة وطنية ترأسها بالتناوب وزعيم حزب العمل شمعون بيرس، وكان شامير نائباً لرئيس الوزراء ووزير الخارجية لمدة عامين عندما كان شمعون بيرس يُشغل منصب رئيس الوزراء، ثم تولى شامير منصب رئيس الوزراء خلال 1986-1992م، فكان رئيس الوزراء السابع لدولة إسرائيل، وشهدت فترة رئاسته الثانية للوزراء حدثين هامين: حرب الخليج في 1991م، ومؤتمر السلام للشرق الأوسط في مدريد في 1991م. انظر: موقع وزارة الخارجية الاسرائيلية <http://mfa.gov.il>

(²) اسحاق رابين (1922-1995م): من مواليد القدس، شغل عدة مناصب في الجيش: قائد المنطقة الشمالية، ورئيس شعبة العمليات، وفي 1962م عُين رئيساً لهيئة الأركان العامة، قاد الجيش في حرب 1967م، وفي 1973م انتخب وزيراً للعمل في حكومة جولدا مائير، ثم انتخبه حزب العمل لرئاسة الحكومة، وفي عام 1992م أصبح رئيس الحزب ورئيس الوزراء، وفي حكومة الوحدة الوطنية (1984-1990م) أصبح وزير الدفاع، ولدى نشوب الانتفاضة عام 1987م انتهج سياسة تكسير العظام، وقاد الحكومة في عملية التسوية بعد مؤتمر مدريد في 1991م، وفي عام 1992م أصبح رئيس الحكومة ووزير الدفاع، و أبرم اتفاق إعلان المبادئ (اتفاق أوسلو)، اغتيل في تل أبيب في 1995م على يد أحد أعضاء اليمين الديني وعمره 73 عاماً. انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 248/7-249، وموقع وزارة الخارجية الاسرائيلية <http://mfa.gov.il>

(³) شمعون بيريز: وُلد في بولندا 1923م، ثم هاجر إلى فلسطين 1934م، وكان في الفترة (1952-1953م) نائب المدير العام لوزارة الدفاع، ثم مديراً عاماً لها (1953-1959م)، وفي 1959م انتخب عضواً في الكنيست، ثم نائباً لبن جوربون في وزارة الدفاع (1959-1965م)، ثم شغل مناصب وزارية في (1969-1977م)، منها: وزير الدفاع في حكومة رابين (1974-1977م)، وفي 1977م انتخب رئيساً لتجمع المعراخ، وفي 1984م تولى منصب رئيس الحكومة مدة عامين، ثم مناصبي نائب رئيس الحكومة ووزير الخارجية وبعد اغتيال رابين في نوفمبر 1995م، شكّل بيريز حكومة جديدة برئاسته واحتفظ فيها بمناصبي رئيس الحكومة ووزير الدفاع. انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 249/7-250، وموقع وزارة الخارجية الاسرائيلية <http://mfa.gov.il>

(بن يامين نتتياهو)⁽¹⁾، واتفاقيات (واي ريفر)⁽²⁾ التي وقعها نتتياهو نقضها (يهود باراك)⁽³⁾، والاتفاقيات المبدئية التي توصل إليها (يهود باراك) في طابا مؤخراً تتصل منها (شارون)⁽⁴⁾،

(¹) **بنيامين نتتياهو**: وُلد في تل أبيب عام 1949م، وحصل على شهادة في المعمار، وماجستير في إدارة الأعمال، وهو يتباهى دائماً بالشهادات الجامعية التي حصل عليها من الولايات المتحدة، عيّنهُ موشيه أرينز، حينما كان وزيراً للخارجية، الرجل الثاني في الوزارة، ثم سفيراً لإسرائيل في الولايات المتحدة، هاجر إلى إسرائيل وخدم في إحدى وحدات الكوماندوز العسكرية تحت إمرة يهود باراك، وكان عضواً في الوفد الصهيوني لمؤتمر مدريد للسلام في 1991م، ولمحادثات السلام في واشنطن التي أعقبت هذا المؤتمر، ثم أصبح نائباً لوزير الإعلام في مكتب رئيس الحكومة عام 1993م، ومنها أصبح رئيساً لحزب الليكود ورئيساً للوزراء، أتى نتتياهو إلى سدة الحكم في الدولة الصهيونية عام 1996م. وبعد اعتزاله للحياة السياسية عاد بنيامين نتتياهو إلى الحلبة السياسية عام 2002 حيث أشغل منصب وزير الخارجية. انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 257/7، وموقع وزارة الخارجية الاسرائيلية <http://mfa.gov.il> ويشغل منصب رئيس الحكومة حتى كتابة هذا البحث.

(²) نصت اتفاقية واي ريفر التي وقعت عام 1998 على الانسحاب الإسرائيلي من بعض مناطق الضفة، وعلى اتخاذ تدابير أمنية لمكافحة الإرهاب، وتوطيد العلاقات الاقتصادية بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل. وإعادة الانتشار الثاني للقوات الإسرائيلية في الضفة الغربية على أن تتم إعادة الانتشار على ثلاث مراحل. انظر: موقع الجزيرة نت <http://www.aljazeera.net> ووكالة وفا الفلسطينية <http://www.wafainfo.ps>

(³) **يهود باراك**: وُلد عام 1942 في كيبوتس هيشمار هاشارون، القريب من نتانيا، وفي عام 1973م تسلل إلى بيروت، وكان ضمن فريق أطلق النار وقتل محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر من قادة منظمة فتح الفلسطينية، وفي الأشهر الأولى لانتفاضة 1987م كان باراك قائداً للجيش، ومشرفاً على الخطط للقضاء على الانتفاضة فقام عام 1988م بإعادة فرق "المستعربين" التي تهدف إلى التسلل إلى الأوساط الفلسطينية النشيطة في الضفة والقطاع واغتيال قياداتها، وكان باراك هو القائد الرئيس والموجه لعملية اغتيال (أبو جهاد) عام 1988م، وعمل رئيساً لهيئة أركان الجيش في 1990م، وبعد تسلّم بيريز زعامة حزب العمل ورئاسة الحكومة، عُيّن باراك وزيراً للخارجية، ثم انتخب زعيماً لحزب العمل في 1996م. انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 254-256/7، وموقع وزارة الخارجية الاسرائيلية <http://mfa.gov.il>

(⁴) **أرييل شارون**: يهودي بولندي ولد عام 1933م، درس التاريخ وعلوم الاستشراق في الجامعة العبرية في القدس، اشترك في الحرب ضد العرب عام 1948م، ولم يبرز إلا بعد عام 1948م كضابط في الوحدات الخاصة؛ للقيام بالأعمال الانتقامية ضد مخيمات اللاجئين والقرى الفلسطينية الحدودية، حيث عهد بهذه الغارات إلى وحدة خاصة أنشئت في أغسطس 1952م، وأطلق عليها اسم "الوحدة 101"، وقد اختار شارون أفراد الوحدة بنفسه، فاتجه إلى قرية قبية العربية الفلسطينية وارتكب فيها مجزرة عظيمة، وقد كان هو المحرك الرئيس وراء غزو لبنان عام 1982، وأثناء هذا الغزو ارتكب مجزرة ثانية بحق اللاجئين الفلسطينيين هناك، وهي مجزرة صابرا وشاتيلا، ثم انضم إلى كتل الليكود شاغلاً مقعد وزير الزراعة، ثم وزير الدفاع، وتولّى شارون منصب وزير البنية التحتية في حكومة الليكود برئاسة نتتياهو، التي تم تشكيلها إثر انتخابات عام 1996. انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 250-252/7، وموقع وزارة الخارجية الاسرائيلية <http://mfa.gov.il>

وهكذا تحقق ما تعهد به (شامير) منذ عشر سنوات، وكانت نتائج عملية السلام حتى الآن الدوران في حلقة مفرغة.⁽¹⁾

وفيما يلي بعض اتفاقيات السلام بين اليهود والفلسطينيين، وكيف نقضها اليهود.

1- مؤتمر مدريد 1991م.

قررت الإدارة الأمريكية عام 1991م التدخل لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي، وتقرر أن يُعقد مؤتمر دولي، يكون مجرد واجهة علنية لمحادثات ثنائية بين الدول العربية وبين إسرائيل؛ أما منظمة التحرير الفلسطينية -المعنية أصلاً بموضوع السلام- فقد تقرر استبعادها؛ لموقفها في حرب الخليج، على أن يكون البديل عنها وفداً فلسطينياً، وليس من المنظمة، وعلى أن يكون ذلك الوفد الفلسطيني جزءاً من الوفد الأردني في المؤتمر، وانعقد المؤتمر، واختار الوفد الفلسطيني النصرانية حنان عشاوي لتتكلم باسم القضية الفلسطينية العربية الإسلامية.⁽²⁾ وكتب عبد العزيز كامل في "مجلة البيان" مقالاً بعنوان: "خمسون عاماً من الفشل"، استعرض فيه بعض محطات الفشل في معاهدات السلام بين اليهود والفلسطينيين، جاء فيه:

2- محادثات المسارات المتعددة في واشنطن.

بعد الانتهاء من مؤتمر مدريد، اختيرت واشنطن لتكون مقراً لاجتماعات مسارات التفاوض الثنائية، ودارت المحادثات على مسارات منفصلة، وكانت إسرائيل تخطط لإضاعة الوقت في هذه المفاوضات؛ وقد صرح بذلك (شامير) الذي قال: كنت أريد للمفاوضات في واشنطن أن تمتد عشر سنوات، حتى تستكمل خطط الاستيطان، وحتى لا تبقى أرض فلسطينية يتم التفاوض عليها. وفي المقابل: كان الوفد الفلسطيني المفاوض منقسماً فيما بينه على نفسه؛ عبر عن ذلك د. حيدر عبد الشافي بقوله: نحن وفد منقسم على نفسه، وفي الحقيقة فنحن أربعة عشر عضواً فلسطينياً، وكل عضو فينا وفد مستقل، وكل واحد منا يمثل نفسه، وله اتصالاته، وله ميادينه. وكان من الطبيعي مع كل هذا أن تكون نتائج مسارات واشنطن هي الفشل.⁽³⁾

3- اتفاق أوسلو 1993م.

بعد فشل محادثات المسارات المتعددة في واشنطن، اختيرت (أوسلو) عاصمة النرويج مكاناً للتفاوض بين اليهود والفلسطينيين،

⁽¹⁾ انظر: مقال بعنوان: " تأملات في المسألة الشارونية" كتبه عبد العزيز كامل، مجلة البيان: عدد 160/ ص 159، السنة الخامسة عشر، ذو الحجة، 1421هـ، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

⁽²⁾ انظر: مقال بعنوان "عقيدة اليهود في المواثيق والعهود"، د. مدثر إسماعيل www.palscholars.com

⁽³⁾ مجلة البيان: عدد 117، ص 70، السنة الثانية عشرة، جمادى الأولى، 1418هـ، سبتمبر 1997م.

وكان (اسحق رابين) يرى أنه لا مانع من الاعتراف بالمنظمة بعد اعترافها بـ(إسرائيل)، وبحقها في حياة آمنة، ضمن حدود معترف بها، وبدأ الفلسطينيون -عبر قنوات اتصال سرية- في التفاوض مع اليهود؛ لإبرام اتفاق منفرد، وتوصلوا إلى اتفاق مبدئي، أطلق عليه: (غزة وأريحا أولاً). وبعد خمس جولات من المباحثات في أوسلو، تم التوصل في (1993/5/8م) إلى ما سمي وقتها بـ(اتفاق إعلان المبادئ)، المتعلق بمنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً في (غزة وأريحا).

وظمأن (رابين) الشعب اليهودي بأنه لن يكون هناك انسحاب يهودي؛ ولكن إعادة انتشار، والسلطة للفلسطينيين ستكون تحت سيطرة دولة الاحتلال، والأرض ليس هناك اتفاق بشأنها؛ ولكن بشأن البشر الذين يسكنون عليها.⁽¹⁾

- نقض اليهود اتفاق أوسلو.

ثم تحدث عبد العزيز كامل عن نقض اليهود لاتفاق أوسلو، بعد أن بدأ تنفيذ بعض بنود الاتفاق، وذلك بحجة (تعدد فهم النص)، التي يلجئون إليها دائماً في كل المباحثات والمفاوضات، فقد قال (رابين) حينها: إنني اكتشفت أن هناك قراءتين لاتفاق أوسلو: قراءة فلسطينية، وقراءة يهودية، ونحن أمام تفسيرات مختلفة لقضية كنت أظنها واضحة في الاتفاق، وقال: إن فجوة الاتفاق بيننا وبين عرفات واسعة.

بمثل هذه التصريحات، وهذا التلاعب في الألفاظ، تجري فصول العملية السلمية؛ وما تعاهدت عليه حكومة الليكود اليوم، ليس ملزماً لحكومة العمل غداً، نقضاً للوعود، ونكثاً للعهد.⁽²⁾

4- تقرير ميتشل.

وفي مقال بعنوان "تقرير ميتشل: دعوة لإجهاض انتفاضة الأقصى" للدكتور سامي محمد صالح الدلال تحدث كاتب المقال عن تقرير ميتشل، الذي جاء بعد (اتفاقيات أوسلو)، وعدم التزام الجانب الإسرائيلي بما تم الاتفاق عليه في تلك الاتفاقيات، مؤرخاً للتقرير، وموضحاً الأجواء التي سبقتة، حيث تم في السابع عشر من تشرين أول أكتوبر عام 2000م اختتام مؤتمر الشرق الأوسط للسلام، في شرم الشيخ بمصر، والذي شارك فيه زعماء كل من: السلطة الفلسطينية، ومصر، والأردن، والولايات المتحدة الأمريكية، والكيان اليهودي، والأمم المتحدة، والاتحاد الأوروبي.

⁽¹⁾ مجلة البيان: عدد 117، ص70، السنة الثانية عشرة، جمادى الأولى، 1418هـ، سبتمبر 1997م.

⁽²⁾ المصدر السابق، نفس الصفحة.

وفي هذا المؤتمر قال الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش): إن الولايات المتحدة سوف تطور مع الإسرائيليين والفلسطينيين، وبالتشاور مع الأمين العام للأمم المتحدة لجنة لتقصي الحقائق، أطلق عليها اسم: "لجنة شرم الشيخ لتقصي الحقائق".
وشرعت اللجنة في ممارسة مهمتها، التي رفعت بشأنها تقريرها إلى الرئيس الأمريكي بتاريخ 2001/4/30م، فيما عرف بـ "تقرير ميتشيل".

ومما جاء في تقرير اللجنة المذكورة: أن عضو الكنيست (أرييل شارون) قام بدخول المسجد الأقصى يوم 28 سبتمبر، يرافقه ما يزيد على ألف من قوات الشرطة الإسرائيلية، وفي اليوم التالي، وفي المكان نفسه حدثت مواجهة بين الفلسطينيين، وعدد من قوات الشرطة الإسرائيلية؛ مما أدى إلى قتل أربعة أشخاص، وإصابة حوالي مائتي شخص بجروح، وجرح أربعة عشر شرطياً يهودياً، وقد حدثت تظاهرات عدة خلال الأيام اللاحقة، وهكذا بدأ ما عرف فيما بعد بـ "انتفاضة الأقصى".

ووصلت **الإعاقات اليهودية المتكررة** إلى ذروتها في **قمة كامب ديفيد**؛ فالعروض اليهودية تضمنت-بالإضافة إلى **ضم أفضل المناطق الفلسطينية للكيان اليهودي- السيادة الدائمة للكيان على شرقي القدس**، واستمرار الوجود العسكري اليهودي في المناطق الفلسطينية، والسيطرة اليهودية على المصادر الطبيعية الفلسطينية، والأجواء والحدود الفلسطينية، وأخيراً عودة أقل من 1% من اللاجئين إلى موطنهم.⁽¹⁾

وأورد كاتب المقال قول اللجنة في وجهة نظر الجانب اليهودي، وهي كالتالي:

1- **إن توسيع النشاط الاستيطاني**، واتخاذ إجراءات لتسهيل حياة المستوطنين وأمنهم لا يعتبر ماساً بمفاوضات الوضع النهائي.

2- إن الأمن هو الهم الأول لحكومة الكيان المحتل، وإن منظمة التحرير الفلسطينية أخلت بالتزاماتها؛ وذلك بالاستمرار في استخدام العنف لتحقيق أهداف سياسية.

وعلق كاتب المقال على ما سبق ببعض النقاط، ومنها:

1- إن دعوى اليهود أن توسيع النشاط الاستيطاني لا يعتبر ماساً بمفاوضات الوضع النهائي كذب محض؛ فلقد دعمت إسرائيل بشدة إقامة المستوطنات لوضع الفلسطينيين في مفاوضات الوضع النهائي أمام الأمر الواقع.

(1) مقال بعنوان "تقرير ميتشيل: دعوة لإجهاض انتفاضة الأقصى" د. "سامي محمد صالح الدلال"، مجلة البيان: عدد 166، ص74، السنة: السادسة عشرة، جمادى الآخرة - 1422هـ، سبتمبر - 2001م.

2- بعد توقيع اتفاقيات أوسلو استمر الكيان اليهودي في إقامة المستوطنات، واستجلاب المستوطنين، وكان ذلك متوقعا؛ فنقض اليهود للعهد والعقود والمواثيق هو ديدنهم على مر التاريخ، وقد سجله القرآن الكريم.⁽¹⁾

وهذه النتيجة التي توصل إليها كاتب المقال قد سبقه إليها القرآن الكريم في حديثه عن حقيقة اليهود، والصفة المتأصلة فيهم، وهي: نقض العهود والمواثيق، قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 100] وقال أيضا: ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون﴾ [سورة الأنفال: 56].

يتبين مما سبق: أن لليهود عقيدة راسخة مقدسة، تدفعهم بقوة إلى الإصرار الشديد في نقض العهود، ونبذ العهود التي تُبرم وتُعقد مع العرب والمسلمين بصورة عامة ومع الفلسطينيين بصورة خاصة، وما دامت تلك العقيدة راسخة ثابتة؛ فإن موقف اليهود لن يتبدل ولن يتغير، وسيظل مستقبلا أي عهد وأي اتفاق ومبادرة سلام هو النقض والنبذ.

(1) المقال السابق، نفس الصفحة.

المبحث الثاني

عقيدة اليهود في الأرض المقدسة، وأثرها على الفلسطينيين.

المطلب الأول: الأرض المقدسة عند اليهود.

تمهيد:

لقد أقام اليهود الدولة اليهودية المسماة (إسرائيل)، على ادعاءات دينية وتاريخية؛ فزعموا أنّ لهم حقاً دينياً وتاريخياً في أرض فلسطين، وبهذا الحق يملكون شرعية العودة إليها، وإقامة دولة لهم فيها، وتمّ تجميع كثير من يهود العالم في هذه الأرض بناءً على ذلك. وتعد فكرة الحق الديني والتاريخي المفترى في فلسطين من أهم المبررات التي أقنعت بها الحركة الصهيونية يهود العالم، والكثير من نصارى أوروبا وأمريكا؛ ولذلك نرى المؤرخين والمستشرقين الغربيين قد اعتمدوا التوراة كمصدر تاريخي حقيقي لفلسطين القديمة: أرضاً، وأحداثاً، وشخصيات، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الدراسة الجادة والبحث العلمي؛ لأنهم مرتبطون بفكر وروح الاستعمار الغربي.

ويدعي يهود هذا العصر أنهم أصحاب الأرض المقدسة -فلسطين-؛ لأنّ أجدادهم وآباءهم مكثوا فيها فترة زمنية في التاريخ القديم، وأقاموا فيها ممالك يهودية، مثل: مملكة داود، وابنه سليمان عليهما السلام، ثم مملكة يهوذا في جنوب فلسطين، ومملكة إسرائيل في شمالها، وذلك منذ ثلاثة آلاف سنة، وجعل اليهود غايتهم العودة إلى أرض الميعاد، أرض الوعد الإلهي المقدس؛ فقد رسمت أسفارهم التوراتية حدود دولتهم، وجعلوا بناء هيكل سليمان هدفاً يسعون لتحقيقه على أنقاض المسجد الأقصى المبارك.⁽¹⁾

أولاً: المقصود بالأرض المقدسة:

هي أرض فلسطين، وما جاورها من النيل إلى الفرات التي يعتقد قادة اليهود: السياسيون، والفكريون، وحاخاماتهم، وأحبارهم، وكلّ أبناء يهود أنها قد أعطيت لهم؛ لأنهم أحفاد إسرائيل (يعقوب)، صاحب الوعد الإلهي بتمليك الأرض المقدسة.⁽²⁾

وهي أرض الميعاد (بالعبرية: **הארץ המובטחת**)، و"الأرض" هي المقابل العربي لكلمة "إرتس" العبرية، التي ترد عادةً في صيغة "إرتس إسرائيل"، أي: "أرض إسرائيل" (فلسطين)، فهي "أرض الرب" (سفر يوشع: 3/9)، وهي الأرض التي يربها الإله (سفر تثنية:

(1) انظر: ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطيني، أ. د. صالح الرقب: ص 5-6.

(2) انظر: المصدر السابق: ص 11.

12/11)، ثم هي **الأرض المختارة**، وصهيون التي يسكنها الرب، والأرض المقدّسة (سفر زكريا: 12/2)، التي تفوق في قدسيّتها أيّ أرض أخرى؛ لارتباطها بالشعب المختار.

وقد جاء في التلمود: "الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديدة بأن تمنح لجماعة إسرائيل، سوى أرض إسرائيل"، وهي كذلك "الأرض البهية" (سفر دانيال: 16/11).⁽¹⁾

ويدعي يهود اليوم أن الوعد الإلهي بتمليك هذه الأرض ينطبق عليهم، ويعتبر فوق القانون، مهما كان نوع هذا القانون، وفوق إرادة الشعوب، حتى لو كانت صاحبة الأرض التي يطالب بها اليهود⁽²⁾.

يقول هرتزل-في المؤتمر الصهيوني الأول الذي انعقد في مدينة بال بسويسرا 1897م، معرّفا ماهية الصهيونية، وما تستهدفه حركتها-: "إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية، وإن هدف الحركة الصهيونية هو: تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس، بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين".⁽³⁾

ويقول **بن غوريون** -رئيس الوزراء اليهودي الأسبق عام 1948م، بعد أن وقف ممثلاً لليهود في الأمم المتحدة-: "**وقد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني؛ ولكنها حق لنا على أساس ديني**، فهي الأرض التي وعدنا الله، وأعطانا إياها، من الفرات إلى النيل؛ ولذلك يجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وأن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها، يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة؛ بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي".⁽⁴⁾

والباحث في الكتاب المقدس يجد وعوداً لخمسة عشر نبياً بامتلاك أرض فلسطين؛ بل وأوسع منها، وهو ما يسمونه بأرض الميعاد، **وقد ابتدأت هذه العهود بإبراهيم** عليه السلام قبل 4000 سنة تقريباً، **وانتهت بملاخي** قبل 2400 سنة تقريباً، خلال أكثر من 1500 سنة.⁽⁵⁾

يتبين مما سبق: أن أرض الميعاد المقدسة التي يعتقد بها اليهود، ويدعونها حقاً خالصاً لهم، دينياً وتاريخياً، ويحضون يهود العالم على الإتيان إليها، ليست فقط هي أرض فلسطين؛ بل هي أوسع من ذلك بكثير، وما فلسطين إلا جزء من هذه الأرض الواسعة المزعومة.

⁽¹⁾ <http://ar.wikipedia.org>

⁽²⁾ انظر: مقال "أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية"، بقلم أ. د. محمد أبو زيد أبو زيد، نائب مدير مركز سوريا للبحوث والدراسات: ص 28، عدد 85، مجلة التراث العربي.

⁽³⁾ إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ألكار السقاف: ص 21.

⁽⁴⁾ العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها، عابد توفيق الهاشمي: ص 22.

⁽⁵⁾ انظر: الوسيط في علم الأديان، عابد توفيق الهاشمي: 303/1.

ثانياً: حدود الأرض المقدسة.

تقول جريس هالسل⁽¹⁾: "شغل موضوع حدود إسرائيل الأمم المتحدة أكثر من أي موضوع آخر، لقد كانت الأمم المتحدة هي التي أوصلت بإقامة إسرائيل، كفلسطين يهودية إلى جانب فلسطين عربية، وحددت حدود إسرائيل في عام 1948م، ومنذ ذلك الوقت غيرت إسرائيل باستمرار هذه الحدود، كانت تطبع خرائطها الخاصة، وتضمنها الأراضي التي كان بعض قادتها، مثل: مناحيم بيغن يقول: إن الله أعطاها إلى اليهود".⁽²⁾

وقد تضاربت النصوص -التي يحتج بها اليهود على حقهم في أرض الميعاد- في تحديدها أرض الميعاد، فمن هذه النصوص:

1- ما ورد في سفر التكوين: أن حدودها **من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات** "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: لِنَسَلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ".⁽³⁾

2- وما ورد في سفر التثنية "ادْخُلُوا جَبَلِ الْأُمُورِيِّينَ وَكُلَّ مَا يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبَةِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ، أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّينَ وَلُبْنَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ".⁽⁴⁾

3- وما ورد في سفر التثنية أيضاً: "كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بَطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ. مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، إِلَى الْبَحْرِ الْعَرَبِيِّ يَكُونُ تُحْمُكُمْ. لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكُمْ".⁽⁵⁾

ويرجع اختلاف أقوال زعماء اليهود في تحديد أرض دولتهم المزعومة إلى اضطراب وتناثر تلك النصوص، التي تتسع فيها الحدود تارة، وتضيق أخرى، فمنهم من يرى أن رقعة دولتهم الجديدة تكون في أرض كنعان، أي: فلسطين كلها، بما فيها الضفة والقطاع، ومنهم من يرى أنها تمتد **من النيل إلى الفرات**، فهي أرض التوراة التي وعدهم بها يهوه، وهذا ما يفسر عدم إصدارهم خريطة تحدد حدود دولتهم بصورة قطعية، وحرصهم على أن تظل عبارة (إسرائيل الكبرى) غامضة.

⁽¹⁾ جريس هالسل: كاتبة وصحفية، من بيت مسيحي إنجيلي، معروف في الولايات المتحدة، وتعرفت على الحركة التبشيرية عن قرب، حاولت قادتتها وفلاسفتها، وهذه الحركة تؤمن بأن الكون يسير وفق "تدبير الله"، وأن له نهاية محتومة، تنتهي بمعركة (هرمجدون)، التي تتوج بعودة السيد المسيح عليه السلام. انظر: مقدمة كتاب النبوة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة: محمد السماك: ص12.

⁽²⁾ المصدر السابق: ص116.

⁽³⁾ سفر التكوين: 18/15.

⁽⁴⁾ سفر التثنية: 7/1.

⁽⁵⁾ سفر التثنية: 24/11-26.

ولكن من تتبع مخططات اليهود السياسية لم يبق لديه غموض؛ لأن الدائرة الكبرى من النيل إلى الفرات هدف استراتيجي بعيد لهم، والتوسع الإقليمي عند الكثير منهم يبتلع بلاد الشام، والعراق، وأطرافاً من تركية، ودلتا مصر، وشمال جزيرة العرب، بما فيها الكويت، والمدينة المنورة؛ غير أن الهدف الأول لهم هو أرض الشام، وقد بدأوها باغتصاب فلسطين عام 1948م، ثم توسعوا عام 1967م، فاستولوا على مساحات واسعة، من مصر وسورية ولبنان والأردن والضفة الغربية وقطاع غزة، وما إن صارت القدس تحت سيطرتهم حتى شرعوا بتهويدها، وإزالة معالمها، فأزالوا المباني المحيطة بالمسجد الأقصى، ونزعوا ملكيتها قسراً من أصحابها.

ويدل على هدفهم الاستراتيجي أن الخطين الأزرقين في علمهم يرمزان إلى النهرين، وقد رسموا على العملة النقدية التي يتعاملون بها خريطة لتلك الأرض، من النيل إلى الفرات، وقد كتبوا على مدخل الكنيسة اليهودي، وقرروا تدريس النصوص التوراتية والتلمودية، التي تذكر حق اليهود في فلسطين، والأردن، ولبنان، وأجزاء من سورية حتى حماة، ويؤكدون في كتبهم أن الشعب اليهودي سيعود بأكمله إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد، من النيل إلى الفرات.⁽¹⁾

يقول بن غوريون: "إننا لم نحقق بعد هدفنا، وهو: النصر النهائي، فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط، وسنجعل الحرب حرفة يهودية، حتى يتم تحرير بلادنا كلها، بلاد الآباء والأجداد، وسنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل".⁽²⁾

وقد قال موشيه دايان يوم 1967/6/6م، وهو يوم احتلال القدس: "لقد استولينا على اورشليم، ونحن في طريقنا إلى يثرب، وإلى بابل".⁽³⁾

فلسطين ليست هي كل الأرض الموعودة عند اليهود؛ وإنما هي جزء منها، أي: تعد عندهم (إسرائيل الصغرى).⁽⁴⁾

وقد أوردت ألكار السقاف قول منحيم بيجن: "إن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا حُمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء، ومن ثم يجب العمل على تحرير الأربعة الأخماس الباقية"، وعلقت عليه بقولها: "لن نتساءل قائلين ما هي هذه الأربعة الأخماس الباقية، فما هي

⁽¹⁾ انظر: مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، عبد الوهاب أبو طويلة: ص143-145.

⁽²⁾ إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ألكار السقاف: ص23.

⁽³⁾ أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، محمود شيت خطاب: ص25.

⁽⁴⁾ انظر: عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، محمد آل عمر: ص222.

ذي أمامنا منتشرة الخريطة الجغرافية الرسمية، المتبعة في المدارس اليهودية، والتي تدرس اليوم للنشئ في دولة إسرائيل، فنحن نرى على هذه الخريطة قد رسمت رقعة الإمبراطورية اليهودية المرتقبة، في إشارة إلى الأراضي الإسلامية المقدسة، وفي مقدمتها: المدينة المنورة، إلى هذه المدينة الضامة لضريح صاحب الرسالة الإسلامية قد تناول النظر الصهيوني، فلم تتورع اليهودية عن أن تجعلها ضمن هذه الأربعة الأخماس الباقية".⁽¹⁾

وعندما أعلن عن قيام الدولة اليهودية -إسرائيل- على أرض فلسطين المسلمة - المحنتلة-، وأيضا عندما قيدت عضوا في هيئة الأمم المتحدة لم يحدد مداها؛ بل تركت بدون حدود تقيدها.⁽²⁾

وقال إسحاق شامير في 1982/6/16 على شاشة التلفزيون الفرنسي، إثر الاجتياح الصهيوني للبنان: "نحن لم نضم أراضي عربية محتلة، كيف نضم ما هو ثابت تاريخيا لنا ولأجدادنا؟! ولا أرى داعيا لتحديد حدود إسرائيل؛ إنها محددة في التوراة".⁽³⁾

وقال بن غوريون: "أمامكم الإعلان الأمريكي للاستقلال؛ ليس به أي ذكر لحدود أرضية؛ ولسنا ملزمين بتعيين حدود الدولة".⁽⁴⁾

وقال أيضا: "ليست المسألة مسألة احتفاظ بالوضع الراهن؛ فعلينا أن نقيم دولة غير متجمدة، دولة ديناميكية، تتجه إلى التوسع".⁽⁵⁾

يتبين مما سبق: أن الأرض المقدسة التي يتحدث عنها اليهود هي أرض مفتوحة، غير محددة بحدود؛ فليس لها حدود تتعامل معها دول العالم، فكل دول العالم لها حدود معلومة ومعروفة، تحدد هذه الدولة عن غيرها؛ إلا دولة الكيان الصهيوني، وهي امتداد لذلك الفكر الاستعماري القديم الذي يجدونه في توراتهم، وهذا ما عليه سياسة الكيان الصهيوني اليوم.

فمرة تتحدث التوراة عن أرض كنعان، وأخرى تتحدث عن جبل لبنان، وثالثة تتحدث عن النيل إلى الفرات، ورابعة تتحدث عن غور الأردن، وخامسة تتحدث عن تخوم حماة، وهكذا فالحديث عن تلك الأرض مفتوح، وغير محدد.

⁽¹⁾ إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أفكار السقاف: ص24.

⁽²⁾ انظر: إعلان قيام دولة إسرائيل: سياسة الاستعمار والصهيونية، حسن الخولي: 454-457.

⁽³⁾ الحروب الصليبية هل انتهت؟، عبد الوهاب زيتون: ص10.

⁽⁴⁾ ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، روجيه جارودي: ص149.

⁽⁵⁾ المصدر السابق: نفس الصفحة.

المطلب الثاني

مزاعم اليهود في أرض الميعاد ونقضها

تمهيد:

تحرص الحركة الصهيونية على تقديم حجج دينية وتاريخية، في معرض حديثها عن أطماعها في فلسطين وما حولها، تلك الأرض التي يعتقد اليهود أن من حقهم إقامة دولة عليها، استناداً إلى حججهم الدينية والتاريخية، وغيرها.

يقول هرتزل في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل بسويسرا 1897م، معرفاً ماهية الصهيونية، وما تستهدفه حركتها: "إن العودة إلى صهيون يجب أن تسبقها عودتنا إلى اليهودية، وإن هدف الحركة الصهيونية هو: تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس، بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين".⁽¹⁾

ويقول مندوب وممثل الدولة اليهودية، على منبر هيئة الأمم المتحدة، عقب الاعتراف بهذه الدولة: "قد لا تكون فلسطين لنا على أساس حق سياسي أو قانوني؛ ولكن فلسطين لنا على أساس حق روحاني".⁽²⁾

وهنا نعرض بعض هذه الوعود من عدة وجوه، ونرد عليها.

الوجه الأول: عرض نصوص الوعد المزعوم، ونقضها.

وردت نصوص من العهد القديم، التي يزعم اليهود من خلالها أن الله تعالى قد أعطى بعض أنبيائهم وعداً بأن الأرض المسماة عندهم "أرض الميعاد" هي لهم، وتبدأ هذه الوعود منذ عهد نوح حتى داود وسليمان عليهم السلام.

أولاً: النصوص التي مهدت للوعد في زمن نوح عليه السلام:

ورد في التوراة الحالية أن مبدأ هذا الوعد يرجع إلى زمن نوح عليه السلام، حينما رأى ابنه حام عورته حال سكره، ونادى أخويه الكبارين: ساما، ويافت، فستره، ولما أفاق نوح عليه السلام، وعلم بالأمر، لعن كنعان بن حام، وبارك ساما ويافت، ودعا لهما، وجعل كنعان عبداً لهما.

جاء في سفر التكوين: "وَابْتَدَأ نُوْحٌ يَكُونُ فَلَاحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافِثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَى إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَ عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجَّهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوْحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: مَلْعُونٌ

(1) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبقار السقاف: ص 20-21.

(2) المصدر السابق نفسه: ص 22.

كُنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِإِخْوَتِهِ. وَقَالَ: مُبَارَكُ الرَّبِّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كُنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَاثَتَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِينِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كُنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ".⁽¹⁾

إن هذه الرواية المكذوبة جاءت لتبرير عداوة اليهود لحام وبنيه بشكل عام، وللكنعانيين (الفلسطينيين) على وجه الخصوص؛ وبذلك يتبين لنا أصل عداوة اليهود للعرب والفلسطينيين، فهي ذات أصول تورانية محرفة.⁽²⁾

ثانياً: نصوص الوعد لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده:

وردت في التوراة المحرفة نصوص وعد فيها الرب سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام، ونسله

من بعده، بأن تكون الأرض المقدسة -أرض الميعاد- له ولهم، ومن هذه النصوص:

1- ما جاء في سفر التكوين: "وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ (أي: إبراهيم): اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ".⁽³⁾

هذا النص كتبه يهود الأسر البابلي، وتناوله صهاينة اليوم، وقدموه للعالم شاهداً على أنه الحجة الشرعية، التي تمنحهم الحق الروحاني في امتلاك فلسطين، ثم تتوالى النصوص بعد ذلك في نفس السفر، فتقول: "وَوَظَّهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ، فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيْلٍ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ".⁽⁴⁾

ويعتبر هذا النص أول نص يسجل مولد وانبثاق فكرة "الأرض الموعودة".⁽⁵⁾

2- ما جاء في سفر التكوين أيضاً: "فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ".⁽⁶⁾

- نقض النصوص السابقة:

1- إن عبارة "من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"، المذكورة في سفر التكوين: 18/15، ليست من صلب النص؛ بل هي مضافة إليه، دخيلة عليه، والتحديد الذي جاء في غيرها من النصوص، لا أصل له البتة؛ وذلك من خلال مقابلة النصوص وتحليلها وموازنتها؛

⁽¹⁾ سفر التكوين: 20/9-27.

⁽²⁾ انظر: مغالطات اليهود، أبو طويلة: ص 137-138، ودراسات في الأديان، د. الشنطي: ص 74.

⁽³⁾ سفر التكوين: 1/12.

⁽⁴⁾ سفر التكوين: 8/12.

⁽⁵⁾ انظر: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أ بكر السقاف: ص 91-93، والوعد في التوراة، عبد المجيد حمدان: ص 34.

⁽⁶⁾ سفر التكوين: 15/18.

لأن الوعد لإبراهيم عليه السلام كان بكل أرض كنعان، ولم يكن أحد من بني كنعان ساكناً في مصر، أو قرب نهر الفرات، فدل على أن نص "من النيل إلى الفرات" دخيل على النص، قد وضعه أحبارهم في زمن ما، إبان جمع الأسفار بعد فقدها، ومع ذلك فإن الوعد بجميع أرض كنعان لم يتحقق، فلم تعط لإبراهيم عليه السلام وحده؛ بل كان الكنعانيون والفرزيون ساكنين معه، إلى جانب ابن أخيه لوط عليه السلام، كما في سفر التكوين: 7/13، وكذلك لم تعط كلها لنسله من بعده ملكاً أبدياً؛ بل كان معهم غيرهم.⁽¹⁾

2- إن النص الوارد في سفر التكوين، يتضمن عبارة "هذه الأرض" في جملة "لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ"، أي: الأرض المعهودة في الذهن، والمذكورة سابقاً، ولم يأت في توراتهم نص آخر حدد فيه الأرض بهذين النهرين، ولا سيما أرض مصر؛ فإنه لم يرد له ذكر في غير هذا الموضع؛ بل وردت نصوص أخرى تحدها "ببعض" أرض فلسطين، فهل تكرر الوعد لإبراهيم عليه السلام بأرضين مختلفتين؟!⁽²⁾

3- جاء في سفر التكوين: "فَقَالَ لِأَبْرَامَ: اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ نَسْلَكَ سَيَكُونُ غَرِيبًا فِي أَرْضٍ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيُسْتَعْبَدُونَ لَهُمْ. فَيَذَلُّوهُمْ أَرْبَعَ مِئَةِ سَنَةٍ."⁽³⁾

فهذا النص دليل صريح على أن أرض مصر ليست لهم كلاً أو بعضاً؛ لأن الأرض التي كان فيها نسل إبراهيم غريباً، واستعبدوا فيها، وذاقوا طعم الذل، هي أرض مصر زمن الفراعنة.⁽⁴⁾

4- إن الوعد الإلهي لإبراهيم عليه السلام ولنسله من بعده كان له أسبابه، وهي: القيام بفرائض الله وشرائعه: "مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوْامِرِي وَقَرَائِصِي وَشَرَائِعِي"⁽⁵⁾، فهل اليهود الذين جاءوا بعد إبراهيم عليه السلام من نسله، قد قاموا بفرائض الله وشرائعه، ليستحقوا الوعد الإلهي بعد إبراهيم عليه السلام؟ الجواب: لا؛ لأن الأسفار اليهودية المقدسة وواقع اليهود ينفيان ذلك.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ انظر: مغالطات اليهود، عبد الوهاب طويلة: ص 146، ص 148.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: ص 146.

⁽³⁾ سفر التكوين: 13/15.

⁽⁴⁾ انظر: مغالطات اليهود، عبد الوهاب طويلة: ص 146.

⁽⁵⁾ سفر التكوين: 5/26.

⁽⁶⁾ انظر: ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: أ. د. صالح الرقب: ص 15.

ثالثاً: نصوص الوعد لإسحاق بن إبراهيم عليهما السلام:

يزعم اليهود أنّ الوعد الإلهي بتمليك الأرض المقدسة انتقل من إبراهيم إلى ولده إسحاق عليهما السلام، دون ولده إسماعيل عليه السلام جدّ العرب، ونص التوراة في ذلك:

1- "فَقَالَ اللهُ: بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأَقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأُنْمِرُهُ وَأَكْثِرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. ائْتِي عَشْرَ رَبِيصًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلَكِنْ عَهْدِي أَقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هَذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ".⁽¹⁾

- نقض النص السابق:

1- إنّ الوعد الإلهي الأول أعطي لإسحاق عن طريق أبيه إبراهيم عليهما السلام، ولم يكن إسحاق عليه السلام مولوداً بعد، والابن الموجود هو إسماعيل عليه السلام، المبارك من الرب كثيراً هو وأمته، وهذا يدل على أن الوعد له، وأن التفرقة العنصرية التي طبعت عليها النفس اليهودية دفعت اليهود لتحريف الوعد؛ ليكون لإسحاق عليه السلام دون أخيه المولود قبله هو وأمته كثيراً.

2- إنّ الوعد لإسحاق عليه السلام فقط يتناقض مع الوعد لإبراهيم عليه السلام وكل نسله المبارك بما فيهم إسماعيل، ويتناقض أيضاً مع الوعد لإبراهيم عليه السلام ونسله مع وجود إسماعيل فقط، وعدم وجود أخيه إسحاق عليه السلام الذي لم يولد بعد.⁽²⁾

رابعاً: نص الوعد ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

ورد في التوراة المحرفة أن الوعد الإلهي انتقل ليعقوب من أبيه إسحاق عليهما السلام "وظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ قَدَانَ أَرَامَ وَيَبَارَكُهُ. وَقَالَ لَهُ اللهُ: اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدَ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ. فَدَعَا اسْمَهُ "إِسْرَائِيلَ". وَقَالَ لَهُ اللهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. ائْمِرْ وَأَكْثِرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةٌ أُمَّمٌ تَكُونُ مِنْكَ، وَمَلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ. وَالْأَرْضُ الَّتِي أُعْطِيتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الْأَرْضَ"⁽³⁾، مع أن إسحاق عليه السلام كان له ولد آخر اسمه: عيسو أو العيس، وقد أنجبته أمّه مع يعقوب عليه السلام من بطن واحد، وعيسو وضعته أمّه أولاً، وكان أبوه يحبه كثيراً، وكانت أمّه تحب يعقوب عليه السلام.⁽⁴⁾⁽⁵⁾

⁽¹⁾ سفر التكوين: 17/19-21.

⁽²⁾ انظر: ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: د. صالح الرقب: ص20-21.

⁽³⁾ سفر التكوين: 35/9-12.

⁽⁴⁾ سفر التكوين: 25/19-29.

⁽⁵⁾ انظر: ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: د. صالح الرقب: ص21.

الرد على النص السابق⁽¹⁾:

1- إذا كان الوعد ليعقوب عليه السلام ولنسله من بعده، فأين نصيب عيسو بن إسحاق -الذي كان يحبه أبوه كثيراً- من هذا الوعد، وقد قال الله تعالى في نسل إسحاق: "وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ كُنُوجِ السَّمَاءِ، نَسْلِكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ".⁽²⁾

أليس عيسو من نسل يعقوب عليه السلام، ولفظة "نسلك" عامة تشمل ابني إسحاق عليه السلام وذريتهما.

2- إنَّ الوعد الذي أعطي لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده يتناقض مع الوعد الذي حُصر فقط في يعقوب؛ لأن نصوص الوعد لإبراهيم عليه السلام واضحة في اشتراك جميع أولاده في أملاك أرض فلسطين، مثل العرب أبناء إسماعيل عليه السلام، والأدوميون: أبناء عيسو بن إسحاق، والإسرائيليون: أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، باستثناء الذين لم يقوموا بفرائض الله ولم يلتزموا بها، ولم يحافظوا على وصاياه، ولم ينفذوا أوامره، وهم: اليهود الملعونون في التوراة والإنجيل والقرآن؛ لكفرهم به تعالى، وتمردهم على الحق، وتكذيبهم الأنبياء، وقتلهم إياهم.

3- إنَّ كهان اليهود حصروا الوعد الإلهي في أبناء إسحاق عليه السلام عندما خافوا المنافسة الدينية والدنيوية من أبناء إسماعيل عليه السلام، وأنهم عندما أحسوا خطر المنافسة على سلطانهم وسلطان هيكلمهم، خصصوا أبناء يعقوب عليه السلام فقط بالوعد الإلهي دون غيرهم.

يتبين من الوعود الثلاثة السابقة لكل من إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام: أن حدود الأرض في تلك الوعود تتسع وتضيق، حسب الحالة النفسية المرتبطة بالظروف المعيشية الملموسة لمن تلقوا الوعد، وأن رب إبراهيم عليه السلام ظل يوسع حدود الوعد ليشمل كل النسل الذين وعد بأن يكثرهم، ليصبحوا شعوباً وأما كبيرة، وكتراب الأرض، وكنجوم السماء، ثم ظل يعود فيقلص المستفيدين من الوعد بإخراج بعض النسل، وهذا التفاوت والاختلاف بين تلك النصوص يؤكد أنها محرفة لأنها لو كانت من عند الله لما كانت مختلفة هذا الاختلاف ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، وهذا يبطل الوعد من أوسع أبوابه.

خامساً: نص الوعد لموسى عليه السلام:

زعمت التوراة المحرفة أن الوعد الإلهي انتقل لموسى عليه السلام، وموسى عليه السلام من ذرية لاوي بن يعقوب عليه السلام "وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبِ اصْعَدْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا...."⁽³⁾

⁽¹⁾ انظر الردود (1-3): ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين: د. صالح الرقب: ص 21-24.

⁽²⁾ سفر التكوين: 4/26.

⁽³⁾ سفر الخروج: 1/33.

ويأمر الله تعالى موسى عليه السلام بدخول أرض كنعان، وتملكها هو وقومه "أَنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمْ الْأَرْضَ. ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِأَبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ"⁽¹⁾

- نقض الوعد السابق:

عندما تجلى الرب لموسى عليه السلام في طور سيناء، وحمله رسالة الخروج ببني إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان، لم يرد في كلام الرب ما يفيد أن الصعود إلى أرض كنعان يعني ملكيتهم لها؛ بل كان للتحرر من استعباد المصريين لهم، والخلص من ظلمهم "...وَقَالَ: مُوسَى، مُوسَى!. فَقَالَ: هَأَنْذَا. فَقَالَ: لَا تَقْتَرِبْ إِلَيَّ هَهُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَقِفْتَ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ. ثُمَّ قَالَ: أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ، إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. فَعَطَى مُوسَى وَجْهَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى اللَّهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخَّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لِأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَّاسِعَةٍ."⁽²⁾

والمتتبع لما جاء من تذكير الرب لموسى وقومه بأرض الميعاد، يجد أن تفسير الوعد ليس تفسيراً مادياً يقوم على التملك والإرث كما فسره اليهود؛ لكن المراد هو: القداسة وطاعة الرب، وأن الإرث للطاعة؛ وليس لمن يضل، كائناً من كان شأنه في بني إسرائيل؛ لأن الأرض للمؤمنين من عباد الله، والاختيار لمن اختارهم الله لعبادته، وقد اختار الله بني إسرائيل من ذرية إبراهيم لتكون رسالة إسحق ويعقوب وموسى إليهم.⁽³⁾

ويقول د. حسين النجار أيضاً: "وقد ادعى اليهود الاختيار لأنفسهم، فقالوا: إنهم شعب الله المختار، وكان ذلك حقا حين لم يكن غيرهم من يعبد الله؛ ولكن الاختيار كان للإيمان برسالة الله، أما الاختيار الأبدي فهو للأرض المقدسة، تلك الأرض التي غدت قدسا ومحرابا لكل أديان السماء.

وقد وعد الله ألا يدخل إلى الأرض المختارة من بني إسرائيل إلا كل من آمن واتقى وعمل صالحا؛ أما المرتدون: فقد أفناهم قبل أن تطأ أقدامهم؛ بل إن غضب الرب لحق بموسى نفسه فلم يدخل الأرض المختارة، ومات وهو على أبوابها "وَعَضِبَ الرَّبُّ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ، وَأَقْسَمَ إِنِّي لَا أَعْبُرُ الْأَرْضَ وَلَا أَدْخُلُ الْأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُكَ يُعْطِيكَ نَصِيبًا. فَأَمُوتُ أَنَا فِي هَذِهِ

(1) سفر التثنية: 8 / 1.

(2) سفر الخروج: 6/3-8.

(3) انظر: أرض الميعاد، د. حسين النجار: ص 68-70.

الأرض، لا أعبر الأزدن، وأما أنتم فتعبرون وتمتلكون تلك الأرض الجيدة. اخترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذي قطع معكم، وتصنعوا لأنفسكم تمثالا منحوتا، صورة كل ما نهك عنه الرب إلهك. لأن الرب إلهك هو نار آكلة، إله غير (1).

يتبين من كل ما سبق: أن الوعد بتوريث الأرض مطعون فيه من نواحي عديدة، كما سبق ذكره، وعلى فرض صحته؛ فقد كان مشروطا بإيفاء بني إسرائيل عهودهم ومواثيقهم مع الله تعالى، وتنفيذهم تعاليم دينهم، والتزامهم بأوامر أنبيائهم.

والسؤال هنا: هل قام بنو إسرائيل في تاريخهم القديم بكل تلك الشروط، وهل اختلف يهود اليوم عما كان عليه أسلافهم من عدم الالتزام بكل ذلك؟

الجواب: لا؛ فقد نقضوا قديما وحديثا عهودهم مع الله ومع أنبيائهم ومع الناس، وتركوا أوامر ربهم وأنبيائهم، وخالفوا وصايا الرب في كل ما أوصاهم به، وتآمروا على كثير من أنبيائهم: تارة بالتكذيب، وتارة بالقتل، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ* وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 87-88].

الوجه الثاني: أن هذه الوعود موقوتة بفترة زمنية محددة.

يقول د. ربيع علي: "وكما كان وعد الله لبني إسرائيل مشروطا بوصايا وبعهد لم يصونها، ومنوطا بتعاليم ومواثيق لم يراعوها، فقد كان مرهونا كذلك وموقوتا بفترة زمنية محددة، شاء الله لها أن تختتم بنبي الله عيسى عليه السلام الذي تآمر بنو إسرائيل على قتله هو الآخر وصلبه - كما تآمروا على قتل غيره - لولا أن رفعه الله إليه، وألقى شبهه على غيره؛ لذا كان مجيء عيسى عليه السلام - بعد أن تناوب عليهم، ومن بني جلدتهم؛ لكن دون جدوى، عدد غير قليل من الأنبياء والمصلحين - كان مجيئه محاولة أخيرة لإرجاعهم إلى سابق عهدهم؛ حتى ينزعوا إلى صبغة الله، ولا يرغبوا عن ملة آبائهم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وتمهيدا في الوقت ذاته لمرحلة جديدة، يتوقف عندها وحي السماء إلى الأرض، وتستمر بالتالي إلى الأبد، الأمر الذي ينذر بخطورة ما وصل إليه القوم من ختم على القلوب، من جراء غلقها أمام كل خير، ويؤذن بفقدان الأمل في إرجاع الأمر على يد هؤلاء مرة ثانية إلى ما كان عليه، ويعنى كذلك: - وهذا هو الأهم - أن انتهاء مدتهم التي قدرها الله لهم لوراثة الأرض والنبوة له ما يبرره". (2)

(1) سفر التثنية: 24-21/4.

(2) حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين، د. ربيع علي: ص 24.

الوجه الثالث: أن الوعد منوط بالاستقامة.

لقد ترك بنو إسرائيل ملة آبائهم التي أمروا بها، وبدلاً من أن يقيموا التوحيد فيما بينهم، صاروا يلتصقون الهدى في عبادة العجل تارة وفي العقائد الباطلة تارة أخرى، راغبين بذلك عن وصايا آبائهم، يقول الله سبحانه -مبيناً ما وصل إليه حال بنى إسرائيل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيئَالَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف:152] ويقول: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ [المائدة:13].

وقد قتل بنو إسرائيل عددا كبيرا من أنبيائهم، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:21]، وهذا ما أكدته أسفار التوراة نفسها فقد ورد في سفر نحemia "وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ الَّذِينَ أَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ لِيُرِدُّوهُمْ إِلَيْكَ، وَعَمِلُوا إِهَانَةً عَظِيمَةً".⁽¹⁾

إنه، وإزاء كل ما سبق من: بُعد بنى إسرائيل عن الإيمان والهدى والاستقامة، وعدم محافظتهم على العهد مع الله، وعدم حفظ وصاياهم؛ كان لابد -حسب ما تقضي به سنن الله الكونية في الاستبدال والاستخلاف- من أن تتحول إمامة وخلافة وريادة هذا العالم إلى آخرين، يحافظون على العهد، ويصونون الأمانة، ويحفظون الوصايا، وينفذون التعاليم؛ فيستحقون عندئذ وعد الله الذي لم يتحقق لغيرهم، لا في الأرض المقدسة وحسب؛ بل في إرث النبوة والأرض أيضا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128]. ويقول: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:38].⁽²⁾

الوجه الرابع: إبطال الوعد من الناحية التاريخية.

وذلك من خلال الأدلة التالية:

الدليل الأول: بطلان السند الديني للحق التاريخي المزعوم:

يقول د. صالح الرقب: "إن العهد القديم -الكتاب المقدس عند اليهود- المصدر التاريخي الأساس للدعاءات والمزاعم الصهيونية حول الحق التاريخي لليهود في فلسطين، لم يصل إلينا بسند متواتر متصل إلى موسى أو سليمان أو غيره من الأنبياء، ولم يستطع أحبار وحاخامات اليهود -مهما استعملوا من الحيلة والمكر والدهاء- أن يقيموا دليلاً واحداً على ذلك.

(1) سفر نحemia: 26 / 9.

(2) انظر: حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين، د. ربيع علي: ص 40-50 باختصار شديد.

إنّ الكتاب المقدس يجب أن يثبت سنده بالطريق المتواتر القطعي...".⁽¹⁾

الدليل الثاني: الدراسات التاريخية:

يذكر التاريخ أنّ أقدم الأجناس البشرية التي سكنت البلاد، التي سميت في التاريخ القديم والكتب المقدسة عند اليهود والنصارى باسم أرض كنعان هم: الكنعانيون الذين سميت البلاد باسمهم، وأنّ العرب هم أول من قدموا إلى أرض فلسطين، وقد سبقوا في قدومهم القبائل العبرية التي جاءت إليها بعد ذلك، وهذا ما بينته الدراسات التاريخية الموثقة التي أثبتت قدوم أفواج من القبائل العربية إلى هذه الأرض من جزيرة العرب مهاجرة إلى بلاد الشام في الألف الرابع قبل الميلاد، وسكنت هذه القبائل ساحل البحر المتوسط، فيما يعرف اليوم بسوريا ولبنان وفلسطين.

وقد أطلق على هذه القبائل اسم الفينيقيين، وأطلق على الكنعانيين الذين استقروا بجنوب وسط أرض كنعان-منطقة القدس اليوم- اسم اليبوسيين، وعلى الذين سكنوا أقصى جنوب أرض كنعان اسم العنّاقيين، وهؤلاء هم الذين أقاموا مدينة أريخ التي عرفت باسم حبرن.⁽²⁾

وقد استقر الكنعانيون في فلسطين حوالي سنة 2500 ق. م على الضفة الغربية لنهر الأردن، وسميت هذه المنطقة باسمهم: أرض كنعان، وقد صرحت التوراة بهذا الاسم مرات كثيرة في أكثر من موضع من أسفارها، وفي سنة 1200 ق. م نزلت بالساحل المطل على البحر المتوسط جماعات من جزيرة كريت، وكانت تسمى قبائل فلسطين، وقد نزلت بين يافا وغزة، واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت.⁽³⁾

وأما العبرانيون، وهم أصل اليهود، فتذكر المصادر التاريخية واليهودية، أن إبراهيم عليه السلام وأسرته قد رحلوا من أور الكلدانيين -بلاد العراق- إلى أرض كنعان، التي عرفت فيما بعد بأرض فلسطين، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد زمن قدومهم أرض فلسطين، ولعلّ أرجحها: منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي: حوالي سنة 1850 ق.م.⁽⁴⁾

الدليل الثالث: حقوق العرب في فلسطين:

إنّ حقوق العرب في فلسطين تقوم على ثلاثة حقوق، هي: حق الفتح، وحق التنازل، وحق التقادم المكتسب.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ ليس لليهود حق، د. صالح الرقب: ص 63.

⁽²⁾ انظر: عروبة فلسطين في التاريخ، محمد أديب العامري: ص 25.

⁽³⁾ انظر: مقارنة الأديان (اليهودية)، د. أحمد شلبي: ص 41.

⁽⁴⁾ انظر: المصدر السابق: ص 47-49.

⁽⁵⁾ انظر هذه الحقوق الثلاثة وتفاصيلها: قضية فلسطين أمام القانون الدولي، د. محمد غنيمي: ص 70-76.

أولاً: حق الفتح.

وهو الحق الذي تم عندما فتح العرب المسلمون فلسطين، وانتصروا على الغزاة الرومان في القرن السابع الميلادي (سنة 638م)، وقد كانت الحروب في تلك العصور وسيلة من وسائل فضّ المنازعات، وطريقاً مشروعاً لاكتساب ملكية البلد الذي يتم الاستيلاء عليه.

ثانياً: حق التنازل.

وهو الحق الذي حصل بمقتضى عهد الصلح بين أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"ؓ، وبطريك الروم "صفرونيوس" عام 638 م، وسمّي هذا العهد بـ"العهد العمريّة"، وقد طلب أهل القدس من أمير المؤمنين ألاّ يساكنهم اليهود في هذه المدينة⁽¹⁾، وهذا يدل على أن القدس لم تكن يهودية، وبالتالي فلسطين لم تكن يهودية، واليهود وقتها لم يكونوا سوى طائفة تسكن في القدس، ولم يسجل التاريخ أيّ اعتراض لليهود على ما تضمنته العهد العمريّة، من طردهم من القدس، ولم يزعم اليهود وقتها أنّ لهم حقاً تاريخياً في القدس أو غيرها من المدن الفلسطينية.

ثالثاً: حق التقادم المكسب.

وهو الحق الذي اكتسبه العرب، حينما استوطنوا أرض فلسطين طوال ثلاث عشرة قرناً، أكدوا فيه عروبة فلسطين، وأكدوا فيه السلطة السياسية للعرب والمسلمين بممارستهم السلطة المستمرة طوال هذه القرون؛ بينما كانت الفترة الزمنية قصيرة عندما احتل الغزاة الصليبيون فلسطين في نهاية القرن الحادي عشر (1099م)، واستطاع بعدها السلطان المملوكي الأشرف "خليل بن قلاوون" القضاء على آخر معقل للصليبيين في عكا، وبقيّة السواحل سنة 690 هـ- 1291م، وبذلك تم جلاؤهم عن فلسطين، وعادت إلى العروبة والإسلام.⁽²⁾

الوجه الخامس: إبطال الوعد من وجهة النظر الإسلامية.

تقول أبقار السقاف: "الفكر اليهودي الذي لا يههم من أمر دينه إلا عقيدة الأرض الموعودة، يحاول استجماع شتات تفكيره، فيثير أماننا نقطة يحسب أنه قد أصاب بها بغيته، إذ يشير لنا إلى الآية التي تقول بأن موسى قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21].⁽³⁾

وتنفي أبقار السقاف أن تكون هذه الآية حملت وعدا بامتلاك الأرض المقدسة؛ وإنما تكتب لهم دخولها، ومساكنة أهلها، وتجعل لذلك شرطاً، هو: عدم الارتداد؛ وإلا انقلبوا خاسرين،

(1) انظر: تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري: 609/3.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير: 377/13-379.

(3) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبقار السقاف: ص36.

ثم تفترض لو حملت هذه الآية وعدا فهذا الوعد يصبح باطلا من الوجهة اليهودية، ومن الوجهة الإسلامية؛ فأما من الوجهة اليهودية فإن الإصحاح الأول الذي تعتمد عليه الصهيونية في ملكية الأرض يقول: "قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض".⁽¹⁾ وهذا يعني أن هذا الوعد خاص بنسل أبرام فقط، وهل اقتصر نسل أبرام على إسحاق؟ أم شمل إسماعيل وغير إسماعيل؟

والذي يؤكد أنه ليس هناك شيء اليوم اسمه نسل أبرام نقول: إن من نفس سطور توراتهم تتمحي قدسية القول بأن فلسطين هي للصهاينة ولليهود اليوم أرض موعودة. وأما من الوجهة الإسلامية، فإن هذه الآية التي تقول بأن موسى قال لقومه "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة"، قد كتبت "قوم موسى" دخولها ومساكنة أهلها، لا امتلاكها، كما قد جعلت لذلك الدخول شرطا وهو: عدم الارتداد، وإلا انقلبوا خاسرين، وأما "قوم موسى" قد تمردوا على موسى، وارتدوا عنه، و﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 22] ﴿يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].

وعلى ذلك: تتمحي أيضا من وجهة النظر الإسلامية الفكرة القائلة بأن هناك أرضا موعودة، لا لقوم ليس لهم في الواقع الآن وجود فحسب، ولا لاتصافهم بالفسق فحسب؛ وإنما لأن الإسلام الذي ألغى اليهودي الحالي إلغاء كليا بقوله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] وبقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85] قد أنهى بهذا الإلغاء الفكرة عن هذا الوعد إلغاء نهائيا. وهكذا تتمحي من الوجهتين: اليهودية، والإسلامية معا القدسية التي صاغتها الأقلام

اليهودية من حول "أرض مقدسة"، جعلتها وقفا على أبناء يهوذا.⁽²⁾
- المراد بالأرض المقدسة في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾:
وفي المراد بالأرض المقدسة في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21] أقوال خمسة: الطور وما حوله، وقيل: الشام، وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقيل: أريحا، وقيل: إيلياء بيت المقدس.⁽³⁾

⁽¹⁾ سفر التكوين: 18/15.

⁽²⁾ انظر: إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبار السقاف: ص 36-39.

⁽³⁾ انظر: جامع البيان، الطبري: 167/10-168، ومعالم التنزيل، البيهقي، الشافعي: 35/3، وزاد المسير في

علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي: 532/1.

ورجح الطبري أن الأرض المقدسة هي التي ما بين الفرات وعريش مصر، فقد قال:
 "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدسة، كما قال نبي الله موسى ﷺ؛
 لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقة صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك
 يجوز قطع الشهادة به؛ غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش
 مصر؛ لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك".⁽¹⁾
 ومعنى قوله تعالى: ﴿الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾: أي: التي أمركم الله بدخولها وفتحها، فهي
 وراثه لمن آمن منكم، على لسان نبيكم، دون الذين فيها، ممن لم يتخذوا الله إلهًا واحدًا لا شريك
 له.⁽²⁾

ويطرح الباحث محمد آل عمر هنا سؤالًا، وهو: هل معنى الآية أن لليهود حقا مستمرا
 في امتلاك هذه الأرض المباركة، في أي وقت أرادوا من الزمان إلى قيام الساعة؟
 ويجب عليه بالنفي القاطع، ويوضح إجابته من خلال أمرين:
 أ- أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده؛ وليس للعباد في ذلك من يد.

ويورد على ذلك قول الله تعالى على لسان موسى ﷺ لبني إسرائيل، -وهم مازالوا في
 مصر يعانون من الذلة والمهانة-: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ
 يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128].

ب- أن وراثه الأرض للقوم الصالحين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ
 الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 105-106]، وأن
 هذا بيان لسنة الله المقررة في وراثه الأرض: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.⁽³⁾

يتبين مما سبق: أن المقصود من كتابة الأرض المقدسة لبني إسرائيل في قوله تعالى:
 ﴿يَأْقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ هو: الأمر بدخولها ومساكنة أهلها؛ لا
 ملكيتها، وذلك بشرط عدم ارتدادهم؛ وإلا سيحرم عليهم دخولها؛ ولكن بني إسرائيل في عهد
 موسى جنبوا عن دخولها بحجة وجود القوم الجبارين فيها؛ فحرمت عليهم، مصداقا لقوله تعالى:
 ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾
 [المائدة: 26].

(1) جامع البيان، الطبري: 168/10.

(2) انظر: المصدر السابق: 169/10، ومعالم التنزيل، البغوي: 36/3، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير:

75/3، والدر المنثور، السيوطي: 48/3.

(3) انظر: عقيدة اليهود، محمد آل عمر: ص 277-278.

والتحريم هنا تحريم أبدي، وجعل مدة الأربعين سنة للتيه؛ وليس للتحريم.⁽¹⁾
قال القرطبي: "أَرْبَعِينَ" ظرف زمان للتيه، في قول الحسن وقتادة، قالوا: ولم يدخلها أحد منهم، فالوقف على هذا على "عليهم"، وقال الربيع ابن أنس وغيره: إن "أَرْبَعِينَ سَنَةً" ظرف للتحريم، فالوقف على هذا على "أَرْبَعِينَ سَنَةً"، فعلى الأول: إنما دخلها أولادهم، قاله ابن عباس، ولم يبق منهم إلا يوشع وكالب، فخرج منهم يوشع بذرياتهم إلى تلك المدينة وفتحوها، وعلى الثاني: فمن بقي منهم بعد أربعين سنة دخلوها."⁽²⁾

يؤكد ذلك ما قاله ابن كثير: "قال بعض المفسرين في قوله: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ} هذا وقف تام، وقوله: {أَرْبَعِينَ سَنَةً} منصوب بقوله: {يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ}.⁽³⁾

وبمجيء الإسلام -الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية، ولا يقبل غيره، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [العمران: 19]، وبقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85] - أنهى فكرة هذا الوعد إلغاء نهائياً، ويهود اليوم لا يستحقون ذلك الوعد؛ بعدم إيمانهم بالإسلام، وبعدم صلاحهم.

المطلب الثالث

أثر عقيدة أرض الميعاد في فلسطين.

أولاً- أثر عقيدة أرض الميعاد في احتلال فلسطين.

لقد رأى قادة وزعماء الصهيونية أنه لا بد لممارسة إرهابهم من عقيدة، يستندون إليها وينطلقون منها، وقد وفرت المنظمات الصهيونية: السياسية، والدينية، والاجتماعية، والعسكرية تلك العقيدة، ورغم التباين والاختلاف في فكرها وأساليب عملها؛ إلا أنها كانت مجمعة على هدف واحد، هو: إقامة "دولة إسرائيل" في فلسطين، كمرحلة أولى لتأسيس الدولة على "أرض إسرائيل"، من نهر النيل إلى نهر الفرات، بمختلف الوسائل العسكرية الإرهابية، والسياسية والدبلوماسية والمالية.⁽⁴⁾

يقول ألبير دي بوري-أستاذ العهد القديم في كلية اللاهوت البروتستانتية في جنيف:-
"لقد تناول السواد الأعظم من المفسرين هذا الوعد الأبوي بمعناه التقليدي؛ لإضفاء الشرعية في

⁽¹⁾ انظر: جامع البيان، الطبري: 191/10، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 125/6، عن قتادة.

⁽²⁾ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 130/6.

⁽³⁾ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 79/3.

⁽⁴⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، نموذج إسرائيل، د. هيثم الكيلاني: ص 95.

فترة لاحقة على الغزو الإسرائيلي لفلسطين، أو بعبارة أدق؛ لتوسيع نطاق السيطرة الإسرائيلية عما كانت عليه في عهد الملك داود، وبعبارة أخرى، فإن هذا الوعد قد أدرج في نصوص الآباء؛ بغرض جعل هذه الملحمة السلفية بمثابة مقدمة وإعلان لمقدم العصر الذهبي لداود وسليمان⁽¹⁾. وفي جوابه على سؤال: لماذا اختار اليهود فلسطين لإقامة دولة يهودية؟ أجاب بيدرو بريجر⁽²⁾ في كتابه "الصراع العربي-الإسرائيلي، مائة سؤال وجواب" بقوله: "عندما بدأ مؤسسو الحركة الصهيونية التفكير في دولة يهودية خارج حدود أوروبا، تساءلوا أين يمكن أن يتحقق حلمهم، بما أن للتاريخ صلة قوية بالدين والإنجيل، وأن جذور ذلك التاريخ متواجدة في الشرق الأوسط، قرروا أن يكون المكان الملائم فلسطين"⁽³⁾.

* الأطوار التي مر بها الإرهاب الصهيوني الذي يؤمن بعقيدة أرض الميعاد:

لقد مر الإرهاب الصهيوني -الذي يؤمن بتلك العقيدة، وينطلق منها- بثلاثة أطوار:
الطور الأول: منذ بدء الاستيطان الصهيوني في فلسطين حتى قيام الكيان اليهودي المحتل (1880-1948م).

لقد ولدت الحركة الصهيونية الإرهابية في هذا الطور، حيث نشأت في أواخر القرن التاسع عشر في أوروبا، وبدأت تعمل في مطلع هذا القرن في أوروبا الشرقية؛ لتجعل مجيء اليهود إلى فلسطين أرضهم -حسب زعمهم الباطل- غزوة عسكرية استيطانية.
الطور الثاني: منذ تأسيس الدولة حتى حرب 1967 (1948-1967).

تولت في هذا الطور المنظمات الصهيونية الإرهابية توفير الظروف والعوامل والأسباب اللازمة لإنشاء دولة لليهود في "فلسطين"، أي: في جزء من "أرض إسرائيل الكبرى"، التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات.

الطور الثالث: بدأ منذ التوسع الاحتلالي في حرب 1967، ولا يزال مستمرا حتى اليوم.
في هذا الطور اتسعت رقعة الاحتلال لفلسطين وخاصة إثر حرب يونيو/ حزيران 1967م، وشملت الضفة الغربية، وقطاع غزة، وسيناء، والجولان؛ مما تطلب عدة أمور منها:

(1) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي: ص44.

(2) بيدرو بريجر: هو صحفي وأستاذ جامعي لمادة علم الاجتماع، في جامعة بوينس آيريس الحكومية، ومحلل في السياسة الدولية. عاش لمدة أحد عشر عاماً في فلسطين المحتلة، وتخصّص في النزاع العربي الإسرائيلي من خلال التعرف على الكثير من الزعماء والقادة السياسيين من كلا الطرفين وإجراء مقابلات معهم. انظر: موقع مركز دراسات الوحدة العربية على النت (<http://www.caus.org.lb>)

(3) الصراع العربي- الإسرائيلي، مائة سؤال وجواب، بيدرو بريجر: ص28.

أ- أن تنشأ منظمات إرهابية جديدة، وممارسات إرهابية مختلفة عن المنظمات والممارسات التي نشأت وعملت في مرحلة التمهيد لإقامة الدولة.

ب- أن تمارس الدولة العبرية أساليب جديدة في ممارستها "إرهاب الدولة".

في هذا الطور احتل المستوطنون اليهود موقعا متميزا في نظام الحكم في إسرائيل، من حيث: الاهتمام والرعاية والدعم المستمر لهم؛ باعتبارهم حلم الصهيونية التوسعي في إقامة "إسرائيل الكبرى"، وتبعاً لهذا فمستوطنو المناطق المحتلة يتغذون بدوافع أيديولوجية، تتمثل بتبني معظمهم ما يسمى "عقيدة إسرائيل الكاملة"، وتطبيقها عملياً عبر سلب أرض فلسطين والاستيطان فيها.⁽¹⁾

يتبين مما سبق: أن لعقيدة أرض الميعاد أثراً واضحاً في احتلال فلسطين 1948م، و 1967م، وما حدث خلالهما وبعدهما من أحداث وتداعيات، كانت على التفصيل الآتي:

1- حرب عام 1948م، واحتلال فلسطين.

قامت حرب 1948م بين العرب واليهود، بعد إعلان اليهود عن قيام الدولة صباح يوم 15 مايو 1948م، الذي جاء بعد إعلان إنجلترا إنهاء انتدابها على فلسطين بيوم واحد، بدعوى أنها تظمن لوجود حكومة قادرة على إدارة البلاد، وهي تقصد الحكومة الإسرائيلية؛ لأنه لم يتوفر للعرب في فلسطين حكومة محددة الشكل، وهو ما يفسر كون القرارات العربية والمصرية كانت تستخدم تعبير "عرب فلسطين" بدلاً من الفلسطينيين، أو دولة فلسطين.⁽²⁾

وكانت نتيجة هذه الحرب هي: احتلال اليهود جزءاً كبيراً من الأراضي الفلسطينية، فأصبح 78% من أراضي فلسطين (الجليل الغربي، وغربي مدينة القدس، ويافا، وعكا، واللد، والرملة) تحت السيطرة اليهودية، على الرغم من أن قرار التقسيم قد منح اليهود 56% من أرض فلسطين، وهكذا أصبحت مساحة الأراضي الواقعة تحت السيطرة اليهودية 20.900 كم مربع.⁽³⁾

2- حرب 1967م، واحتلال باقي فلسطين.

في عام 1967م احتل العدو الصهيوني أراض من ثلاثة بلدان عربية، وباحتلاله الضفة الغربية التي كانت تحت وصاية المملكة الأردنية الهاشمية، وقطاع غزة الذي كان تحت الوصاية المصرية أصبح العدو الصهيوني قد احتل كل فلسطين التي كانت تحت الانتداب

(1) انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 95-99.

(2) انظر: الصراع العربي الإسرائيلي، من مذكرات وذكريات الفريق عبد المنعم واصل: ص 21.

(3) انظر: الصراع العربي- الإسرائيلي، بيدرو بريجر: ص 47، ويحث بعنوان "حرب عام 1948م، وآثارها على مدينة القدس، د. أكرم محمد عدوان، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار: ص 8.

البريطاني، كما احتل شبه جزيرة سيناء حتى قناة السويس، ثم أعادها إلى مصر عام 1982م، وفي الشمال احتل هضبة الجولان التي كانت تشكل جزءاً من محافظة القنيطرة السورية. وكان لمدينة القدس وضعها الخاص، وبعد أيام من انتهاء الحرب طبقت حكومة العدو القانون الإسرائيلي على الشطر الشرقي من المدينة، وضمته بالقوة؛ لكن الأمم المتحدة لم تعترف بأي من هذه الإجراءات الإسرائيلية، وأصدرت في تشرين الثاني/نوفمبر 1967م القرار الشهير رقم 242، الذي يطالب بالانسحاب العاجل من الأراضي المحتلة سنة 1967م.⁽¹⁾ ثانياً: أثر عقيدة أرض الميعاد في يهودية الدولة.

يقول د. صالح الرقب: "إن من أهداف الإرهاب الصهيوني: محو الهوية العربية والإسلامية للأراضي الفلسطينية، واستبدالها بهوية يهودية من الناحيتين: التاريخية، والدينية، أي: تجسيد فكرة يهودية الدولة، وعزل كل من هو غير يهودي خارج حدود الدولة، التي تريد رسمها بعد الانتهاء من مخطط التهويد، حيث عملت سلطات العدو الصهيوني، ومنذ اليوم الأول لاحتلال فلسطين عام 1948م، على طمس المعالم العربية والإسلامية القديمة لفلسطين، وإعطائها الطابع اليهودي، وفي هذه الأيام اشتد شعار يهودية الدولة، وتعمل سلطات الاحتلال على الانتهاء منه بوتيرة قوية، وتريد من العرب والفلسطينيين الاعتراف به".⁽²⁾ إن فكرة يهودية الدولة ليست من أفكار نتتياهو أو غيره، فقد ألف هرتزل⁽³⁾ سنة 1895م كتاب (الدولة اليهودية)، ونشره في العام التالي، شرح فيه أفكاره حول يهودية الدولة. يقول هرتزل -في مقدمة كتابه "الدولة اليهودية"-: "إن الفكرة التي طورتها في هذا الكتيب فكرة موعلة في القدم، هي فكرة استعادة الدولة اليهودية. إن العالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود، وهذه الصيحات هي التي أيقظت الفكرة من سباتها".⁽⁴⁾

(1) انظر: الصراع العربي - الإسرائيلي، بيدرو بريجر: ص 63-64.

(2) مقال بعنوان: "إعلان يهودية دولة الاحتلال تأكيد للصراع الديني في فلسطين"، د. صالح الرقب، على صفحته www.drsregeb.com، بتاريخ 24 / 5 / 2009.

(3) تيودور هرتزل: ولد في بودابست 1860م، وقدم خطة لجمع الأموال من اليهود في العالم، بواسطة المنظمة الصهيونية. نظم هرتسل وترأس المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في أغسطس 1897م، والذي شكل أول اجتماع دولي لليهود، وخلال المؤتمر تبنى الممثلون اليهود "خطة بازل" التي حددت أهداف الحركة الصهيونية، كما أعلن الممثلون في المؤتمر أن الصهيونية تستهدف إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين، وتم خلال المؤتمر تأسيس المنظمة الصهيونية، وتم انتخاب هرتسل أول رئيس له. Mfa.gov.il.

(4) الدولة اليهودية، تيودور هرتزل: ص 1.

وفي عام 1940م كتب الزعيم الصهيوني أوستشكين" من أجل تأسيس دولة يهودية في فلسطين": "من المهم بالدرجة الأولى أن تكون جميع أراضي فلسطين يهودية أبداً، وحسب الأساليب المتبعة في العالم هناك ثلاث طرق: أولاً: بالقوة بواسطة الاحتلال العسكري، ثانياً: بالقسر، أي: بمصادرة الأراضي عن طريق الحكومة، ثالثاً: بشراء الأراضي من أصحابها".⁽¹⁾

- **خطورة يهودية الدولة.**

إن تعريف إسرائيل بأنها دولة يهودية يعني: أنها تخص أي شخص تعتبره السلطات الإسرائيلية "يهودياً"، سواء أكان يعيش داخل إسرائيل، أم خارجها، وفي الوقت نفسه لا تخص من هم ليسوا يهوداً، كالعرب الذين يشكلون 20% من السكان.

ونتيجة لذلك؛ فإن لتسمية الدولة باليهودية انعكاسات على الحياة اليومية، وتتضمن آليات متعددة تمنح بموجبها امتيازات لليهودي على العربي، خاصة فيما يتعلق بحقوق الإقامة والعمل والمساواة أمام القانون؛ فاليهودي يستطيع أن يعيش حيثما شاء، وأن يفتح محلاً تجارياً في أي مكان، فقط لكونه يهودياً؛ بينما تحظر هذه الحقوق على غير اليهود، الذين لا يحق لهم العمل في المكاتب والهيئات الحكومية.⁽²⁾

وتكمن خطورة تسمية الدولة باليهودية أيضاً، بأنها ستؤدي إلى إلحاق الأذى بالقضية الفلسطينية برمتها، وكل ملفاتها، وإفراغها من مضمونها، وستجعل من الفلسطينيين، ومن دولتهم المنتظرة مجرد رقم ثانوي، لا قيمة له في منطقة الشرق الأوسط⁽³⁾، وستمنع الفلسطينيين من المطالبة بحق عودة اللاجئين منهم إلى ديارهم التي شردوا منها عام 1948، وأيضاً سيلحق الضرر والضرر بالفلسطينيين داخل كيان إسرائيل، وهم الذين تزيد نسبتهم إلى إجمالي عدد سكان الكيان الإسرائيلي عن 20 بالمائة؛ لأن مصطلح (يهودية الدولة) يحمل في طياته توجهها إسرائيليًا لطردهم من وطنهم؛ بزعم الحفاظ على نقاء الدولة اليهودية.⁽⁴⁾

مما سبق يتبين: أن قضية يهودية دولة إسرائيل التي طرحها قادتها في الآونة الأخيرة، من خلال تصريحاتهم، من أخطر القضايا التي تخص القضية الفلسطينية؛ لأنها تهدد مصير القضية الفلسطينية، خاصة إذا ما وضع هذا الطرح محل التنفيذ الفعلي على الأرض، وأصبح أمراً واقعاً، وإن طرح (يهودية الدولة) لم يكن وليد تلك التصريحات؛ بل سبقها في التاريخ

(1) من ملفات الإرهاب الصهيوني - مجازر وممارسات - ص: 11.

(2) انظر: الصراع العربي - الإسرائيلي، بيدرو بريجر: ص 48.

(3) انظر: يهودية دولة إسرائيل، د. أسامة محمد أبو نحل: ص 294.

(4) انظر: المصدر السابق: ص 296-297.

الحديث تصريحات للعديد من القادة الصهاينة، وتحديدًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما سبق ذكره في أقوال قادة وزعماء اليهود.

ثالثاً- آثار عقيدة أرض الميعاد في تهويد القدس:

إن الهدف الأعلى من احتلال القدس هو: إقامة مشروع القدس الكبرى الذي يحمل بعداً سياسياً، ويتمثل ذلك في استمرارية تكريس فكرة تهويد فلسطين بعامة، والقدس بخاصة، والتي مارستها الحركة الصهيونية ميدانياً بشكل متواصل منذ أن وطأت أقدامها أرض القدس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وزرعت مستوطناتها في الزاوية الجنوبية الغربية لسور القدس، وكانت غايتها طمس المعالم العربية والإسلامية، وصبغها بالصبغة اليهودية.⁽¹⁾ ويمكن إيجاز آثار عقيدة أرض الميعاد في تهويد القدس بما يلي⁽²⁾:

1- تغيير معالم وهوامش مدينة القدس:

2- تهويد المرافق والخدمات العامة:

3- تركيز المؤسسات الصهيونية في القدس المحتلة:

4- طمس الهوية والثقافة الوطنية، وتهويد التعليم.

5- تهويد الاقتصاد العربي.

6- تهويد القضاء.

7- التهويد الديني، وتمثل ذلك في:

أ- إقامة الحفريات حول المسجد الأقصى وتحتته؛ بحجة البحث عن الهيكل الذي يدعي اليهود وجوده في منطقة المسجد الأقصى، وقد بدأت الحفريات عقب حرب 1967م مباشرة، ولا تزال مستمرة حتى الآن.

ب- إحراق المسجد الأقصى المدبر من قبل سلطات الاحتلال في 21/8/1969م، وتدبير محاولات نسفه عام 1980م على يد الحاخام مائير كهانا، وإطلاق النار على المصلين عدة مرات.

ج- الاعتداءات على المقدسات الإسلامية والأماكن المسيحية، ومحاولة إقامة الصلوات في ساحة المسجد الأقصى، والاعتداء على المقابر الإسلامية وتحطيمها، كما حدث في مقبرة ماملأ، وسرقة بعض محتويات كنيسة القيامة.

⁽¹⁾ انظر: مشروع القدس الكبرى 1967-2020م، د. أمين أبو بكر: ص 606.

⁽²⁾ الإجراءات (1-10) من مقال بعنوان: "مستقبل القدس، وسبل إنقاذها من التهويد"، د. إبراهيم أبو جابر وآخرون، جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف الإسلامية، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، ص 10-16.

8- التهويد الديمغرافي، ويتمثل ذلك في:

أ- تطبيق سياسة الإبعاد.

ب- سن قوانين أملاك الغائبين.

ج- الانتخابات البلدية.

د- إصدار قانون للتعويض عن أملاك المواطنين العرب.

هـ- استمرار مصادرة الأراضي شرق القدس، أو في المناطق المحيطة بها، وهذه المناطق هي:

- منطقة حي الشرفة، وحي المغاربة في شرق القدس.

- منطقة جبل سكوبس (الشهداء).

- أراضي بيت جالا.

- أراضي شرفات.

- أراضي منطقة النبي يعقوب.

- أراضي منطقة الشيخ جراح.

- أراضي قرية صور باهر.

- أراضي قرية شعفاط.

- أراضي منطقة قلنديا.

9- التهويد العمراني:

10- استمرار التخطيط الاستيطاني اليهودي في القدس القديمة.

مر الاستيطان اليهودي في القدس بأربع مراحل، وفق مخطط مبرمج لتهويد المدينة⁽¹⁾:

- **المرحلة الأولى:** بدأت عقب الاحتلال مباشرة، وأدت إلى تفويض حي المغاربة، وإجلاء سكانه الفلسطينيين.

- **المرحلة الثانية:** بدأت سنة 1968م، واستمرت حتى أواخر السبعينات، يوم امتلكت الحكومة الممتلكات الفلسطينية والإسلامية في الأحياء الواقعة بين حارة الأرمن وحي المغاربة، وأحلت سكانا من اليهود محل السكان الفلسطينيين.

- **المرحلة الثالثة:** بدأت أوائل الثمانينات على يد جماعات من المستوطنين اليهود المتحمسين؛ بهدف تثبيت الحضور اليهودي في قلب المناطق الفلسطينية من المدينة القديمة، وعلى مقربة من الحرم الشريف.

(1) انظر المراحل الأربعة: مقال بعنوان: "الاستيطان اليهودي في القدس القديمة"، مايكل دمير، مجلة الدراسات

الفلسطينية، المجلد 2، العدد 8، 1991: ص 31، ومقال "مستقبل القدس.."، د. إبراهيم أبو جابر: ص 9-10.

- المرحلة الرابعة: بدأت سنة 1987م مع احتلال وزير البناء والإسكان أريئيل شارون لمبنى في أحد الأحياء الإسلامية، وهذه المرحلة لا زالت مستمرة إلى اليوم.

- مسارات عمليات التهويد:

أخذت عمليات التهويد في توجهاتها ثلاث مسارات⁽¹⁾:

- المسار الأول: تغيير المظاهر الخارجية للمواقع المستهدفة من الأراضي والمنشآت:

لقد تم ذلك التغيير من خلال المعدات الثقيلة والمتفجرات، وفق نمط معماري يختلف عن ما هو سائد في فلسطين، في الكثير من جوانبه.

- المسار الثاني: الأوامر العسكرية التي تحد من التوسع العمراني للمواقع المأهولة العربية:

لقد تم وفق هذه الاعتبارات العنصرية منح بلدية القدس المستوطنين (3000) رخصة بناء، مقابل (150) للعرب، شريطة أن لا يتم رفع البناء لأكثر من طابقين؛ في حين سمح للمستوطنين ببناء (7) طوابق.

- المسار الثالث: التركيز على الجانب الديمغرافي⁽²⁾.

لقد تم في هذا المسار حشد أكبر عدد من المستوطنين في الأراضي المشمولة بالمشروع؛ بهدف رفع نسبة النمو السكاني لصالحهم، في مواجهة نمو المواطنين العرب، وفي ضوء ذلك: وضعت الخطط لحشد ما يقرب من مليون مستوطن في أراضي المشروع؛ بينما يجري العمل على قدم وساق للتخلص من المواطنين العرب، بشتى الطرق والوسائل، وحملهم على الرحيل و الهجرة، ليس خارج حدود البلدية وحسب؛ بل وخارج فلسطين بشكل عام، ومن ذلك: حملات سحب الجنسية عن المواطنين بين حين وآخر.

- وسائل تهويد مدينة القدس:

في تفصيل لإجراءات تهويد القدس، ذكر مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا- وسائل كثيرة قامت بها السلطات الإسرائيلية المحتلة لتهويد مدينة القدس، وهي⁽³⁾:

1- الاستيطان.

وذلك من خلال توسيع حدود القدس شرقاً وشمالاً، وذلك بضم مستوطنة "معاليه أدوميم" التي يقطنها 35 ألف مستوطن، إضافة إلى المستوطنات العسكرية الصغيرة.

⁽¹⁾ انظر: مشروع القدس الكبرى، د. أمين أبو بكر: ص 607-608.

⁽²⁾ الديمغرافي: خاص بعلم إحصاءات السكان؛ متعلق بالديموغرافيا؛ متعلق بالسكان. موقع المعاني، <http://www.almaany.com/>،

⁽³⁾ انظر: موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، www.wafainfo.ps

2- مصادرة الأراضي.

يعتمد الاحتلال الصهيوني سياسة مصادرة الأراضي المملوكة للفلسطينيين؛ من أجل توسيع مستوطناته، وقد تم خلال العقود الماضية مصادرة الآلاف من الدونمات في القدس ومحيطها، وما زالت هذه السياسة متبعة من قبل الاحتلال.

3- الكتل الاستيطانية حول القدس.

هناك كتل استيطانية كثيرة، تضم كل منها عددا من المستوطنات الصغيرة.

4- تهجير الفلسطينيين.

وضعت الحكومات المتعاقبة لدولة الاحتلال مخططات من أجل تهجير الفلسطينيين، ففي عام 1967م أعلن رئيس الوزراء آنذاك (أريئيل شارون) أن القدس ملك لإسرائيل؛ مما جعل شمعون بيرز يصرح بضرورة التهجير الجماعي للفلسطينيين من مدينة القدس.

5- سحب الهويات الإسرائيلية من السكان العرب في القدس.

لقد عملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على تنفيذ توصية اللجنة الوزارية الإسرائيلية لشؤون القدس لعام 1973م، برئاسة غولدا مائير، والتي تقضي بأن لا يتجاوز عدد السكان الفلسطينيين في القدس 22% من المجموع العام للسكان؛ وذلك لإحداث خلخلة في الميزان الديمغرافي في المدينة؛ لذلك فقد لجأت سلطات الاحتلال إلى استخدام الكثير من الأساليب لتنفيذ هذه الوصية، والتي كان آخرها: سحب الهويات من السكان العرب في القدس.

6- إصدار القوانين "قانون التنظيم والتخطيط".

هذه القوانين أدت إلى تحويل ما يزيد على 40% من مساحة القدس إلى مناطق خضراء، يمنع البناء للفلسطينيين عليها، وتستخدم كاحتياط لبناء المستوطنات، كما حدث في جبل أبو غنيم.

7- السيطرة على التعليم.

حيث قررت إسرائيل الإلغاء النهائي للبرامج التعليمية الأردنية التي كانت مطبقة سابقاً في مدارس القدس، وإبدالها بالبرامج التعليمية المطبقة في المدارس العربية في الأراضي المحتلة سنة 1948م.

8- تهويد أسماء المواقع الفلسطينية.

لقد عملت الحكومة الإسرائيلية منذ أكثر من 120 عاماً (1878م) على طمس أسماء القرى والمدن الفلسطينية و"عبرتها"، وأصبح ذلك رسمياً في سنة 1922م، حين شكّلت الوكالة

اليهودية لجنة أسماء لإطلاقها على المستوطنات الجديدة والقرى القديمة، ومنذ ذلك التاريخ حتى 1948م تم تغيير أسماء 216 موقعاً.

وعملت الحكومة الصهيونية على تغيير أسماء بوابات القدس التاريخية؛ بقصد تهويدها، وذلك مُوضَّح في الجدول التالي:

الاسم العربي التاريخي	الاسم العبري بعد التهويد
باب الخليل	شاغر يافو (يافا).
باب الحديد	شاغر هحداش.
باب العمود (دمشق)	شاغر شكيم.
باب الزاهرة (الساهرة)	شاغر هورودوس.
باب سنتا مريم	شاغر هاريون (الأسود).
باب المغاربة	شاغر هأشفا (النفائات).
باب الرحمة	شاغر هرحميم.
باب النبي داود	شاغر تنسيون (صهيون)

- مؤشرات إحصائية حول تهويد القدس:

ذكر مركز المعلومات الوطني الفلسطيني - وفا- أيضا مؤشرات إحصائية حول تهويد القدس، موضحا ذلك برسم بياني⁽¹⁾:

فقد ذكر المركز أنه منذ العام 2000م وحتى 2012م تم هدم نحو 1,124 مبنى في شرق القدس (ذلك الجزء من محافظة القدس الذي ضمته إسرائيل عنوة بعيد احتلالها للضفة الغربية في عام 1967م)؛ مما أسفر عن تشريد ما يقارب 4,966 شخصاً، منهم: 2,586 طفلاً، و1,311 امرأة.

ويشار إلى أن إجمالي الخسائر التي تكبدها الفلسطينيون جراء عمليات الهدم لمبانيهم في القدس قد وصلت نحو ثلاثة ملايين دولاراً، وهي لا تشمل مبالغ المخالفات المالية الطائلة التي تفرض على ما يسمى بمخالفات البناء.

وتشير بيانات مؤسسات حقوقية يهودية إلى أن سلطات الاحتلال قد قامت بهدم نحو 25 ألف مسكن في فلسطين منذ العام 1967م.

(1) موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني www.wafainfo.ps

من كل ما سبق يتبين: أن تهويد القدس كان أثراً من آثار عقيدة "أرض الميعاد والأرض المقدسة"، التي يعتقد اليهود أنها منحت لهم جيلاً بعد جيل، فجاءت حرب عام 1948م التي كان لها نتائج خطيرة للغاية على مدينة القدس، وفي كل المجالات؛ فمدينة القدس قلب فلسطين، وأصابها ما أصاب فلسطين جراء حرب عام 1948م؛ بل إن مدينة القدس كانت أكثر المدن تضرراً على الإطلاق؛ فقد قسمت المدينة، وأصبحت خاضعة لسلطتين مختلفتين: واحدة عربية، والأخرى يهودية؛ فبعد أن كانت وحدة واحدة في كل شيء أصبحت تمثل عنصر انقسام كبير للمجتمع الفلسطيني. هذا الانقسام للمدينة نتج عنه تطبيق سياسة الأمر الواقع على المدينة وسكانها، سواء على الجانب الشرقي الخاضع للسلطة الأردنية، أو على الجانب الغربي الخاضع للسيطرة اليهودية؛ لذلك كله كانت النتائج التي تترتب على حرب عام 1948م على مدينة القدس بمثابة مقدمة لما حدث لها عام 1967م، عندما احتلت باقي أراضي هذه المدينة على يد الصهاينة، وأصبحت المدينة بالكامل تحت السيطرة الصهيونية.

المطلب الرابع

هيكل سليمان في عقيدة اليهود.

يؤمن اليهود بوجوب إعادة بناء هيكل الرب، الذي بناه نبي الله سليمان عليه السلام، فوق جبل موريا -كما جاء في كتابهم المقدس-، وجبل موريا عند جمهورهم هو: جبل الحرم القدسي الشريف، أي: حيث يوجد المسجدان: الأقصى، وقبة الصخرة؛ ولذا يؤمن هؤلاء بوجوب هدم المسجدين، حتى يبنوا الهيكل في مكانه الأصلي.⁽¹⁾

ويعتقد اليهود أنّ المعبد المقدس الذي يسمونه (الهيكل)، بناه نبي الله سليمان عليه السلام من الذهب والفضة والحجارة الكريمة، وجاءت قصة بنائه في سفر أخبار الأيام، وفي سفر الملوك الأول، فمما جاء في سفر أخبار الأيام: "وَقَالَ دَاوُدُ الْمَلِكُ لِكُلِّ الْمَجْمَعِ: إِنَّ سُلَيْمَانَ ابْنِي الَّذِي وَحَدَهُ اخْتَارَهُ اللهُ، إِنَّمَا هُوَ صَغِيرٌ وَعَعِضٌ، وَالْعَمَلُ عَظِيمٌ لِأَنَّ الْهَيْكَلَ لَيْسَ لِإِنْسَانٍ بَلْ لِلرَّبِّ الْإِلَهِ. وَأَنَا بِكُلِّ قُوَّتِي هَيَأْتُ لِبَيْتِ الْهِبِيِّ: الذَّهَبَ لِمَا هُوَ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْفِضَّةَ لِمَا هُوَ مِنْ فِضَّةٍ، وَالنُّحَاسَ لِمَا هُوَ مِنْ نُحَاسٍ، وَالْحَدِيدَ لِمَا هُوَ مِنْ حَدِيدٍ، وَالْخَشَبَ لِمَا هُوَ مِنْ خَشَبٍ، وَحِجَارَةَ الْجَرَعِ، وَحِجَارَةَ اللَّتْرِصِيْعِ، وَحِجَارَةَ كَحْلَاءَ وَرَقْمَاءَ، وَكُلَّ حِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ، وَحِجَارَةَ الرَّحَامِ بِكَثْرَةٍ".⁽²⁾

⁽¹⁾ انظر: الهيكل اليهودي المقدس، خرافات بلا حدود، أ. د. صالح الرقب: ص5.

⁽²⁾ سفر أخبار الأيام الأول: 3-1/29.

ولإضفاء قدسية خاصة على الهيكل؛ زعمت الأسفار اليهودية أن الله اتخذ من الهيكل مسكناً له، بعد أن كان مسكنه الضباب: "حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سَكْنِي، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ".⁽¹⁾

وقد أصبح الهيكل المكان المقدس الوحيد، الذي تقدم فيه القرابين للرب، وفيه مكان مقدس، مخصص لاجتماع الناس؛ لأداء الطقوس والشعائر التعبدية.⁽²⁾

وهذا المطلب سيعرّف بالهيكل حسب العقيدة اليهودية، وسيكشف وجود أكثر من هيكل عندهم، وبيبين المراحل والأزمان، التي هدمت فيها تلك الهياكل، ويكشف أيضاً: سبب اختيار اليهود بناء هيكل سليمان-المزعوم- مكان المسجد الأقصى، وبيبين مكانة الهيكل عند اليهود، وفي النهاية: يرد على الادعاءات اليهودية في هيكل سليمان ويبطلها.

أولاً: المقصود بالهيكل:

الهيكل: كلمة يقابلها في العبرية "بيت همقداش"، أي: بيت المقدس، أو "هيخال"، وتعني: البيت الكبير، في كثير من اللغات السامية، وهو: الطريقة التي كان يشار بها إلى مسكن الإله، ومن أهم أسماء الهيكل: "بيت يهوه"، والهيكل أعدّ أساساً ليكون مسكناً للإله.⁽³⁾ جاء في سفر الملوك: "حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سَكْنِي، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأَبَدِ".⁽⁴⁾

يعتقد اليهود أن خيمة الاجتماع، التي يسمونها "قبة الزمان"، كانت موجودة قبل عبادتهم العجل، الذي هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس، وأنها مسكن الرب، وقد كانت "قبة الزمان" هذه مع بني إسرائيل في التيه، يصلون إليها، وهي قبلتهم وكعبتهم، وأن يوشع بن نون عليه السلام لما دخل بيت المقدس، واستقرت يده على البيت المقدس، نصب هذه القبة على صخرة بيت القدس، فكانوا يصلون إليها، فلما بادت صلوا إلى محلتها، وهي: الصخرة، ويرون أن أرض المسجد الأقصى هي أرض الهيكل، وأن مسجد الصخرة هو: مكان قدس الأقداس، داخل الهيكل.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ سفر الملوك الأول: 12/8-13.

⁽²⁾ انظر: الهيكل اليهودي المقدس، خرافات بلا حدود، أ. د. صالح الرقب: ص7.

⁽³⁾ موسوعة اليهود، المسيري: 159/4.

⁽⁴⁾ سفر الملوك الأول: 12/8-13.

⁽⁵⁾ انظر: قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ):

170/2-173، ومغالطات اليهود، وردها، من واقع أسفارهم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة: ص236.

وهنا تكمن خطورة هذا المعتقد، وما يترتب عليه، من ضرورة هدم المسجد الأقصى،
المقام على أرض الهيكل-حسب زعمهم-، وذلك؛ لبناء الهيكل-المزعوم- مكانه.

ثانياً: جبل الهيكل.

مصطلح يقابله في العبرية كلمة: "هر هبايت"، ويسمى في الدراسات العربية: "هضبة
الحرم"، ويُقال له أيضاً: "جبل موريا"، و"جبل بيت المقدس"، وهي منطقة في جنوب شرقي
القدس، ويعتقد اليهود أن الهيكلين: الأول والثاني قد أُقيما على هذه الهضبة، وأن إبراهيم عليه السلام
ضحى بإسحق عليه السلام -حسب اعتقاد اليهود⁽¹⁾- على هذا الجبل.

وتعتبر هذه البقعة أكثر الأماكن قداسة عند اليهود؛ ومن ثم، فإنهم لا يمكنهم دخولها
إلا بعد تطبيق بعض شعائر الطهارة، التي تحتاج إقامتها إلى رماد البقرة الحمراء، وهو ما
يستحيل في الوقت الحاضر، ومن ثم يُحرّم معظم فقهاء اليهود على اليهود دخول تلك المنطقة،
ويوجد في تلك البقعة حوالي مائة أثر إسلامي، أهمها: المسجد الأقصى، ومسجد القبة.⁽²⁾

ثالثاً: الهيكل الأول (هيكل سليمان).

ورد في الكتاب المقدس أنّ النبي داود عليه السلام اشترى أرضاً من أرونة اليبوسي؛ لبناء
الهيكل⁽³⁾، وأعد له الأموال والمواد اللازمة للبناء⁽⁴⁾، وأنه لم يقم بالبناء؛ لانشغاله بالحروب،
وسفكه لدماء كثيرة، وقد منعه الرب من البناء لأجل ذلك، ووعد الربّ داود عليه السلام بأن يكون ابنه
سليمان -ورثته- هو الذي يقوم ببناء الهيكل⁽⁵⁾.

(1) يعتقد اليهود أن الذبيح هو إسحق عليه السلام؛ وليس إسماعيل عليه السلام، كما هو في عقيدة المسلمين، التي هي ظاهر
النص القرآني. والنص التوراتي الذي ورد فيه أن إسحق هو الذبيح "وَحَدَّثَ بَعْدَ هَذِهِ الْأُمُورِ أَنَّ اللَّهَ امْتَحَنَ
إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمُ. فَقَالَ: هَآنَذَا. فَقَالَ: خُذِ ابْنَكَ وَحَدِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَأَذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرْيَا،
وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ". سفر التكوين: 22/1-2. انظر: موسوعة اليهود، د.
المسيري: 166/4.

(2) انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 166/4.

(3) سفر صموئيل الثاني: 24 / 24، والنص هو: "فَقَالَ الْمَلِكُ لِأُرُونَةَ: لَا، بَلْ أَشْتَرِي مِنْكَ بَيْتًا، وَلَا أَصْعِدُ
لِلرَّبِّ إِلَهِي مُحْرَقَاتٍ مَجَانِيَةً"، وسفر أخبار الأيام الأول: 24/11، والنص هو: "فَقَالَ الْمَلِكُ دَاوُدُ لِأُرُونَةَ: لَا! بَلْ
شِرَاءً أَشْتَرِيهِ بِفِضَّةٍ كَامِلَةٍ، لِأَنِّي لَا أَخْذُ مَا لَكَ لِلرَّبِّ فَأَصْعِدَ مُحْرَقَةً مَجَانِيَةً".

(4) انظر: سفر الملوك الأول: الإصحاح الخامس، وسفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح الثاني والعشرون.

(5) انظر: سفر الملوك الأول: 17 / 11-14، وسفر أخبار الأيام الأول: 22 / 7-10، 28 / 2-8.

وحسب الكتاب المقدس: فقد أتم سليمان عليه السلام بناء الهيكل في سبع سنين⁽¹⁾، وبناه فوق جبل مُرَبَّاً في القدس، وهو جبل بيت المقدس، أو هضبة الحرم، حيث يوجد فوقها سور الحرم الشريف، الذي يشمل المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وعدد من الأروقة والأبنية، ويسمى اليهود المكان بجبل الهيكل.⁽²⁾

رابعاً: هدم هيكل سليمان.

تذكر أسفار العهد القديم أنّ الهيكل بقي على ما هو عليه قرابة أربعة قرون، أي: منذ حوالي سنة 968 ق.م إلى هجوم البابليين بقيادة نبوخذ نصر على القدس، وسبوا أهلها، واستولوا على ما في الهيكل من ثروات، ثم هدموه سنة 586 ق.م، أو سنة 587 ق.م.⁽³⁾

خامساً: الهيكل الثاني.

الهيكل الثاني -حسب زعم الكتاب المقدس- هو: هيكل زروبابل، أحد كبار كهنة اليهود، بناه سنة 515 ق.م، بعد أن أذن الملك الفارسي "قورش" لليهود بالعودة إلى القدس سنة 538 ق.م، وكان البناء الجديد أضخم من البناء الأول؛ لكنّه أقلّ تكلفة وعظمة، وظل هذا الهيكل قائماً خمسة قرون، والأسفار التي ورد الحديث فيها عنه هي: عزرا، وحجي، وزكريا.⁽⁴⁾

ويذكر الكتاب المقدس أنّ الهيكل الثاني بُني بأمر من الرب، وبأمر من ملوك الفرس: قورش، وداريوس الأول، وأرتحشتا⁽⁵⁾.⁽⁶⁾

سادساً: هيكل هيرودس.

قام "هيرودس" الوالي اليهودي على فلسطين من قبل الرومان ببناء هيكل جديد، على أنقاض هيكل زروبابل، الذي أصابه الخراب بعد خمسمائة عام من بنائه، فهدمه، وقام ببناء هيكل آخر مكانه أضخم منه. بدأ "هيرودس" العمل في البناء سنة 20 ق.م، واستمر العمل فيه وقتاً طويلاً؛ ولكنه مات قبل أن يتّمّه، وتم البناء في عهد أغريباس الثاني سنة 64م.⁽⁷⁾، ويسمى هذا الهيكل "الهيكل الثاني"، وأحياناً تطلق هذه التسمية للإشارة إلى الهيكل الذي أسّسه زروبابل،

(1) انظر: سفر الملوك الأول، الإصحاح السادس.

(2) انظر: قاموس الكتاب المقدس: 463/2، وموسوعة اليهود، المسيري: 160/4.

(3) انظر: سفر الملوك الثاني: 9-8/25، 13-17، وأخبار الأيام الثاني: 36: 18-19.

(4) انظر: قاموس الكتاب المقدس: 465/2.

(5) انظر: سفر عزرا: 6/14.

(6) انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 162/4.

(7) انظر: قاموس الكتاب المقدس: 465/2، واليهودية، أحمد شلبي: ص 88.

وبهذا يكون هيكل هيرودس الهيكل الثالث، وإن كان مصطلح "الهيكل الثالث" يشير إلى الهيكل الذي سيُشيد على أنقاض المسجد الأقصى مع بداية العصر المشيحاني⁽¹⁾⁽²⁾

ولقد هدم هذا الهيكل سنة 70م، على يد القائد الروماني "تيطس فلافيوس"، الذي حاصر القدس، ودك أسوارها، وأشاع فيها الخراب، وأضرم النار في الهيكل، بعد أن سلب ما فيه، ثم هدمه، وهذا هو التدمير الثاني للهيكل.⁽³⁾

وإذا كان "تيطس" قد دمر المدينة والهيكل، وأبقى الحطام مكانه؛ فإن الإمبراطور الروماني "أدريانوس" أزال معالم المدينة، ومعالم الهيكل تماما سنة 135م، وأقام مكانه هيكلًا وثنيًا باسم "جوبيتار" رب الآلهة عند الرومان؛ إذ لم تكن المسيحية قد اعترفت بها بعد، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية في أورشليم، فدمره المسيحيون في عهد الإمبراطور "قسطنطين".⁽⁴⁾

والسؤال الذي يطرح هنا: هل بعد هذا الهدم المتكرر للهيكل، وإقامة الهيكل الوثني مكانه، ثم تدميره في عهد الإمبراطور "قسطنطين"، هل بعد كل ذلك، يبقى للهيكل أثر؟! هذا السؤال إن صح بناء الهيكل أصلاً!

سابعاً: الهيكل الثالث.

الهيكل الثالث: مصطلح ديني يهودي، يشير إلى عودة اليهود بقيادة الماشيخ⁽⁵⁾ إلى صهيون لإعادة بناء الهيكل آخر الزمان؛ وهو الذي سيبنى في العصر المشيحاني. وقد جعل

(1) العصر المشيحاني: مصطلح يطلقه اليهود على العصر الذي يعود فيه الماشيخ المخص اليهودي، ويقود الشعب إلى فلسطين. انظر: موسوعة اليهود، المسيري: 125/4.

(2) انظر: المصدر السابق: 163/4.

(3) انظر: مغالطات اليهود، عبد الوهاب عبد السلام طويلة: ص279، واليهودية، أحمد شلبي: ص88.

(4) انظر: اليهودية، أحمد شلبي: ص88.

(5) ماشيخ: كلمة عبرية تعني: "المسيح المخص"، ومنها: "مسيحيوت"، أي: "المشيحانية"، وهي: الاعتقاد بمجيء الماشيخ. والكلمة مشتقة من "مشح" أي: مسح بالزيت المقدس. وكان اليهود، يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما، علامة على المكانة الجديدة، وعلامة على أن الروح الإلهية أصبحت تحل وتسري فيهما، وفي نهاية الأمر أصبح للكلمة معنى محدد يشير إلى شخص مُرسَل من الإله، يتمتع بقداصة خاصة، يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وهو ملك من نسل داود عليه السلام، سيأتي بعد ظهور النبي إيليا؛ ليعدل مسار التاريخ اليهودي و البشري، فينهى عذاب اليهود، ويأتيهم بالخلص، ويجمع شتات المنفيين، ويعود بهم إلى صهيون، ويحطم أعداء جماعة يسرائيل، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل، ثم يبدأ الفردوس الأرضي، الذي سيدوم ألف عام. انظر: موسوعة اليهود: د. المسيري: 294/5.

الصهاينة الاستيطان الصهيوني هو العودة المشيخانية؛ وبالتالي فإن الدولة الصهيونية هي الهيكل الثالث.⁽¹⁾

وهذا هو الهيكل الذي يسعى اليهود لإعادة بنائه على أنقاض المسجد الأقصى، كما في تصريحات قادتهم الدينيين والسياسيين، كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً، في هذا المطلب.
ثامناً: إعادة بناء الهيكل.

يقول د. المسيري: "عبارة 'إعادة بناء الهيكل' تُستخدم بمعنيين:

1- إعادة بناء الهيكل بعد عودة اليهود من بابل، بمرسوم "قورش الأخميني" (538 ق.م)، ومن ثم فإنه يسمى "الهيكل الثاني"؛ تمييزاً له عن الهيكل الأول الذي هدمه "نبوختنصر"، وقد أصدر ملك الفرس "دارا الأول" أمراً بالاستمرار في بناء الهيكل... والواقع أن استخدام العبارة بهذه الصورة أمر نادر؛ إذ أن الاستخدام الأكثر شيوعاً يشير إلى:

2- إعادة بناء الهيكل بعد عودة الشعب اليهودي إلى صهيون آخر الأيام تحت قيادة الماشيخ، وهذا هو "الهيكل الثالث"، باعتبار أن "الهيكل الثاني" هو الذي بناه هيرودوس، وهدمه تيتوس".⁽²⁾

وهناك عدة محاولات قد قامت من جانب الجماعات الصهيونية تستهدف تفجير الأماكن المقدسة الإسلامية في القدس، أو حرقها، وضُبطت مؤامرة لإلقاء القنابل عليها من الجو. وهناك منظمة يهودية تُسمى: "أمناء جبل الهيكل"، التي يمولها المليونير الأمريكي (المسيحي الأصولي) "تري رايز نهوفر"، جعلت بناء الهيكل الثالث هدفها الأساسي، وأن عضو الكنيسة "جيولاه كوهين" تقود حملة لتأكيد أن المنطقة التي يُوجد عليها الآن كل من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة هي المنطقة التي كان يُوجد عليها الهيكل، ومن ثم، فليهود حقوق مطلقة فيها.

وقد قامت جماعة "أمناء جبل الهيكل" بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث، في احتفال تحت إشراف رئيس الجماعة المدعو "جرشوم سالمون"، وقد حضر الاحتفال الذي جرى في منتصف شهر أكتوبر عام 1989، كاهن يرتدي ملابس كهنوتية خاصة، مصنوعة من الكتان المغزول باليد، من ستة خيوط مجدولة، تم إعدادها في معهد الهيكل، وحجم حجر الأساس متر مكعب، وقد قام حفاران يهوديان من القدس بإعداده، دون استخدام أية أدوات حديدية (كما

(1) موسوعة اليهود، المسيري: 164/4.

(2) المصدر السابق: 167/4.

تتطلب الشعائر)، وقد حاولوا الوصول بالحجر إلى ساحة حائط البراق، عند حائط المبكى؛ ولكن الشرطة الإسرائيلية تصدت لهم، فحُمل الحجر إلى مخزن الحفارين، وأودع فيه⁽¹⁾.
تاسعاً: اختيار اليهود بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى، وسببه.

تقول "جريس هالسل" بعد جولة إلى الأرض المقدسة في عام 1985، زارت فيها مع مجموعة من الحجاج المسيحيين الصهاينة مدينة القدس-: "قال لنا الدليل، وهو يشير إلى قبة الصخرة، وإلى المسجد الأقصى: هناك سنبنى الهيكل الثالث، لقد أعدنا جميع الخطط لبناء الهيكل، حتى إن مواد البناء أصبحت جاهزة، إنها محفوظة في مكان سري هناك، معامل يعمل فيها الإسرائيليون؛ إنتاج التحف الفنية، التي سنستعملها في الهيكل الجديد، إن أحد الإسرائيليين ينسج الآن قماشاً من الحرير الخالص؛ لاستعماله في صناعة أثواب الحاخامين في الهيكل"⁽²⁾.

وعن سبب اختيار اليهود بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى في مدينة القدس، يقول د. "جميل عبد السيد فرح": "لم يسمح الله للملك والنبي داود ببناء الهيكل؛ لأن يديه كانتا ملطختين بدماء الكثيرين، الذين قتلهم في الحروب؛ بل أمره أن يبني ابنه الملك سليمان الهيكل نحو ألف سنة قبل الميلاد، في المكان المعروف اليوم بالمسجد الأقصى، وعلى قبة الصخرة بالذات؛ ولهذا فإن يهود اليوم يريدون إقامة هيكلهم في ذات المكان؛ وليس في أي مكان آخر؛ وإلا أصبحت عبادتهم ناقصة ومرفوضة. وعند تدشين الهيكل قدم الملك سليمان، وجميع بني إسرائيل، ذبائح للرب: 22 ألفاً من البقر، و 120 ألفاً من الغنم، واحتفلوا سبعة أيام (التوراة: ملوك الأول: 8 / 62-64)؛ لذلك يصر اليهود على إعادة بناء الهيكل في هذا المكان بالذات؛ ليعودوا لممارسة عبادتهم، حسب الشريعة الطقسية اليهودية القديمة، تمهيداً لمجيء المسيح، كما يعتقدون... وهذا هو سبب إصرارهم الشديد على بناء هذا الهيكل، ولو بالقوة، في نفس هذا المكان؛ لممارسة هذه الفرائض من جديد"⁽³⁾.

ومما يؤكد إصرار اليهود على بناء هذا الهيكل في نفس مكان المسجد الأقصى محاولتهم إحراق المسجد الأقصى في 21 آب 1969م، وقرار فالينشتاين في تموز 2012م الذي تضمن فرض السيادة الإسرائيلية على جميع باحات المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة. ومنذ احتلال مدينة القدس عام 1967م، وهم يعملون باستمرار للسيطرة عليها وتغيير معالمها، بهدف تهويدها وإنهاء الوجود العربي فيها، وقد استخدمت لأجل ذلك الكثير من الوسائل، وقامت

(1) انظر: موسوعة اليهود، المسيحي: 168/4.

(2) النبوة والسياسة، جريس هالسل: ص74.

(3) هيكل سليمان الثالث، د. جميل عبد السيد فرح: ص5-6.

بإجراءات عديدة ضد المدينة وسكانها، حيث كان الاستيطان في المدينة، وفي الأراضي التابعة لها، أحد أهم الوسائل لتحقيق هدف الاحتلال الصهيوني الأساسي تجاه مدينة القدس.⁽¹⁾

إن الظاهر الذي يعلنه اليهود هو: إعادة بناء الهيكل تحت المسجد الأقصى؛ ولكن الحقيقة التي يخفيها اليهود، ولا يريدون اطلاع أحد عليها هي: أنهم يبحثون عن شيء آخر غير الهيكل؛ فديانة اليهود يجب أن تبقى سرية، وهذا ما ورد في بروتوكولات حكماء صهيون، البروتوكول الرابع عشر (لن يحكم أحد أبداً على ديانتنا من وجهة نظرها الحق؛ إذ لن يستطيع أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف أسرارها).⁽²⁾

فإحاطات اليهود لا يريدون (هيكل سليمان)؛ لأنهم يستطيعون بناء هيكل جديد في أي مكان في العالم؛ ولكن أساطير اليهود لا تنتهي، فهم يبحثون عن (النار المقدسة) التي كانت في هيكل سليمان، ولقد فضح هذا السر (البابا شنودة) بابا الأقباط في مصر؛ فقد قام فجأة بالكشف عن هذا السر، وذلك في لقاء مع التلفزيون المصري، قبل وفاته ببضعة أشهر، كان له لقاء في (عيد الفصح المجيد) كشف فيه لجميع المستمعين والمشاهدين عن أهم أسرار اليهود التي يخفونها وهي (النار المقدسة) عند اليهود، وكيف كانت؟ ومن أين نزلت؟ وأين اختفت؟

أسئلة تدور كلها على أهم أسرار البحث عن هيكل سليمان، فهم يعتقدون اعتقادات عجيبة؛ فإن (النار المقدسة) عند اليهود -حسب خرافات الحاخامات- نزلت على بني إسرائيل من السماء، وإن اليهود كانوا يحملونها معهم من مكان إلى آخر، ويشوون القرايين التي يقدمونها إلى الرب على تلك النار؛ فإن الرب لا يقبل القرايين إلا إذا كانت مشوية، بحسب أوامر الحاخامات التي أصبحت ركناً من أركان الديانة اليهودية، فهذا ركن من أركان الديانة اليهودية أخفوه عن العالم، ثم اختفت هذه النار فجأة فلم يعد اليهود يعرفون أين هي؟ وإن كانوا يعتقدون أنها كانت في الهيكل، فماذا يقدمون إلى الرب؟ فأصبحت ديانة اليهود فاقدة أحد أهم أركانها.⁽³⁾

عاشراً: مكانة الهيكل عند اليهود.

وردت نصوص كثيرة في العهد القديم، وفي التلمود، وكذلك في أقوال الباحثين والمؤرخين، عن مكانة الهيكل في عقيدة اليهود.

(1) انظر: مقال: "التأييد الأمريكي لتهويد القدس"، د. غازي حسين. ومشروع القدس الكبرى، د. أمين أبو بكر:

ص 607، وانظر الخطة اليهودية في تهويد القدس: المطلب الثاني من المبحث الثالث للفصل الثاني من البحث

(2) بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التنوسي: ص 98.

(3) انظر: مقال بعنوان "إسرائيل لا تبحث عن هيكل سليمان.. إذن عن ماذا؟ المحامي سفيان الشوا، السبت 8

يوليو 2017م، موقع جريدة الدستور الأردنية. <https://www.addustour.com>

أ- نصوص العهد القديم في مكانة الهيكل:

- 1- ورد في سفر المكابيين الثاني "وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ، بَلِ اجْتَرَأَ وَدَخَلَ الْهَيْكَلَ الَّذِي هُوَ أَقْدَسُ مَوْضِعٍ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَكَانَ دَلِيلُهُ مَنَالُوسَ الْخَائِنِ لِلشَّرِيعَةِ وَالْوَطَنِ".⁽¹⁾
- في هذا النص تصريح واضح بمكانة الهيكل العظيمة الذي وصفه بـ(أَقْدَسُ مَوْضِعٍ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا)، أي أكثر مكان مقدس أي: مطهر ومبارك.⁽²⁾
- 2- وفي سفر حزقيال "وَقَاسَ طُولَهُ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، وَالْعَرْضَ عِشْرِينَ ذِرَاعًا إِلَى قُدَّامِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لِي: هَذَا قُدُّسُ الْأَقْدَاسِ".⁽³⁾
- في هذا النص وصف عظيم للهيكل بأنه (قُدُّسُ الْأَقْدَاسِ)، أي: ذو القداسة الأصلية⁽⁴⁾ وقد سبق معنى القداسة: أي: الطهارة والبركة.⁽⁵⁾
- وهناك نصوص أخرى في وصف الهيكل بالقداسة منها:
- "وَكَانَ اضْطِرَابُهُمْ عَلَى النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ وَالْإِخْوَةِ وَدَوِيِّ الْقَرَابَاتِ أَيْسَرَ وَقَعًا مِنْ خَوْفِهِمْ عَلَى الْهَيْكَلِ الْمُقَدَّسِ، الَّذِي كَانَ هُوَ الْخَوْفَ الْأَعْظَمَ وَالْأَوَّلَ".⁽⁶⁾
- "أَمَّا أَنَا فَبِكْرْتُهُ رَحْمَتِكَ أَنْدُخُلَ بَيْتِكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ بِخَوْفِكَ".⁽⁷⁾
- "حِينَ أَعَيْتُ فِي نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ، فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلَاتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ".⁽⁸⁾
- "أَمَّا الرَّبُّ فَفِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. فَاسْكُتِي قُدَّامَهُ يَا كُلَّ الْأَرْضِ".⁽⁹⁾
- 3- وورد في سفر المكابيين الثاني "فَلَمَّا رَأَى نِكَائُورُ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ سَبَقَهُ بِحَزْمِهِ وَدَهَائِهِ انْطَلَقَ إِلَى الْهَيْكَلِ الْعَظِيمِ الْمُقَدَّسِ".⁽¹⁰⁾

⁽¹⁾ سفر المكابيين الثاني: 15/5.

⁽²⁾ انظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: 646/2، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين - بيروت، 1987م.

⁽³⁾ سفر حزقيال: 4/41.

⁽⁴⁾ انظر: قاموس الكتاب المقدس: 206/2.

⁽⁵⁾ انظر: جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: 646/2.

⁽⁶⁾ سفر المكابيين الثاني: 18/15.

⁽⁷⁾ سفر المزمير: 7/5.

⁽⁸⁾ سفر يونا: 7/2.

⁽⁹⁾ سفر حبقوق: 20/2.

⁽¹⁰⁾ سفر المكابيين الثاني: 31/14.

في هذا النص إضافة جديدة لوصف القداسة وهي العظمة، فهو هيكل مقدس عظيم (الهيكل العظيم المقدس).

4- وورد في سفر دانيال "مُبَارَكُ أَنْتَ فِي هَيْكَلِ مَجْدِكَ الْقُدُّوسِ، وَمُسَبِّحٌ وَمُمَجَّدٌ إِلَى الدُّهُورِ".⁽¹⁾ في هذا النص وصف آخر للهيكل بنسبته إلى مجد الله تعالى وعظمته.

وهناك نصوص أخرى في وصف الهيكل بالمجد، منها:

- "صَوْتُ الرَّبِّ يُوَلِّدُ الإِيْلَ، وَيَكْشِفُ الوُعُورَ، وَفِي هَيْكَلِهِ الكُلُّ قَائِلٌ: «مَجْدٌ»".⁽²⁾

- "يُحَاوِلُونَ أَنْ يَنْفُضُوا مَوَاعِيدَكَ وَيَمْحُوا مِيرَاتِكَ، وَيَسُدُّوا أَفْوَاهَ المُسَبِّحِينَ لَكَ، وَيُبْطِفُوا مَجْدَ هَيْكَلِكَ وَمَذْبَحِكَ".⁽³⁾

5- وورد في سفر المكابيين الثاني "فَلَا يَجُورُ بِوَجْهِهِ مِنَ الوُجُوهِ هَضْمُ الَّذِينَ انْتَمَنُوا قَدَاسَةً المَوْضِعِ، وَمَهَابَةٌ وَحُرْمَةٌ الهَيْكَلِ المُكْرَمِ فِي المَسْكُونَةِ كُلِّهَا".⁽⁴⁾

في هذا النص وصف آخر للهيكل بالمهابة والحرمة والتكريم، فهو مهاب ومحرم ومكرم.

6- وورد في سفر زكريا "فَهُوَ يَبْنِي هَيْكَلَ الرَّبِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ الجَلَالَ وَيَجْلِسُ وَيَتَسَلَّطُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَيَكُونُ كَاهِنًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَتَكُونُ مَشُورَةُ السَّلَامِ بَيْنَهُمَا كِلَيْهِمَا".⁽⁵⁾

في هذا النص وصف للهيكل بالجلال والكمال (وهو يحمل الجلال)

ب- ماورد في التلمود عن مكانة الهيكل:

لقد تحدّث التلمود عن الهيكل في مواضع متعددة، ومن ذلك:

1- لما دخل طيطس الهيكل، وبهزة من سيفه مزق ستار الهيكل، فسال الدّم من الستار، فأرسلت بعوضة لعقابه، ودخلت مخه، وأخذت تكبر، حتى صارت مثل الحمامة، وحين فتحت جمجمته وجدوا أنّ البعوضة لها فم من نحاس، ومخالب حديدية.⁽⁶⁾

2- زعم التلمود أنّ الرب -تعالى- عما يقولون علواً كبيراً- بعد تدمير الهيكل، وإلى الآن، لم يقطع عن البكاء والنحيب، ويردد عبارات الندم، على سماحه بهدم الهيكل، فقد ورد في التلمود، في الكتاب الثاني الذي بعنوان "فساد الدين"، الفصل الأول تحت عنوان "العزة الإلهية على حسب التلمود": "ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى

⁽¹⁾ تنمة سفر دانيال: 53/1.

⁽²⁾ سفر المزمير: 9/29.

⁽³⁾ تنمة سفر أستير: 9/5.

⁽⁴⁾ سفر المكابيين الثاني: 12/3.

⁽⁵⁾ سفر زكريا: 13/6.

⁽⁶⁾ الكنز المرصود في قواعد التلمود (على الشاملة)، مصطفى الزرقاء: ص36.

الرقص مع حواء بعد ما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها. وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلاً: تبا لي لأنني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي. وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كن ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان".⁽¹⁾

ج- أقوال الباحثين والمؤرخين عن مكانة الهيكل في عقيدة اليهود:

وردت أقوال كثيرة في كتب الباحثين والمؤرخين عن مكانة الهيكل عند اليهود، فمما قالوه

في ذلك:

1- قول المؤرخ "ديورانت": "كان بناء الهيكل أهم الحوادث الكبرى في ملحمة اليهود، بعد نشر كتاب القانون؛ ذلك أن هذا الهيكل لم يكن بيتاً ليهوه فحسب؛ بل كان أيضاً مركزاً روحياً لليهود، وعاصمة لملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، كأنه علم من نار يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض، ولقد كان له فوق ذلك شأن في رفع الدين اليهودي، من جيل بدائي متعدد الآلهة، إلى عقيدة راسخة غير متسامحة".⁽²⁾

2- قول المؤرخ "لودز": "لقد بالغ كتبة العهد القديم في العصور المتأخرة في أهمية بناء الهيكل في أورشليم، لقد بدأ الهيكل يأخذ مكانة مميزة في الديانة اليهودية؛ نتيجة لتدمير مملكة إسرائيل الشمالية سنة 722 ق. م من قبل الآشوريين، وكان الفضل كله يرجع إلى إصلاح يوشيا 622 ق. م الذي أعلن أنّ الهيكل هو المعبد الشرعي الوحيد ليهوه، بحيث أصبح الهيكل بالنسبة للديانة اليهودية، وحتى إبطال تقديم القرابين عام 70 بعد الميلاد قلب الديانة الوطنية".⁽³⁾

3- قول الموسوعة اليهودية: "إن بناء الهيكل، وانتقال العبادة من خيمة الاجتماع إليه، يرمز إلى الانتقال من النظام القبلي، إلى النظام الملكي".⁽⁴⁾

4- ما جاء في "دائرة المعارف البريطانية": "إنّ اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة عرش داود في القدس، وعليه أمير من نسل داود".⁽⁵⁾

(1) الكنز المرصود في قواعد التلمود (على الشاملة)، مصطفى الزرقاء: ص 36..

(2) قصة الحضارة، ديورانت: 338/2.

(3) نقلاً عن: داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، د. أحمد عيسى الأحمد: ص 114.

(4) نقلاً عن: المصدر السابق: ص 110.

(5) نقلاً عن كتاب "قبل أن يهدم الأقصى"، عبد العزيز مصطفى: ص 126.

حادي عشر: ترحيب النصارى ببناء الهيكل.

تقول الكاتبة الأمريكية "لي أوبرين": "إن المذاهب اللاهوتية لكثرة من المسيحيين البروتستانت تصف إنشاء دولة إسرائيل بأنه تحقيق لنبوذة تورانية، وتعتقد أيضاً: أن تجمع اليهود في فلسطين مجرد تمهيد لتتصيرهم، قبل المجيء الثاني للمسيح ﷺ؛ ولهذا فإن أنصار السفارة المسيحية الدولية في القدس، يشجعون محاولات تنصير أتباع أي ديانة باستثناء اليهود؛ إذ إنه من المحرم عليهم التبشير بينهم؛ لأنهم سيؤمنون تلقائياً بالمسيح ﷺ عندما ينزل؛ ولكن أين سينزل المسيح ﷺ؟ في اعتقاد النصارى يقولون أيضاً: سينزل المسيح ﷺ في القدس، وسيمارس دعوته من الهيكل؛ ولهذا لا بد من مشاركة فعالة في بناء الهيكل، الذي سيكون رمزاً لتعانق الديانتين: اليهودية، والنصرانية معاً، أو بالأحرى: اندماجهما معاً. واليهود يرقبون هذه البلاهة بمكر؛ بل يستثمرونها بذكاء وصبر، وقد قال أحد حاخاماتهم لقسيس نصراني: إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى، فلنبدأ أولاً ببناء الهيكل، وبعد مجيء المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المتبقية سوية؛ ولكن يظل أتباع اليهودية هم الجهة المعنية أولاً ببناء الهيكل، فهو عندهم عقيدة وعبادة وتاريخ ووجدان، ولا أظن أن حماسهم سيفتر من أجل إخراجه إلى عالم الوجود، بعد أن ظن الناس أنهم أدرجوه في عالم النسيان".⁽¹⁾

وهذا ما أكدته القرآن الكريم في حديثه عن اليهود والنصارى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: 51]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 73]، فهذه الكثرة من المسيحيين البروتستانت، التي تتحدث عنها الكاتبة الأمريكية "أوبرين"، والتي تدعم إنشاء دولة إسرائيل، وتعتقد أنها تحقيق لنبوذة التوراة، وتطمع في تنصير اليهود بعد تجمعهم في فلسطين، تؤكد ما ذكرته الآيات السابقة من موالاة مستمرة بين اليهود والنصارى، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالإسلام والمسلمين؛ فنجدهم متوحدين ضدهم.

ثاني عشر - إبطال الادعاءات اليهودية في هيكل سليمان ﷺ.

يمكن نقض مزاعم اليهود في الهيكل المنسوب لسيدنا سليمان ﷺ بأدلة كثيرة، منها:

الدليل الأول: عدم قدسية الأسفار التي تحدثت عن وجود الهيكل.

السفران اللذان تحدثا عن وجود الهيكل وهما: سفر الملوك: الأول، والثاني - ينسب اليهود كتابتهما إلى أرميا، وهذا غير صحيح، وليس هناك دليل واحد يؤيده؛ فسفر الملوك الثاني

(1) قبل أن يهدم الأقصى، عبد العزيز مصطفى كامل: ص 19-20.

تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر أرميا، وبالتالي فلا يعقل أن يكون هو كاتبه⁽¹⁾، والصحيح -كما ذكر العلماء والمؤرخون- أن السفرين عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية، جمعت ونسقت معاً، واستقى كاتبهما موادها من سجلات البلاط، وسجلات الهيكل، وسير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية، والحكايات الشعبية.⁽²⁾

وذهب العلماء إلى أنّ هذين السفرين قد تمّ تأليفهما مرتين وبصيغتين مختلفتين، فالصيغة الأولى أواخر القرن السابع ق. م، أو ما بين 622-609 ق. م، أي: ما قبل السبي، والصيغة الثانية وضعت في السبي، حيث جاء مؤلف ثانٍ وأعاد تأليفه من جديد، ويستدل على ذلك بعبارات كثيرة جاءت في السفرين، ويرجح أنّ هذا التأليف قد تم بين عامي 561-538 ق.م.⁽³⁾

وتوجد مشاكل عديدة في السفرين، وتنقسم هذه المشاكل إلى عدة أقسام⁽⁴⁾:

القسم الأول: احتواؤه على مجموعة من الأغلاط.

القسم الثاني: الاختلاف والتناقض بين نص السفرين العبري ونصه اليوناني.

القسم الثالث: إضافات أضافها النساخ إلى نص السفرين.

القسم الرابع: الاختلاف والتناقض بين نصوص السفرين.

القسم الخامس: الاختلاف والتناقض بينه وبين سفري أخبار الأيام وسفر إرميا.

القسم السادس: المشاكل الدينية والأخلاقية.

الدليل الثاني: سليمان عليه السلام لم يبن هيكلاً؛ بل بنى لله تعالى مسجداً.

الثابت تاريخياً -وكما جاء في السنة النبوية- أن سليمان عليه السلام لم يبن هيكلاً -كما تزعم التوراة المحرفة-؛ بل الثابت أنه بنى مسجداً، وهو المسجد الأقصى، وإن قصة الهيكل كما ترويه كتب اليهود قصة خرافية، والهيكل نفسه ليس له وجود حقيقي في التاريخ.⁽⁵⁾

(1) انظر: المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 99.

(2) انظر: تاريخ شعب العهد القديم، الأب ديلي (الأستاذ في جامعة باريس الكاثوليكية): ص 206، وتأثر التوراة، د. الزغبى: ص 360.

(3) انظر: تاريخ شعب العهد القديم، الأب ديلي: ص 206، والمدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد: ص 102.

(4) انظر: العهد القديم دراسة نقدية، د. علي سري محمود المدرس: ص 215، ط 1، الأكاديميون للنشر

والتوزيع، عمان-الأردن، 1427هـ-2007م.

(5) مقال بعنوان: المسجد الأقصى وأسطورة الهيكل اليهودي، أحمد أبو زيد، بتاريخ 10 ربيع الثاني 1430هـ.

[/https://almoslim.net](https://almoslim.net)

ويدل على ذلك الحديث الشريف الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: "المسجد الحرام"، قال: قلت: ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى"، قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون سنة." ⁽¹⁾، وجاء في شرح الحديث في فتح الباري لابن حجر العسقلاني، وتفسير ابن كثير، أن أول من أسس مسجد بيت المقدس، وهو المسجد الأقصى، هو آدم عليه السلام؛ ليكون قبلة لبعض ذريته، وأن بعض أهل العلم قالوا: إن أول من بنى المسجد الأقصى هو إبراهيم عليه السلام، وأن داود عليه السلام أراد تجديد ذلك البناء؛ ولكنه لم يكمله، فأكماله ابنه سليمان عليه السلام، وأتمه، وبناه بناء عظيمًا. ⁽²⁾

ولقد تعددت وسائل الإعلام الغربية واليهودية نشر صورة قبة الصخرة عند الحديث عن المسجد الأقصى؛ وذلك بغرض التحضير لهدم الجامع القبلي، وإقامة هيكلهم المزعوم مكانه، وأصبح أهل الغرب يعتقدون بأن قبة الصخرة هي الجامع القبلي، والذي يشار عليه خطأ بالمسجد الأقصى، وبالتالي فلو حصل التقسيم، أو الهدم له؛ فلن يُعبروا لذلك أي اهتمام؛ لأن القبة الذهبية التي اعتمدها للإشارة على المسجد الأقصى منذ عشرات السنين لم يلحقها أي ضرر، أو هكذا سوف يصورونها للعالم، وبأن الهدم وبداية الاقتحامات والتقسيم هو في الحقيقة لمبنى هامشي جانبي، ليس له أهمية؛ وبذلك يُنجزوا ما يريدون، أي: بناء الهيكل مكانه.

ويستغرب العالم المتابع للأحداث ويستهجن سبب غضب المسلمين المرابطين، والذين يُشيرون عليهم بالمتطرفين، وبما يقومون به من أعمال إجرامية وإرهابية بحق اليهود؛ مع أن مسجدهم الأقصى "قبة الصخرة الذهبية" لم يطلها أذى، ويتهمون المسلمين على أنهم المعتدون، وبأنهم لا يحترمون ديانات الآخرين، ويتعاطفون كما كانوا دوماً معهم، ويستنكر الفاسدون من حكام المسلمين والعرب خاصة أعمال الشغب والفوضى والإرهاب، كما يصفوها، والتي يقوم بها هؤلاء القلة، والتي يجب محاربتها، والتزام الصمت لما يقوم به الكيان المحتل بحقهم من تدمير وقتل وإرهاب، لا؛ بل التبرير لها، والعمل على زيادة التطبيع.

إن هناك خطأ كبير بأننا لم نُعرّف على المسجد الأقصى، أقصى المسلمين بالشكل الصحيح، فسمحنا لهم، ولو عن غير قصد متآ، للتلاعب بالمسجد القبلي، وقبة الصخرة، ليشيروا عليهم، كما يطلوا لهم، وسهّلنا نحن لهم دورهم، من خلال جعل تسمية المسجد الأقصى

⁽¹⁾ رواه البخاري، كتاب "أحاديث الأنبياء"، بدون ذكر اسم الباب، وهو باب رقم (11)، حديث رقم 3366،

145/4، ورواه مسلم، كتاب "الصلاة"، باب "الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه"، حديث رقم 1097، 63/2.

⁽²⁾ انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: 408/6، وتفسير ابن كثير: 78/2.

محصورة بالمسجد القبلي، فقمنا بالإشارة إلى المسجد القبلي على أنه هو المسجد الأقصى،
ولسوء الحظ روّجنا لذلك، واعتمدناه خطأ.

إن حادثة رحلة الإسراء والمعراج كانت قد حدثت -كما أجمع عليه العلماء- فيما بين
العام والخمسة أعوام قبل الهجرة، ولم يكن حينها قد فتحت القدس، على يد عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه، ولم يكن قد دخلها الإسلام، ولم يكن قد أقيم بها، أو بالمسجد الأقصى الساحة من
الأرض التي تعطي الهضبة "هضبة موريا، كما يُشيرون، ويُشير عليها اليهود بجبل الهيكل" أياً
من المباني (المساجد كما نعرفها اليوم أي: كل من المسجد القبلي بشكله الحالي، "وأول من بناه
عمر رضي الله عنه، وقام بتجديده الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، حوالي 661 ميلادي / 41
هجري، أو مسجد قبة الصخرة، الذي بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في 691
ميلادي/ 72 هجري"، ومع ذلك أشار الله عليه بالمسجد الأقصى من قبل الهجرة.⁽¹⁾

الدليل الثالث: شهادة علماء الآثار.

لقد أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان، الذين نقّبوا، واشتغلوا
بالحفريات والأنفاق، تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان تحت
الحرم القدسي، لا تحت المسجد الأقصى، ولا تحت قبة الصخرة، وشاركهم في هذا الرأي كثير
من الباحثين اليهود والغربيين؛ مما دفع بعضهم إلى أن يقول: إن الهيكل قصة خرافية، ليس لها
وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود: "إسرائيل فلنشتاين" من جامعة تل أبيب، ونشرت آراؤه
منذ فترة قريبة، وغيره كثير.⁽²⁾

ولقد فنّدت دراسات أجراها باحثون وعلماء آثار يهود فكرة وجود هيكل سليمان في الحرم
القدسي الشريف؛ بل ذهب بعضهم إلى أن الهيكل قد بناه سليمان خارج الحرم القدسي؛ بل هناك
دراسة حديثة لعلماء يهود تنص صراحة على أن منطقة الحرم القدسي الشريف خارجة عن
المنطقة المقدسة لدى اليهود.⁽³⁾

(1) انظر: مقال بعنوان: "المسجد الأقصى هل هو الجامع القبلي ذو القبة الفضية؟ أم هو مسجد قبة الصخرة
ذو القبة الذهبية؟ أم هو كل ما وقع في داخل السور الذي يحيط بكليهما؟" عبد الله أحمد خليل. موقع رسالة الله

[/https://resaletallah.com](https://resaletallah.com)

(2) انظر: المزاعم الصهيونية حول الهيكل الثالث، د. صالح الرقب: ص 68.

(3) انظر: مقال بعنوان: المسجد الأقصى وأسطورة الهيكل اليهودي، أحمد أبو زيد، بتاريخ 10 ربيع الثاني

[/ https://almoslim.net.1430](https://almoslim.net.1430)

وقام الأثريون اليهود بعد حرب يونيو 1967م بعمل حفريات في أساس حائط البراق، الذي يسميه اليهود "حائط المبكي"، فما وجدوا فيه شيئاً يشير إلى أنه من بقايا هيكل سليمان، وكل ما عثروا عليه في الحجارة التي تحت الأرض فقرتان من سفر النبي أشعيا، محفورتان بخط يجعل نسبة تلك الحجارة لداود وسليمان مستحيلة؛ ولأن الكشف لم يكن دسماً من الناحية السياسية، كما تريد الحكومة اليهودية، فقد وضعوه في مقبرة الصمت، أو سجل النسيان كعادتهم في كثير مما لا يريدون أن يعرفه العالم عنهم.

وقد أثبتت جميع الحفريات أن الهيكل الخاص باليهود اندثر تماماً منذ آلاف السنين، وورد ذلك صراحة في عدد كبير من المراجع اليهودية، وكثير من علماء الآثار النصارى أكدوا ذلك، وكان آخرهم عام 1968م عالمة الآثار البريطانية الدكتورة "كاتلين كابينوس"، عندما كانت مديرة للحفريات في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس، فقد قامت بأعمال حفريات بالقدس، وطردت من فلسطين بسبب فضحها للأساطير اليهودية حول وجود آثار لهيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى، حيث قررت عدم وجود أي آثار البتة لهيكل سليمان، واكتشفت أن ما يسميه اليهود مبنى إسطبلات سليمان ليس له علاقة بسليمان، ولا إسطبلات أصلاً؛ بل هو نموذج معماري لقصر شائع البناء في عدة مناطق بفلسطين.⁽¹⁾

الدليل الرابع: المسجد الأقصى لم يُبنَ على أنقاض هيكل سليمان المزعوم.

إن الحقائق التاريخية تكذب ادعاء اليهود بأن المسجد الأقصى قد بني على أرض الهيكل اليهودي، أو على أنقاضه، فالثابت أن مكان المسجد الأقصى كان فضاء خالياً من أي بناء، أو أنقاض بناء، عندما أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، وأن المسلمين عندما فتحوا القدس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ لم يكن هناك بناء قائم مكان المسجد الأقصى؛ بل إن عمر بن الخطاب ﷺ هو الذي أزال الزيل والأتربة والقاذورات من على الصخرة المشرفة التي أسري بالنبي ﷺ إليها، ومنها كان عروجه إلى السماء، واختط عمر ﷺ مسجده هناك، حتى جاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فبنى المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وادعاء اليهود بأن حائط البراق الذي يطلقون عليه "حائط المبكي" هو جزء من الهيكل الثاني الذي هدمه تيطس ليس صحيحاً، فالهيكل الثاني - كما تذكر كتبهم - هدمه "تيطس" الروماني عام 70 م، وأزال آثاره بالكامل هدرين الروماني عام 135م، وهو الذي هدم جميع القدس، وأزال حجارة الهيكل الثاني

(1) انظر: مقال بعنوان: المسجد الأقصى وأسطورة الهيكل اليهودي، أحمد أبو زيد، بتاريخ 10 ربيع الثاني 1430هـ. <https://almoslim.net/> راجع: الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى: روجي الخطيب، ومن ملفات الإرهاب الصهيوني: غازي السعدي، وأيام دامية في المسجد الأقصى: أحمد العلمي.

وبعثرها، وهذا لم يمنع استعمالها في إنشاءات مختلفة منذ عام 135م، وخلال العصور المتوسطة؛ ولذلك فإن وجود شيء من هذه الحجارة في أي موقع، لا يعني أن الهيكل كان قائماً في هذا الموقع؛ علاوة على أنه لا يوجد دليل قاطع بأن هذه الحجارة هي أصلاً من حجارة الهيكل، كما أن المسلمين على مر العصور لم يعتقدوا على أية أبنية أو آثار يهودية، سواء بالهدم، أو عن طريق المصادرة، كما أنهم لم يشيدوا المسجد الأقصى فوق هيكل سليمان؛ بل جاء في موقعه الحالي على أساس قدسية هذه البقعة المباركة، بنص القرآن الكريم والحديث الشريف، فهذا الموقع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإسلامية، وحائط البراق الذي يدعي اليهود ملكيته، وأنه من بقايا الهيكل يعتبر وفقاً لإسلامياً، وهو الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم الشريف، ويبلغ طوله نحو 48 متراً، وارتفاعه نحو 17 متراً.⁽¹⁾

الدليل الخامس: اتجاه الهيكل المزعوم مختلف تماماً عن اتجاه المسجد الأقصى.

إن المسجد الأقصى المبني حالياً في مدينة القدس، ليس في الزاوية التي بني عليها هيكل سليمان المزعوم؛ لأن المسجد الأقصى موجه إلى الكعبة الشريفة بمكة المكرمة، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب؛ أما هيكل سليمان، وإن كان على نفس الجبل المسمى "موريا"؛ إلا أنه كان مستطيل الشكل - كما ورد في كتب اليهود - ويتجه من الغرب إلى الشرق تجاه الشمس، ويعتقد بعض علماء الآثار أنه أخذ خطوطه الرئيسية من معبد آتون في تل العمارنة بمصر.⁽²⁾

الدليل السادس: التناقض بين روايات الأسفار التي تحدثت عن الهيكل، ومن ذلك⁽³⁾:

التناقض الأول:

تروي أسفار التوراة: أن الربّ منع داود عليه السلام من بناء الهيكل؛ لأنه سفك دماءً كثيرة، وخاض حروباً كثيرة، واختار الرب سليمان عليه السلام للقيام بمهمة البناء لاستقامته.

وفي سفر أخبار الأيام الأول: "وَقَالَ دَاوُدُ لِسُلَيْمَانَ: يَا ابْنِي، قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا لاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي فَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ قَائِلًا قَدْ سَفَكْتَ دَمًا كَثِيرًا وَعَمِلْتَ حُرُوبًا عَظِيمَةً فَلَا تَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي لِأَنَّكَ سَفَكْتَ دَمًا كَثِيرَةً عَلَى الْأَرْضِ أَمَامِي. هُوَذَا يُوَلَّدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأَرْبِخُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوْلَيْهِ، لِأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ. فَأَجْعَلْ سَلَامًا وَسَكِينَةً فِي

⁽¹⁾ انظر: الهيكل الثالث مؤامرة جديدة لهدم الأقصى، مجدي نور الدين، مقال بمجلة الرابطة - العدد 356 - مكة المكرمة جمادى الآخرة 1415هـ.

⁽²⁾ انظر: اليهود: من عهد داوود إلى دولة إسرائيل، د. علي محمد عبد الله: ص76. (بدون)

⁽³⁾ انظر التناقض (الأول والثاني) الهيكل اليهودي، د. صالح الرقب: ص32-35.

إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِاسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا، وَأَنَا لَهُ أَبَا وَأُنْتَبِتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الْأَبَدِ".⁽¹⁾

وفي سفر الملوك الأول: "وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنْ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلَهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ وَمَلَكُومَ رِجْسِ الْعُمُونِيِّينَ وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ...فَعَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَأَى لَهُ مَرْتَبَتَيْنِ وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ لَا يَتَّبِعَ إِلَهَةً أُخْرَى فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ فَقَالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَلَمْ تَحْفَظْ عَهْدِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُكَ بِهَا فَاتِي أَمْزِقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْرِيْقًا وَأَعْطِيهَا لِعَبْدِكَ".⁽²⁾

وهذان السفران يوضحان التناقض التالي:

- 1- إن داود عليه السلام حُرِمَ من بناء الهيكل؛ لأنه سفك الدماء، أي: ارتكب معصية منعت عنه شرف بناء بيت الرب، وسليمان عليه السلام نال هذا الشرف، مع أنه عبد آلهة من دون الله تعالى، ومات عابدًا للأوثان. والمعلوم أن الشرك أشد من معصية سفك الدماء.
 - 2- إن سليمان عليه السلام لم يحفظ وصايا الرب وعهوده وفرائضه، كداود أبيه، كما في سفر الملوك الأول، وأما في سفر أخبار الأيام الأول فقد وعد الله داود عليه السلام أن يولد له صاحب راحة، وهو الذي يبني بيت الرب؛ بل يكون لله ابنًا، والله له أبًا، أي: لاستقامة داود، وحسن عبادته للرب.
 - 3- الرب يُنْتَبِتُ كُرْسِيَّ مُلْكِ سُلَيْمَانَ عليه السلام عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الْأَبَدِ، كما في سفر أخبار الأيام الأول؛ بينما الرب سيمزق المملكة عنه تمزيقًا، كما في سفر الملوك الأول.
- التناقض الثاني: في مدة بقاء الهيكل.**

تتناقضت أسفار الكتاب المقدس في مدة بقاء الهيكل، ففي بعض الأسفار: أنه بناء اتخذه الرب له مسكنًا إلى الأبد، وفي أسفار أخرى توعد الرب بني إسرائيل بهدمه، عقابا لهم؛ لكونهم عصوا أمره، ولم يقوموا بوصاياهم وعهوده، وقد أنفذ الرب وعيده.

جاء في سفر الملوك الأول: "حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سَكْنِي، مَكَانًا لِسُكْنِكَ إِلَى الْأَبَدِ".⁽³⁾

⁽¹⁾ سفر أخبار الأيام الأول: 7/22-11.

⁽²⁾ سفر الملوك الأول: 11-4/11.

⁽³⁾ سفر الملوك الأول: 8/12-13.

وفي نفس السفر: "...قَدَّسْتُ هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْتَهُ لِأَجْلِ وَضَعِ اسْمِي فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ، وَتَكُونُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ الْأَيَّامِ ...".⁽¹⁾

ثم جاء التهديد والوعيد في نفس السفر ونفس الإصحاح: "إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلَا تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِي الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ إِلَهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا، فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا".⁽²⁾

ولقد نفذ الرب وعيده هذا كما جاء في نفس السفر.⁽³⁾

الدليل السابع: اختلاف نصوص الأسفار في تحديد مكان بيت الله.
النص الأول:

يذكر أن مكان بيت الله هو على جبل جرزيم، قرب نابلس:
"بَلِ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِكُمْ لِيَضَعَ اسْمَهُ فِيهِ، سَكْنَاهُ تَطْلُبُونَ وَإِلَى هُنَاكَ تَأْتُونَ، وَتُقَدِّمُونَ إِلَيَّ هُنَاكَ: مُحْرَقَاتِكُمْ وَدَبَائِحِكُمْ وَعُشُورَكُمْ وَرَفَائِعَ أَيْدِيكُمْ وَتُدُورَكُمْ وَنَوَافِلَكُمْ وَأَبْكَارَ بَقَرِكُمْ وَعِزْمِكُمْ".⁽⁵⁾

وحدّد الرب الشروط التالية لهذا المكان: - عبر الأردن - وراء طريق غروب الشمس في أرض الكنعانيين الساكنين في العربة - مقابل الجبل - بجانب بلوطات مورة.
وهذا هو النص: "أَمَّا هُمَا فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ، وَرَاءَ طَرِيقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ فِي أَرْضِ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي الْعَرَبَةِ، مُقَابِلَ الْجِبَالِ، بِجَانِبِ بَلُوطَاتِ مُورَةَ؟ لِأَنَّكُمْ عَابِرُونَ الْأُرْدُنَّ لِيَتَدْخُلُوا وَتَمْتَلِكُوا الْأَرْضَ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُكُمْ يُعْطِيكُمْ. تَمْتَلِكُونَهَا وَتَسْكُنُونَهَا".⁽⁶⁾

- وراء طريق غروب الشمس: حيث تغرب الشمس في الوادي بين جرزيم وعبال تماما.⁽⁷⁾
- وجرزيم وعبال هما جبلان فوق شكيم المعروفة اليوم بنابلس، يفصل بينهما واد ضيق.⁽⁸⁾
- وبلوطات مورة: موضع قرب شكيم وجبلي عبال وجرزيم.⁽⁹⁾

⁽¹⁾ سفر الملوك الأول: 3/9.

⁽²⁾ سفر الملوك الأول: 6/9-7.

⁽³⁾ انظر: سفر الملوك الأول: 13-4/11.

⁽⁴⁾ انظر: الهيكل اليهودي، د. صالح الرقب: ص 36-38.

⁽⁵⁾ سفر التثنية: 6-5/12.

⁽⁶⁾ سفر التثنية: 31-30/11.

⁽⁷⁾ انظر: السنن القويم، تفسير سفر التثنية: ص 47.

⁽⁸⁾ انظر: المصدر السابق، تفسير سفر التثنية: ص 46.

⁽⁹⁾ انظر: المصدر السابق نفسه: ص 47.

وجاء في التوراة السامرية: أن موقع الهيكل في المكان الذي تتوفر فيه الشروط التالية: جنب الأردن -تبع طريق مغيب الشمس -في أرض الكنعاني -الساكن في البقعة -مقابل الجلجال - جانب مرج البها - مقابل نابلس، وأوصاهم أن يقيموا الحجارة في جبل جرزيم.⁽¹⁾

النص الثاني:

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني أن سليمان عليه السلام بنى بيت الرب في أورشليم (القدس)، في جبل المريا، حيث تراءى لأبيه داود عليه السلام، الذي هيا له مكاناً في بيدر "أرنان" اليبوسي.⁽²⁾

يتبين مما سبق في الوجهين: الثاني، والثالث، من التناقض بين روايات الأسفار، التي تحدثت عن الهيكل، واختلاف الأسفار في تحديد مكان بيت الله، أن قصة الهيكل، من أولها إلى آخرها لا يمكن تصديقها؛ لأن ما ورد عنها في الأسفار من التناقضات والاختلافات السالفة الذكر، لا يمكن أن تكون وحياً سماوياً صادقاً؛ فإن الوحي لا يتناقض؛ لأنه كلام الله تعالى، وكلامه -سبحانه- لا يتناقض، فقد برهن الله تعالى لنا في كتابه -بمفهوم المخالفة- أن كلامه لا يختلف بعضه عن بعض، ولا يناقض بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

الدليل الثامن: اختلاف الطوائف اليهودية حول المكان الذي بني فيه الهيكل المزعوم.

هناك خلاف كبير بين الطوائف اليهودية حول المكان الذي بني فيه الهيكل، فاليهود السامريون يعتقدون أنه بني على جبل "جرزيم" في مدينة نابلس، ويستدلون على ذلك بسفر التثنية؛ أما اليهود المعاصرون، من الحاخامات والعلماء الباحثين، وخاصة القادمين من أمريكا وبريطانيا "الإشكناز" فهم يعتقدون أن هيكل سليمان تحت الحرم القدسي؛ ولكنهم مختلفون فيما بينهم في تحديد مكان الهيكل، واختلافاتهم تصل إلى خمسة أقوال، كلها مختلفة ومتناقضة؛ فمنهم: من يزعم أنه تحت المسجد الأقصى، ومنهم: من يزعم أنه تحت قبة الصخرة، ومنهم: من يزعم أنه خارج منطقة الحرم، ومنهم: من يزعم أنه على قمة الألواح، وهي في منطقة الحرم بعيداً عن المسجدين.⁽³⁾

هذا الاختلاف الحاصل بين الطوائف اليهودية حول المكان الذي بني فيه الهيكل، لهو دليل دامغ وقوي على أن هيكل سليمان كذوبة وأسطورة، ويؤكد مرة أخرى على الآية الكريمة،

⁽¹⁾ انظر: التوراة السامرية، سفر تثنية الاشرع: الإصحاح الخامس، فقرة 21: ص298.

⁽²⁾ انظر: سفر أخبار الأيام الثاني: 1/3-2.

⁽³⁾ انظر: مقال بعنوان: المسجد الأقصى وأسطورة الهيكل اليهودي، أحمد أبو زيد، بتاريخ 10 ربيع الثاني

1430هـ. <https://almoslim.net/>

التي تثبت أن الكلام المختلف والمتعارض، حول موضوع بعينه، يدل على أنه كلام من عند غير الله، وليس هو كلام الله؛ لأن كلامه سبحانه لا يختلف ولا يتعارض، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

الدليل التاسع: إن نبي الله تعالى سليمان عليه السلام هو المجدد لبناء المسجد الأقصى⁽¹⁾.

إن سليمان عليه السلام بنى الله تعالى بيتاً للعبادة، هو: المسجد الأقصى، ولم يبن هيكلاً، كما يزعم اليهود، وبدل على ذلك: الحديث النبوي الشريف. يقول الصحابي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن سليمان بن داود عليه السلام سأل الله ثلاثاً، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون الثالثة، فسأله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد، خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياه".⁽²⁾ فهذا الحديث الشريف، لا يدع مجالاً للشك، بأن هذا المكان هو: مسجد أقيم لعبادة الله وحده، واسمه المسجد الأقصى، والمؤمنون بالله، وبشريعة الوحدانية، والديانة الخاتمة المحفوظة، غير المحرفة، أو المزورة، هم الأحق به وبملكته.

وإذا كان نبي الله سليمان عليه السلام قد بنى المسجد الأقصى؛ فإن سليمان عليه السلام كان مسلماً؛ ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً، إنه من ذرية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]، وأخبر الله تعالى عن إسلام نبيه سليمان عليه السلام، فقال -حاكياً عن كتاب سليمان لملكة سبأ-: ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 30-31]، وقال تعالى -حاكياً قول سليمان- ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: 38]، ولما أسلمت ملكة سبأ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 44].

ولقد ورد في القرآن ما يدل على أن المسجد الأقصى كان قائماً في عهد زكريا ويحيى عليهما السلام، حيث كانت مريم عليها السلام قد وهبتها أمها لخدمة بيت المقدس، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ

(1) انظر: الهيكل اليهودي، د. صالح الرقب: ص 60.

(2) رواه أحمد في المسند: 220/11، رقم 6644، والحاكم في المستدرک: 31-30/1، وبذيله التلخيص للذهبي، وقال: "حديث صحيح"، وتداوله الأئمة، واحتج البخاري ومسلم بجميع رواته ولم يخرجاه، ولا علة له.

وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿آل عمران: 35-38﴾.⁽¹⁾

ثم جاء أخيراً إسراء النبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، وصلاته بالأنبياء إماماً ركعتين في المسجد نفسه، ثم يأتي معراجة -ﷺ- منه ليدلّل: أنّ المسجد الأقصى قد دخل في ملكية المسلمين، وأنّ القيادة الروحية عليه هي للمسلمين الموحدين، وارثي الرسالات والمقدسات؛ حيث ظل مكان المسجد خالياً من بناء مقام فيه، بقية عهد الرومان النصارى، حتى حدث الإسراء بالنبي محمد ﷺ في عهد الحاكم الروماني هرقل -610-641م- وحتى الفتح الإسلامي للقدس، في عهد الخليفة عمر ؓ سنة 636 م، ولم يكن لليهود آنذاك وجود؛ بل إنّ صفرוניوس بطريك النصارى اشترط في عقد تسليم المدينة المقدسة، أن لا يدخلها أحد من اليهود.

وهكذا أغلق التاريخ ملف بني إسرائيل -من اليهود والنصارى- فيما يتعلق بحياسة تلك الأرض المباركة ووراثتها، وسدنة مسجدها المقدس، لتنتقل الأرض والمسجد بعد ذلك إلى حياسة الأمة الإسلامية، أمّة التوحيد، وارثة الرسالات والنبوات، أمّة محمد ﷺ.

يتبين من كل ما سبق:

- 1- أنّ الهيكل عقيدة يهودية تورانية، وله قدسية خاصة في الفكر اليهودي.
- 2- أن اليهود يعملون ويخططون لإعادة بنائه من جديد، في نفس المكان الذي يزعمون أنه بني فيه هيكل سليمان، وهو فوق هضبة الحرم القدسي، حيث مكان الأقصى، وقبة الصخرة.
- 3- أنّ ما يعتقد اليهود في الهيكل هو مزاعم باطلة، وأن النصوص التوراتية التي تحدثت عن الهيكل مليئة بالتناقض والكذب.
- 4- أنّ الحفريات تحت الحرم القدسي، لم تثبت شيئاً من مزاعم اليهود في وجود الهيكل، وأنّ علماء الآثار من اليهود وغيرهم قد كذبوا مزاعم اليهود في وجود الهيكل تحت الحرم القدسي.
- 5- أنّ نبي الله سليمان ﷺ لم يبن هيكلًا ليكون بيتاً للرب؛ ولكنه بنى مسجداً لعبادة الله تعالى، هو المسجد الأقصى، وسليمان ﷺ كان كغيره من الأنبياء مسلماً، ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً.
- 6- أن علاقة بني إسرائيل بالمسجد الأقصى قد انتهت، فلم يعد لهم أي ارتباط، أو صلة به، بعد وراثة النبي الخاتم محمد ﷺ لميراث الأنبياء الذين سبقوه: (داود، وسليمان، و زكريا، ويحيى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء) عليهم السلام.

(1) انظر: مقال "أقصى المسلمين وهيكل اليهود- الحق والملكية في إطار السياق التاريخي وإشكاليات الصراع الحاضر"، محمد الحلايقة، موقع المركز الفلسطيني للإعلام على الإنترنت. www.palinfo.com

المطلب الخامس

أثر عقيدة هيكل سليمان في مخططات هدم المسجد الأقصى.

أولاً: المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين.

1- التعريف بالمسجد الأقصى:

المسجد الأقصى هو: المسجد المعروف في مدينة القدس، وقد بُنيَ على سفح الجبل، ويسمى: بيت المقدس، أي: البيت المطهر، الذي يُنظَّر به من الذنوب. وهو أولى القبلتين، ومسرى رسول الله محمد ﷺ، وأحد المساجد الثلاثة، التي لا تشد الرحال إلا إليها، والمسجد الذي بارك الله حوله، كما جاء في القرآن الكريم.⁽¹⁾

ويسمى الأقصى؛ لبعده ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة.⁽²⁾ وقيل: لبعده عن الأقدار والخبائث، وروي أنه سمي الأقصى؛ لأنه وسط الدنيا لا يزيد شيئاً ولا ينقص.⁽³⁾

وهناك خطأ في قصر تسمية "المسجد الأقصى المبارك" على المسجد القائم إلى الجنوب من مسجد قبة الصخرة المشرفة، والحقيقة أنّ المسجد الأقصى، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، يشمل: الحرم القدسي الشريف بأجمعه، ومسجد الصخرة، والمسجد الذي يطلق عليه المسجد الأقصى، وجميع الأماكن والمعابد الإسلامية القائمة ما بين الأسوار.⁽⁴⁾

2- أسماء المسجد الأقصى:

للمسجد الأقصى أسماء عدة، ذكر الزركشي منها سبعة عشر، من أهمها⁽⁵⁾:

⁽¹⁾ انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفّي الدين، 1296/3، والموسوعة الفقهية الكويتية: 231/37.

⁽²⁾ انظر: تفسير القرطبي: 10 / 212.

⁽³⁾ انظر: الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين: 1 / 28.

⁽⁴⁾ انظر: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شرّاب: ص56، والمفصل في تاريخ القدس، عارف العارف: 111/1.

⁽⁵⁾ انظر هذه الأسماء (1-3): إعلام الساجد بأحكام المساجد، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي: ص277-278.

1- مَسْجِدُ إِبِلِيَاءَ، وَقِيلَ فِي مَعْنَاهُ: بَيْتُ اللَّهِ.

وورد عن كعب الأحبار أنه كره أن يسمى بإبيلياء؛ ولكن بيت الله المقدس، وقد حكى ذلك الواسطي في فضائله.

2- بَيْتُ الْمُقَدَّسِ: بَفَتْحِ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ الْقَافِ، أَي: الْمَكَانِ الَّذِي يُطَهَّرُ فِيهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُقَدَّسُ: الْمُطَهَّرُ.

3- الْبَيْتُ الْمُقَدَّسُ: بِضَمِّ الْمِيمِ، وَفَتْحِ الْقَافِ وَالذَّالِ الْمُشَدَّدَةِ، أَي: الْمُطَهَّرُ، وَتَطْهِيرُهُ: إِخْلَاؤُهُ مِنَ الْأَصْنَامِ.

وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ومدى أهميته.

3- أبواب المسجد الأقصى:

يحاط الحرم القدسي الشريف بسور له عدة أبواب، منها ما هو مفتوح، ومنها ما هو مغلق؛ أما الأبواب المفتوحة فهي:

1- باب العمود، ويعرف بباب دمشق أيضاً، يعود تاريخه إلى عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، وقد سمي هذا الباب باسم باب العمود؛ لأن الإمبراطور هادريانوس أقام عموداً داخله، وبقي ذلك العمود حتى الفتح الإسلامي، وسمي بباب دمشق؛ لأن القوافل التجارية كانت تخرج منه متجهة إلى دمشق.⁽¹⁾

2- باب الساهرة: ويعرف أيضاً باسم باب هيرودوس، يقع في الجانب الشمالي من السور إلى الشرق من باب العمود، يعود تاريخه إلى عهد السلطان العثماني سليمان القانوني.⁽²⁾

3- باب الأسباط: ويسمى أيضاً باب القديس اسطفان، ويقع في الحائط الشرقي للسور، وهو من العهد العثماني الباكر، ويعتبر أيضاً أحد أبواب الحرم الشمالية، وقد أمر بإنشائه السلطان سليمان بن سليم الأول العثماني سنة 945هـ - 1538م.⁽³⁾

4- باب المغاربة: ويقع في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو عبارة عن قوس قائمة ضمن برج مربع، وقد سمي كذلك لأنه يجاور جامع المغاربة، كان يسمى قديماً باب النبي.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ انظر: الموسوعة الفلسطينية: 517/3-518.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: 518/3.

⁽³⁾ انظر: تاريخ الحرم القدسي، عارف العارف: ص 87.

⁽⁴⁾ انظر: المصدر السابق: ص 90.

5- باب النبي داود: ويدعى أيضاً باب صهيون، ويقع في الحائط الجنوبي لسور القدس، وهو باب كبير يؤدي إلى ساحة داخل السور، يعود إلى عهد السلطان سليمان عندما أعاد بناء سور المدينة.

6- باب الخليل: ويسمى أيضاً بباب يافا، ويقع في الحائط الغربي للسور.

7- الباب الجديد: وهو متأخر بالنسبة للأبواب الأخرى، فقد فتح في السور إلى الغرب من باب العمود أيام زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني لمدينة القدس عام 1898.⁽¹⁾
- وأما الأبواب المغلقة فهي:

1- باب الرحمة، الذي يسميه الأجانب الباب الذهبي؛ لجماله ورونقه، وهو يقع إلى الجنوب من باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور، ويعتقد أن الباب الذهبي يعود إلى العصر الأيوبي.⁽²⁾
2- الباب المفرد. 3- الباب المثلث أو الثلاثي. 4- الباب المزدوج، ويعود إلى العهد الأموي.⁽³⁾

4- ما ورد في القرآن الكريم من فضل بيت المقدس.

ارتبط بيت المقدس والمسجد الأقصى بالأنبياء السابقين عليهم السلام، وأصبحت مهوى أفئدة المؤمنين كافة؛ ولكنهما ارتبطا بصورة خاصة بالإسلام والمسلمين، من خلال المكانة التي احتلها في العقيدة الإسلامية، وفي التاريخ الإسلامي، وفي تراث المسلمين؛ فالقدس والمسجد الأقصى يسكنان قلوب المسلمين جميعاً.

وقد وصف القرآن الكريم أرض بيت المقدس بصفات عدة، منها: البركة، والطهر، والقدسية، في كثير من المواضع، منها⁽⁴⁾:

1- قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

فلو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية؛ لأنه إذا بورك حوله، فالبركة فيه مضاعفة؛ ولأن الله تعالى لما أراد أن يعرج بنبيه محمد ﷺ إلى سمائه، جعل طريقه عليه تبياناً لفضله.

⁽¹⁾ انظر: الموسوعة الفلسطينية: 518/3.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: 518/3.

⁽³⁾ انظر: الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، محمود العابدي: ص 116.

⁽⁴⁾ انظر (1-3): إتخاف الأخصا بفصائل المسجد الأقصى، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي: 1/93-126، والآيات (8-11)، ومعانيها: الأئس الجليل، العلمي: 1/227.

2- وقوله تعالى لبني إسرائيل: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 21]، فسماه الله تعالى مرة مباركا، ومرة مقدسا.

3- وقوله تعالى لإبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 71] هي الأرض المقدسة بارك الله فيها للعالمين لأن كل ماء في الأرض عذب يخرج منها من أصل الصخرة الشريفة ثم يتفرق في الأرض.

6- ما ورد في السنة النبوية من فضل بيت المقدس:

ورد في السنة النبوية فضائل كثيرة لبيت المقدس، أهمها⁽¹⁾:

أ- أنه القبلة الأولى للمسلمين:

من الفضائل التي اختص بها المسجد الأقصى، أن جعله الله تعالى أولى القبلتين؛ فإليه كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم، قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة المشرفة، وفي ذلك دلالة على أن هذا البيت شرفه الله وكرمه، فوجّه أنظار المسلمين إليه فترة من الزمن.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس سنة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، ثم صُرفنا نحو الكعبة".⁽²⁾

ب- شد الرحال إليه:

جعل الإسلام هذا المسجد أحد ثلاثة مساجد تشد إليها الرحال، فقال صلى الله عليه وسلم: "لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى".⁽³⁾

ج- كونه ثاني مسجد في الأرض:

أول مسجد وضع على الأرض هو: المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى. عَنْ أَبِي دَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ، قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: وَكَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدًا، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ انظر (1-4): الموسوعة الفقهية الكويتية: 232/37-233.

⁽²⁾ رواه مسلم: 66/2، حديث رقم (1113)، كتاب (الصلاة)، باب (تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة).

⁽³⁾ صحيح البخاري: 60/2، حديث رقم (1188)، كتاب (فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، باب (فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة)، وصحيح مسلم: 126/4، حديث رقم (3364)، كتاب (الحج)، باب (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)، واللفظ للبخاري.

⁽⁴⁾ صحيح البخاري: 145/4، حديث رقم (3366)، كتاب (أحاديث الأنبياء)، وصحيح مسلم، 63/2، حديث رقم (1098)، كتاب (الصلاة)، باب (الصلاة في ثوب واحد)، واللفظ لمسلم.

د - فضل الصلاة في المسجد الأقصى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمُقَدَّسِ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خِلَالَ ثَلَاثَةِ: سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ فَرَعَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ حَطِيبَتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ".⁽¹⁾

واختلفت الروايات في مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى:

ففي رواية: عَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، قَالَ: أَرْضَ الْمُحَشَّرِ وَالْمَنْشَرِ، إِيْتَوْهُ فَصَلُّوا فِيهِ؛ فَإِنْ صَلَاةٌ فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحْمَلَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَتَهْدِي لَهُ زَيْتًا يَسْرُحُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ".⁽²⁾

- وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي بِأَلْفِ صَلَاةٍ، وَالصَّلَاةُ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ بِخَمْسِمِائَةِ صَلَاةٍ".⁽³⁾

- وعن أبي ذرٍّ قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ: أيهما أفضل: مسجد رسول الله ﷺ، أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه".⁽⁴⁾

ففي الحديث الأول: الصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة، وفي الحديث الثاني: بخمسمائة صلاة، وفي الحديث الثالث: صلاة في المسجد النبوي أفضل من أربع صلوات في المسجد الأقصى. وإذا كان الحديث الثاني يذكر أن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة؛ إذن فأجر الصلاة في المسجد الأقصى بمائتين وخمسين صلاة.

⁽¹⁾ المجتبي من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي: 34/2، مذيل بأحكام الألباني، قال الألباني: حديث صحيح.

⁽²⁾ رواه ابن ماجه بسند صحيح، رجاله ثقات، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده. انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري الكناني، الشافعي: 14/2.

⁽³⁾ رواه الطبراني في الكبير، رجاله ثقات، وفي بعضهم كلام، وهو حديث حسن. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيتمي: 7/4، حديث رقم (5873).

⁽⁴⁾ أخرجه الحاكم (4/509)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني: وهو كما قالوا، وقد أخرجه الطبراني أيضا في (الأوسط)، رجاله رجال الصحيح، ورواه البيهقي بإسناد لا بأس به، وفي منته غرابة. الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني: 549/2.

وقد جمع الألباني بين هذه الأحاديث التي اختلفت في أجر الصلاة في المسجد الأقصى، فذكر أن الحديث الثالث فيه إشكال، وبعد أن نقل قول المنذري: "إسناده لا بأس به، وفي متنه غرابة"، علق على ذلك، فقال: "ولعل وجه الغرابة أنه ثبت في حديث ميمونة المتقدم، أن الصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة، وفي حديث أبي الدرداء -الذي سبق ذكره في تخريج أول أحاديث المسجد- أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة، وفي حديث أبي ذر هذا أن صلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام أفضل من أربع صلوات في المسجد الأقصى، وهذا لا يتفق في معناه في الحديثين المشار إليهما؛ فإنه يفيد أن فضل الصلاة فيه أربعة أضعاف الصلاة في الأقصى، وينتج منه أن الصلاة في المسجد الأقصى على الربع من الصلاة في المسجد النبوي، أي: بمائتين وخمسين صلاة، وهذه النتيجة لا تتفق مع ما ثبت في الأحاديث الكثيرة المتقدمة، أن الصلاة في الأقصى بألف، أو بخمسمائة، فيقال: إن الله سبحانه وتعالى جعل فضيلة الصلاة في الأقصى مائتين وخمسين صلاة أولاً، ثم أوصلها إلى الخمسمائة، ثم إلى الألف، فضلاً منه تعالى على عباده ورحمة، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال".⁽¹⁾

هـ- أهل الحق من أمة محمد ﷺ في بيت المقدس.

عن أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: "بِنَيْبِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ".⁽²⁾

ثانياً: ربط عقيدة هيكل سليمان بهدم المسجد الأقصى عند اليهود.

إن اليهود في العالم؛ وليس في الكيان الصهيوني فقط، يسابقون عقارب الساعة لهدم المسجد الأقصى، مع بدايات الألفية التي توافق عندهم ذكرى مرور ثلاثة آلاف عام على بناء مدينة القدس، وتأسيس (مملكة إسرائيل الأولى)، وعندما تحل هذه الذكرى تكون دورة الزمان قد اكتملت عندهم، ليبدأ زمان جديد -تشير إليه توراتهم- وهو زمان الهيمنة اليهودية التي يعتقد اليهود أنه لا قيمة لها مع استمرار غياب قبلة اليهود التي هدمت قبل ألفي عام (هيكل سليمان)، الذي يزعمون أنه قد انطلقت منه دعوات كل أنبياء بني إسرائيل، والذي ستنتقل منه -كما

(1) الثمر المستطاب، الألباني: 549/2.

(2) رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَيَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ: 2/ 298، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي "الْكَبِيرِ": 20/ 317-318، وَابْنُ عَسَاكِرَ: 1/ 198-199، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. مَجْمَعُ الزَّوَادِ، الْهَيْثَمِيُّ: 288/7، وَالرَّوَضُ النَّسَامُ، الدُّوسَرِيُّ: 384/4.

يعتقدون- دعوة نبي اليهود المنتظر، ويعتقدون أن بناء الهيكل سيعجل خروجه، وفي نظر معظم اليهود ليس للهيكل مكان آخر يقام فيه إلا على أرض مسجدي الأقصى والصخرة.⁽¹⁾ إن التخطيط الصهيوني لهدم المسجد الأقصى ليس وليد هذه اللحظة؛ بل هو عملية قديمة جديدة تتكرر وسوف تتكرر؛ لأنها جزء لا يتجزأ من العقيدة الصهيونية، وهي عقيدة لا تخص اليهود الصهاينة وحدهم؛ بل تشمل أيضا قطاعاً كبيراً من المسيحية البروتستانتية (المسيحية الصهيونية)؛ ذلك أن أتباع تلك العقيدة يؤمنون أن من شروط عودة المسيح عيسى عليه السلام، ووقوع معركة (هرمجدون) للقضاء على الأشرار (المسلمين تحديداً، واليهود أيضاً): هدم المسجد الأقصى، وإقامة هيكل سليمان في مكانه؛ حيث يعتقد هؤلاء أن أساسات هيكل سليمان تقع تحت المسجد الأقصى.⁽²⁾

وهناك هدف آخر لليهود من وراء هدم المسجد الأقصى، غير ما ذكر من الربط بينه وبين بناء الهيكل، وهو: اعتقاد اليهود أن هدم الأقصى سينهي تعلق المسلمين بالقدس، وبهدمه يكملون مشروع تهويد مدينة القدس بالكامل؛ إذ إن وجود أثر إسلامي كبير كالمسجد الأقصى في داخل مدينة عاصمتهم الأبدية - كما يزعمون - يعني: أن القدس مازالت إسلامية؛ وليست يهودية، وهذا ما يسهل - كما يظنون - نسيان مسلمي العالم القضية الفلسطينية، وبنهائها تماماً من وعي المسلمين الديني والتاريخي.⁽³⁾

ثالثاً: مدى إمكانية نجاح اليهود في هدم المسجد الأقصى.

ليس هناك نص صحيح وصريح يدل على أن هدم المسجد الأقصى ممتنع قدرًا، وليس شرطاً أن ترد أحاديث الفتن بكل ما يقع منها؛ فكثير من الحوادث الجسام وقعت دون أن تذكر؛ ولكن حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.⁽⁴⁾

(1) انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص 59-60.

(2) انظر: مقال بعنوان "هل بدأ العد التنازلي لهدم المسجد الأقصى ليقام مكانه هيكل سليمان المزعوم؟"، د. محمد مورو، مجلة البيان: العدد 235، ص 26، ربيع الأول-1428.

(3) انظر: قبل الكارثة... نذير ونفير، د. عبد العزيز بن مصطفى كامل: ص 270، و مقال لـ د/ صالح الرقب بعنوان: "هل سيهدم المسجد الأقصى قريباً؟"، الحلقة الأولى، موقع فلسطين أون لاين، <http://felesteen.ps>.

(4) كما دل على ذلك حديث حذيفة بن اليمان، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفْظُهُ مَنْ حَفْظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ... رواه البخاري، كتاب القدر باب (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا) [الأحزاب: 38]، حديث رقم (6604)، 123/8، ومسلم، كتاب الفتن، باب (إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ) فِيمَا يَكُونُ مِنَ الْفِتَنِ، حديث رقم (7365)، 172/8، واللفظ لمسلم.

إن الكعبة نفسها قد هُدمت -في زمن الحجاج- دون أن يكون لذلك ذكر في آية أو حديث، والحجر الأسود قد نُزع من الكعبة -في زمن القرامطة- ونقل إلى البحرين، وظل هناك سنين، ولم ترد الإشارة إلى ذلك في القرآن ولا في السنة؛ إذن فليس لأحد أن يحتج بعدم الورد على عدم الوقوع؛ لأن الأمر قد يسطر في القدر، ولا يذكر في الكتب. والذي يحكم الأمور عند ذلك هو: قانون الأسباب والمسببات، الذي يجري به قدر الله بما يشاء وقوعه.⁽¹⁾

ولكن وردت بعض الأحاديث التي يمكن للبعض أن يستنبط منها إمكان وقوع هدم بيت المقدس، مثل الحديث الذي رواه معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ أنه قال: "عمران بيت المقدس خراب يثر، وخراب يثر، وخراب يثر، وخروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال".⁽²⁾

فقد جعلوا عمران بيت المقدس يعني: عمراناه بعد خرابه، وقالوا: فإنه يُخرَّب في آخر الزمان.⁽³⁾

رابعاً: الدلائل على جدية اليهود في هدم المسجد الأقصى:

يقول د. صالح الرقب: "والواقع أنّ اليهود ماضون بجد في مخطط هدم المسجد الأقصى، وإزالته نهائياً من أرض القدس، بغية تهويد المدينة، وبناء المعبد الذي يطقون عليه "الهيكل الثالث"، فالمسجد الأقصى يشهد الآن أخطر مؤامرة يتعرّض لها في تاريخ الإسلام، فهذا التّخطيط الصهيوني العالمي الذي نجح، وأخرج لنا قبل 53 عاماً ذلك الكيان اليهودي العنصري ليصبح دولة، هو نفسه الذي يهدف إلى إعادة بناء الهيكل الثالث، مكان المسجدين: الأقصى، وقبة الصخرة في القدس الشريف.

إنّ اليهود اليوم يجتمعون على هدف محدّد وغاية واحدة، هي: هدم الأقصى، وإقامة هيكلهم المزعوم مكانه؛ بل إنّ العلامات والشواهد والاستعدادات تزداد على انتشار "سعار" الهيكل بينهم، بكافة أصنافهم ومشاربهم السياسية والفكرية والعرقية، وعلى المستوى الحكومي والحزبي".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص 64-65.

⁽²⁾ رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، 513/2، حديث رقم 4294، والأحاديث منيعة بأحكام الألباني عليها، قال الألباني: حسن.

⁽³⁾ انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي: 270/11، ط2، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ.

⁽⁴⁾ يا مسلمي العالم أفيقوا قبل أن يهدم المسجد الأقصى، د. صالح الرقب: ص 8.

وتشير الدلائل الكثيرة على تعاظم الجدية لدى اليهود، في الإقدام على مشروع هدم المسجد الأقصى وما بعده، وهذه أبرز الشواهد على ذلك:

1- كشف الشيخ رائد صلاح⁽¹⁾، في حديث لوكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) النقاب عن وجود خمس وعشرين جماعة يهودية متخصصة من أجل العمل لهدم المسجد الأقصى المبارك، من بين مائة وعشرين جماعة يهودية، تعمل من أجل بناء الهيكل المقدس المزعوم مكان المسجد الأقصى.⁽²⁾

2- تحالف بعض هذه الجماعات فيما بينها، ومن أبرز هذه التحالفات: (رابطة القدس) التي تضم عدداً من التجمعات اليهودية المتشددة، وكانت هذه الرابطة هي السبب في إقناع بنيامين نتنياهو بافتتاح (النفق)، المار تحت أساسات المسجد الأقصى عام 1417هـ - 1996م.

3- قيام هذه الجماعات بين الحين والآخر بأعمال عدائية واستفزازية ضد المسجد الأقصى؛ لجس نبض ردود الأفعال التي يمكن أن تحدث لو قامت بهدم المسجد الأقصى.

4- كشف بعض الصحف العالمية والإسرائيلية تلك النوايا؛ فقد كشفت مجلة (فورن ريبورت) البريطانية في الأسبوع الأول من سبتمبر عام 1998م أن جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشاباك) لديه معلومات وثيقة تشير إلى أن المتعصبين اليهود المنخرطين في تنظيمات سرية، يدبرون لاعتداءات قريبة ونهائية على المسجد الأقصى.⁽³⁾

وقد تأسست ما يسمى بـ(جماعة أبناء الهيكل) عام 1988م، وحصلت على ترخيص رسمي صهيوني، بممارسة نشاطها تحت مسمى (مؤسسة العلوم والأبحاث وبناء الهيكل)، وكان مؤسسها هو (يسرائيل أرييل)، ويقوم أعضاء هذه الجماعة المشبوهة حالياً بجمع وإعداد المواد اللازمة الخاصة ببناء الهيكل، وقد أعدت الجماعة رسماً تخطيطياً للهيكل المزمع إقامته مكان المسجد الأقصى، ويرى هؤلاء ضرورة هدم المسجد الأقصى عاجلاً أو آجلاً، ويقول زعيم تلك الجماعة الحاخام (مناحم مكوبر): "إنه في كل الأحوال، وتحت أي ظروف، سوف يتم بناء الهيكل، وسوف يتم هدم المسجد الأقصى، وإنه في الوقت الذي سنحصل فيه على الضوء الأخضر، سيتم بناء الهيكل خلال بضعة أشهر فقط، باستخدام أحدث الوسائل التقنية، وأن

(1) الشيخ رائد صلاح: ولد الشيخ عام 1378هـ الموافق 1958م في بلدة أم الفحم، ونال شهادة كلية الشريعة من الخليل عام 1980م، يشغل الآن دور رئيس الحركة الإسلامية في الداخل، ويشغل سابقاً منصب رئيس بلدية أم الفحم منذ عام 1410هـ. انظر: مجلة البيان، عدد 122، شوال - 1418هـ، ص5.

(2) يا مسلمي العالم أفيقوا ، أ. د/ صالح الرقب: ص33، نقلا عن جريدة القدس، عدد 11271، 7/يناير/2001م، 12شوال 1421هـ، ص1-14.

(3) انظر(2-4): حمى سنة 2000، د. عبد العزيز كامل: ص68-69.

المساجد الموجودة في تلك المنطقة، بما فيها المسجد الأقصى وقبة الصخرة، هي مجرد مجموعة من الأحجار يجب إزالتها".⁽¹⁾

يقول د. صالح الرقب: "إنّ هناك أكثر من ثلاثين تنظيماً وحركة دينية يهودية، ترى أنّ رسالتها الوحيدة العمل على تمكين اليهود من السيطرة على المسجد الأقصى، معظم هذه الحركات موجود داخل فلسطين المحتلة؛ ولكن بعضاً منها موجود في كل من: الولايات المتحدة، وعلى الأخص في حي بروكلين بنيويورك، وكذلك فإن هناك حركة دينية يهودية مقيمة في استراليا، تجمع كل عام أكثر من ثلاثة ملايين دولار من أجل السيطرة اليهودية على المسجد الأقصى، ويتزعم هذه الحركة الملياردير والحاخام اليهودي (يوسيف جوتنيك)".⁽²⁾

خامساً: دور الحكومة والمؤسسة اليهودية في هدم المسجد الأقصى.

إن السلطة في الكيان الصهيوني ليست أقل حرصاً من التنظيمات الدينية السرية والعلنية في الإسراع بهدم مسجدي الأقصى والصخرة، ثم بناء الهيكل على أنقاضهما، وهذا الحرص يصل إلى أعلى مستويات في الحكومات المتعاقبة؛ فمنذ أن قال بن غوريون⁽³⁾ قولته المشهورة، ورددها بعده مناحيم بيغن: "لا قيمة لإسرائيل بدون القدس، ولا قيمة للقدس بدون الهيكل"، والمسئولون الصهاينة يدللون بالقول والفعل على أن هذه قناعة ثابتة لدى الجميع داخل الكيان الصهيوني.

وقد تميز بنيامين نتنياهو في عهده بهذا الجانب، فقد انعقد في القدس في 1998م المؤتمر السنوي السابع لرابطة إعادة بناء الهيكل، التي تضم عشر منظمات كبرى اشتركت في تنظيم المؤتمر، وضم آلافاً من اليهود المتدينين المنتمين لمنظمات أخرى سرية وعلنية، تدعو جهاراً إلى التعجيل بهدم الأقصى وبناء الهيكل، وتقدر الأوساط الإسرائيلية عدد من حضروا

(1) انظر: مقال سابق، بعنوان "هل بدأ العد التنازلي لهدم المسجد الأقصى...؟"، د. محمد مورو، ص26.

(2) يا مسلمي العالم أفيقوا، د. صالح الرقب: ص33.

(3) دافيد بن غوريون: وُلد ببولندا في 1886م، وانضم إلى صفوف الجماعة الاشتراكية الصهيونية "بوعالي صهيون" (عُمال صهيون) في 1906، هاجر بن غوريون إلى أرض فلسطين المحتلة عام 1948م، وكان عاملاً في التجمعات الزراعية اليهودية، في العشرينات انتُخب بن غوريون سكرتيراً عاماً للهستدروت - الاتحاد العام للعُمال، لعب بن غوريون دوراً مركزياً في دمج حزبي أهدوت هعافودا وهابوعيل هاتساعير في حزب مباي، والذي أصبح الحزب الحاكم برئاسة بن غوريون خلال العقود الأولى لقيام الدولة. في 1948، أعلن دافيد بن غوريون عن تأسيس دولة إسرائيل بصفته رئيس وزراء للحكومة المؤقتة - وهو أول رئيس وزراء لدولة إسرائيل، والذي تولى هذا المنصب لأطول فترة (13 عاماً)، واعتزل الحياة العامة في 1970 عندما كان في سن الـ84، وتوفي بن غوريون في 1973، ودُفِنَ في سُدِيه بُوكير. موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية <http://mfa.gov.il>

المؤتمر بسبعة آلاف يهودي، وكان الهدف من المؤتمر الذي شاركت فيه شخصيات حكومية هو: تقسيم المهام من أجل الهدف الذي جعلوه عنواناً للرابطة وهو: (إعادة بناء الهيكل).⁽¹⁾

وقد حملَ الشيخ رائد صلاح -في حوار معه لمجلة البيان- المسؤولية عن هدم المسجد الأقصى لو حدث للمؤسسة الإسرائيلية، التي اتهمها بتشجيع الأيدي اليهودية الإرهابية على مواصلة حرق المساجد وهدمها، والتي وصفها بأنها المسئول الأول والأخير والوحيد عن أية محاولة هدم كان قد تعرض لها، أو قد يتعرض لها المسجد الأقصى المبارك، وإن قول المؤسسة الإسرائيلية: إن المسئول عن محاولة (هدم المسجد الأقصى) رقم واحد أو رقم مليون هو مجهول، أو هو فلان المتطرف اليهودي الشاذ، أو تنظيم فلان الاستيطاني الإرهابي، كل ذلك لا يعني شيئاً، وستبقى المؤسسة الإسرائيلية هي المسئول الأول والأخير والوحيد عن أية محاولة لهدم المسجد الأقصى.⁽²⁾

سادساً: الخطوات الحكومية الرسمية الممهدة لتنفيذ المؤامرة:

هناك أدوار لا تستطيع المنظمات منفردة ولا مجتمعة أن تقوم بها؛ بل لا بد من قيام الدولة بالدور الأساس فيها، وتقسم الحكومة الصهيونية المشروع إلى قسمين:

الأول: قسم للتحضير، ويتناول عمليات الإعداد السابقة لبناء الهيكل، بما فيها: هدم المسجدين، وهذا القسم تتركه لتلك الجماعات والمنظمات المتعصبة والنشيطة.

والثاني: لمرحلة التنفيذ بما تتضمنه من الشروع في البناء ذاته، وتأمين ما يحتاجه من مشاريع، وتكاليف، ومنشآت، وطرق، وأنفاق، وموظفين، وإجراءات نظامية.

وهناك أمر مهم آخر، وهو: تأمين المرحلة، بمعنى: توفير العامل الأمني لتلك المنظمات مجتمعة؛ لكي تقوم بأدوارها التي لن يقوم بها غيرها، في التحضير لمرحلة البناء وما بعد البناء؛ ليتم ذلك في أسرع وقت، دون معوقات.⁽³⁾

سابعاً: الخطوات العملية اليهودية التي تسبق هدم الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم:

1-الإعلان عن اكتشاف طريق تحت المسجد الأقصى.

كشفت صحيفة "يديعوت أحرونوت" النقيب عن قيام سلطات الاحتلال بحفريات جديدة تحت المسجد الأقصى، بهدف البحث عن طريق تزعم أنها كانت تشكل قبل ألفي عام مدخلاً

(1) انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص73-74.

(2) من حوار لمجلة البيان مع الشيخ رائد صلاح بعنوان "ساومونا بعد الاعتقال على مواقف سياسية مهينة فرفضنا"، إعداد: نائل نخله، عدد 202، ص12، جمادى الآخرة-1425هـ.

(3) انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص75.

رئيساً للهيكل الثاني، وذكرت مصادر الاحتلال بأن هذا (الشارع العتيق) اكتشف (صدفة)، أثناء حفريات تقوم بها البلدية، تحت محيط ساحة البراق الشريف، في الجهة الغربية والجنوبية لسور المسجد الأقصى المبارك؛ بحجة مدّ شبكات تصريف مجاري جديدة في المكان.⁽¹⁾

2- شق الأنفاق.

هذه الخطوة تشترك مع عمليات الحفريات في أنها تهدد أساسات المسجد الأقصى في المرحلة الحالية، وتسهل أو تكمل مشروع بناء الهيكل في المراحل التالية.⁽²⁾

3- الاحتفال بمولد بقرة حمراء، كعلامة على قرب بناء الهيكل.

يعتقد الحاخامات اليهود أن بقرة حمراء قد ولدت في أواخر التسعينات، في كيبوتز ديني، قرب مدينة حيفا، وهي علامة ربّانية على قرب بناء الهيكل الثالث، ووفقاً لمواصفات البقرة المقدّسة في التوراة، فإن البقرة الحمراء من غير بقع ضرورية لنقاء الطقوس الشعائرية، وسيتم ذبح البقرة وحرقها، وتحويل رمادها إلى مادة تطهير؛ لاستخدامه في احتفال ديني، يعتقد اليهود المتدينون أنه يجب أن يسبق بناء الهيكل الثالث، مكان المسجد الأقصى المبارك، وفي هذا الاحتفال يغسل الذين يدخلون جبل الهيكل أيديهم برماد البقرة.

ويعتقد هؤلاء اليهود أنه منذ تدمير الهيكل الثاني على يد الرومان، لم تولد أي بقرة حمراء، ويعتبر اليهود أن مولد البقرة الجديدة معجزة ربّانية، تمكنهم من دخول الحرم القدسي الشريف؛ لكن يجب عليهم الانتظار إلى أن يصبح عمر البقرة ثلاث سنوات، حتى يمكنهم أن يبدؤوا ببناء الهيكل الجديد.⁽³⁾

4- السماح لليهود بالصلاة في المسجد الأقصى.

بعث شمعون شتاين -المستشار القانوني لمكتب رئيس الوزراء السابق نتنياهو- رسالة جوابية إلى إسرائيل ميداد -رئيس جماعة جبل الهيكل- جاء فيها: "بقدر ما يعلم، فإن صلاة اليهود في جبل الهيكل (المسجد الأقصى)، لم تمنع في أي وقت مضى"، ووجهه للتحدّث بشأن الأمر مع شرطة الاحتلال؛ بوصفها الجهة المكلفة بترتيب إجراءات دخول اليهود إلى الحرم القدسي الشريف، وبناءً على تلك الرسالة، توجه (ميداد) إلى قائد الشرطة الجديد في القدس،

⁽¹⁾ انظر: يا مسلمي العالم أفيقوا، قبل أن يهدم المسجد الأقصى، أ. د. صالح الرقب: ص 84-85، نقلا عن صحيفة "يديعوت أحرونوت" في العدد الصادر في 1997/3/21م.

⁽²⁾ انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص 76.

⁽³⁾ انظر قصة البقرة الحمراء كاملة وبالتفصيل: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص 103-116، و مقال بعنوان: "هل بدأ العد التنازلي لهدم الأقصى وإنشاء الهيكل اليهودي" بتاريخ 8 ذو الحجة 1426هـ. ناصر

العمر، موقع المسلم <https://almoslim.net/>

الميجر جنرال (يائير يتسحاكي) بطلب للسماح له ولأتباعه بإقامة صلوات وطقوس دينية داخل المسجد الأقصى، تحت إشراف شرطة الاحتلال، وبالتنسيق الكامل معها، وقال (ميداد): إنه تعهد للشرطة بأن يقوم بهذه الطقوس داخل المسجد الأقصى بهدوء، ودون أمور تظاهرة.⁽¹⁾ وقد تفوقت حكومة شارون في التعاطي مع ملف القدس والأقصى على الحكومات الصهيونية التي سبقتها، وخير دليل على ذلك: السماح لما يعرف بـ (منظمة أمناء جبل الهيكل) اليهودية المتطرفة بوضع حجر الأساس (للهيكل المزعوم)، يوم الأحد 29 يوليو 2001م - وهو يصادف حسب التقويم العبري التاسع من آب أغسطس - الذي يعتقد اليهود أنه تاريخ هدم الهيكل الثاني سنة 70م، وقد حرصت هذه المنظمة -طوال أكثر من عقد- على أن تتقدم بطلب لمحكمة العدل العليا اليهودية للقيام بهذه الخطوة، وكانت المحكمة تشترط في كل مرة الحصول على إذن الشرطة للقيام بذلك؛ إلا أن الشرطة -وبناءً على تعليمات الحكومات اليهودية المتعاقبة- رفضت السماح بالقيام بهذه الخطوة؛ ولكن حكومة شارون أوعزت للشرطة بإعطاء المنظمة هذا الإذن.⁽²⁾

5- الحفريات تحت المسجد الأقصى.

لقد قطعت الحكومة الصهيونية فيها عشر مراحل، منذ عام 1967م وحتى نهاية 1980م، ولا تزال أعمال الحفريات جارية إلى وقتنا هذا، وهي تستهدف تفريغ الأرض تحت المسجد الأقصى ومسجد الصخرة؛ لترك المسجدين قائمين على فراغ؛ ليكونا عرضة للانهايار السريع، بفعل أي عمل تخريبي، أو حتى اهتزازات أرضية طبيعية أو صناعية، وهم لا يُظهرون هذا الهدف؛ ولكن يعلنون أن الهدف هو: الكشف عن آثار باقية للهيكل الثاني، الذي دمر عام 70م، وقد سمحت الحكومة الصهيونية خلال عامي 1995، 1996م لمؤسستين يهوديتين، وهما: (شركة الآثار الإسرائيلية)، و(شركة تطوير القدس)، بإجراء المزيد من الحفريات.⁽³⁾ وقد مرت الحفريات تحت المسجد الأقصى بمراحل عديدة، وهي على النحو التالي⁽⁴⁾:

(1) انظر: يا مسلمي العالم أفيقوا، د. صالح الرقب: ص86، نقلا عن صحيفة هآرتس اليهودية.

(2) انظر: المصدر السابق: ص86-87.

(3) انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص75-76.

(4) انظر هذه المراحل: قبل الكارثة، د. كامل: ص276-279، ومقال "الحفريات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى المبارك تؤكد أن: الأقصى في خطر"، نائل نخلة (مراسل مجلة البيان في فلسطين)، مجلة البيان: ص86، جمادي الأولى-1423هـ، ومقال بعنوان "مسارب العدوان في الفكر الصهيوني، وأثرها في التعرض للمقدسات الإسلامية"، إعداد الشيخ محمد علي التسخيري، وعلي المؤمن، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد13، ص80-82.

المرحلة الأولى:

بدأ العمل بالحفريات نهاية عام 1967م وبداية عام 1968م؛ حيث تركز العمل فيها جنوبي المسجد الأقصى المبارك، وقد هدم في هذه الحفريات حي المغاربة الوقفي نهائياً؛ لتكون الأرض جاهزة لأي أعمال حفر وتنقيب.

المرحلة الثانية:

وفي سنة 1969م اتجهت هذه الحفريات شمالاً حتى وصلت باب المغاربة، مروراً بأربع عشرة بناية، وقد أحدثت هذه الحفريات في هذه المرحلة تصدعات بجميع الأبنية التي مرت من تحتها، وفي هذه السنة حدث حريق المسجد الأقصى عام 1969م.

المرحلة الثالثة:

وفي سنة 1973م اقتربت الحفريات إلى الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك، وفي سنة 1974م توسعت الحفريات تحت الحائط الغربي للمسجد الأقصى، إضافة إلى تركها خلف الحائط الجنوبي، الممتد من أسفل القسم الجنوبي للمسجد الأقصى وسور الحرم القدسي، وقد امتدت هذه الحفريات إلى شرق الحرم، وفي سنة 1975م تركزت أعمال الحفريات في مكان في منتصف سور البلدة القديمة، وسور الحرم القدسي الشريف، وأزال اليهود وقتها مقبرة للمسلمين.

المرحلة الرابعة:

وفي سنة 1979م تم شق نفق واسع طويل، وتقرر الاستمرار فيه حتى يخترق المسجد الأقصى من غربه إلى شرقه، وأقيم فيه كنيس يهودي صغير، افتتحه رسمياً رئيس الدولة اليهودية، ورئيس وزرائه عام 1986م، واتخذ معبداً مؤقتاً لليهود.

المرحلة الخامسة:

وفي سنة 1986م أعيد فتح "نفق وارن" (على اسم الإنجليزي وارن، الذي اكتشف النفق سنة 1880م)، وقد اقتربت الحفريات الصهيونية في هذه المرحلة إلى الحائط الغربي.

المرحلة السادسة:

وفي التسعينيات شهدت عمليات الحفر والتنقيب مرحلة أخرى، وبدأت بالتوغل تحت أرضية المسجد الأقصى المبارك، والتي لا تزال مستمرة حتى اليوم، وتركزت الحفريات في هذه المرحلة على الطبقات التحتية؛ لتفريغها من التربة.

ولعل هذه الحفريات هي من أخطر المراحل؛ لأن هدفها تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، لتترك المسجدين قائمين على فراغ ليكونا - لا قدر الله - عرضة للانهييار والسقوط، بفعل أي تقلبات مناخية، أو اهتزازات طبيعية، أو حتى

صوت عال تسببه طائرة تخترق حاجز الصوت، أو إحداث زلزال اصطناعي ناتج عن التفجيرات النووية التكتيكية، كما حدث مؤخراً في تفجيرات البحر الميت، التي أجريت بهدف اختبار صلابة الأبنية في بعض المدن المحتلة.

ومما يدل على وجود نية مبيتة في اللجوء إلى محاولة الهدم، عن طريق إحداث الاهتزازات الصناعية، ما أدلى به الخبير اليهودي في علم الآثار (جوزيف سيرج)، حين قال في تصريح له، في 18/8/1990م: "سنقوم بإعادة بناء الهيكل الثالث، على أرض المسجد الأقصى، الذي تستطيع إسرائيل تصديعه باستخدام الوسائل الحديثة".⁽¹⁾

وأوضح الشيخ رائد صلاح المساعي اليهودية اليوم للتمهيد لهدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم مكانه، وذكر في ذلك أموراً عديدة، منها⁽²⁾:

- 1- أداء اليهود صلواتهم على طول الحائط الجنوبي للأقصى كخطوة لتحويله إلى مبكى جديد.
- 2- إعلان وزارة الأديان (اليهودية) عن نيتها تحويل (رباط الكرد) إلى ما أسموه بالمبكى الصغير؛ علماً أن رباط الكرد هو: جزء لا يتجزأ من الأقصى.
- 3- استصدار أمر من المحكمة العليا للسماح لهم بأداء الصلاة في داخل حرم الأقصى.
- 4- الإعلان عن الانتهاء من بناء مذبح الهيكل، وأنه موجود الآن في منطقة البحر الميت.
- 5- احضارهم ما يلزم من خشب الأرز لبناء الهيكل وهو موجود في مخزن في القدس الشريف.
- 6- كانت هناك محاولة منهم لإدخال حجر بزنة عدة أطنان إلى ساحة الأقصى، وسموه: (الحجر الأساس لبناء الهيكل).

6- أعلنوا عن تشغيل مصنع لاستخراج الرخام الطبيعي في النقب؛ كي يستعمل بالإضافة لخشب الأرز في بناء الهيكل.

ثامناً: إجراءات عملية في السنوات الأخيرة لبدء هدم الأقصى، وإقامة الهيكل المزعوم:
ذكر الدكتور صالح الرقب أعمالاً كثيرة، يقوم بها اليهود حالياً، تؤكد أنهم قد بدأوا بالفعل بإجراءات عملية لبدء هدم الأقصى، وإقامة الهيكل المزعوم، منها⁽³⁾:

- 1- في شهر سبتمبر 1998م، عقد ألفان من الحاخامات ورجال الدين اليهود مؤتمراً، ناقشوا فيه أفضل السبل في التسريع لهدم المسجدين: الأقصى، وقبة الصخرة، ومن ثمّ بناء الهيكل على أنقاضهما.

⁽¹⁾ انظر: قبل الكارثة، د. كامل: ص 279.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: نفس الصفحة.

⁽³⁾ انظر هذه الإجراءات: يا مسلمي العالم أفيقوا، أ. د. صالح الرقب: ص 89-100.

2- يتحدث الإعلام العبري عن جماعة يهودية، تقدّمت إلى لجنة التنظيم الإسرائيلية في القدس؛ لتصادق لها على خارطة بناء لكنيس يهودي في داخل المسجد الأقصى، علماً بأن كل ذلك يتم بعلم مكتب رئيس الحكومة (شارون)، كما أكدّت ذلك وسائل الإعلام العبرية.

وقد ذكرت صحيفة "هآرتس" العبرية، في عددها الصادر يوم الجمعة 5-1-2001م: أنّ لجنة منبثقة من مجلس الحاخامية الرئيس في الكيان المحتل، بحثت مؤخراً عدداً من الاقتراحات؛ لإقامة كنيس في الحرم القدسي الشريف، في خمسة مواقع مختلفة هي: موقع باب الرحمة، مبنى المحكمة، المدرسة العمرية في الزاوية الجنوبية الشرقية من الحرم، وفي منطقة المصلى المرواني.

3- القيام بالبحث الإذاعي من إذاعات يملكها يهود، من الحركات العاملة لهدم الأقصى، كإذاعة (عزة صهيون) لحركة كاخ، والتي تدعو علناً الشباب اليهودي للعمل من أجل إقامة المعبد، على أنقاض الهيكل، وتذيع الفتاوى لعدد من كبار الحاخامات الداعية لإعادة الهيكل.

4- قيام مجموعة هندسية يهودية، بتشييد هيكل جديد في منطقة وادي عربة، مشابهاً للهيكل القديم، أمّا الهيكل، فقد تمّ تصميمه الهندسي في الولايات المتحدة الأمريكية على يد مستشارين من يهود أمريكا، وهذا التصميم وضع الآن تحت تصرف الحكومة اليهودية، كما تمّ إعداد فريق متكامل من عمال البناء، في انتظار ساعة البدء في العمل، وهي بانتظار اللحظة المناسبة لنقله وتثبيت أركانه، على أنقاض المسجد الأقصى. لقد أصبحت مواد البناء جاهزة، وهي موجودة في مكان سري، وتتكون من الأحجار الكريمة، ورقائق الذهب والفضة، والتحف الفنية.⁽¹⁾

تاسعاً: واجب المسلمين في نصرة فلسطين ومواجهة خطة هدم المسجد الأقصى.

إن المسلمين وهم يبلغون أكثر من ربع سكان العالم لن يقفوا مكتوفي الأيدي، وهم يرون أيدي اليهود أو النصارى تمتد بالهدم والتدمير إلى المكان المقدس الثالث عندهم، الذي أمّ فيه نبيهم محمد ﷺ مصلياً بجميع الأنبياء في ليلة الإسراء؛ لذلك فالمتصور أن تكون هناك حلبة صراع حقيقية وعالمية على ساحات الأرض المقدسة، إذا ما أقدم اليهود -بالتعاون والتنسيق والتأييد من النصارى- على تنفيذ هدم المسجد الأقصى، وهو حدث يعترف اليهود أنفسهم بأنه سيكون بداية لأحداث كبرى يمكن أن تفتح أمامهم صراعات لا يعرفون لها مدى.⁽²⁾

وإن الحديث عن واجب المسلمين في مواجهة خطة هدم المسجد الأقصى يتطلب الحديث عن واجب جميع المسلمين، وقد صنف د. راغب السرجاني واجبات المسلمين إلى أصناف عدة:

(1) نقلاً عن صحيفة الشرق القطرية عدد 8-19-1997م.

(2) انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص 67.

أولاً- واجبات عموم الأمة:

وذكر عدة واجبات يجب على عموم الأمة القيام بها تجاه قضية فلسطين بصورة عامة ، ومواجهة خطة هدم المسجد الأقصى بصورة خاصة، منها⁽¹⁾:

1- التحرك النشط بالقضية.

فلا بد من تحريك القضية الفلسطينية في كل محفل، وبكل وسيلة، وبأقصى سرعة، وهذا واجب حتمي على الجميع؛ لحفظ القضية من الموت أو النسيان.

وعلى عموم المسلمين القيام ببعض الواجبات الأساسية في هذا المجال، ومنها:

- التحرك بالقضية في دائرة الأهل والأسرة.
- التحرك بالقضية في دائرة الأصدقاء والزملاء والجيران.
- توسيع الدوائر التي يجب التحرك فيها.
- التحرك في الدوائر الفاعلة في المجتمع.
- التحرك في الدوائر البعيدة؛ من خلال وسائل الاتصالات الحديثة (الانترنت) وذلك للمسلمين، وغير المسلمين، لشرح القضية الفلسطينية، وفضح اليهود، وتكوين رأي عام عالمي مضاد للإعلام اليهودي.
- المشاركة في كل الفعاليات، ومن الفعاليات المهمة والمؤثرة: المسيرات السلمية.
- الترويج للمواد العلمية التي تخدم القضية، مثل: توزيع كتيبات عن تصحيح مفاهيم القضية، ووجوب تحريكها في كل مكان.
- ابتكار وسائل جديدة لتحريك الناس، مثل: الأعمال الفنية، والشعر، و القصة، والمسرحية.

2- الجهاد بالمال.

فما أحوح أهل فلسطين للمال في هذه الأوقات، حيث الحصار الاقتصادي الرهيب، والطرد من الأعمال، وإغلاق المعابر، وتجريف الأراضي، وهدم الديار، ونقص في الغذاء والدواء والسلاح، فمن كان يريد جهاداً في سبيل الله، ثم حيل بينه وبين الجهاد؛ فليثبت صدق نيته بالجهاد بالمال.

(1) انظر: فلسطين واجبات الأمة، د. راغب السرجاني: ص21-95، باختصار شديد، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1431هـ-2010م.

3- بث روح الأمل، ورفع الروح المعنوية.

إن واجب رفع الروح المعنوية، وبث الأمل في القيام من جديد، لهو من أعظم الواجبات، ليس تجاه فلسطين فحسب؛ ولكن تجاه أمة الإسلام بأسرها، ومن أعجب العجب: أن تحبط أمة تملك شرعاً مثل شرع الإسلام، وتاريخاً مثل تاريخ الإسلام، ورجالاً مثل رجال الإسلام.

4- المقاطعة.

تعتبر المقاطعة الاقتصادية للمنتجات اليهودية، ومنتجات الدول التي تساند اليهود، من الواجبات الشرعية لعموم الأمة؛ لأن الجميع مطالب به.

5- الجدية، وإحياء روح الجهاد في الأمة.

إن إحياء روح الجهاد في الأمة قرار يجب اتخاذه، ولو كان صعباً على النفوس، ولا يقوى عليه إلا أعظم المؤمنين.

6- عدم الاعتراف بشرعية الاحتلال الصهيوني لفلسطين؛ فضلاً عن التطبيع معه.

7- رفع لواء الجهاد في سبيل الله لتحرير فلسطين؛ لأنها أرض إسلامية محتلة.

8- الوحدة، ونبذ الفرقة.

ثانياً: الواجبات العامة لأهل فلسطين:

ذكر د. السرجاني عدة واجبات يجب على أهل فلسطين القيام بها، منها⁽¹⁾:

1- الجهاد بالنفس في سبيل الله، والاستعداد له بكل وسيلة.

حيث يعتبر الجهاد بالنفس ضد المحتل الغاصب هو الواجب الأول لأهل فلسطين المقيمين داخلها، لتحرير أرضهم التي اغتصبت منهم، حتى آخر شبر منها.

2- توحيد الفصائل المختلفة.

يجب على كل فلسطيني العمل بكل طاقته، من أجل تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية، وتوحيد الصف الفلسطيني، والوقوف والتراس كالبنيان في مواجهة المخططات الصهيونية، ضد الشعب الفلسطيني.

3- التمسك بالأرض.

فإذا كانت فلسطين أرضاً مباركة، كتبها الله للمتقين من عباده؛ فنحن أولى الناس بها، وعلينا أن نتمسك بها، ولا نترك شبراً منها للمغتصبين، وذكر د. السرجاني عدة أمور يكون التمسك بالأرض من خلالها، منها:

- إعطاء رؤية من الداخل للأحداث:

(1) انظر: فلسطين واجبات الأمة، د. راغب السرجاني: ص 126-140 باختصار شديد.

ومن ذلك: التواصل مع وسائل الإعلام؛ لنقل الصورة الحقيقية للوضع داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.

ثالثاً: واجبات عرب أرض 48:

ذكر د. السرجاني أن على فلسطينيي أرض 1948 من الواجبات ما لا يستطيعه غيرهم، ومن ذلك⁽¹⁾:

- 1- فضح مساوئ المجتمع اليهودي، وكشف عيوبه.
 - 2- التمسك بالأرض، وعدم الرحيل من أرض 1948م، حتى ولو إلى الضفة الغربية، أو غزة.
 - 3- ممارسة الضغط بكل الوسائل المتاحة لتحريك القضية.
 - 4- توضيح المخاطر التي تتعرض لها المقدسات الإسلامية داخل الخط الأخضر.
- وقد قامت الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر، ورئيسها الشيخ رائد صلاح، وتحت شعار (القدس في خطر)، الذي رفعته الحركة عام 1996م، بجولة تفصيلية في ذاك العام في كل معالم المسجد الأقصى الواقعة داخل سوره وخارجه وتحت الأرض، ورأت الخطر الذي يهدد المسجد جراء الحفريات، ثم قامت الحركة بوضع خطة مرجعية حول كيفية السعي للدفاع عن المسجد الأقصى، وقد بُنيت تلك الخطة على أساسين، هما: إعمار، وإحياء المسجد الأقصى، فكانت البداية سلسلة مشاريع لإعمار المسجد الأقصى، وإعمار المصلّى المرواني، وإعمار سطحه، وإعمار الأقصى القديم، وفتح بوابات المصلّى المرواني العملاقة، وتنظيف الساحات، وإقامة وحدة حمامات ومتوضاً، في باب الأسباط وحطة وفيصل، ثم البدء بجانب مشاريع الإعمار في تسيير مسيرة البيارق، وإقامة دورين في المسجد الأقصى، وإنشاء صندوق طفل الأقصى، ومهرجان صندوق طفل الأقصى السنوي، ثم إقامة مؤسسة (مسلمات من أجل الأقصى)، بجانب الحرص على إعماره. وفي نفس الوقت بدأت الحركة بسلسلة نشاطات إعلامية مكثفة، وكان على رأسها: إقامة مهرجان (الأقصى في خطر) الأول عام 1996م.⁽²⁾
- رابعاً: واجبات الفلسطينيين في الخارج:

ذكر د. السرجاني عدة واجبات يجب على الفلسطينيين في الخارج القيام بها، أهمها: **الجهاد بالمال؛** حيث إن كثيراً من الفلسطينيين المقيمين بالخارج من الأغنياء، والكثير من أبناء

(1) انظر: فلسطين واجبات الأمة، د. راغب السرجاني: ص146-149، باختصار شديد.

(2) من حوار لمجلة البيان مع الشيخ رائد صلاح بعنوان "ساومونا بعد الاعتقال على مواقف سياسية مهينة، فرفضنا"، إعداد: نائل نخله، مجلة البيان، عدد 202، ص12، جمادى الآخرة-1425هـ.

الجاليات الفلسطينية، من كبار رجال الأعمال والاقتصاد، وهؤلاء عليهم واجب ضخم تجاه القضية الفلسطينية، يأتي في مقدمته: الجهاد بالمال.⁽¹⁾

إن دعم الحركات الجهادية في فلسطين، هو البداية المستطاعة للفلسطينيين في الخارج الآن، حتى يأذن الله بأن تدب روح الغيرة في عروق كثير ممن ولاهم الله أمر هذه الأمة.⁽²⁾

خامساً: واجبات الحكام المسلمين:

ذكر د. السرجاني أن على الحكام المسلمين عدة واجبات يجب القيام بها، منها⁽³⁾:

- 1- تكوين التحالفات القوية ضد الكيان الصهيوني.
- 2- الوحدة مع دول الطوق التي تحيط بفلسطين، وهي: مصر والأردن وسوريا ولبنان.
- 3- الوحدة مع الدول العربية.
- 4- الوحدة مع الدول الإسلامية.
- 5- الوحدة مع الدول العالمية المتعاطفة مع القضية.
- 6- مراجعة العلاقة مع الكيان الصهيوني، وذلك من خلال ما يلي:
 - طرد السفير الصهيوني.
 - مراجعة الاتفاقيات والمعاهدات السابقة.
 - معاملة العدو الصهيوني بندية.
 - 6 - تقوية الجيوش العربية والإسلامية.
 - 7- التوسط بين الفصائل المختلفة داخل فلسطين لتكوين جبهة واحدة.
 - 8- مد يد العون الحقيقي لأهل فلسطين.
 - 9- إلغاء الاعتراف بشرعية المحتل الصهيوني.

سادساً: واجبات العلماء والدعاة:

ذكر د. السرجاني عدة واجبات يجب على الحكام المسلمين القيام بها، منها⁽⁴⁾:

- 1- نشر ثقافة الوحدة ونبذ الفرقة.
- 2- تحريك القضية الفلسطينية.

⁽¹⁾ انظر: فلسطين واجبات الأمة، د. راغب السرجاني: ص150.

⁽²⁾ انظر: حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل: ص67.

⁽³⁾ انظر: فلسطين واجبات الأمة، د. راغب السرجاني: ص153-166، باختصار شديد.

⁽⁴⁾ انظر: المصدر السابق: ص173-186، باختصار شديد.

3- التواصل مع القادة السياسيين والإعلاميين والدينيين؛ المسلمين، وغير المسلمين، والتفاعل الإيجابي معهم، حسب الأحداث.

4- إصدار فتاوى بما يخص القضية الفلسطينية.

5- حث الناس على الجهاد بمالهم في سبيل الله.

المبحث الثالث

الانحراف الأخلاقي عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين.

تمهيد:

إن تحريف اليهود للتوراة، وتزويرهم لها، والادعاء بأنها من عند الله عز وجل، أمر خطير للغاية، نتج عنه انحراف في العقيدة والأخلاق، وقد سبق الحديث عن التحريف في عقيدتهم في الله تعالى، وفي الأنبياء، كنموذج عن التحريف العقدي، وكأثر من آثار تحريفهم للتوراة، وذلك في المبحث السابق، وسيكون الحديث في هذا المبحث عن أثر التحريف اليهودي للتوراة في أخلاقهم.

المطلب الأول: الخلفية التاريخية والدينية لأخلاق اليهود.

أولاً: أخلاق الأجداد المذمومة كما جاءت في التوراة والإنجيل:

تحدثت أسفار التوراة التي يقدها اليهود، والإنجيل الذي جاء مصدقاً للتوراة عن الخلفية الدينية والتاريخية لأخلاق بني إسرائيل، وخطاياهم في حق الرب سبحانه وتعالى:

أ- ففي سفر الملوك الثاني، من أسفار العهد القديم، وردت عدة أخلاق مذمومة، وهي⁽¹⁾:

1- عبادة آلهة غير الله:

"وَكَانَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخْطَأُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهِمُ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ تَحْتِ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَاتَّقَوْا آلِهَةً أُخْرَى، وَسَلَكُوا حَسَبَ فَرَائِضِ الْأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ أَقَامُوهُمْ"⁽²⁾ "وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ الَّتِي قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ عَنْهَا: لَا تَعْمَلُوا هَذَا الْأَمْرَ"⁽³⁾.

2- عدم استقامتهم على منهج الله:

"وَعَمِلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ سِرًّا ضِدَّ الرَّبِّ إِلَهُهِمْ أُمُورًا لَيْسَتْ بِمُسْتَقِيمَةٍ، وَبَنَوْا لِأَنْفُسِهِمْ مَزْتَفَعَاتٍ

⁽¹⁾ انظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية، المستشار سالم علي البهناوي ص 160-161.

⁽²⁾ سفر الملوك الثاني: 8-7/17.

⁽³⁾ سفر الملوك الثاني: 12/17.

فِي جَمِيعِ مَدِينِهِمْ، مِنْ بُرْجِ النَّوَاطِيرِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُحَصَّنَةِ. وَأَقَامُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْصَابًا وَسَوَارِيَّ عَلَى كُلِّ تَلٍّ عَالٍ وَتَحْتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ. وَأَوْقَدُوا هُنَاكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُرْتَفَعَاتِ مِثْلَ الْأُمَمِ الَّذِينَ سَاقَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِهِمْ، وَعَمَلُوا أُمُورًا قَبِيحَةً لِإِغَاظَةِ الرَّبِّ". (1)

3- نقضهم العهود مع الله تعالى:

"وَرَفَضُوا فَرَائِضَهُ وَعَهْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَ آبَائِهِمْ وَشَهَادَاتِهِ الَّتِي شَهِدَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ، وَصَارُوا بَاطِلًا وَرَاءَ الْأُمَمِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، الَّذِينَ أَمَرَهُمُ الرَّبُّ أَنْ لَا يَعْمَلُوا مِثْلَهُمْ. وَتَرَكَوا جَمِيعَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهُهُمْ وَعَمَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَسْبُوكَاتٍ عِجَلِينَ، وَعَمَلُوا سَوَارِيَّ، وَسَجَدُوا لِجَمِيعِ جُنْدِ السَّمَاءِ، وَعَبَدُوا الْبَعْلَ. وَعَبَّرُوا بَيْنَهُمْ وَبَنَاتِهِمْ فِي النَّارِ، وَعَرَفُوا عِرَافَةً وَتَفَاءَلُوا، وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِعَمَلِ الشَّرِّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ لِإِغَاظَتِهِ فَغَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَنَحَاهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا سِبْطُ يَهُوذَا وَحْدَهُ". (2)

4- ترك وصايا الرب وفرائضه:

"وَيَهُوذَا أَيْضًا لَمْ يَحْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلَهُهُمْ، بَلْ سَلَكُوا فِي فَرَائِضِ إِسْرَائِيلَ الَّتِي عَمَلُوهَا. فَزَدَلَ الرَّبُّ كُلَّ نَسْلِ إِسْرَائِيلَ، وَأَدَلَّهُمْ وَدَفَعَهُمْ لِيَدِ نَاهِبِينَ حَتَّى طَرَحَهُمْ مِنْ أَمَامِهِ، لِأَنَّهُ شَقَّ إِسْرَائِيلَ عَنْ بَيْتِ دَاوُدَ، فَمَلَكَوا يَرْبَعَامَ بْنَ نَبَاطَ، فَأَبْعَدَ يَرْبَعَامُ إِسْرَائِيلَ مِنْ وَرَاءِ الرَّبِّ وَجَعَلَهُمْ يُخْطِئُونَ خَطِيئَةً عَظِيمَةً. وَسَلَكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ خَطَايَا يَرْبَعَامَ الَّتِي عَمِلَ. لَمْ يَحِيدُوا عَنْهَا حَتَّى نَحَى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَمَامِهِ كَمَا تَكَلَّمَ عَنْ يَدِ جَمِيعِ عِبِيدِهِ الْأَنْبِيَاءِ، فَسَبَى إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ إِلَى أَشُورَ". (3)

ب- وفي سفر ميخا، من أسفار العهد القديم أيضا وردت عدة أخلاق مذمومة أخرى، وهي:

1- كراهيتهم الحق:

"اسْمَعُوا هَذَا يَا رُؤَسَاءَ بَيْتِ يَعْقُوبَ وَفُضَاةَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ يَكْرَهُونَ الْحَقَّ وَيَعْوَجُونَ كُلَّ مُسْتَقِيمِ الَّذِينَ يَبْنُونَ صِهْيُونََ بِالِدِّمَاءِ، وَأُورُشَلِيمَ بِالظُّلْمِ". (4)

2- تعاملهم بالرشوة:

"رُؤَسَاؤُهَا يَقْضُونَ بِالرِّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالْأَجْرَةِ، وَأَنْبِيَائُهَا يَعْرِفُونَ بِالْفِضَّةِ...". (1)

(1) سفر الملوك الثاني: 9/17-11.

(2) سفر الملوك الثاني: 15/17-18.

(3) سفر الملوك الثاني: 19/17-23.

(4) سفر ميخا: 3/9-10.

ج- وفي الإنجيل وصف لليهود وآبائهم بقتل الأنبياء:

فقد ورد في الإنجيل قول المسيح عليه السلام لليهود: "فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ. فَمَلَأُوا أَنْتُمْ مَكِيلَ آبَائِكُمْ أَيُّهَا الْحَيَاتُ أَوْلَادَ الْأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرَبُونَ مِنْ دَيْئُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِنَدِّكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكُتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصَلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمِ زَكِّيِّ سَفِكَ عَلَى الْأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكْرِيَّا بْنِ بَرَخِيَا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هَذَا الْجِيلِ يَا أُورُشَلِيمَ، يَا أُورُشَلِيمَ! يَا قَاتِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةَ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا هُوَذَا بَيْنَكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا. لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَنِي مِنَ الْآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ".⁽²⁾

ففي هذا النص من الإنجيل بيان واضح، وشهادة من المسيح عليه السلام على يهود بأنهم أبناء قتلة الأنبياء، وأنهم حيات وأولاد أفاعي، وأنهم قتلة النبي زكريا عليه السلام.

ثانياً: أخلاق الأجداد المذمومة كما جاءت في القرآن الكريم:

إن أخلاق اليهود الذميمة التي أخبرنا القرآن الكريم عنها لها، أصول وجذور دينية وتاريخية، ضاربة في عمق التاريخ اليهودي منذ نشأته، وهذه بعضها:

1- أخلاق (إخوة يوسف عليه السلام):

نشأت أخلاق اليهود الذميمة مع نشأة إخوة يوسف عليه السلام، وهم بنو إسرائيل: أصول اليهود وأجدادهم الأوائل.

يقول د. صلاح الخالدي: "وقد كان ليوسف من الإخوة الذكور أحد عشر أخا، وهؤلاء هم أصول وأجداد بني إسرائيل وأسباطهم، ورغم أنهم أولاد نبي كريم يعقوب عليه السلام، وإخوة يوسف الكريم عليه السلام؛ إلا أنهم تمثلت فيهم أخلاق وسمات ذميمة، وقاموا بأعمال وتصرفات لئيمة، وفعلوا بأخيه يوسف عليه السلام ما لم يفعله إخوة بأخيه، ممن استقامت نفوسهم وصلحت أحوالهم، ولقد كان هؤلاء الإخوة هم البداية لتاريخ بني إسرائيل، والورقة الأولى من سجلهم التاريخي المعروف، فإذا كان هؤلاء تمثلت فيهم أخلاق وصفات وسمات خاصة، فكيف بالأجيال اللاحقة لهم من بني إسرائيل؟

(1) سفر ميخا: 11/3.

(2) إنجيل متى: 23/31-39.

إن هذه البداية الحاقدة الكاذبة دليل على الطبيعة الخاصة لليهود، والنفسية المعقدة لهم، وتمكن أخلاق خاصة لهم في كيانهم".⁽¹⁾

لقد بينت "سورة يوسف" مجموعة من الأخلاق المذمومة، والأقوال الباطلة، والأعمال السيئة لإخوة يوسف عليه السلام، وهم أصول بني إسرائيل وأجدادهم الأوائل، ومن هذه الأخلاق⁽²⁾:
أ- الحسد اللئيم: الذي ولّد الحقد الأسود، حيث حسد أبناء يعقوب عليه السلام (بنو إسرائيل) أخاهم يوسف عليه السلام؛ لأن أباهم يعقوب عليه السلام كان يخصه بمزيد من الرعاية والاهتمام، والحسد هو انحراف في النفس، وفساد في الأخلاق؛ ولأجل هذا الأمر تحول حسدهم إلى حقد أسود: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8].
ب- الهم بقتل يوسف: قد تحول الحقد الأعمى إلى تفكير جدي بقتل يوسف عليه السلام، فقالوا: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9].
وبمجرد أن يفكر الإخوة بقتل أخيهم، وإزهاق روحه، يكونون قد فقدوا الأخلاق الفاضلة، وخلت قلوبهم من معاني الرحمة، والخير، والإنسانية.

ج- الأنانية المريضة: وتظهر هذه الأنانية في قولهم: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾، فلا يريدون شريكا لهم مع أبيهم؛ بل يريدون أن يكون لهم وحدهم؛ فليتخلصوا من كل من يراحمهم عليه، ويشاركهم فيه.

د- ضلالهم عن طريق الصلاح: وهذا الضلال يتمثل في نظرتهن إلى حالتهن بعد قتل أخيهم يوسف ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾.

هـ- عقوقهم لأبيهم وقبح مخاطبتهم له: وهو النبي الكريم يعقوب عليه السلام، فقد وصفوه بقولهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. والإنسان الذي يتصف بشيء من الأدب لا يصف أباه المؤمن بأنه ضال؛ فضلا عن أن يصف ضلاله بأنه مبين ظاهر؛ فإذا كان المؤمن لا يوصف بهذا، فكيف بنبي من أنبياء الله؟ وكيف يكون الموقف عندما يصدر عن أولاده؟!.

و- ممارسة الكذب واستمراؤه: فهم قوم كاذبون: كذبوا على أبيهم مرات، وكذبوا على الآخرين، وكذبوا على أخيهم يوسف عليه السلام، والكذب خلق ذميم، لا يمارسه إلا إنسان مريض جبان.

ز- الخداع والتمثيل: كان اليهود، ولا يزالون يعتبرون الخداع ذكاء، والتمثيل فطنة، والكذب والافتراء لباقة، وحسن تصرف.

2- أخلاق قوم موسى عليه السلام:

(1) الشخصية اليهودية، د. صلاح الخالدي: ص 122-123.

(2) (أ-ز) المصدر السابق: ص 127-132.

لقد بينت كثير من آيات القرآن الكريم مجموعة من الأخلاق المذمومة، التي كان عليها قوم موسى عليه السلام، وهم أصول بني إسرائيل وأجدادهم الأوائل، ومن هذه الأخلاق:
أ- التشدد وكثرة الجدل.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْع لُونَهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: 67-71].

ب- الجبن والخوف من القتال.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانْتُكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَفَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 20-24].

واستمر هذا الجبن من اليهود بعد موسى عليه السلام وحتى يومنا هذا، قال تعالى -في حق اليهود في عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم- ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14].
ج- إيذائهم النبي موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتُرُ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا

بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجْرٌ، ثَوْبِي حَجْرٌ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجْرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجْرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَ اللَّهُ إِنَّ بِالْحَجْرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: 69].⁽¹⁾

هذه بعض أخلاق أجداد اليهود المذمومة، كما جاءت في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، وتوارثها أجيال اليهود جيلا بعد جيل، فما عليه اليهود اليوم من الأخلاق الذميمة هو امتداد لما كان عليه أخلاق الآباء والأجداد.

المطلب الثاني

سمات الشخصية اليهودية

اتسمت الشخصية اليهودية بالعديد من السمات، منها:

1- المادية:

يقول د. محمد سيد ندا: "إن اليهود لا يؤمنون إلا بالمادة؛ أما المعاني الروحية فلا نصيب لها من نفوسهم، والمعنويات العقلية لا يقيمون لها وزناً، فلا يهتمهم السمو الروحي، ولا المبادئ الخلقية القائمة على الاتصال بين الناس، فالمروءة، والمودة، والتراحم، والصدق، والوفاء، والأمانة، والحياء، وغيرها، صفات لا يعرفها اليهود؛ وإنما يعرفون حسب مقدار النفع المادي الذي يعود عليهم. واللذة الوقتية لا الدائمة ترضى أهواءهم، وتشبع نهمهم".⁽²⁾

وبيّن د. ندا أثر تلك المادية التي تتسم بها الشخصية اليهودية، من حيث كون الحياة الدنيا هي غاية همهم، وشعارهم الذي يسيرون وراءه، وكيف أصبحوا نفعيين أنانيين، يهدمون المبادئ من أجل ذواتهم، ويدوسون المصالح العامة، في سبيل منافعهم الشخصية، وحملتهم تلك الأنانية أن يسلكوا كل طريق منحرف للحصول على المال والمنافع، فلم يتورعوا عن الكذب، والخداع، والغش، والنفاق، والتضليل، ثم بيّن د. ندا المرجعية الدينية لليهود، التي تجعلهم يسيرون وراء المادة، مستندلاً بالنصوص التوراتية التالية:

(1) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام: 156/4، رقم 404.

(2) جنيات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع، د. محمد محمود سيد ندا: ص 209.

أ- "لَأْتَهُمْ مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، كُلُّ وَاحِدٍ مُوَلَّعٌ بِالرِّيحِ. وَمِنَ النَّبِيِّ إِلَى الْكَاهِنِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ".⁽¹⁾

لقد أضاف هذا النص القول لله تعالى، ومعلوم أنه من المستحيل أن يتهم الله نبيه بالكذب الذي يتخذه وسيلة للريح؛ لكن كتبة التوراة لما كانوا على طبيعة ذويهم المادية، فإنهم أحبوا أن يشركهم في هذا الأمر أنبياءهم وكهانهم؛ ليكون ذلك مسوغاً لهم؛ كي يفعلوا ما يشاءون.

ب- "وَصَارَ مُرْشِدُو هَذَا الشَّعْبِ مُضِلِّينَ، وَمُرْشِدُوهُ مُبْتَلَعِينَ، لِأَجْلِ ذَلِكَ لَا يَفْرُحُ السَّيِّدُ بِفِتْيَانِهِ، وَلَا يَرْحَمُ يَتَامَاهُ وَأَرَامِلَهُ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٌ وَفَاعِلٌ شَرٌّ، وَكُلُّ فَمٍ مُتَكَلِّمٌ بِالْحَمَاقَةِ... بِسَخَطِ رَبِّ الْجُنُودِ تُحْرَقُ الْأَرْضُ، وَيَكُونُ الشَّعْبُ كَمَا كَلَّ لِلنَّارِ. لَا يَشْفِقُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَخِيهِ، يَلْتَهُمْ عَلَى الْيَمِينِ فَيَجُوعُ، وَيَأْكُلُ عَلَى الشَّمَالِ فَلَا يَشْبَعُ، يَأْكُلُونَ كُلُّ وَاحِدٍ لَحْمَ ذِرَاعِهِ: مَنَسَى أَفْرَايِمَ، وَأَفْرَايِمَ مَنَسَى، وَهُمَا مَعًا عَلَى يَهُودَا".⁽²⁾

مما سبق يتبين: أن المادية هي الأساس الذي تتطلق منه جميع التصرفات اليهودية، في الماضي والحاضر، وهي إحدى السمات البارزة، التي تتسم بها الشخصية اليهودية.

2- العدوانية.

تتَّصف الشخصية اليهودية الإسرائيلية بالعدوانية، والميل للعنف، لا سيما مع غير اليهود، الذين يُسمون الأغيار (غير اليهود)، فهم لا يستحقون إلا العنف؛ لأنهم مخلوقون لخدمة اليهود، ويؤمن اليهود بأن القوة وحدها هي التي تؤمّن وجودهم وبقائهم؛ ولذا يحرصون على أن يمتلكوا كل وسائل القوة، سواء أكانت ناعمة، مثل: القوة الدبلوماسية، أو صلبة، مثل: القوة الاقتصادية والعسكرية، ويركّزون على تفوقهم النوعي والكمي في التكنولوجيا العسكرية، وتعتبر القوة والحل العسكري الحل الأمثل لحل أي نزاع، كما أنهم لا يحترمون أي مواثيق أو أعراف أو قرارات دولية أو أممية، فيما يتعلق بالإنسان، سواء كان مدنياً، أو امرأة، أو طفلاً، أو شيخاً مسنّاً، ولا يسلم من قسوتهم حتى الحيوان والنبات، وهذا الميل للعنف ناتج عن الأساطير التي تُسجت عن اليهودي بأنه البطل الذي يُببّد كل شيء، بمجرد أن تطأه أقدامه، وإن العهد القديم في كل الأسفار تقريباً لا يخلو من سرد قصص هجوم اليهود على مدن، وإبادتها عن بكرة أبيها،

⁽¹⁾ سفر إرميا: 13/6.

⁽²⁾ سفر إشعيا: 21-16/9.

لا يبقون فيها طيرًا، ولا نباتًا، ولا حيوانًا، ولا إنسانًا، فكل ما هو غير يهودي هذا مصيره، الذي يرضاه الإله -تعالى الله عما يصفون-⁽¹⁾.

يقول د. علي خليل: "إن ما قام به أسلاف اليهود من أعمال عدوانية، تعتبر بطولات وأمجادًا -في زعمهم-، وعلى كل يهودي أن يلتزم بسلوكية هؤلاء الأسلاف، وأن يكون من هذه السلوكية شخصيته المتميزة والمترفعة والمشبعة بالتوجس والعدوان؛ ولهذا فإن نظام التعليم اليهودي يُركز على تعريف الطفل في سن الرابعة، على هويته وأسلافه، ويُدرّب على الاحتراز من الأغيار، وعدم مخالطتهم، وزرع فكرة القداسة والاختيار في عقله الباطن"⁽²⁾.

وقد قدم د. خليل للقارئ رؤية نقدية جديدة، ربط فيها بين النص والواقع، وبين من خلالها كيف تسير السياسة اليهودية في العصر الحاضر، وأنهم يستلهمون الماضي، ويستحضرون أفعال أجدادهم، ويقتدون بها، وسار مع الأسفار سفرًا سفرًا، يذكر منها ما يؤكد ذلك "السلوك اللاأخلاقي"، المشبع بالعدوان، الذي يصف اليهود بالوحشية والقسوة تجاه الآخرين، ويؤكد أن الروح العدوانية واضحة تمامًا في السلوك والأفكار.⁽³⁾

3- القسوة والهمجية.

وصف الله تعالى قلوب اليهود بالقسوة، وشبهها بالحجارة؛ بل وصفها بأنها أشد قسوة من الحجارة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74].

وقال سبحانه أيضا: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 13].

وتحدث أ. عبد الله التل عن تلك القسوة التي اتصف بها اليهود، والهمجية التي كانوا عليها، وبين وسائل العنف والإرهاب التي روجت لها التوراة المحرفة، ورصد مواضع متعددة في التوراة، أشارت إلى الأوامر الوحشية الصادرة من "يهوه" -إله اليهود الخاص بهم- إلى موسى

(1) انظر: مقال بعنوان: "سمات الشخصية اليهودية الإسرائيلية"، د. محمود فتوح محمد سعادت، موقع الألوكة،

<http://www.alukah.net>

(2) التعاليم الدينية اليهودية، د. علي خليل: ص 8، طبعة المركز الفلسطيني للإعلام -رسالة ضوئية على شبكة الانترنت على موقع www.palestine.inbo.org.

(3) انظر: المصدر السابق: ص 8.

بالإبادة المنظمة، التي تربي اليهود على القسوة والهمجية حتى على أنفسهم، وتوصل في نفوسهم روح البطش والعدوانية، حتى إن الشعب المختار -في زعمهم- لم يسلم من هذه القسوة، ففي التوراة: "سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا، الْيَوْمَ الْأَوَّلَ تَعَزِّلُونَ الْخَمِيرَ مِنْ بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَكَلَ خَمِيرًا مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ إِلَى الْيَوْمِ السَّابِعِ نُقَطِعُ نَفْسَ تِلْكَ النَّفْسِ مِنْ إِسْرَائِيلَ"⁽¹⁾.⁽²⁾

ثم ذكر أمثلة عديدة من أسفار العهد القديم، رصد من خلالها ما يؤكد هذه الروح العدوانية، ووجودها في نصوص العهد القديم، ومنها⁽³⁾:

1- ما ورد في سفر الخروج: "وَقَالَ مُوسَى: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنِّي نَحَوَ نِصْفِ اللَّيْلِ أَخْرَجُ فِي وَسْطِ مِصْرَ، فَيَمُوتُ كُلُّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ، مِنْ بَكْرِ فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى بَكْرِ الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلَفَ الرَّحَى، وَكُلُّ بَكْرٍ بَهِيمَةٍ"⁽⁴⁾.

2- ما ورد في سفر الخروج أيضا: "فَقَالَ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ: صَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَمُرُوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابِ إِلَى بَابِ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيْبَهُ. فَفَعَلَ بَنُو لَأوِي بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. وَوَقَعَ مِنَ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ. وَقَالَ مُوسَى: اامَلُوا أَيْدِيَكُمْ لِلرَّبِّ، حَتَّى كُلُّ وَاحِدٍ بِإِنِّهِ وَبِأَخِيهِ، فَيُعْطِيَكُمْ الْيَوْمَ بَرَكََةً"⁽⁵⁾.

3- وفي سفر التثنية: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبَعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَأَتَكَ تَحْرِمُهُمْ) تَقْتُلُهُمْ"⁽⁶⁾.⁽⁷⁾

يقول د. ندا -معلقا على كلمة وردت في هذا النص، وهي "لتمتلكها"-: "وتأمل كلمة "لتمتلكها" في الفقرة الأولى؛ لتعلم أن شريعة الحرب عندهم ليست غاية سامية، كالدفاع عن

⁽¹⁾ سفر الخروج: 15/12.

⁽²⁾ انظر: جذور البلاء، أ. عبد الله التل: ص 26.

⁽³⁾ انظر هذه الأمثلة: جذور البلاء، أ. عبد الله التل: ص 26 - 36.

⁽⁴⁾ سفر الخروج: 12/4-5.

⁽⁵⁾ سفر الخروج: 27-29.

⁽⁶⁾ (تقتلهم): هذه زيادة، ليست في النص؛ ولكنها تفسير من أ. عبد الله التل لكلمة (تحريمهم).

⁽⁷⁾ سفر التثنية: 7/1-2.

الدين، أو الأوطان، أو المحرمات، أو تأمين الحدود، ونحو ذلك من الغايات المشروعة؛ ولكن غايتها التملك، والاستعمار، والاستعباد".⁽¹⁾

هذه القسوة التي وصف بها اليهود في القرآن وفي التوراة لازمتهم على مر العصور، وهذه بعض الحوادث المعروفة في التاريخ، التي تدل على وحشية اليهود وإجرامهم وقساوتهم: أ- جاء في الكتاب رقم 78، الذي وضعه المؤرخ كاسيوس⁽²⁾، فصل 32، عن حقبة القرن الثاني للميلاد (117م) "حينئذ عمد اليهود في (cyrene) - شواطئ طرابلس الغرب حالياً- بقيادة أندريا إلى ذبح الرومان واليونان، وأكلوا من لحمهم، وشربوا دمائهم، وسلخوا جلودهم، ولبسوها، وقطعوا أجسام كثيرين منهم نصفين، من الرأس فنازلاً، وألقوا بالكثيرين إلى الحيوانات المفترسة، وأرغموا الكثيرين على أن يقتل بعضهم بعضاً بالسيوف، حتى بلغ عدد القتلى 220 ألفاً، وكذلك فعلوا في مصر وقبرص، بقيادة Artemion، وذبحوا 240 ألفاً".⁽³⁾

ب- وصفت جريدة الديلي ميل، في عددها بتاريخ 17 سبتمبر 1936 بعض المشاهد من الحرب الأهلية الإسبانية: في مقاطعة قرطبة وجد 91 مذبحاً، وآخرون وجدوا محروقين وهم أحياء، من بينهم راهبان من كنيسة العذراء، سملت عيونهما بالمخارز، وفي سافيل هجم الشيوعيون بقيادة امرأة يهودية (Caraballo)، وقتلوا السجناء، ثم صبوا البنزين على أجسامهم، وأشعلوا فيها النيران، وفي سافيل أيضاً ذبح اليهود 138 مسيحياً، سحبوهم إلى المقبرة، وأوقفوهم صفا واحداً، ثم أطلقوا النار على أرجلهم، فسقطوا جرحى، فدفنوهم في خندق وهم أحياء، وحينما دخل جنود الإسبان المدينة شاهدوا أيدي أولئك الضحايا ظاهرة فوق سطح الأرض".⁽⁴⁾

هذه بعض الأمثلة على القسوة والهمجية عند اليهود، وهناك أمثلة كثيرة وعديدة في ممارساتهم مع الشعب الفلسطيني.⁽⁵⁾

(1) جنایات بني إسرائيل، د. ندا: ص 259.

(2) هو لوسيوس كاسيوس ديو كوكايانوس، ولد في نيقية في بيشنيا سنة 163م، وتوفي بعد سنة 229م، كان عضواً في مجلس الشيوخ الروماني، وقنصلاً، وكاتباً ومؤرخاً. <https://ar.wikipedia.org>

(3) My Irrelevant Devence-Arnold Leese. P9 I.F.L. Printing apublishing coy. London (3) .1938

(4) My Irrelevant Devence-Arnold Leese. P9 I.F.L. Printing apublishing coy. (4) 193.London

(5) ذكر في هذا البحث في المطلب الأول من المبحث الثاني من الفصل الأول تحت عنوان "أثر تحريف اليهود للتوراة على انحرافهم" نماذج وأمثلة كثيرة للقسوة والهمجية التي عليها اليهود في حروبهم ضد الشعب الفلسطيني فليراجع.

4- الغدر والخيانة.

من طبائع اليهود الملازمة لهم: الخيانة ، وتكون في كل ما يؤتمن عليه الإنسان من: مال، وعرض، ودين، وعهد، وغير ذلك.

- وقد خان اليهود الأمانة في الأموال، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75].

- وخانوا الأمانة في الدين، فقد بدلوه، وغيروه.

- وخانوا الأمانة في العهود والمواثيق، فقد نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع الله تعالى، ومع الأنبياء، لهذا وصفهم الله بالخيانة، فقال: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: 13]، وهو وصف متحقق فيهم إلى هذا الزمن، وما بعده.⁽¹⁾

ومن أمثلة الغدر والخيانة في نصوص الكتاب المقدس⁽²⁾:

1- احتال أولاد يعقوب عليه السلام على أبيهم؛ ليغدروا بأخيم الصغير يوسف، فأخذه معهم إلى البرية، وتآمروا عليه هناك، وغدروا به، ورموه في بئر ليموت فيها، ويتخلصوا منه؛ لأنه كان له حظوة عند أبيه، والنص يقول: "فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَبَلَمَا اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ، اِحْتَالُوا لَهُ لِيُمَيِّتُوهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هُوَذَا هَذَا صَاحِبُ الْأَحْلَامِ قَادِمٌ. فَالآنَ هَلُمَّ نَقْتُلْهُ وَنَطْرَحْهُ فِي إِحْدَى الْأَبَارِ وَنَقُولُ: وَحَشَّ رَدِيءٌ أَكَلَهُ. فَتَرَى مَاذَا تَكُونُ أَحْلَامُهُ".⁽³⁾

2- حادثة الغدر والخيانة التي قام بها "إهود بن جيرا"⁽⁴⁾، عندما أرسله بنو إسرائيل لملك موآب، فقد دبر خطة بملك موآب، وقتله، فعمل "إهود" لنفسه سيفاً ذا حدين، طوله ذراع، وتقلده تحت على فخذة اليمنى، وقدم هدية "عجلون"⁽⁵⁾، ملك موآب، ولما انتهى من تقديم الهدية صرف القوم حاملي الهدية، أما هو قال للملك: لي كلام سر إليك، أيها الملك، فدخل إليه، وضربه في بطنه".⁽⁶⁾

⁽¹⁾ انظر: دراسات في الأديان، د. الخلف: 155-156.

⁽²⁾ انظر المثاليين(1،2): المصدر السابق: نفس الصفحة، والمثال الثالث: جذور البلاء، أ. التل: ص54.

⁽³⁾ سفر التكوين: 18/37-21.

⁽⁴⁾ هو: إهود بن جيرا، من سبط بنيامين، عين قاضيًا لبني إسرائيل، وكان إهود أعسراً، وقد قتل عجلون، ملك موآب، الذي أذل بني إسرائيل، وقاد شعبه إلى النصر على المؤابيين. قاموس الكتاب المقدس: ص 128.

⁽⁵⁾ هو: ملك موآب، احتل أريحا 18 عاماً، واستعبد بني إسرائيل، متحالفًا مع العمونيين، والعمالقة، وفرض عليهم الضرائب، وخلص بني إسرائيل منه إهود بن جيرا، الذي ضربه بالسيف، وهو يقدم له الهدايا. قاموس الكتاب المقدس: 81/2-82.

⁽⁶⁾ انظر: سفر القضاة: 3/ 15 - 25.

5- المكر والكيد:

اتصف اليهود بالمكر والكيد والخداع، وعانى المسلمون الأوائل من مكرهم وكيدهم الكثير، ولم يزل المسلمون يعانون الويلات من جراء مكر اليهود وكيدهم وخداعهم. قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [البقرة: 54]. وقال أيضا: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: 46].

وقد سجل القرآن الكريم خطط اليهود الماكرة في تغيير دينهم في الظاهر، من أجل تحقيق أهدافهم وتحطيم غيرهم ممن هم ليسوا على دينهم، من ذلك: ما ذكره القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفِّرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: 72].

والمقصود بالطائفة هنا: اليهود، وهذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم تشاوروا بينهم أن يظهرُوا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم؛ ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين؛ ولهذا قالوا: (لعلهم يرجعون).⁽¹⁾ وقد ورد في البرتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون: "من ذا، وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا؛ ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة، في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا، ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً".⁽²⁾

وقد شهد القرن العشرون خاصة عملية بارزة في التاريخ الحديث، استطاع فيها يهود الدونمة الذين غيروا دينهم وتظاهروا باعتناق الإسلام أن يشاركوا في القضاء على الخلافة الإسلامية، وبقوا يحملون أسماء إسلامية في تركيا، ويسيطرون على مقدرات الحكم في أنقرة واستامبول؛ تحقيقاً لخطتهم في القضاء على الإسلام في معاقلة القديمة، ولقد كانوا أكبر المساعدين لأتاتورك الذي ألغى الخلافة الإسلامية، ووجهوه لإلغاء اللغة العربية، ومحاربة الدين، وتحويل البلاد إلى قاعدة يهودية أمريكية.⁽³⁾

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 59/2.

(2) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي: ص 131.

(3) انظر: خطر اليهودية العالمية، أ. التل: ص 59.

6- الذلة والمسكنة والخزي:

لقد كتب الله على اليهود الذلة والمسكنة إلى يوم الدين، لقد أخزاهم الله تعالى بشر أعمالهم، ومهما حاولوا أن يتظاهروا بالقوة والمنعة؛ فإن كلمة الله هي العليا، وقد وردت آيات كثيرة تؤكد إصابتهم بالذلة من الله والمسكنة، منها:

أ- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61].

وفي هذه الآية: تذكير لبني إسرائيل بما طلبوه من نبيهم موسى ﷺ استبدال المن والسلوى بالأطعمة الدنية، من البقول ونحوها، مما سألوا، ولم يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه، وكانوا قوما أهل عدس وبصل وبقل وفوم، فقال لهم: انزلوا مصرا من الأمصار، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، أي: وضعت عليهم، أي: لا يزالون مستبدلين، من وجدهم استذلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكون. (1)

ب- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ* وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 152-153].

إن الغضب الذي نال بني إسرائيل في عبادة العجل، هو: أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة، حتى قتل بعضهم بعضا، وأما الذلة: فأعقبهم ذلك ذلا وصغارا في الحياة الدنيا. وقوله: { وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ } تتال كل من افترى بدعة، ثم نبه تعالى عباده، وأرشدهم إلى أنه يقبل توبة عباده من أي ذنب كان، حتى ولو كان من كفر أو شرك أو نفاق أو شقاق؛ ولهذا عقب هذه القصة بقوله: { وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ } أي: يا محمد، يا رسول الرحمة، ونبي النور، {من بعدها} أي: من بعد تلك الفعل، {لغفور رحيم}. (2)

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 280/1-283 مختصرا.

(2) انظر: المصدر السابق: 477/3-478.

ج- وقوله تعالى: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:85]

المطلب الثالث

أخلاق اليهود النفسية والاجتماعية

اتصف اليهود على مر الزمان بالكثير من الأخلاق النفسية والاجتماعية السيئة، التي تبين حقيقتهم، وما جبلوا عليه من فساد وانحراف عن الخلق القويم والصراط المستقيم، ومن هذه الأخلاق: الكذب، والحسد، وحب الدنيا، والبخل، والإفساد في الأرض، والتحريف والتحايل، والحرص على الحياة، والتعالي والاستعلاء، والغاية وتبرر الوسيلة.

1- الكذب.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "الكذب رذيلة محضة، تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ الشر إنشاءً، ويندفع إلى الإثم من غير ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة".⁽¹⁾

والكذب مرض خطير، إذا تعمق في نفس إنسان، وصار له خلقا دائما، نضبت معاني الخير في نفسه، وتمكن هذا المرض منه، واستعصى على العلاج.

قال تعالى في وصف اليهود: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ﴾ [المائدة: 42].

هذه الآية تقرر أن اليهود قوم كاذبون، وأنهم قد استمروا الكذب، وارتضوه لهم خلقا ودينا وسلوكا وحياة، وأنهم شملوا بكذبهم كل شيء؛ ولذلك وصفهم القرآن بأنهم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، وهذا التعبير يشير إلى تمكن الكذب منهم، وسيطرته عليهم، فهم ليسوا كاذبين فقط، ولا سامعين للكاذبين فقط؛ ولكنهم سماعون لهذا الكذب، وهي صفة مبالغة من سامع، يحرصون على أن يكونوا مع الكذب وأصحابه، وأن يبحثوا عن الكذب وأصحابه، ويسمعونهم وهم يمارسونه، ويشاركونهم فيه بكل حماسة.⁽²⁾

يقول أ. عبد الله التل: "الكذب في تورا اليهود من الأمور الشائعة التي يصادفها القارئ في أغلب صفحات العهد القديم، البالغة 1358، ويأخذ الكذب عند يهود التورا أشكالا مختلفة،

(1) خلق المسلم، محمد الغزالي: ص 29.

(2) انظر: الشخصية اليهودية، د. صلاح الخالدي: ص 196-198.

تصور كلها نفسية اليهود المريضة، وخيالهم السقيم، وعقولهم السخيفة التي تؤمن بالخرافات والسحر و الشعوذة".⁽¹⁾

وقد مارس اليهود الكذب والافتراء على الله سبحانه، وعلى أنبيائهم، وعلى الناس، وجعلوا هذا الكذب ديناً وعقيدة وعبادة وقربى تقربوا به إلى ربهم.
أولاً- كذبهم على الله تعالى.

لقد تعمقت هذه الخصلة في اليهود، وظهرت فيهم في أحسن صورة، وهي: الكذب على الله عز وجل، الذي لا يخفى عليه خافية.

1- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُوْظِمُونَ فَتِيلًا* انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنِبَتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: 49-51].

وقد نزلت هذه الآيات في اليهود الذين يزكون أنفسهم، فيبرئونها من الذنوب، ويطهرونها، وذلك بقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18]، وقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 111].⁽²⁾

2- وقال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنهُ بِنَتَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75].

3- وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 78].

ثانياً- كذبهم على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

سجل القرآن الكريم على اليهود موقفاً آخر، وهو: تكذيبهم الرسل الصادقين ووصمهم لهم بالكذب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: 183].⁽³⁾

(1) جذور البلاء، أ. عبد الله النزل: ص 65-66.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري: 455/8.

(3) انظر: دراسات في الأديان، د. الخلف: ص 153-154.

قال الطبري في تفسير الآية الأولى(183): "وإنما أعلم الله عباده بهذه الآية: أن الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ لن يعدوا أن يكونوا في كذبهم على الله، وافتراءهم على ربه، وتكذيبهم محمداً ﷺ، وهم يعلمونه صادقاً محققاً، وجحودهم نيوته وهم يجدونه مكتوباً عندهم في عهد الله تعالى إليهم، أنه رسوله إلى خلقه، مفروضة طاعته، إلا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عندهم بالحجج التي أيدهم الله بها، والأدلة التي أبان صدقهم بها، افتراء على الله، واستخفافاً بحقوقه".(1)

ثالثاً- كذبهم على الناس.

ومن كذب على الله، وكذب على الرسل، فالكذب على الناس من أهون الأعمال لديه، ومما سجل من كذبهم، قوله تعالى: ﴿الْم تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ هُوَ الَّذِي أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾[النساء: 51].

وهذه الآية نزلت في اليهود، حيث وصفتهم الآية بتعظيمهم غير الله بالعبادة، والإذعان له بالطاعة، في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما، بأنهم قالوا: إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان به، وأن دين أهل التكذيب لله ورسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ورسوله.(2)

وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب المقدس تدل على تأصل صفة الكذب في بني إسرائيل، منها:

أ- ما جاء في سفر أشعيا: "لأنه شعبٌ مُتَمَرِّدٌ، أَوْلَادٌ كَذِبَةٌ، أَوْلَادٌ لَمْ يَشَاءُوا أَنْ يَسْمَعُوا شَرِيعَةَ الرَّبِّ. الَّذِينَ يَقُولُونَ لِلرَّائِيَيْنِ: لَا تَرَوْا، وَلِلنَّاطِرِينَ: لَا تَنْظُرُوا لَنَا مُسْتَقِيمَاتٍ. كَلَّمُونَا بِالنَّاعِمَاتِ. انظُرُوا مَخَادِعَاتٍ".(3)

ب- ما جاء في سفر إرميا: "لَا تَتَكَلَّمُوا عَلَى كَلَامِ الْكُذِبِ قَائِلِينَ: هَيْكَلُ الرَّبِّ، هَيْكَلُ الرَّبِّ، هَيْكَلُ الرَّبِّ هُوَ! لِأَنَّكُمْ إِنْ أَصْلَحْتُمْ إِصْلَاحًا طُرُقَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ، إِنْ أَجْرَيْتُمْ عَدْلًا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَصَاحِبِهِ، إِنْ لَمْ تَظْلِمُوا الْعَرِيبَ وَالْيَتِيمَ وَالْأَرْمَلَةَ، وَلَمْ تَسْفِكُوا دَمًا زَكِيًّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَلَمْ تَسِيرُوا وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى لِأَدَائِكُمْ قَائِي أُسْكُنْكُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فِي الْأَرْضِ الَّتِي أُعْطِيتُ لِأَبَائِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَبَدِ. هَا إِنَّكُمْ مُتَكَلِّمُونَ عَلَى كَلَامِ الْكُذِبِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ".(4)

(1) جامع البيان، الطبري: 449/7-450.

(2) انظر: المصدر السابق: 466/8.

(3) سفر إشعيا: 9-10.

(4) سفر إرميا: 4/7-8.

ج- وفي إرميا: "حَتَّى مَتَى يُوجَدُ فِي قَلْبِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَّبِعِينَ بِالْكَذِبِ؟ بَلْ هُمْ أَنْبِيَاءُ خِدَاعٍ قَلْبِهِمْ". (1)

يقول د. محمد سيد ندا: "ولقد بلغ بهم الأمر في الاتصاف بتلك الصفة الخسيسة إلى حدّ أن ظهر فيهم أنبياء كثيرون كذبة، أو أن كتبة التوراة وصفوا كثيراً من الأنبياء الصادقين بأنهم كذابون؛ ليسيغوا لليهود الكذب كيفما أرادوا، مادام أنبياءهم كاذبين". (2)

مما سبق من آيات القرآن الكريم ونصوص التوراة يتبين: أن اليهود قوم كاذبون، مكذبون، كاذبون: حيث كذبوا على الله تعالى وعلى رسله عليهم الصلاة والسلام، الذين أرسلهم الله تعالى إليهم، ومكذبون لله تعالى ولرسله، حيث لم يصدقوا كلام الله، واتبعوا السحر والشعوذة وما تتلوه الشياطين، وكذبوا رسل الله؛ باتهامهم بعدم إرسال الله تعالى إليهم، وقتلوا كثيراً من الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إليهم، بحجة اتهامهم بالكذب، فاليهود (قوم بهت). (3)

2- الحسد.

الحسد هو: تمنى زوال النعمة عن الغير. (4)

وهو من صفات اليهود المتأصلة فيهم، فهم يحسدون الناس، لا لشيء إلا كراهة منهم أن يؤتي الله من فضله أحداً غيرهم.

وفي وصفهم بهذا، يقول الله عز وجل:

1- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: 54].

والضمير في (يحسدون) يعود على المذكورين في الآيات السابقة، وهم الذين أوتوا نصيباً من الكتاب وهم (اليهود)، والمعنى: أم يحسد هؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود محمداً ﷺ. (5)

(1) سفر إرميا: 26 / 23.

(2) جنايات بني إسرائيل، د. ندا: ص 220.

(3) هذه الشهادة وردت على لسان عبد الله بن سلام، في وصفه اليهود الذين كان منهم، ثم هداه الله للإسلام، فأسلم، ففي حديث طويل، جاء فيه على لسان ابن سلام قوله: "... يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتُ... رواه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته : 132/4، حديث رقم (3329). وبهت: "هو جمع بهوت، من بناء المبالغة في البهت، مثل صبور وصبر، ثم سكن تخفيفاً".

النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير: 165/1، والبُهْتُ: الكذب. انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: 307 / 1.

(4) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: 465/2.

(5) انظر: جامع البيان، الطبري: 476/8.

2- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109].

3- حب الدنيا.

كان لليهود من هذه الخصلة النصيب الأوفى، فحبهم للدنيا جعلهم يكذبون على الله، ويجبنون عن القتال، ويخونون العهد والميثاق، ويتمسكون بنعيم الدنيا الزائل، ويأخذون بالسحر، ويتركون الوحي، كل ذلك حباً في الدنيا، وفي هذا يقول الله تعالى عنهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: 79]، وحبهم للدنيا جعلهم يأكلون الربا، ويأكلون أموال الناس بالباطل، ويتحايلون على الأوامر والنواهي.⁽¹⁾

ويحب بني إسرائيل للدنيا قد فعلوا كل خطية: صغيرة كانت، أو كبيرة، مع الله، ومع أنفسهم، ومع الناس، فهم قد جمعوا بهذه الصفة كل شر، فاستحقوا وصف أخيهم يوسف النبي ﷺ ﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77].

ومعناها: "أنتم شر عند الله منزلاً ممن وصفتموه بأنه سارق، وأخبث مكاناً بما سلف من أفعالكم، والله عالم بكم، وإن جهله كثير ممن حضر من الناس".⁽²⁾

4- البخل.

مع أن اليهود أهل المال؛ إلا أنهم بخلاء به، وهذا دليل على أنهم يعبدون المال، ولم يجمعوه لينفقوا منه؛ وإنما حباً فيه فقط، وإضافة إلى البخل به، فهم يأمرون الناس بالبخل.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: 37].⁽³⁾

والمقصود بهم: اليهود، كما قال الطبري في تفسيره للآية، حيث جمع في قوله الأقوال الواردة في المقصود بالبخل، والأمر به، فقال: "وأولى الأقوال بالصواب في ذلك: ما قاله الذين قالوا: إن الله وصف هؤلاء القوم، الذين وصف صفتهم في هذه الآية بالبخل، بتعريف من جهل أمر محمد ﷺ أنه حق، وأن محمداً لله نبي مبعوث، وغير ذلك من الحق الذي كان الله تعالى ذكره، قد بيّنه فيما أوحى إلى أنبيائه من كتبه، فبخل بتبيينه للناس هؤلاء، وأمروا من كانت حاله حالهم في معرفتهم به أن يكتموه من جهل ذلك، ولا يبينوه للناس... إن بخلهم الذي وصفهم الله

⁽¹⁾ انظر: دراسات في الأديان، د. الخلف: ص154-155.

⁽²⁾ جامع البيان، الطبري: 200/16.

⁽³⁾ انظر: دراسات في الأديان، د. الخلف: ص155.

به، إنما كان بخلا بالعلم الذي كان الله آتاهموه، فبخلوا بتبيينه للناس وكتموه، دون البخل بالأموال؛ إلا أن يكون معنى ذلك: الذين يبخلون بأموالهم التي ينفقونها في حقوق الله وسبله، ويأمرهم الناس من أهل الإسلام بترك النفقة في ذلك".⁽¹⁾

وأبلغ وأدق وصف لشدة بخل اليهود ورد في قوله تعالى عنهم: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: 53].

قال الطبري فيها: "إن الله وصف هؤلاء الفرقة من أهل الكتاب بالبخل، باليسير من الشيء الذي لا خطر له، ولو كانوا ملوكًا، وأهل قدرة على الأشياء الجليلة الأقدار، فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بمعنى "النقير" أن يكون أصغر ما يكون من النقر، وإذا كان ذلك أولى به، فالنقرة التي في ظهر النواة من صغار النقر، وقد يدخل في ذلك كل ما شاكلها من النقر"⁽²⁾

5- الإفساد في الأرض.

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تصف اليهود بالإفساد في الأرض، منها:

1- قول الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4].

يقول د. الخلف -معلقا على هذه الصفة-: "والواقع أن الفساد والإفساد لا يصدر إلا عن نفوس أغرقت في الشر، وحققت على الغير، حتى ساءها صلاح الغير واستقامة أمره، فيدفعها ذلك إلى الإفساد.

وهذا وصف من أبرز صفات اليهود في الحاضر والماضي، ولا تجد في الغالب في هذا الوقت وما قبله نحلة فاسدة، أو مذهبا منحرفا، إلا ولليهود فيه اليد الطولى"⁽³⁾.

2- وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

يقول د. صلاح الخالدي: "وهذه الآية تصلح أن تكون عنوانا لتاريخ اليهود كله، وتحقق الإفساد فيه، بكل ألوانه ونماذجه. عند اليهود رغبة عميقة في الإفساد، وعندهم نهم بالغ للحروب التي تحقق هذا الإفساد، وعندهم حرص ومكر ودهاء وخبث في التخطيط لها، وإشعالها، وتهيئة وقودها... وهذا كله نأخذه من "كلما"، التي تفيد استمرار الرغبة، وتكرار المحاولة، وتجدد السعي

⁽¹⁾ جامع البيان، الطبري: 355/8.

⁽²⁾ المصدر السابق: 475/8.

⁽³⁾ دراسات في الأديان، د. الخلف: 156.

والمكر والخبث، والإيقاد للحرب، وهم الذين يسعون في الأرض؛ لكن لا يسعون فيها إصلاحاً وتعميراً وتزكية وتطهيراً؛ لأنهم لا يعرفون هذه المعاني".⁽¹⁾

وجملة "ويسعون في الأرض فساداً"، الفعلية المضارعة، بهذه الصيغة، تفيد الاستمرار في الفساد والإفساد أيضاً، وكأنه لا هدف لهم ولا غاية إلا هذا الهدف والغاية، وكأن هذا دينهم، وهذه الصفة متأصلة فيهم.

وفي البروتوكول السادس من بروتوكولات حكماء صهيون: "سنشجع حب الترف المطلق الذي نشرناه من قبل، وسنزيد الأجور التي لن تساعد العمال، كما أننا في الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية، متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك، كما سننسف بمهارة أيضاً أسس الإنتاج، ببذر بذور الفوضى بين العمال، وبتشجيعهم على إدمان المسكرات، وفي الوقت نفسه سنعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أممي (غير يهودي) من الأرض".⁽²⁾

6- اليهود محرفون.

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تؤكد أن اليهود قد حرفوا كتابهم الذي نزل على موسى ﷺ، ألا وهو: التوراة، من هذه الآيات:

1- قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75].

يقول ابن كثير في تفسيرها: {أَفَتَطْمَعُونَ} أيها المؤمنون {أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} أي: ينفاد لكم بالطاعة، هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البيّنات ما شاهدوه، ثم قست قلوبهم من بعد ذلك، {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ}، أي: يتأولونه على غير تأويله، {مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ}، أي: فهموه على الجلية، ومع هذا يخالفونه على بصيرة، {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله؟ وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: 13].⁽³⁾

والمراد بالفريق في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾: أحبارهم وعلمائهم الذين عاصروا الرسل الكرام، فسمعوا منهم، أو الذين جاءوا بعدهم فنقلوا عنهم.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ الشخصية اليهودية ، د. الخالدي: 251-252.

⁽²⁾ بروتوكولات حكماء صهيون، التونسي: ص 139.

⁽³⁾ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 307/1.

⁽⁴⁾ انظر: بنو إسرائيل، د. طنطاوي: ص 467.

2- ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعُ وَإِنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 46].

قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أي: يتأولونه على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله، عز وجل، قصدا منهم وافتراء، ﴿ويقولون سمعنا وعصينا﴾، أي: يقولون سمعنا ما قلته يا محمد، ولا نطيعك فيه، وهذا أبلغ في عنادهم وكفرهم، أنهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه، وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة.⁽¹⁾

7- اليهود متحايلون.

قال د. طنطاوي: "من رذائل بني إسرائيل التي وقعوا فيها، نتيجة جهلهم وفسوقهم وجشعهم وضعف إرادتهم: رذيلة التحايل على هدم الشرائع؛ ليصلوا إلى مطامعهم وشهواتهم، ظانين-لجهلهم وعدم فقههم- أنهم عن طريق ذلك التحايل المحرم، سيفلتون من المؤاخذة والعقوبة".⁽²⁾

لقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الخلق اليهودي الذميمة، وسجل نماذج لتحايلهم على أحكام الله، وتحريفهم لها، منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَلَئِمَّا فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَتْرِيذُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: 58-59].

أمرهم الله أن يدخلوا الأرض المقدسة، ساجدين مستغفرين، يقولون: حط عنا ذنوبنا، فتحايلوا على هذا الأمر الرباني، ودخلوا يزحفون على أستاهم، ويقولون: "حبة في شعرة"، كما بين ذلك رسول الله ﷺ.⁽³⁾

2- وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 323/2.

(2) بنو إسرائيل، د. طنطاوي: ص 430.

(3) والحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "قِيلَ لِيَنِي إِسْرَائِيلُ: {ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ} [البقرة: 58]، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ". رواه البخاري في صحيحه، كتاب "تفسير القرآن"، باب: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ...﴾: 19/6، حديث رقم (4479).

لصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: 146]. فقد حرم الله على يهود بعض الطيبات؛ عقوبة لهم⁽¹⁾، مثل: شحوم الأنعام، فتحايل اليهود على هذا الأمر الرباني، وأخذوا الشحوم المحرمة وأذابوها، ثم باعوها وأخذوا ثمنها؛ فلعنهم الله بسبب ذلك.⁽²⁾

3- وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: 163-166].

و(الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) هي قرية يقال لها: "أيلة"، بين مدين والطور، وقيل: هي مدين، وقيل: "مقنا" بين مدين وعيدوني.

وقوله: (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) أي: يعتدون فيه، ويخالفون أمر الله فيه لهم بعدم الصيد فيه، (إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا) أي: كانت تأتيتهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة على الماء، أو من كل مكان، (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ) أي: نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده، وإخفائه عنهم في اليوم المحلل لهم صيده. وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة، التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.⁽³⁾

وتفصيل هذا الاعتداء الذي حصل منهم في يوم السبت، أنهم قد حفروا حياضاً إلى جانب البحر الذي كانت تكثر فيه الأسماك في هذا اليوم، فكانت الأسماك تتساب إلى تلك الحياض يوم السبت، مع ما تحمله من الأسماك الكثيرة، ثم إذا أرادت الرجوع إلى البحر لا تستطيع لضآلة الماء الذي بالحياض، فتبقى فيها إلى أن يصطادوا بعد يوم السبت، وصنيعهم هذا ظاهره امتثال أمر الله -تعالى- فإنهم لم يصطادوا في يوم السبت، وحقيقته أنه: مجاوزة لما حرم الله عليهم من الصيد؛ فإن حجزها في الحياض صيد لها في المعنى، فنصحهم فريق منهم بأن ذلك يكون امتثالاً ظاهرياً لأوامر الله سبحانه؛ ولكنه في حقيقته فسوق عما أمرنا الله به في يوم السبت، من ترك الصيد فيه، فلم يعبأوا بذلك، ونفذوا تلك الحيلة، فغضب الله عليهم ومسخهم

(1) قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: 160].

(2) انظر: الشخصية اليهودية، د. الخالدي: ص 205-206.

(3) انظر: تفسير ابن كثير: 3/493-496.

قردة، وجعلهم عبرة لمن عاصرهم، ولمن أتى بعدهم، وموعظة للمتقين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 65-66].⁽¹⁾

نقل ابن كثير عدة أقوال لأهل التفسير في معنى ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، وهل انقلب بنو إسرائيل إلى قردة حقيقة وصورة، أم معنوياً؟ وهذه هي الأقوال التي نقلها ابن كثير:

القول الأول: قول مجاهد: "مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة؛ وإنما هو مثل ضربه الله لكمثل الحمار يحمل أسفارا" [الجمعة: 5]. وقد رواه ابن جرير الطبري عن مجاهد، وقال ابن كثير: "وهذا سند جيد عن مجاهد، وقول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام، وفي غيره".
القول الثاني: قول ابن عباس: "فجعل الله منهم القردة والخنازير؛ فشباب القوم صاروا قردة، والمشخة صاروا خنازير".

وروي عنه أيضاً: "فأصبحوا قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه، وإنه لقرد، والمرأة بعينها، وإنها لقردة، والصبي بعينه، وإنه لقرد، فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين نهوا عن السوء؛ لقلنا أهلك الجميع منهم".

وروي عنه أيضاً: "فمسخهم الله قردة بمعصيتهم، يقول: إذ لا يحيون في الأرض إلا ثلاثة أيام، قال: ولم يعيش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل".
القول الثالث: قول قتادة: "فصار القوم قرداً تعاوي، لها أذنان، بعد ما كانوا رجالاً ونساء".
القول الرابع: قول أبي العالية: "يعني: أذلة صاغرين".

ورجح ابن كثير قول من قال: إن المسخ كان حقيقة وصورياً ومعنوياً أيضاً، وضعف قول مجاهد بأن المسخ كان معنوياً.⁽²⁾

والباحث يرجح قول ابن كثير؛ لأنه ظاهر النص، ويجمع بين الأقوال. فمن الطبيعي لمن كانت صفاته: الكذب، والخيانة، وحب الدنيا، والتحريف لكلام الله، أن ينمر ذلك كله فيه، ويؤدي به إلى التحايل على أحكام الله؛ ليحلل لنفسه ما يشاء، ويحرم ما يشاء، على هواه ومزاجه.

(1) انظر: بنو إسرائيل، د. طنطاوي: ص 430-431، والشخصية اليهودية، د. الخالدي: ص 206-207.

(2) انظر: تفسير ابن كثير: 1/289-291.

8- الحرص على الحياة.

هذا خلق ذميم عند اليهود، ذمهم الله تعالى عليه، وهو مرتبط برذائلهم الأخلاقية الأخرى، وله صلة قوية بالجبن والذلة والمسكنة، إنه الحرص على الحياة، والتهاكك عليها، والرغبة فيها.

قال تعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْجَحِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96].

يقول د. طنطاوي في معنى الآية: "ولتجدن يا محمد أولئك اليهود، الذين يزعمون أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس، لتجدنهم أحب الناس للحياة، وأحرصهم عليها، وأشدهم كراهية للموت... فهم أحرص الناس عليها، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث، والذين يعتبرون نعيمهم الأكبر هو ما يتمتعون به من اللذائذ في هذه الدنيا، وهم في حرصهم على الحياة يتمنون أن تطول أعمارهم دهورا طويلة، لا يصل إليها خيال أحد، ممن يحرصون عليها، كما قال تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، وبذلك تكون الآية الكريمة قد كذبتهم في دعواهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس؛ لأن الأمر لو كان -كما يزعمون- لرحبوا بالانتقال إليها؛ ولكنهم لا يحبون الموت، ولا يكاد يخطر ببالهم، ويحرصون كل الحرص على البقاء، حتى مع سوء الحالة، ورذلة العيش".⁽¹⁾

وفي بيان سبب حرص اليهود على الحياة أكثر من حرص المشركين يقول الزمخشري: "لأنّ الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد؛ لأنها جنتهم، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب، وهو مقرّ بالجزاء، كان حقيقا بأعظم التوبيخ، فإن قلت: لم زاد حرصهم على حرص المشركين؟ قلت: لأنهم علموا -لعلمهم بحالهم- أنهم صائرون إلى النار لا محالة، والمشركون لا يعلمون ذلك".⁽²⁾

ثم بينت الآية مظهرها من مظاهر حرصهم على الحياة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، أي: يتمنى الواحد منهم أن يعيش أزمانا طويلة، ليس من عادة الناس أن يتمنوا بلوغها؛ لأنها تؤدي بهم إلى أرذل العمر، ثم بينت الآية أن تعميرهم الطويل لن ينجيهم من العقوبة؛ لأن الموت لن يتركهم مهما طال عمرهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْجَحِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾، أي: وما أحد منهم بمبعده تعميره عن العذاب المعد له، ولا بمنجيّه عنه.⁽³⁾

(1) انظر: بنو إسرائيل، د. طنطاوي: ص 478.

(2) الكشاف، الزمخشري: 168/1.

(3) انظر: بنو إسرائيل، د. طنطاوي: ص 480.

وجاء التعبير القرآني البليغ بلفظ "حياة"، وهي نكرة، وليس "الحياة" المعرفة بأل، فالنكرة تعم، ولا تخص حياة معينة، فهم حريصون على أية حياة كانت. المهم يبقون أحياء، بعيدين عن الموت، فهم لا يحبونه ولا يطلبونه؛ بسبب كفرهم ومعاصيهم وجرائمهم التي يرتكبونها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 94-95].

9- التعالى والاستعلاء:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: 18].

ورد في البروتوكول الخامس، من بروتوكولات حكماء صهيون: "إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية؛ كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل، إن كان في معسكر أعدائنا عبقرى فقد يحاربنا؛ ولكن القادم الجديد لن يكون كفوّاً لأيد عريقة كأيدينا".⁽¹⁾

10- الميكافلية.

وهو: مصطلح يعبر عن مذهبٍ فكري سياسي أو فلسفي، يمكن تلخيصه في عبارة "الغاية تبرر الوسيلة"، وينسب إلى الدبلوماسي والكاتب نيكولو ميكافيلي الذي عاش في عصر النهضة الإيطالية.⁽²⁾

ورد في البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون: "إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد، وبين أيدينا خطة عليها خط استراتيجي واضح، وما كنا لننحرف عن هذا الخط إلا كنا ماضين في تحطيم عمل قرون.

إن من يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر في ذهنه حقارة الجمهور وتقلبه، وحاجته إلى الاستقرار، وعجزه عن أن يفهم ويقدر ظروف عيشته وسعادته، وعليه أن يفهم أن قوة الجمهور عمياء خالية من العقل المميز، وأنه يعير سمعه ذات اليمين وذات

(1) بروتوكولات حكماء صهيون، التونسي: ص 134.

(2) انظر: <https://ar.wikipedia.org/>

الشمال، إذا قاد الأعمى أعمى مثله فيسقطان معاً في الهاوية، وأفراد الجمهور الذين امتازوا من بين الهيئات ولو كانوا عباقرة لا يستطيعون أن يقودوا هيئاتهم كزعماء دون أن يحطموا الأمة".⁽¹⁾

وورد في البروتوكول الخامس عشر: "ما كان أبعد نظر حكمانا القدماء، حينما أخبرونا أنه للوصول إلى غاية عظيمة حقاً؛ يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل، وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية...إننا لم نعتد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأميين (غير اليهود)، ومع أننا ضحينا كثيراً من شعبنا ذاته، فقد بوأناه الآن مقاماً في العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل، إن ضحايانا وهم قليل نسبياً قد صانوا شعبنا من الدمار، كل إنسان لا بد أن ينتهي حتماً بالموت، والأفضل أن نعجل بهذه النهاية إلى الناس الذين يعوقون غرضنا، لا الناس الذين يقدمونه".⁽²⁾

وفي البروتوكول الثامن عشر: "يجب أن نعرف أننا دمرنا هيئة الأميين الحاكمين، متوسلين بعدد من الاغتيالات الفردية التي أنجزها وكلاؤنا، وهم خرفان قطيعنا العميان، الذين يمكن بسهولة إغراؤهم بأي جريمة، ما دامت هذه الجريمة ذات طابع سياسي".⁽³⁾

المطلب الرابع

آثار أخلاق اليهود في التعامل مع الفلسطينيين

بعد التحريف الذي أصاب التوراة، وغيرها من أسفار العهد القديم؛ لم يعد الدين الذي عليه اليهود هو ذلك الدين الذي يدعو إلى الأخلاق، والآداب الفاضلة.

وقد نفى د. "البار" أن يكون العهد القديم كتاباً يدعو إلى السمو الأخلاقي، والروحي، والديني، ويعتبره كتاباً يدعو إلى صلة خاصة بين الله وابنه البكر: إسرائيل، ويدعو إلى القسوة، والقتل، وسفك الدماء في كل سفر من أسفاره، وبخاصة: سفر يشوع، الذي وصفه بسفر المجازر، والذي يدعو فيه يشوع لإقامة المذابح لسكان فلسطين والأردن، وأن لا يترك طفلاً، ولا شيخاً، ولا امرأة؛ بل، ولا حماراً، أو جملاً، أو أتاناً(أنثى الحمار)؛ بل عليه أن يبني الكل.⁽⁴⁾

وقد كان لتلك الأخلاق التي كان عليها اليهود، مما وصفهم بها العهد القديم والتلمود، آثار خطيرة في التعامل مع الفلسطينيين، من هذه الآثار:

(1) بروتوكولات حكماء صهيون، التونسي: ص 117.

(2) المصدر السابق: ص 176-177.

(3) المصدر السابق نفسه: ص 190.

(4) انظر: المدخل، البار: ص 17-18.

1- العنصرية والعدوانية:

يقول د. صالح الرقب: "إن الباحث للنفسية اليهودية يرى بسهولة أن الثقافة التوراتية العنصرية هي التي أوجدت العدوانية، لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية تجاه الآخر، ومنهم: الفلسطينيون، والعرب. فمن التراث الديني اليهودي (التوراة والتلمود) استلهموا الروح العدوانية، التي دفعتهم لارتكاب المجازر البشعة، ثم استلهمهم تقاليد الروح العدوانية في الفكر والسلوك الصهيوني القديم، فالصهيونية فكر وسلوك موبوءة بالتعصب العنصري والديني؛ ولذلك أصبح الإجرام والإرهاب هو الأداة التي يتوسل بها الصهاينة لإعادة صياغة شخصية اليهودي المعاصر، وقد جعلت الصهيونية من الشعب الفلسطيني ميدانا فسيحا لتجريب العقلية اليهودية، وتخريج خبراء الإرهاب والمجازر".⁽¹⁾

2- الغدر والوحشية:

يقول عبد الله التل: "والتوراة تسجل بصدق طبيعة الشعب اليهودي، وتبرز بوضوح حقيقة الديانة اليهودية، المبنية على الغدر، والخسة، والوحشية، والحقد، والفساد، والتعصب، والجشع، والغرور، والانحلال، وأعني بالديانة اليهودية: تلك التي يتداولها اليهود، ويلمسها العالم من عاداتهم، وطبائعهم، وأخلاقهم؛ وليست الديانة التي نزلت على نبيهم موسى، وحرفها رجال الدين اليهودي لتتناسب طبيعتهم الشريرة المتوحشة. وهل يقبل العقل أن يجيز الإله لشعب الاعتداء على شعب آمن، وقتل رجاله ونسائه وأطفاله؟ "وَحَرِّمُوا (أَهْلَكُوا) كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ (أريحا) مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْلٍ وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ بِحَدِّ السَّيْفِ...".⁽²⁾

3- التطرف والعنف:

تحت عنوان "فتاوى حاخامات، وتأثيراتها في السياسة، والحرب" يقول الشيخ بسام كايد -رئيس رابطة علماء فلسطين- لبنان:- "للتعاليم اليهودية، والتفسيرات، والفتاوى التي تصدر عن حاخاماتهم، دور كبير في توجيه القرار السياسي، حتى إن السياسيين باتوا عاجزين عن اتخاذ أي قرار، أو تشكيل أي حكومة، بدون موافقة الأحزاب الدينية. ومن الناحية العسكرية، فإن جنودهم يقتلون، ويذبحون، ويدمرون الإنسان والحجر والشجر، وحتى الحيوانات، وفقا لتعاليم، وتوجهات، وفتاوى حاخاماتهم؛ وليس آخرها: الفتوى التي أصدرها عدد من كبار حاخاماتهم، المنضويين تحت لواء ما يسمى "رابطة حاخامات أرض إسرائيل"، برئاسة الحاخام "دوف ليؤور"،

⁽¹⁾ من مقال بعنوان "سر وحشية المجازر اليهودية المتواصلة في فلسطين" أ. د. صالح الرقب، على صفحته الشخصية <http://www.drregeb.com>.

⁽²⁾ سفر يشوع: 21/6.

التي تذكر أن الشريعة اليهودية تبيح قصف التجمعات المدنية الفلسطينية، لا؛ بل قالوا: إن الجيش غير مضطر لتحذير المدنيين قبل عمليات القصف".⁽¹⁾

وتتجلى روح التطرف والعنف في الفكر الحاخامي، حين أدين الربابي "ميشامشكين" بالتخطيط لإصابة الحشود السكانية المدنية العربية، وذلك بإلقاء قنبلة يدوية، وسط جمهور عربي بالقدس، حيث قرر المتهم قبل أن يقوم بالعملية أن يتشاور مع حاخام مستوطنة "ألون موريه"، وقد سأله عما إذا كان مسموحاً أن يلقي قنبلة؛ لكي يقتل مواطنين عرباً، ووفقاً لأقوال المتهم، أجابه الحاخام: بأن عليه أن يدرس المسألة من ناحية الشريعة، ولن يستطيع أن يرد عليه فوراً، وقد أشار عليه بقوله: "لا يبدو أن إجابتي ستكون إيجابية؛ لأنك قد تصيب يهودياً أيضاً".⁽²⁾

وقد أعلن الحاخام العسكري لإسرائيل "موسى جوريون" أن الحروب الثلاثة بين إسرائيل والعرب خلال السنوات 1948، 1956، 1967، هي في منزلة الحرب المقدسة؛ فأولها: لتحرير أرض إسرائيل، والثانية: لاستمرار دولة إسرائيل، والثالثة: لتحقيق نبوءات أنبياء إسرائيل.⁽³⁾ وهذا التطرف والعنف نجده واضحاً عند جماعة "جوش ايمونيم"، تلك الجماعة الصغيرة، التي تدعو إلى ضم الأراضي المحتلة، والتي لا يظهر في اتجاهها نزعة خيرية.

ونجد ذلك أيضاً: في كلمات الحاخام "موشى بن تسيون"، أو "سببازي"، عضو "رامات جن"، الذي أدى به تفسيره الديني الصهيوني للتلمود إلى الدعوة للقضاء على الفلسطينيين، واستعمار كل أرض إسرائيل التاريخية.

وقد أوصى الحاخام "ابراهام أفيدان زامل"، مسؤول الشؤون الدينية بالقيادة المركزية الإسرائيلية، بعدم الوثوق بالعرب؛ لأن الواجب على اليهود -طبقاً للشريعة الدينية كما يدعي- ألا يتقوا بغير اليهودي. وقال للجنود الإسرائيليين: إنه مصرح لكم؛ بل من واجبكم -طبقاً للشريعة- أن تقتلوا المدنيين الطبيعيين، أو بمعنى أصح: المدنيين الذين يبدون طبيبين، واستشهد بالآية القائلة: "يجب عليك أن تقتل أفضل الناس، من غير اليهود".⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ورقة عمل مقدمة من الشيخ بسام كايد-رئيس رابطة علماء فلسطين-لبنان لورشة عمل بعنوان: "دور الحاخامات والمتدينين اليهود، في اغتصاب فلسطين، أقامتها رابطة علماء فلسطين-بيروت: ص4. في 2010/6/13م.

⁽²⁾ انظر: الشخصية اليهودية، د.الشامي: ص154-155، نقلاً عن صحيفة هآرتس العبرية، 1978/8/1م.

⁽³⁾ انظر: شريعة الحرب عند اليهود، د. حسن ظاظا، ومحمد عاشور: ص27-28.

⁽⁴⁾ أرض الميعاد: دراسة نقدية للصهيونية السياسية، د. عبد الوهاب المسيري: ص20-21.

ووصف حسني عبد الحافظ- في مقاله (العنف عند الحاخامات)- حركة كاخ، التي أسسها الحاخام الإرهابي "مائير كهانا"، بأنها أكثر وحشية ودموية من النازية الهتلرية، فقال عنها: "إن حركة كاخ الصهيونية، التي هي أسوأ من النازية، والتي نفذ أحد أفرادها مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف، إنما هي صوت معبر عن الفكر الإسرائيلي الأصيل والرسمي، فإذا كان قادة إسرائيل يخفون حقيقة مشاعرهم من مبادئ وأهداف هذه الحركة، وراء ستار من دخان السياسة الكاذبة، والدبلوماسية المزيفة؛ فإن زعماء هذه الحركة يعملون في العلن، وكان الكاتب الإسرائيلي الليبرالي "يوري افنيري" قد كشف عن نوايا هؤلاء القادة، من خلال تصرفاتهم، فقال "إنني أعرف أن الكهانية لا تتكلم باسمها فحسب؛ وإنما باسم أولئك الذين يجلسون على قمة أحزاب العمل، والليكود، وهتحياء، والمفدال، أولئك الذين يؤيدون ويدعمون كهانا، في جميع تصرفاته وتصريحاته، فلقد بحثوا عن شخص يقوم عنهم بهذه الأعمال القذرة، فوجدوا ذلك في شخص كهانا".⁽¹⁾

4- طرد السكان الفلسطينيين من أرضهم:

يقول "روجيه جارودي": "...ألم يكن صوت يشوع ماثلا في كلمات "يورام بن بورات"، الذي صرح في واحدة من كبرى الصحف الإسرائيلية، وهي صحيفة يديعوت أحرونوت (14 يوليو/ تموز 1972)، قائلاً: "لن تكون هناك صهيونية، ولن يكون هناك وجود استيطاني للدولة اليهودية؛ إلا بطرد العرب، والاستيلاء على أراضيهم"؟

أما وسائل الاستيلاء على هذه الأراضي، فقد حددها "إسحاق رابين" عندما كان رئيساً لأركان القوات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، ألا وهي: تكسير عظام أطفال الانتفاضة، الذين يرشقون الجنود الإسرائيليين بالحجارة، ثم ماذا كان رد فعل المدارس التلمودية في إسرائيل؟ لا شيء؛ سوى أنها دفعت إلى سدة الحكم واحداً من أبرز المسؤولين مسئولية مباشرة عن مذابح صبرا وشاتيلا، وهو الجنرال "رفائيل إيتان"، الذي دعا إلى تعزيز المستوطنات اليهودية القائمة.⁽²⁾

وفي محاضرة ألقاها أحد الحاخامات، في جامعة تل أبيب، قال بلفظه: "إنه يجب طرد العرب من إسرائيل"، ولما استنكر نفر من الطلاب العرب كانوا متواجدين، صرخ فيهم الحاخام:

⁽¹⁾ من مقال بعنوان "العنف عند الحاخامات" لحسني عبد الحافظ، مجلة الوعي الإسلامي (مجلة إسلامية شهرية جامعة، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، بدولة الكويت)، العدد 345، ص 80-81، السنة الحادية والثلاثون، جمادى الأولى، 1415هـ-أكتوبر 1994م.

⁽²⁾ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي: ص 72.

"ما زالت حتى الآن هذه دولتنا؛ وليست دولتكم، وباللين، أو بالقوة، سوف نطردهم من هنا".⁽¹⁾

5- الإرهاب والوحشية:

تحت عنوان "مجازر على الطريقة الحاخامية"، يقول حسني عبد الحافظ: "ومن الحقائق الثابتة، التي تؤكد شواهد التاريخ: أن كل ما ارتكبه اليهود من مجازر وحشية؛ إنما هو بتحريض من حاخاماتهم، الذين أباحوا الحرمات، ودنسوا المقدسات".⁽²⁾

يقول روجيه جارودي: "وقد كانت هذه العقائد نفسها هي التي دفعت شخصا مثل: الدكتور "باروخ جولدشتاين"- المستوطن الأمريكي الأصل، الذي يعيش في مستوطنة كريات أربع (في الضفة الغربية) -إلى قتل ما يقرب من 30 فلسطينيا بنيران بندقيته الآلية، وهم يؤدون صلاة الفجر في الحرم الإبراهيمي. وكان "جولدشتاين" عضوا في جماعة متشددة، تأسست تحت رعاية "أرييل شارون"، أي أنها تحظى بحماية ذلك الذي ارتكب مجازر صبرا وشاتيلا، ثم كوفئ على جريمته بتعيينه في منصب وزير الإسكان والبنية التحتية، وهو الوزير المنوط به توسيع المستوطنات في الأراضي المحتلة، وقد أصبح الآن "جولدشتاين" قديسا لدى المتشددين، الذين يقدون إلى قبره، ويضعون عليه أكاليل الزهور، ويقبلونه. ولا غرو، فقد كان مخلصا شديد الإخلاص لتقاليد يشوع، المتمثلة في إبادة جميع أهالي كنعان؛ من أجل الاستيلاء على أراضيهم".⁽³⁾

ويقول د. غازي حسين: "وغدَّت تعاليم التوراة والتلمود الإرهاب والعنصرية والنهب والسلب والقتل والحرق، في عقول المفكرين والسياسيين اليهود، من أمثال: هرتسل، وجابوتنسكي، وبيغن، وشامير، وشارون، ورايين، وبيرس، ونتن ياهو، فالإبادة الجماعية المستمرة، ومصادرة الأراضي، والمياه، والثروات العربية، وبناء المستعمرات اليهودية، ما هي إلا نتيجة من نتائج تربية التوراة والتلمود لليهود في إسرائيل وخارجها. إن إرهاب وعنصرية الصهيونية يعتمد بالدرجة الأولى على اليهودية، التي هي من حيث القدم والسبق الزمني، أقدم بكثير من الحركات الإرهابية والعنصرية، التي ظهرت في تاريخ البشرية، وهي أقدم بكثير من العنصرية الأوروبية، التي ظهرت في القرن التاسع عشر.

لقد ارتبطت الحركة الصهيونية منذ نشأتها بالعنصرية والإرهاب، وبلغ الإرهاب اليهودي ذروته عشية اغتصاب العصابات الإرهابية اليهودية لجزء من فلسطين العربية، وتأسيس الكيان

⁽¹⁾ مقال "العنف عند الحاخامات"، حسني عبد الحافظ: ص 81.

⁽²⁾ المقال السابق: نفس الصفحة.

⁽³⁾ الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي: ص 74.

الصهيوني، ويعتبر الإرهاب الصهيوني من أهم المرتكزات الأساسية لتنفيذ المشروع الصهيوني، فهو ليس مجرد وسيلة قبلية للعقلية اليهودية الرجعية، المعرّقة بسفك الدماء والانتقام، ولا هو رد فعل عشوائي على أضرار لحقت بالمشروع الصهيوني؛ وإنما هو عقيدة، ومخطط ورسالة أبدية ودائمة ومستمرة، يوجهها المفكر والمسؤول الإسرائيلي السياسي والعسكري، للعرب والمسلمين وجميع الشعوب غير اليهودية. اختارت العصابات الإرهابية اليهودية العديد من القرى والبلدات العربية؛ لتكون النموذج العملي والدرس التطبيقي، لما ورد في التوراة والتلمود من وحشية وهمجية؛ لحمل العرب على الخروج من منازلهم وترحيلهم، وكانت مذبحه دير ياسين نقطة تحوّل في ترحيل العرب من ديارهم، وإحلال مهاجرين يهود محلهم، وورث الجيش الإسرائيلي أساليب وتجارب المنظمات الإرهابية اليهودية، وأصبح قادة المنظمات الإرهابية رؤساء وزارات، ووزراء وقادة في الجيش والمجتمع الإسرائيلي، وتابعت إسرائيل ارتكاب الإرهاب الرسمي المنظم تجاه العرب، وبدعم وتأييد كاملين من يهود العالم والدول الاستعمارية، وفي طليعتها: الولايات المتحدة الأمريكية، التي تبرر الهولوكوست الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني بالدفاع عن النفس، وامتد الإرهاب الإسرائيلي الرسمي، وتجاوز المذابح والإبادة الجماعية، وتجسّد في حروب عدوانية توسعية واستيطانية، في أعوام 1948، 1956، 1967، 1978، 1982، 1993، و1996⁽¹⁾.

6- استباحة قتل غير اليهود:

ورد في كتاب "الكنز المرصود" تحت عنوان "حياة الأجانب وأشخاصهم" عن استباحة قتل غير اليهودي ما يؤصل جرائم اليهود، ويدفعهم لقتل الفلسطينيين وغيرهم، ومن ذلك: أ- "غير مصرّح للكاهن أن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصاً، ولو حصل القتل خطأ، أو ندم الكاهن بعد ذلك؛ ولكن قال الحاخام (شار): إنه يمكنه أن يبارك الشعب بتلك اليد، إذا كان المقتول غير يهودي، ولو حصل القتل بقصد، وسبق إصرار، فينتج من ذلك: أن قتل غير اليهودي لا يعدّ جريمة عندهم؛ بل فعل يرضي الله!!

ب- وجاء في كتاب (بوليميك) "إن لحم الأميين لحم حمير، ونطفهم نطفة حيوانات غير ناطقة؛ أما اليهود، فإنهم تطهروا على طور سينا. والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم؛ ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي".

ج- ويقول التلمود: "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرمّ على اليهودي أن ينجّي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرج من حفرة يقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين".

(1) العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية، د. غازي حسين: ص18-19.

د- وجاء في صحيفة أخرى: "إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة، يلزمك أن تسدها بحجر"، وزاد الحاخام (رشي): "إنه يلزم عمل الطرق اللازمة، لعدم خلاص الوثني المذكور منها، أي: من الحفرة".

ه- وقال ميمانود⁽¹⁾: "الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني، فإذا رأيته واقعاً في نهر، أو مهدداً بخطر، فيحرم عليك أن تتقذه منه؛ لأن السبعة شعوب الذين كانوا في أرض كنعان، المراد قتلهم من غير اليهود، لم يقتلوا عن آخرهم؛ بل هرب بعضهم، واختلط بباقي أمم الأرض؛ ولذلك قال "ميمانود": إنه يلزم قتل الأجنبي؛ لأنه من المحتمل أن يكون من نسل السبعة شعوب، وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع".⁽²⁾

ويعقب الأب حنا بولس مسعد على ما سبق -بعد أن نقله في كتابه "همجية التعاليم الصهيونية"- بقوله: "من كل ما قلناه يتوضح جلياً: أن هذه التعاليم لم تبق حروفاً مائة؛ بل لما كانت الفرص تسنح لليهود، كانت عضلاتهم مقتولة فتاكة، كما يجري في فلسطين اليوم".⁽³⁾

وتحدث إسرائيل شاحاك عن موقف الشرائع اليهودية من الأغيار، فأكد أن الديانة اليهودية تبيح لليهود قتل المدنيين: رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، في حالة الحرب، وتعتبر أن قتل اليهودي جريمة كبرى، وأن المحاكم الدينية اليهودية، والسلطات المدنية تأمر بإنزال العقوبة، حتى بما يتجاوز الأحكام العادية للعدالة، بحق أي شخص اتهم بقتل يهودي؛ أما اليهودي الذي يتسبب في موت يهودي آخر، بطريقة غير مباشرة، فتعتبره مذنباً فقط؛ لذا يقع عقابه على الله، لا على الإنسان.

وهذا ما قام بتطبيقه اليهود بالفعل، في حروبهم ضد الشعب الفلسطيني، وهذا ما صرح به قادة جيوشهم، ووجهوا جنودهم إلى تنفيذه، مستندين إلى أن مبدأ تحريم قتل غير اليهودي ينطبق فقط على غير اليهود، الذين ليسوا في حالة حرب معهم؛ وقد استخلص العديد من المعلقين الحاخامين النتيجة المنطقية، وهي: إمكانية قتل جميع غير اليهود، المنتمين إلى شعب عدو، ويجرى الترويج العلني لهذه الفكرة منذ عام 1972م لتوجيه الجنود الإسرائيليين المتدينين، وأول نصيحة رسمية من هذا النوع جاءت في كراس نشرته قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي - التي تقع الضفة الغربية تحت سيطرتها-، حيث يقول الحاخام المسئول في هذا

⁽¹⁾ المقصود به: موسى بن ميمون، طبيب وفيلسوف يهودي، ولد في الأندلس، ثم سافر إلى مصر، وأقام في القاهرة رئيساً روحياً لليهود، مات 1204. الكنز المرصود في قواعد التلمود، (روهنج) و(إشيل لوران): ص 52

⁽²⁾ الكنز المرصود في قواعد التلمود، (روهنج) و(إشيل لوران): ص 57-58.

⁽³⁾ همجية التعاليم الصهيونية، الأب حنا بولس مسعد: ص 104.

الكراس: "وفي حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خلال مطاردة حامية، أو غارة، إذا لم يتوفر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا، هناك إمكانية لقتلهم، أو حتى ضرورة للقيام بذلك - حسب الهالاكاه⁽¹⁾... بل تحضها الهالاكاه على قتل حتى المدنيين، أي: الذين يتظاهرون بذلك".⁽²⁾

ويقول د. عبد الغني عماد: "إن النصوص التلمودية تقوم بعملية تثبيت لمفاهيم وعقائد التوراة، كما أنها تقوم بتأصيل ذهنية اليهودي، ونظرتة لسواه من "الأغيار"، فهو يسقط عنهم الصفة الإنسانية، وبعد هذا الحذف، أو الإسقاط العقائدي النظري يصبح القتل والاستئصال المادي خطوة سلوكية تكمل الإيمان؛ بل تتحول إلى نوع من الطقوس والشعائر، عند الملتزمين بأصول الدين اليهودي، فالمذبحة التي قام بها "باروخ غولدشتاين" في الخليل، وقتل فيها 27 شخصاً، وجرح أكثر من خمسين من المصلين المسلمين، في قلب المسجد أثناء تأديتهم للصلاة، هذه المذبحة كانت ترجمة لهذا المناخ الفكري، الذي يعتبر -كما في التلمود- "كل من يسفك دم شخص غير يهودي، عمله مقبول عند الله، كمن يقدم قرباناً إليه"، وقد تحول "غولد شتاين" بفعلته هذه إلى بطل قومي، كما مناحيم بيغن من قبل، في مجزرة دير ياسين سنة (1948م)، كما أرييل شارون بكل مجازر لبنان، أثناء الاجتياح عام 1982م، ومنها: مجزرة صبرا وشاتيلا، وغيرها".⁽³⁾

مما سبق من الحديث عن الأخلاق التي يتصف بها اليهود، من: الغدر والخسة والوحشية والحقد والفساد والتعصب والجشع والغرور والانحلال، يتبين لنا -بما لا يدع مجالاً للشك-: أن كل ما يقوم به اليهود اليوم ضد الفلسطينيين، من التعامل بكل صورته، وأخطرها: القتل الذي يقومون به، فهو مؤصل تأصيلاً عقائدياً، وفكرياً، وأخلاقياً، من مصادر العقيدة والفكر عندهم، وهي: التوراة، وغيرها من أسفار العهد القديم، والتلمود، وأصبح مكوناً أساسياً وثابتاً من طبيعتهم التي لا تتغير.

(1) الهالاكاه أو الهالاخاه: كلمة عبرية تعني القانون أو التشريع، وهي من أصل آرامي، ومعناها الحرفي هو: الطريق القويم، وإن كان يُقال في التفسيرات الحديثة: إن معنى الكلمة الأصلي هو الضريبة، أو القاعدة الثابتة. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري: 146/5.

(2) انظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك: ص132-134.

(3) مقال بعنوان: "التلمود: استكمال الاسطورة، وتأصيل العنف"، د. عبد الغني عماد، تم إنشاؤه بتاريخ: 14

كانون/2 يناير 2010. <http://www.tourathtripoli.org>

الفصل الثالث

الانحراف الفكري عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التمييز العنصري في الفكر اليهودي، وأثره على الفلسطينيين.

المبحث الثاني: الانعزالية في الفكر اليهودي، وأثرها على الفلسطينيين.

المبحث الثالث: الجذور الدينية للإرهاب في الفكر اليهودي، وأثره في الواقع الفلسطيني.

الفصل الثالث

الانحراف الفكري عند اليهود، وأثره على الفلسطينيين.

المبحث الأول

التمييز العنصري في الفكر اليهودي، وأثره على الفلسطينيين.

المطلب الأول: التعالي اليهودي، والزعم بأن اليهود شعب الله المختار.

أولاً: شعور اليهود بالتعالي على سائر البشر.

يعتقد اليهود أنهم خلق ليسوا كسائر البشر، فهم جنس أعلى من سائر الأجناس البشرية، وقد استوحى اليهود هذا الاعتقاد بالتعالي والعنصرية من نصوص التوراة، التي تزعم أن الله قسم خلقه إلى: سادة، وعبيد، وبقي هذا التقسيم شرعياً أبدياً الدهر، حتى بعد أن نال العبيد حريتهم، وأصبحوا أحراراً، ففي سفر التكوين: أن أبناء نوح عليه السلام الذين كانوا معه في السفينة، هم: سام، وحام، ويافت، وهؤلاء الثلاثة تشعبت منهم أجناس الأرض "وَابْتَدَأ نُوحٌ يَكُونُ فَلَاحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكَرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشِيَ إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجَّهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخَوْتِهِ. وَقَالَ: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَّهُمْ. لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَاْفَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَّهُمْ".⁽¹⁾

وبناء على ذلك النص، يكون الإله -كما تزعم التوراة الحالية- هو الذي أمر بتقسيم عباده إلى: سادة، وعبيد، إلى: حرائر، وجوار، كما يقول نص سفر التكوين على لسان سارة، حيث تقول لزوجها إبراهيم: "أَطْرُدُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَأَبْنَهَا، لِأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لَا يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ"⁽²⁾.⁽³⁾

ويزعم اليهود أنهم جنس مميز، فوق سائر أجناس البشر جميعاً، روحاً وعقلاً وحضارة، وأن الله يحبهم، ويحب سلالتهم، دون غيرهم؛ لأن إسرائيل هو بكره، وهم شعبه المختار؛ بل هم أبناء الله وأحباؤه، ويعتقدون أن غيرهم من الشعوب والأمم بهائم ومطايا مسخرة لهم، لا تتبعه في

⁽¹⁾ سفر التكوين: 20/9-27.

⁽²⁾ سفر التكوين: 10/21.

⁽³⁾ انظر: أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة، الدين والدولة، إبراهيم أبو داه: ص 92-93.

استغلالهم، ويطلقون عليهم لفظ (جوييم-Goyim)⁽¹⁾، والفكرة الدينية والسياسية عندهم إثبات أن شعب إسرائيل هو الشعب المختار، وأرض كنعان ملكه بلا منازع، وبما أنهم أرفع من سائر الأمم؛ بل هم وحدهم الطاهرون؛ فإله لا يختار الأنبياء والصالحين إلا منهم.

ويزعم اليهود أيضا أن اسم الإله (يَهُوه) خاص بهم، ومعرفتهم به محصورة في إطار ما جاء في توراتهم وتلمودهم عن هذه الفكرة، فهو في تصورهم كالأب البشري، الذي لا يغضب على أولاده مهما فعلوا من سوء، وربما يخطئ في حقهم؛ لكن سرعان ما يندم ويعترف بخطئه تجاههم، ويرجع عنه؛ لأنهم ذرية البكر إسرائيل، صاحب الحظوة عند الرب، ويتعاملون معه بناء على ذلك بعقلية الولد المدلل الفاسد والمفسد، وهم لا يتصورون أن هذا الأب المعطاء والحاني يمكن أن يعاقب ولده المدلل، في يوم من الأيام، عقوبة يتمادى فيها، مهما كانت الأسباب.⁽²⁾

وهكذا يتبين: أن عقيدة الشعب المختار تميز حتى بين اليهود الأصليين والمتهودين من غير نسل اللاويين، فضلا عن سائر عموم البشر، وهذه قمة التمييز العنصري الذي رفضته القوانين والأعراف الدولية، فضلا عن الشرائع السماوية، وأن شعور اليهود بالتعالى له أصول توراتية محرفة، من ضمن ما حرفه حاخامات اليهود؛ ليثبتوا أن اليهود جنس آخر مختلف عن باقي الأجناس البشرية، والذي خلقهم على هذه الطبيعة هو إلههم وربهم (يهوه)، الذي يزعمون أنه لهم وحدهم دون سائر البشر، وهذه هي العنصرية بعينها.

ثانياً: زعم اليهود أنهم شعب الله المختار.

بالإضافة إلى ما سبق من شعور اليهود بالتعالى والعنصرية على سائر البشر، فهم يعتقدون أيضا بأن الله اختارهم واصطفاهم على سائر مخلوقاته البشرية، وقد أورد القرآن الكريم مقالته تلك في عدة آيات من القرآن الكريم، منها:

1- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:6-7].

⁽¹⁾ (جوييم-Goyim): هي كلمة عبرية، مفردتها: (جوي)، ومعناها: شعب أو قوم. انظر: مغالطات اليهود عبد الوهاب أبو طويلة: ص17.

⁽²⁾ انظر: مغالطات اليهود عبد الوهاب أبو طويلة: ص17-18. وانظر تفاصيل عن هذه الصفة من صفات اليهود: 9- التعالى والاستعلاء: ص224-225.

2- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 94-95].

ولذلك يطلقون على أنفسهم (شعب الله المختار)، هذا المصطلح هو: ترجمة للعبارة العبرية "هاعم هنفحار"، وهناك عبارات أخرى تحمل معنى الاختيار، مثل: "أتا بخرتانو"، والتي تعني: (اخترتنا أنت)، و"عم سيجولاه"، أو "عم نيحلاه"، أي: (شعب الإِرت)، أي: (الشعب الكنز).⁽¹⁾ وعقيدة الشعب المختار تعبير عن الثالوث الحلولي عند الطبقة الحلولية⁽²⁾ اليهودية، المكوّن من: الإله، والأرض، والشعب، حيث يحل الإله في الأرض؛ لتصبح أرضاً مقدّسة، ويحل في الشعب ليصبح شعباً مختاراً ومقدّساً وأزلياً، وهذه بعض سمات الإله⁽³⁾؛ ولهذا السبب يسمي اليهود أنفسهم بـ (الشعب الأزلي)، وبالعبودية "عام عولام"، و(الشعب الأبدي)، وبالعبودية "عام نيصح"، و(شعب الله)، وبالعبودية "عام ألوهيم"، و"عم قادوش"، وبالعبودية "الشعب المقدّس"⁽⁴⁾، ونتج عن ذلك احتقارهم للأمم الأخرى، وتسميتها بألفاظ السباب والشتائم، مثل: "الجوييم"، و"عاريل"، و"مميزير".⁽⁵⁾

لقد نظر اليهود إلى أنفسهم على أنهم الشعب الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين، وما عداهم من الشعوب أقل منهم منزلة، وأن الله تعالى هو رب إسرائيل، وليس رب العالمين،

(1) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 72/5.

(2) الحلولية الكمونية: (أو الحلولية الكمونية الواحدة، أو وحدة الوجود): هو المذهب القائل: بأن الإله والعالم (الإنسان والطبيعة) مكوّن من جوهر واحد، ومن ثم فهو عالم متماسك بشكل عضوي، ويمكن رد كل الظواهر فيه إلى مبدأ واحد، كامن في العالم، هو مصدر وحدة الكون وتماسكه، ومصدر حياته وجويته، وهو القوة الدافعة له، الكامنة فيه، ويرى هذا المذهب أن العالم يتكون من جوهر واحد، وهذا الجوهر الواحد، أو المبدأ الواحد يُسمّى "الإله"، أو "الجوهر الإلهي" في منظومات وحدة الوجود الروحية (الحلولية الكمونية الروحية)، ويعبر عن هذا بالقول: "حل الإله في العالم، أي: في الطبيعة والإنسان". انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 182/1-183.

(3) انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 72/5.

(4) انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا: ص 38، 50، وموسوعة اليهود، د. المسيري: 72/5.

(5) الجوييم: كلمة عبرية تعني: القذارة المادية والروحية والكفر؛ أما كلمة (عاريل)، فتعني: (الأقلف)، أي: الذي لم يختن، فهو فذر وكافر، وهذه الكلمة أصبحت من نصيب النصراني؛ لأن الختان غير شائع عنده؛ أما (مميزير) فتعني: ابن الحرام، أو ابن الزنا، ويطلقها اليهود على المسلم؛ لأنه من سلالة إبراهيم عليه السلام، من هاجر -وهي عندهم جارية وأجنبية- فكل من ينتمي إليها، منتسباً بالأصل أو بالدين إلى نبينا محمد ﷺ، وهو من سلالة إسماعيل عليه السلام، فهو عند اليهود (مميزير). انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. ظاظا: ص 49.

وهكذا كانت ديانة يهود لأسرة بشرية واحدة، هي: أسرة بني إسرائيل، وليست للناس كافة، وبناء على تلك النظرة كانت توراتهم المحرفة تحرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضا، وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم؛ بل فرضت عليهم قتل غيرهم -وخاصة الكنعانيين، أهل فلسطين العرب الأصليين- كما جاء في سفر التثنية⁽¹⁾، وليست هذه المعاملة في التفرقة في أثناء الحروب فحسب؛ ولكنها كذلك في أيام السلم، والتوراة مليئة بالنصوص التي تتضح بالحق، وباستعلاء اليهود على غيرهم.⁽²⁾

ثالثاً: السبب في زعم اليهود أنهم شعب الله المختار.

إن الواقع العملي لحياة اليهود عبر التاريخ في الأسر أو الشتات، خلق عندهم إحساساً بالدونية، وشعوراً بالمذلة والهوان، منذ حياتهم الأولى التي عاشوها في الذل والهوان والقهر، على أيدي آل فرعون، ولم يكن أمام علماء اليهود لتخليص اليهود من إحساسهم بالدونية، وشعورهم بالمذلة والهوان، إلا طريق العزلة، ثم طريق النصوص التوراتية، وهذا ما جعل اليهود -على مدى تاريخهم الطويل- يتخذون فكرة العزلة أو الانعزال "الجيتو"⁽³⁾ في عصر الشتات فكرة مقدسة، ساهمت النصوص التوراتية في تعميقها، عن طريق الأنساب والأعراق والذكريات والمناسبات الدينية.⁽⁴⁾

ومن هذه النصوص التي توصل لعقدة الإحساس بالدونية عند اليهود:

1- ما ورد في سفر الخروج: "قَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخَّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لِأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَّاسِعَةٍ."⁽⁵⁾

(1) سفر التثنية: 13/2-16.

(2) انظر: بنو اسرائيل، د. مهران: 212/3-214.

(3) الجيتو: عبارة عن: حي أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود، ويرجع المؤرخ "سيسل روث"- البريطاني الجنسية، الصهيوني الميول، وأستاذ الدراسات اليهودية في جامعة أكسفورد- نشأة الجيتو إلى عام 1516م، حينما أصدرت جمهورية فينسيا أمراً بعزل يهود المدينة في حي خاص، عرف بادئ الأمر باسم Ghetto Nuovo، أي: المسبك الجديد، ثم أصبح اسمه بعد ذلك بقليل Ghetto Vecchio، أي: المسبك القديم، ومنذ ذلك الحين انتشر اصطلاح الجيتو في إيطاليا كلها، حيث أقيمت قسراً أحياء لليهود. انظر: تجسيد الوهم، دراسة سيكلوجية للشخصية الإسرائيلية، قدرتي حفني: ص 107، والشخصية الإسرائيلية، د. رشاد الشامي: ص 16، نقلا عن الموسوعة اليهودية (جوداكا)، المجلد السابع، ص 542.

(4) انظر: أباطيل إسرائيل، إبراهيم أبو داه: ص 94.

(5) سفر الخروج: 3/7-8.

- 2- ما ورد في سفر الخروج أيضا: "فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعُنْفٍ".⁽¹⁾
- 3- الوصايا العشر تبدأ بجملة: "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ".⁽²⁾

يقول د. رشاد الشامي -معقبا على تلك النصوص، بعد أن أوردتها-: "وقد خلقت لديهم هذه القصص التاريخية الدينية إحساسا بالمذلة الدائمة، عوضوه بعد ذلك بسلوك عدواني ووحشي، تشهد على ممارسته مدوناتهم التي سجلت قصة غزو أرض كنعان، من منظورهم الديني القومي.

ولقد شقت عقدة الانعزال عن البشر، والامتياز والاستعلاء على أمم العالم طريقها إلى النفسية اليهودية، وأصبحت عاملا أساسيا في تكوين شخصية هذه الجماعة من البشر منذ القدم، عن طريق الأنساب والأعراق، وعن طريق الذكريات الدينية والسياسية، التي تضخمت وغلظت مع الزمن، وهنا يتضح مدى أهمية الخرافة والأسطورة في إيجاد الإطار النفسي العنصري اليهودي، لدرجة تتجاوز الحقيقة التاريخية، وخاصة لأن هذه الخرافة والأسطورة اصطبغت مع الزمن بقسوة الدين...، وجعلوا هذه الظاهرة مرتبطة باختيار إلهي، دون سائر شعوب الأرض، وبارادة إلهية لا قبل للبشر بمقاومتها، ومن هنا لا يتردد اليهود في تسمية أنفسهم "شعب الله المختار"، حيث يعتقدون أن هذا الاختيار هو برنامج إلهي، فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان، متسلطين على رقاب العالم...، وهكذا نجد أن الفكر الديني اليهودي قد صاغ العقلية اليهودية في إطار من العنصرية، التي تسبغ على اليهود صفات المديح والتعظيم، في الوقت الذي تتعامل فيه مع الشعوب غير اليهودية بسيل من الأوصاف العنصرية والشتائم، التي تؤكد على أن الاستعلاء العنصري هو أساس ثابت في تكوينها".⁽³⁾

رابعاً: تفسير الاختيار عند اليهود.

يقول المسيري: "حاول كثير من حاخامات اليهود وأحبارهم ومفكرهم تفسير فكرة الاختيار، فجاءوا بتفسيرات كثيرة، كلها تؤكد فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين.

⁽¹⁾ سفر الخروج: 13/1.

⁽²⁾ سفر الخروج: 2/20.

⁽³⁾ الشخصية الإسرائيلية، د. رشاد الشامي: ص 26-28.

وقد جاء في التلمود: أن جماعة إسرائيل يُشبّهون بحبة الزيتون؛ لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك أعضاء جماعة إسرائيل، يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى.

وقد كانت عملية التفسير هذه ضرورية في الواقع؛ لأن أعضاء الشعب المختار المقدّس، الذي يفترض أن الإله قد حل فيه، وجدوا أنهم من أصغر الشعوب في الشرق الأدنى القديم وأضعفها، ولم يكونوا في أي وقت أكثرها رقياً أو تفوقاً، كما لحقت بهم عدة هزائم، انتهت بالسبي البابلي⁽¹⁾.

ووردت تفسيرات أخرى للاختيار غير ما سبق، هي في النهاية تعبير عن درجات متفاوتة من الحلول، فكلما ازدادت النزعة الحلولية زادت القداسة في الشعب، ومن ثم زادت عزلته واختياره، ومن هذه التفسيرات:

1. الاختيار كعلامة على التفوق، وذلك للحثيات التالية:

(أ) لم يختار الإله اليهود بوصفهم شعباً وحسب؛ بل اختارهم كجماعة دينية قومية، توخّدها أفكارها وعقائدها.

(ب) الاختيار دليل على تفوق اليهود عرقياً؛ فقد اختير إبراهيم لنقائه، واختير اليهود لأنهم من نسله.

(ج) أن الاختيار دليل على تفوق اليهود الأخلاقي؛ فقد اختار الإله الشعب اليهودي لأنه أول شعب يعبده وحده، بمعنى: أن الله اختار الشعب لأن الشعب اختاره.

2. الاختيار كتكليف ديني:

اختار الإله الشعب اليهودي حتى يكون خادماً له بين الشعوب، وليكون أدواته التي يُصلح بها العالم، ويوحد بها الشعوب، وهذا يعني: أن الاختيار ليس ميزة؛ وإنما هو تكليف إلهي.

3. الاختيار كأمر رباني، وسر من الأسرار:

وأكثر التفسيرات تواتراً على المستوى الوجداني، هو أن الاختيار غير مشروط، ولا سبب له، فهو من إرادة الإله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، الإله الذي اختار الشعب ووعده بالأرض، وليس لأي إنسان أن يتدخل في هذا⁽²⁾.

وبالنظر إلى تلك التفسيرات المختلفة، والتفسير الراجح منها عند أكثر الحاخامات، يتبين: أن عقيدة شعب الله المختار أسطورة وخيال في عقول اليهود؛ لأنه لا إجماع ولا اتفاق

(1) موسوعة اليهود، د. المسيري: 72/5.

(2) انظر: المصدر السابق: 73-72/5.

على تفسيرها بين حاخاماتهم وعلمائهم، وذلك دليل على التخبط الحاصل عندهم، والذي يدل بدوره على بطلانها وعدم ثبوتها؛ بل وعدم موافقتها لمبادئ الشرائع السماوية، التي جاءت كلها من عند الله، رب العالمين كلهم، وليس رب اليهود وحدهم، ولا تميز بين جنس وجنس، إلا بالإيمان بتلك الشرائع، والاهتداء بهديها، وهذا يدحض أرجح التفسيرات عند علماء اليهود، التي تعتبر أن الاختيار غير مشروط، ولا سبب له، وأنه بإرادة الإله؛ فلا يجوز لأحد أن يسأل عنه.

خامساً: أدلة اليهود على زعمهم بأنهم شعب الله المختار:

1- أدلتهم من التوراة:

أ- ما ورد في سفر التثنية: "لَأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَحْصَى مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، اَلْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لِأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لِآبَائِكُمْ".⁽¹⁾

ب- وما ورد في سفر التثنية أيضا: "وَلَكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا اَلْتَصَقَ بِآبَائِكَ لِوَحْبَتِهِمْ، فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ".⁽²⁾

ج- ما ورد في أسفار المزامير: "إِنِّي أَخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَوَلَدَتَاكَ. اسْأَلْنِي فَأُعْطِيكَ الْأَمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِي الْأَرْضِ مُلْكًا لَكَ. نُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيْبٍ مِنْ حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءٍ خَرَّافٍ تُكْسِرُهُمْ".⁽³⁾

د- ما ورد في سفر اللاويين: "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي مَيَّرَكُم مِّنَ الشُّعُوبِ. فَتَمَيَّرُونَ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالنَّجِسَةِ، وَبَيْنَ الطُّيُورِ النَّجِسَةِ وَالطَّاهِرَةِ. فَلَا تُدْبِسُوا نَفُوسَكُمْ بِالْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ، وَلَا يَكُلْ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا مَيَّرْتُهُ لَكُمْ لِيَكُونَ نَجِسًا. وَتَكُونُونَ لِي قَدِّيسِينَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّرْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي".⁽⁴⁾

تلك النصوص التوراتية استغلها زعماء الصهيونية؛ لإذكاء الاستعلاء لدى الصهاينة اليهود، الذين زعموا أنهم الجنس الأسمى والمنفوق؛ بسبب ما توارثوه من جينات العبقريّة والتميز، بينما توارث غيرهم جينات التخلف والغباء، واعتبروا أن الشخص الذي لا يقر لليهود

⁽¹⁾ سفر التثنية: 6/7-8.

⁽²⁾ سفر التثنية: 10/15.

⁽³⁾ أسفار المزامير: المزمور الثاني: 7-9.

⁽⁴⁾ سفر اللاويين: 20/24-26.

أنهم شعب الله المختار هو أعمى.⁽¹⁾

2- أدلتهم من التلمود:

مبنى تعاليم التلمود أن بني إسرائيل صفوة الخلق، اصطفاهم الله على العالمين، واستخلفهم في الأرض يملكونها ويسودون أهلها، وقد بشر التلمود اليهود بملك العالم، ومن مبنى تعاليم التلمود أن بني إسرائيل صفوة الخلق، اصطفاهم الله على العالمين، واستخلفهم في الأرض يملكونها ويسودون أهلها، وقد بشر التلمود اليهود بملك العالم، ومن نصوصه في ذلك⁽²⁾:

- 1- "إسرائيل غالبية لأنها تدعى بأبناء الشعب المقدس".
- 2- "أيها اليهود أنتم الذين تدعون بالرجال وليس غير اليهود".
- 3- "كل إنسان يصون مجرد روح واحدة من إسرائيل يعتبر وكأنه قد صان العالم كله".
- 4- "كل إسرائيل لها نصيب في العالم القادم".
- 5- "لن يكون لغير اليهود نصيب في العالم القادم".
- 6- "أليس عبديك معنا؛ فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب التي على وجه الأرض".⁽³⁾
- 7- "أن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيليًا فكأنما ضرب العزة الإلهية، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب".⁽⁴⁾
- 8- "يجب على كل يهودي أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم، وقبل أن يحكم اليهود نهائيًا باقي الأمم، يجب أن تقوم الحرب على قدمٍ وساقٍ، ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي، ويحقق النصر المرتقب، وحينئذٍ تصبح الأمة اليهودية غايةً في الثراء؛ لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعًا، ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح".⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر: أباطيل إسرائيل، إبراهيم أبو داه: ص 93.

⁽²⁾ النصوص (1-5): التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 51/1.

⁽³⁾ المصدر السابق: 28/2.

⁽⁴⁾ الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: الدكتور يوسف نصر الله: ص 46.

⁽⁵⁾ المصدر السابق: ص 45.

- 9- وقال الحاخام (اباريانيل): "الشعب المختار (أي اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية؛ وأما باقي الشعوب فمثلهم مثل الحمير".⁽¹⁾
- 10- وَيَقُول رابي عقيبا: "ما أَحَبَّ بني إسرائيل الذين لقبوا بأبناء الله، ولا تزال المحبة الفائقة تظهر لهم؛ لأنهم لقبوا بأبناء الله، حيث ورد: "أنتم أبناء للرب إلهكم".⁽²⁾
- 11- "أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح، بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، أما الأرواح غير اليهودية فهي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات".⁽³⁾
- 12- "الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أمي إسرائيليًا فكأنه ضرب العزة الإلهية".⁽⁴⁾
- 13- "إذا ضرب أمي إسرائيليًا، فالأمي يستحق الموت، وأنه لو لم يخلق اليهود، لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدرة الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب".⁽⁵⁾
- 14- يروي التلمود أنه لما قدم بختنصر ابنته إلى زعيم اليهود ليتزوجها، قال له هذا الزعيم: إني يهودي، ولست من الحيوانات.⁽⁶⁾
- 15- النعيم مأوى أرواح اليهود، ولا يدخل الجنة إلا اليهود، والجحيم مأوى النصارى والمسلمين، وعبدة الأوثان، ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء، لما فيها من الظلام والغفوة والطين.⁽⁷⁾
- إن كتابا مثل التلمود يحوي كل هذا الانحراف والضلال، حتما سيكون ذا أثر في صياغة الشخصية اليهودية على مر العصور، وبالنظر إلى ممارسات اليهود في مراحل التاريخ كله يتضح أن تعاليم التلمود هي أوضح صورة لنفسية اليهود؛ بل هي انعكاس لما في داخل أعماقهم على صفحات كتاب، كانطباع الصورة في المرآة، فالتلمود تجسيد مكتوب لأخبت ما في النفسية اليهودية، من الضلال والانحراف، واليهودي تجسيد حي للضلال والانحراف المنسوب إلى الوحي زورا وبهتانا.⁽⁸⁾

⁽¹⁾ المصدر السابق نفسه، الكتاب الثالث، فساد الآداب، الفصل الأول (القريب): ص47.

⁽²⁾ المشنا: القسم الرابع، نزيقين (الأضرار) المبحث التاسع، مبحث آفوت - الآباء - الفصل الثالث: ص312.

⁽³⁾ الكنز المرصود: ص43.

⁽⁴⁾ المصدر السابق: ص46.

⁽⁵⁾ الكنز المرصود: ص46.

⁽⁶⁾ المصدر السابق نفسه: ص47.

⁽⁷⁾ المصدر السابق نفسه: ص43-44.

⁽⁸⁾ انظر: التلمود، وأثره في صياغة الشخصية اليهودية، د. عودة عبد الله: ص30.

3- أدلتهم من القبّالاه:

"في تراث القبّالاه أصبح التمييز بين الشعب اليهودي والأغيار حادا إلى أقصى درجة، حتى أن القبّاليين ذهبوا إلى أن اليهود قد خُلقوا من طينة مختلفة عن تلك التي خُلق منها بقي البشر وإلى أن الأغيار خُلقوا على شكل الإنسان حتى يمكنهم القيام بخدمة اليهود. وفي فكر الاستتارة، وفي اليهودية الإصلاحية؛ بل وفي التلمود ذاته، ما يناقض هذا الموقف، وذلك بالتأكيد على الانتماء الإنساني العالمي لليهود".⁽¹⁾

سادساً: إبطال القرآن الكريم زعم اليهود أنهم شعب الله المختار.

بين القرآن الكريم بطلان زعم اليهود أنهم شعب الله المختار، بالأدلة الدامغة، ومنها:
1- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: 18].
وهذا الزعم اليهودي الكافر دليل على الأنانية اليهودية، والنفسية اليهودية التي تريد كل شيء خاص بها، حتى لو كان هذا هو رب العالمين.

قال القرطبي في تفسير الآية الكريمة: "وبالجملة، فإنهم رأوا لأنفسهم فضلا، فرد عليهم قولهم فقال: (فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)، فلم يكونوا يخلون من أحد وجهين، إما أن يقولوا: هو يعذبنا، فيقال لهم: فلستم إذا أبناءه وأحباؤه؛ فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم تقرون بعذابه، فذلك دليل على كذبكم - وهذا هو المسمى عند الجدليين ببرهان الخلف - أو يقولوا: لا يعذبنا، فيكذبوا ما في كتبهم، وما جاءت به رسلهم، ويبيحوا المعاصي، وهم معترفون بعذاب العصاة منهم؛ ولهذا يلتزمون أحكام كتبهم".⁽²⁾

2- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُرْكَبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِلِ اللَّهِ يُرْكَبُونَ مِنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء: 49-50].

3- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 6-8]

(1) موسوعة اليهود، د. المسيري: 24/2.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: 121/6.

4- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 94-95].

يقول روجيه جارودي: "إن فكرة الشعب المختار فكرة طفولية تاريخيا؛ لأن جميع الشعوب في الكتابات الصادرة عنها قد عبرت عن هذا المفهوم بصورة متميزة لديها، وترجمته بعبارات اصطفايية، فلماذا توفرت الثقة بكتابات واحد من هذه الشعوب فقط؟

إنها فكرة إجرامية سياسيا؛ لأنها قدست أعمال العدوان والتوسع والسيطرة، وهي لا تقبل لاهوتيا؛ لأن فكرة المختار تنطوي على فكرة المستبعد. وكل سياسة تزعم أنها تستند إلى هذه الأسطورة، تعود إلى نفي ورفض للآخر، وليس هناك لاهوتا للوحدة؛ ذلك أن الإنسان الوحيد والمكتفي بذاته ليس فيه شيء من الله. ولا يخرج الاستعمار الصهيوني عن هذه القاعدة، وقد رأينا كيف ينطوي على نفي وجود الشعب الفلسطيني ذاته".⁽¹⁾

وهكذا يتبين: أن زعم اليهود أنهم شعب الله المختار لا يمكن أن يكون واردا في التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، فلا يمكن لشريعة من عند الله أن تقر التفرقة العنصرية بين أفراد البشر، وتفصل بين الإنسان والإنسان، وتميز بين الألوان والأوطان، فالناس كلهم متساوون في الحقوق والواجبات؛ لأنهم من آدم، وآدم من تراب "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى".⁽²⁾

سابعاً: تفضيل بني إسرائيل في القرآن الكريم.

لقد صرح القرآن الكريم في أكثر من موضع بتفضيل بني إسرائيل على العالمين، ومن ذلك:

1- قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 47].

2- وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام، وهو يرد على طلبهم بأن يجعل لهم إلهاً من الأصنام: ﴿قَالَ أَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ رَبَّهُ يَوْمَ الْأَبْتِخَاءِ﴾ [الأعراف: 140]

3- وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: 20].

⁽¹⁾ إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، روجيه جارودي: ص 89.

⁽²⁾ رواه الإمام أحمد في مسنده، ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي: 586/3، حديث رقم 5622.

فهل هذا التفضيل مطلق أم مقيد؟ والجواب كما يأتي:

1- إن هذا التفضيل مقيد بإيمانهم، وتمسكهم بوحى السماء، في بيئة كان الناس فيها يعبدون غير الله، فقد نشأ موسى عليه السلام في مصر الفرعونية، التي كانت تعبد فرعون من دون الله، وكذلك كان الكفر والإلحاد في بلاد الشام وبشبه الجزيرة العربية، فكان تفضيل الله بني إسرائيل على عالمي زمانهم، لأنهم آمنوا حيناً ببعض الأنبياء، وعرفوا التوحيد، في الوقت الذي كانت فيه الشعوب بعيدة عن عبادة الله، وحينما نفاضل بين بني إسرائيل في مصر، وبين فرعون وقومه؛ يتبين لنا تفضيل بني إسرائيل على فرعون وقومه؛ لأن المؤمن هو المفضل والمقدم عند الله وعند المؤمنين.⁽¹⁾

وهذا ما أخبر به القرآن الكريم، حيث ذكر أن إيمان بني إسرائيل كان هو السبب في استخلاف الله لهم إلى حين، وتفضيلهم على العالمين، وتمكينهم من الأرض المقدسة، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: 137]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 23-24].

يدل على ذلك: باء السببية في قوله تعالى: "بما صبروا" في الآية الأولى من الآيتين السابقتين، التي تبين أن صبرهم-الناج عن قوة إيمانهم- كان هو السبب في تفضيلهم، وكذلك "لما" الظرفية في الآية الثانية "لما صبروا"، التي تدل على أن تفضيلهم وجعلهم أمة كان محددًا بظرف خاص، وموقوتًا بزمان خاص، وهو الزمان الذي تحقق في إيمانهم، وسط كفر من حولهم، فتفضيلهم إنما كان على عالمي زمانهم؛ وليس على كل العالمين حتى قيام الساعة. وكذلك أُل التعريف في "العالمين"، فإنها ليست للاستغراق والشمول؛ وإنما هي "للعهد الذهني"، المأخوذ من سياق الآيات، التي تعرض قصة بني إسرائيل.

من كل ما سبق يتبين: أن المقصود بالتفضيل هو: تفضيلهم على عالمي زمانهم، الذي مضى وانقضى، قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وقبل وجود الأمة المسلمة "وارثة" بني إسرائيل في التفضيل على العالمين، وحمل رسالة الله للناس، والقيام بالخلافة في الأرض.⁽²⁾

(1) انظر: العقيدة اليهودية، سعد الدين صالح: ص 289، والشخصية الإسرائيلية، صلاح الخالدي: ص 112.

(2) انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. صلاح الخالدي: ص 113-114.

وهذا ما ذكره الطبري، ونقله عن: قتادة، وأبي العالية، ومجاهد، وابن زيد، من أن تفضيل بني إسرائيل كان على عالم ذلك الزمان، الذي كانوا فيه مؤمنين، وغيرهم كان على الكفر. (1)

فلم يكن اختيار الله لهم بسبب العنصر، أو النوع، أو اللون؛ وإنما كان تكليفا لبني إسرائيل، واختبارا وابتلاء لهم، أشكرون أم يكفرون؟ ولهذا قرن القرآن الكريم بين آيات الاختيار وآيات الاختبار معا، فقال: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ * وَأَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: 32-33]. (2)

فاليهود يدعون أن الله قد خصهم بولايته وحبه واختياره؛ ولكن القرآن يصف كلامهم بأنه مجرد زعم باطل، ومع ذلك يطلب منهم أن يتمنوا الموت لكي يسارعوا إلى لقاء الله، ولكنهم لن يتمنوا الموت؛ لأنهم يعلمون أنهم كاذبون في دعواهم، وفي آية أخرى يصفهم القرآن الكريم بأنهم أحرص الناس على الحياة، والبعد عن لقاء الله ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: 96]. (3)

2- وأما ادعواؤهم أنهم من أصل واحد، هو إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء و خليل الله، وأنهم حافظوا على جنسهم من الاختلاط والذوبان في الأجناس الأخرى، فيمكن مناقشته بما يأتي:
أولا: ليس اليهود وحدهم أبناء إبراهيم عليه السلام؛ فإن العرب أبناء إسماعيل من إبراهيم عليهما السلام أيضا، وإذا كان أبناء يعقوب بن إبراهيم عليهما السلام شعبا مختارا، فإن أبناء إسماعيل عليه السلام يكونون أيضا كذلك، فما الذي يميز أبناء يعقوب على أبناء إسماعيل عليهما السلام؟
ثانياً: لو فرض جدلا أنهم هم وحدهم أبناء إبراهيم عليه السلام، وهم الذين أخذوا البركة دون أبناء إسماعيل عليه السلام من العرب، فالسؤال لهم هو: ما هو مفهوم البنوة؟ هل البنوة هي أن يغوصوا في أعماق الخطيئة، ويهدموا ما جاء به إبراهيم عليه السلام من أساسه، ثم يدعون أنهم هم الشعب المختار؛ لأنهم أبناء إبراهيم؟ أم أن بنوتهم لإبراهيم تستلزم أن يكونوا على عهده ووعده، وأن يلتزموا بما جاء به؟

وقد دحض القرآن الكريم هذه الفرية، فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 65]، وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

(1) انظر: جامع البيان، الطبري: 23/1-24.

(2) انظر: معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبد الستار فتح الله سعيد: ص159.

(3) انظر: العقيدة اليهودية وخطرها، د. سعد الدين صالح: ص290.

فالمسألة ليست مسألة نسب ولا قرابة لإبراهيم عليه السلام؛ إنما هي مسألة أعمال وإيمان والتزام، والأمة التي تؤمن بالله، وتأمّر بالمعروف وتتنهى عن المنكر، تكون هي خير أمة. ومن هذه الآيات الكريمة يتبين: أن الإيمان بالله والعمل الصالح هما المعيار الذي يقاس به قدر الأمم، ومن هنا كانت الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس؛ ولكن هذه الخيرية لم تكن لأنهم أبناء إبراهيم أو إسماعيل عليهما السلام، أو أن الله حباهم دون غيرهم؛ وإنما بأعمالهم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، فالاجتباء بمعنى: الاصطفاء والاختيار إنما كان من الله للأمة الإسلامية بما آمنت بالله، والتزمت بتعاليمه؛ ولكنها حين تترك وظيفتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تستحق الأفضلية، ولا الاختيار من الله سبحانه وتعالى؛ بل يسلب عليها أضعف الأمم وأخسها، حتى يعودوا إلى رشدهم، ويعودوا إلى مكانتهم.⁽¹⁾

مما سبق يتبين: أن اليهود لا يمكن أن يكونوا شعب الله المختار أبداً؛ لأن حالهم الذي هم عليه الآن لا يتفق إطلاقاً مع اختيار الله لهم؛ وإنما الأمة المختارة المصطفاة هي الأمة الإسلامية، بشرط إيمانها الحق بالله، وعملها الصالح، وقوة صلتها بالله تعالى.

المطلب الثاني

التمييز العنصري عند اليهود

أولاً: تعريف التمييز العنصري:

إن الميثاق الدولي لإلغاء جميع أشكال التمييز العنصري عرّف التمييز العنصري بأنه: "أي تمييز، أو حرمان، أو تقييد، أو أفضلية على أساس العنصر، أو اللون، أو السلالة، أو الأصل العرقي، أو القومي".⁽²⁾

وعرّف د. قدري حفني التمييز العنصري بأنه: "القول بأن أفراد جماعة معينة يختلفون عن غيرهم من أفراد الجماعات الأخرى ككل، من حيث: نقائهم وراثياً، بمعنى: أنهم كجماعة لم يتعرضوا لما تعرض له غيرهم، من تداخل بين السلالات المختلفة".⁽³⁾

(1) انظر: العقيدة اليهودية وخطرهما، د. سعد الدين صالح: ص 290-293.

(2) الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 154.

(3) تجسيد الوهم، دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية، قدري حفني: ص 87.

ويترتب على ذلك: أن الذي يسلم بنقاء تلك الجماعة، من حيث: وراثة الخصائص البدنية، فالأولى -وذلك هو الهدف- أن يسلم بنقاؤها كذلك، من حيث: القدرات العقلية، والخصائص النفسية.⁽¹⁾

ثانياً: أصل عقيدة التمييز العنصري عند اليهود.

يرجع اعتقاد اليهود بتمييزهم عن سائر البشر إلى فجر التاريخ، منذ آدم عليه السلام حيث يقولون: إن أحد أبناء آدم عليه السلام كان ضالاً، وكان الآخر مهتدياً، ومن المهتدي ينحدر بنو إسرائيل، ثم يصل التاريخ إلى نوح عليه السلام، فيدعون أن الله رضي على ابنه سام، وغضب على حام وأبنائه، وهم تناسلوا من سام، ثم يصل إلى إبراهيم عليه السلام، حيث يدعي اليهود أن إسماعيل عليه السلام قد حرم من البركة، وحقت عليه اللعنة؛ بينما يحصل إسحق عليه السلام على البركة والرضا من الله، ومن إسحق عليه السلام يأتي يعقوب عليه السلام وعيسو؛ ولكن يعقوب عليه السلام حصل على البركة، وهم يتناسلون من يعقوب عليه السلام، وهكذا فهم جنس مبارك، منذ بدء الخلق -كما يزعمون-.⁽²⁾

ومن النصوص التي تدل على ذلك الاعتقاد: ما جاء في سفر التكوين: "وَأَبْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلَاحًا وَعَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ حَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافِثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشِيَ إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَ عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: "مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخَوْتِهِ". وَقَالَ: "مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحَ اللَّهُ لِيَاْفِثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ".⁽³⁾

لقد نسي من كتب هذا النص، أو تناسى، أن الكنعانيين ساميون: لغة، وجنسا، وأنهم قد سبقوهم إلى فلسطين، وأن العبرانيين إنما كانوا غرباء عليها، يوم أن كان الكنعانيون أصحابها الأصليين، يسكنونها منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، ولو فرض جدلا صحة هذه الرواية؛ لكان من العدل والمنطق ألا تصب لعنة نوح عليه السلام حفيده البريء "كنعان"؛ بل المفروض أن يدعو على ابنه الخاطئ "حام".

أما لماذا اختار كاتب سفر التكوين كنعان، ولم يختار حام، رغم أنه الخاطئ في ظنه؟ ولم يختار حفيده كنعان لحمل وزر أبيه المزعوم، دون إخوته الذين تروي التوراة أنهم: "كوش،

(1) انظر: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(2) انظر: العقيدة اليهودية، سعد الدين صالح: ص 286.

(3) سفر التكوين: 20/9-27.

ومصريهم، وفوظ⁽¹⁾، فالجواب على ذلك واضح، فالكنعانيون هم المقصودون بأعيانهم؛ لأنهم أصحاب فلسطين التي لبث بنو إسرائيل دهوراً يحملون بها؛ لما تفيض به من لبن وعسل.⁽²⁾

ثالثاً: الأدلة على التمييز العنصري عند اليهود:

أ- الأدلة من العهد القديم على التمييز العنصري عند اليهود:

1- ما ورد في سفر التثنية: "لأنك أنت شعب مقدس للرب الهك. إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً خاصاً من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم".⁽³⁾

2- ما ورد في سفر التثنية أيضاً: "لا تقرض أخاك برئاً، ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقرض برئاً، للأجنبي تقرض برئاً، ولكن لأخيك لا تقرض برئاً، ليباركك الرب الهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها".⁽⁴⁾

هذا النص أيضاً واضح وصريح في تحريم الإقراض بالربا للأخ، والمقصود بالأخ أي:

من بني إسرائيل، مقابل الأجنبي الذي ليس من بني إسرائيل.

3- ما ورد في سفر اللاويين: "أنا الرب الهكم الذي ميزكم من الشعوب... وتكونون لي قديسين لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي".⁽⁵⁾

ب- الأدلة من التلمود على التمييز العنصري عند اليهود:

يتضمن التلمود نصوصاً ذات أبعاد عنصرية، من خلال إعطاء اليهود مكانة مميزة لا

يضاهيهم بها أحد من الناس؛ فهم وحدهم شعب الله المختار؛ الأمر الذي حمل اليهود على التفكير بالنفوق والتعالي فوق غيرهم من البشر⁽⁶⁾، ومن هذه النصوص:

1- "لو أنه (الإسرائيلي) كان ينوي أن يقتل حيواناً؛ لكنه قتل رجلاً، أو أنه أراد أن يقتل أحد الأغيار؛ لكنه قتل إسرائيلياً فإنه لا يكون مسؤولاً".⁽⁷⁾

(1) سفر التكوين: 6/10.

(2) انظر: بنو إسرائيل، د. مهران: 218/3.

(3) سفر التثنية: 6/7.

(4) سفر التثنية: 20-19/23.

(5) سفر اللاويين: 26-24/20.

(6) انظر: التلمود البابلي: مركز دراسات الشرق الأوسط: 51/1.

(7) المصدر السابق: 114/13.

- 2- "الكل متفقون بأنه عندما يجامع العبد أو الوثني بنت الإسرائيلي، فإن الطفل الذي يولد من هذا الجماع يعتبر ابن زنا".⁽¹⁾
- 3- "لا يجوز أن يقبل أحد من الإسرائيلي "القطيع الحديدي" (الاستثمار مع المناعة الكاملة للمستثمر)؛ لأن ذلك من الربا؛ ولكن يجوز قبول ذلك من غير اليهودي (الوثني أو الأغيار)، ويجوز أن يقترض منهم، أو يعيرهم، مع مبدأ الفائدة (الربح)، ونفس الشيء ينطبق على الغريب المقيم".⁽²⁾
- 4- "يجوز للإسرائيلي أن يقرض الوثني مالا مع الفائدة، مع علم الوثني؛ ولكن ليس للإسرائيلي".⁽³⁾
- 5- "عندما تكون المسألة مسألة حياتهم، أو حياة الغرباء، تحتل حياتهم الأسبقية، وعندما تكون ماشيتهم، أو ماشية الغرباء، تحتل ماشيتهم الأسبقية على ماشية الغرباء، وعندما يكون ماء غسلهم، أو ماء غسل الغرباء، يحتل ماء غسلهم الأسبقية على ماء غسل الغرباء".⁽⁴⁾
- 6- "لا يجوز إعطاء الماشية لراع وثني، ولا أن يُتْرَكَ أحدٌ لوحده معهم، ولا أن يوثق فيهم لتعليم الطفل، أو ليتعلم التجارة أو الصنعة، ولا يجوز بيعهم الأسلحة أو معداتها، ولا أن يبيع لهم قيود الرقبة، أو الحبال، أو الأغلال الحديدية".⁽⁵⁾
- 7- "لا يجوز لأحد أن يبيع لهم (الوثنيون) الدببة، أو الأسود، أو أي شيء يؤدي عامة الناس".⁽⁶⁾
- 8- "لا يجوز للمرأة الإسرائيلية أن تكون قابلة (مولدة) لامرأة وثنية؛ لأنها سوف تساعد على إنجاب طفل للوثنية؛ لكن المرأة اليهودية يجوز لها أن تكون قابلة (مولدة) للمرأة الإسرائيلية".⁽⁷⁾
- 9- "الأغراض التالية العائدة للوثنيين هي محرمة: الحليب الذي حلبها الوثني، دون أن يراقبه الإسرائيلي، خبزهم، وزيتهم".⁽⁸⁾

(1) المصدر السابق نفسه: 61/8

(2) المصدر السابق نفسه: 309/11.

(3) التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط: 309/11.

(4) المصدر السابق: 126/9.

(5) المصدر السابق نفسه: 298/13.

(6) المصدر السابق نفسه: 299/13.

(7) المصدر السابق نفسه: 311/13.

(8) المصدر السابق نفسه: 325/13.

10- "إذا نطح ثور الإسرائيلي ثور الغريب (غير اليهودي) فإنه يعفى من التعويض؛ أما إذا نطح ثور الغريب ثور الإسرائيلي فإن الغريب يدفع تعويضاً كاملاً للإسرائيلي".⁽¹⁾

رابعاً: من أقوال فقهاء اليهود وفتاواهم العنصرية:

ذهب بعض الحاخامات إلى أن اليهود وحدهم هم البشر؛ أما بقية الشعوب فهم بهائم وحيوانات، والأساس الفكري لهذا الاتجاه يقوم على التفضيل الجوهرى للشعب اليهودي على غير سائر الخلق؛ فالاختيار الإلهي لهذا الشعب له حقيقة مطلقة، ومسلم بها؛ فاليهود أفضل من

اليهود في طبيعتهم وتكوينهم، وفي كل شيء؛ لأنهم شعب الله دون غيرهم.⁽²⁾
ومن أقوال الحاخامات وفتاويهم في ذلك:

1- حرم علماء اليهود في التلمود على اليهود مؤاكلة الأجانب، الذين على غير ملتهم، وحرّموا عليهم أكل اللحوم من ذبيحة من لم يكن على دينهم، وحرّموا عليهم مناكحتهم، مع أن توراتهم حرمت عليهم مناكحتهم لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر، دون تحريم المأكولات، فقد جاء في سفر التثنية: "وأوصى الشعب قائلاً: أنتم ما رؤونَ بثُحْمٍ إِخْوَتَكُمْ بَنِي عِيسُو السَّاكِنِينَ فِي سَعِيرَ، فَيَخَافُونَ مِنْكُمْ فَاحْتَرَزُوا جِدًّا. لَا تَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ، لِأَنِّي لَا أُعْطِيكُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَا وَطْأَةً قَدَمٍ، لِأَنِّي لِعِيسُو قَدْ أُعْطِيتُ جَبَلَ سَعِيرَ مِيراثًا. طَعَامًا تَسْتَرُونَ مِنْهُمْ بِالْفِضَّةِ لِتَأْكُلُوا، وَمَاءً أَيْضًا تَبْتَاغُونَ مِنْهُمْ بِالْفِضَّةِ لِتَشْرَبُوا".⁽³⁾

هذا النص واضح في دلالاته، على أن المأكول يباح لليهود تناوله من غيرهم من الأمم؛ لأن بني عيسو كانوا كفارا عابدي أصنام؛ إلا أن الأحبار أوهموه أن المأكولات والمشروبات، إنما تحل إذا استعملوا فيها العلم الذي نسيوه إلى الله تعالى، وإلى موسى عليه السلام، وسموه (علم الذباجة)، وزعموا أن سائر الأمم لا يعرفون هذا، وأنهم وحدهم شرفهم الله بهذا، فصار أحدهم ينظر إلى من ليس على ملتهم، كما ينظر إلى الحيوانات، وينظر إلى المآكل التي تأكلها الأمم، كما ينظر إلى العذرة، وصيد الموتى، وغير ذلك من الأشياء القذرة التي لا يسوغ لأحد أكلها.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ المصدر السابق نفسه: 281/13.

⁽²⁾ انظر: التلمود البابلي: مركز دراسات الشرق الأوسط: 51/1.

⁽³⁾ سفر التثنية: 6-4/2.

⁽⁴⁾ انظر: بذل المجهود، السموتل: ص 188-189، ص 198.

2- جاء في سفر التثنية: "لَا تَأْكُلُوا جُنَّةً مَّا. تُعْطِيهَا لِلْغَرِيبِ الَّذِي فِي أَبْوَابِكُمْ فَيَأْكُلُهَا أَوْ يَبِيعُهَا لِأَجْنَبِيٍّ، لِأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ".⁽¹⁾

ونقل السموتل قول علماء اليهود فيما ورد في سفر الخروج: "وَلَحْمَ فَرِيَسَةٍ فِي الصَّخْرَاءِ لَا تَأْكُلُوا. لِلْكَلابِ تَطْرَحُونَهُ"⁽²⁾ أن معناه: إذا ذبحتم ذبيحة، ولم توجد فيها هذه الشروط، فلا تأكلوها؛ بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم، ومعنى ذلك أنهم فسروا "للكلب ألقوه"، أي: لمن ليس على ملتكم أطمعوه وبيعوه".⁽³⁾

3- "يقول الأبحار: إذا مات الخادم أو الخادمة، فليس هنالك صف يقف للتعزية، وفي موت العبيد لا يقر الأبحار هذه العادة".⁽⁴⁾

4- ورد عن الرابي إيعيزر عندما ماتت خادمته، وجاء الناس يعزونه فيها: "ليس هنالك كلمات ترحم تقال عليهم"، ولما سئل ماذا يمكن أن يقال في تعزية العبيد عند موتهم؟ قال: يقال عنهم نفس الشيء الذي يقال للرجل عند موت ثوره أو حماره (يعوض الرب عليك خسارتك)."⁽⁵⁾

5- "كان راب لا يعبر الجسر عندما يكون هنالك وثنيا جالسا عليه".⁽⁶⁾

6- وقال الرابي مناحيم: "أيها اليهود: إنكم من بني البشر؛ لأن أرواحكم مصدرها روح الله؛ أما سائر البشر فليست كذلك؛ لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة".⁽⁷⁾

7- وقال الحاخام أبارانيل: "المرأة غير اليهودية من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان؛ ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم؛ لأنه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلا ونهارا حيوان، وهو على صورته الحيوانية، كلا، ثم كلا؛ فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية، فإذا مات خادم اليهودي، أو خادمته من النصرى، فلا يلزم أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنسانا؛ ولكن بصفة كونه فقد حيوانا من الحيوانات المسخرة له".⁽⁸⁾

⁽¹⁾ سفر التثنية: 21/14.

⁽²⁾ سفر الخروج: 31/22.

⁽³⁾ بذل المجهود، السموتل: ص 193-194.

⁽⁴⁾ التلمود البابلي: 58/2.

⁽⁵⁾ المصدر السابق: 58/2.

⁽⁶⁾ المصدر السابق نفسه: 44/3.

⁽⁷⁾ همجية التعاليم اليهودية، الأب بولس حنا مسعد: ص 68.

⁽⁸⁾ المصدر السابق: ص 69-70.

8- جاء في البروتوكول الخامس عشر: "وعقل الأممي لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة، فغير قادر على تحليل أي شيء وملاحظته، فضلا عن التكهن بما قد يؤدي إليه امتداد حال من الأحوال، إذا وضع في ضوء معين، وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأميين، هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله، وأنا ذوو طبيعة ممتازة، فوق الطبيعة البشرية، حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي عند الأميين".⁽¹⁾

هذه بعض الأمثلة على التمييز العنصري عند اليهود، وقد أوجزها القرآن الكريم، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75].

سادساً: مناقشة عقيدة التمييز العنصري.

هناك ردود كثيرة على عقيدة التمييز العنصري عند اليهود، منها:

1- يكفي أن توجد هذه العقيدة في كتاب مُحَرَّف هو العهد القديم، فمجرد وجودها فيه دليل على بطلانها، فقد شحن العهد القديم المحرف بالمشاعر التي كان يشعر بها اليهود، أثناء التشرد والاضطهاد الذي حل بهم.

2- إن الله سبحانه وتعالى ليس قريبا لأحد، ولا يحابي أحدا على حساب أحد، فالكل أمامه سواء؛ ولكن اليهود بهذه الادعاءات الباطلة يحاولون الطعن في عدالة الله، حيث يميز جنسا على جنس، هذا التمييز ليس لجنس أطاع الله والتزم بأوامره؛ بل لجنس معاند مكابر، كفر بالله ويكتبه ويرسله، وقتل رسل الله، وحرف رسالتهم، فلو كان اليهود هم الجنس التقى المؤمن؛ لكان لهم الحق في ذلك، أما وحالهم هو هذا الحال، فلا يمكن قبول هذه الدعوى الباطلة، لا عقلا، ولا نقلا؛ لأن الله لا يفضل أحدا على أحد إلا بالنقوى والعمل الصالح: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

فالله تعالى لا يفضل الإنسان على أساس جنسه أو لونه؛ وإنما على أساس عمله وطاعته وتقواه (وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ).⁽²⁾

3- قول اليهود: إنهم من طينة أخرى غير طينة البشر، أو أنهم جزء من الله، هو خرافة لا أساس لها من الصحة، فالكل من آدم، وآدم من تراب: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا

⁽¹⁾ بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي: ص 177-178.

⁽²⁾ صحيح مسلم، كتاب (الذكر والدعاء والتوبة)، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر): 4/ 2074، حديث رقم (2699).

نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: 55]، فليس لأحد فضل بالعنصر؛ لأنه واحد، ولا باللون؛ لأن اختلاف الألسنة والألوان لا يخضع لاختيار الإنسان؛ وإنما هو مظهر من مظاهر قدرة الله، وآية من آياته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: 22].⁽¹⁾

4- إن الواقع اليهودي يكذب هذا الادعاء، حيث إن التجمع الصهيوني يضم مجموعتين أساسيتين هما: الأشكناز، والسفارد، ومجموعات صغيرة أخرى، فالمجموعة الأشكنازية ليست كيانا متجانسا؛ إذ تضم داخلها يهودا من شرق أوروبا، ويهودا من وسط أوروبا، ويهودا من غربها، بالإضافة إلى يهود من الولايات المتحدة، وكندا وأستراليا وأمريكا اللاتينية، وتضم كل من تلك الجماعات أقليات مختلفة، فجماعة يهود غرب أوروبا تضم يهودا من فرنسا، وهؤلاء مختلفون عن يهود هولندا، ويهود إيطاليا، ويهود إنجلترا، واصطلاح "سفارد" يشير إلى اليهود الذين يتبعون التقاليد السفاردية، في العبادة (ومن بينهم يهود هولنديون، وإيطاليون، وإنجليز)، ويشير أيضا إلى اليهود الذين جاءوا من شبه جزيرة أيبيريا.

وهناك مجموعات يهودية صغيرة أخرى، ومنها مثلا:

أ- يهود الهند: وهي جماعات يهودية متباينة، تعاني من التفرقة العنصرية.

ب- يهود جورجيا: الذين كانوا يقطنون في دولة جورجيا، وهم يعانون أيضا من التفرقة العنصرية.

ج- اليهود القراءون: وهم أتباع فرقة دينية يهودية، تأسست في العراق في القرن الثامن الميلادي، وانتشرت أفكارها بين كل الجماعات اليهودية في العالم.

د- يهود الفلاشا: وهم يهود "إثيوبيا"، الذين يصنفون ضمن اليهود تجاوزا، وقد تسبب وصول الفلاشا إلى الكيان الصهيوني في تفويض مقولة "الشعب اليهودي الواحد" إلى حد كبير.

هـ- العبرانيون السود: وهم أمريكيون سود، يؤمنون باليهودية، ويلتزمون بتطبيق الشريعة اليهودية.

و- العمال الوافدون: من الفلبين وتركيا، بديلا عن العمال الفلسطينيين الذين توقفوا عن العمل في الأراضي المحتلة، بعد انتفاضة الأقصى 2000، وقد بلغ عددهم ثلاثمائة ألف.

(1) انظر (1-3): العقيدة اليهودية وخطرها، د. سعد الدين صالح: ص 288-289.

فما الذي يجمع إذن بين يهود الهند، ويهود جورجيا، ويهود القرائين، ويهود الفلاشاه، والعبرانيين السود، والسفارد، بكل انتماءاتهم الدينية والعرقية المختلفة؟ وهل يمكن والحال كذلك الحديث عن "الشعب اليهودي الواحد"؟⁽¹⁾

5- لم تعد فكرة النقاء العنصري للجنس اليهودي هي السائدة الآن. لقد كانت لفترة من الوقت ثم خفت صوتها، وتراجعت عن مركز الصدارة أمام تقدم فروع معينة من التخصص العلمي، كالأنثروبولوجيا وعلم النفس، وإن كان ذلك لا يعني اندثار تلك الفكرة نهائياً، فهي ما زالت ضمن تراث أفكار العامة من اليهود، أو من غير اليهود.⁽²⁾

6- ذهب عالم الأنثروبولوجيا السويسري يوجين بينار إلى أن اليهود جميعاً بعيدون عن الانتماء إلى عنصر يهودي، ولا يمكن اعتبارهم اليوم أعضاء في مجموعة بشرية، متحدة العنصر، ولا حتى يهود فلسطين، فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية، انضمت إليها في جميع العصور أخلاط من أجناس مختلفة، قد جاؤوا من كل الآفاق التي يعيش فيها البشر، فمنهم "الفلاشة" الأحباش، ومنهم اليهود الألمان، الذين تتوفر فيهم نفس المميزات العضوية لسائر أبناء الجنس الجرمانى، ومنهم يهود "التاميل"، وهم: يهود سود البشرة من الهند، كما أن منهم اليهود الخزر من الجنس التركي.⁽³⁾

والتحولات الفردية لا حصر لها؛ لأن الدين اليهودي لم يقتصر انتشاره على بني إسرائيل وحدهم؛ ولكنه انتشر أيضاً بين سكان فلسطين، سواء كانوا من العرب الكنعانيين، أم من الفلسطينيين، أم من الفينيقيين؟ أم من الأرميين.

ومعنى ذلك: أن الإسرائيليين اختلطوا بغيرهم من الأجناس الأخرى، وأن غير الإسرائيليين اعتنقوا الديانة اليهودية، ومن هنا: فليس من السهل العثور على إسرائيلي حقيقي لحما ودما.⁽⁴⁾

(1) انظر: التجانس اليهودي، د. المسيري: ص52-55.

(2) انظر: تجسيد الوهم، قدرى حفني: ص88.

(3) انظر: أبحاث في الفكر اليهودي، حسن ظاظا: ص104، نقلاً عن الأجناس البشرية والتاريخ، يوجين بينار، الفصل الرابع، من الجزء الثالث: اليهود، ص431-432، وأباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة، الدين والدولة، إبراهيم أبو داه: ص95.

(4) انظر: العقيدة اليهودية وخطرها، د. سعد الدين صالح: ص294-295.

المطلب الثالث

الأنانية وحب الذات عند اليهود.

أولاً: الأدلة القرآنية على الأنانية وحب الذات عند اليهود:

1- قوله تعالى-مخبرا عن إخوة يوسف، وهم بنو إسرائيل-: ﴿اقتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9].

إن هذا الحسد من بني إسرائيل الأوائل لأخيهم من أبيهم يوسف عليه السلام، ومحاولتهم قتله، ثم الاكتفاء بإلقائه في الجب ليلتقطه بعض أصحاب القوافل السيارة؛ حتى يَخْلُ لهم وجه أبيهم، يدل على مدى أنانيتهم وانحرافهم الخلفي⁽¹⁾، فلا يريدون شريكا لهم مع أبيهم؛ بل يريدون أن يكون لهم وحدهم، ففكروا في قتل من يزاحمهم عليه ويشاركهم فيه، وهذه قمة الأنانية وحب الذات، فالأناني المريض يريد أن يكون كل شيء له، ومن ثم يحرص على أن يزيل كل من وقف أمامه، ويقضي على كل من حال بينه وبين تحقيق أنانيته.⁽²⁾

2- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18].

هذا الادعاء من اليهود يدل على نفسيتهم المريضة، والأنانية وحب الذات التي هم عليها، حتى في علاقتهم مع الله تعالى، فقد جعلوا "رب العالمين" حكرا عليهم من دون الناس، ولا يريدون أن يشاركهم أحد في محبة الله تعالى.

3- وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًَا عَظِيمًا﴾ [النساء: 53-54].

قال ابن كثير في تفسيره: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾؟! وهذا استفهام إنكار، أي: ليس لهم نصيب من الملك، ثم وصفهم بالبخل، فقال: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: لأنهم لو كان لهم نصيب في الملك والتصرف لما أعطوا أحدا من الناس -ولا سيما محمدا صلى الله عليه وسلم- شيئا، ولا ما يملأ "النقير"، وهو النقطة التي في النواة، في قول ابن عباس والأكثرين⁽³⁾.

وقال محمد رشيد رضا: "﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب؛ بل فقدوا الملك كله بظلمهم وطغيانهم؛ فإذا لا يؤتون الناس نقيرا، أي:

(1) انظر: مكايد يهودية، الميداني: ص 21.

(2) انظر: الشخصية اليهودية، د. صلاح الخالدي: ص 128.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 336/2.

ولو كان لهم نصيب من الملك لسلخوا فيه طريق البخل والأثرة، بحصر منافعه ومرافقه في أنفسهم، فلا يعطون الناس نقيرا منه إذ ذاك، والنقير: هو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمر، وهي الثقبية التي تنبت منها النخلة. وحاصل المعنى: أن هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة، وشح مطاع يشق عليهم أن ينتفع منهم أحد من غير أنفسهم، فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره، فكيف لا يشق عليهم أن يظهر نبي من العرب، ويكون لأصحابه ملك يخضع لهم فيه بنو إسرائيل".⁽¹⁾

4- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]

يقول د. صلاح الخالدي -في تعليقه على هذه الآية-: "اليهود أنانيون، يريدون أن يجعلوا كل النعم موقوفة عليهم، وكل الخير محتكرا فيهم، حتى الجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين المتقين لم تسلم من أنانية يهود واحتكارهم، لقد جعلوها وقفا على اليهود فقط، وحكرا عليهم، ومنعوا الآخرين منها، وحرموهم دخولها".⁽²⁾

ثانياً: اليهود و البارانويا.

- المقصود بالبارانويا:

"هو اضطراب عقلي يتميز المصاب به بخصال أبرزها: الشك، والارتياب، والحسد، والشعور بالاضطهاد، وإساءة فهم أي ملاحظة، أو إشارة، أو عمل يصدر عن الآخرين، حتى إن المرء يتوهم أن ذلك كله لا يعدو أن يكون سخريه منه، أو ازدراء له، وكثيراً ما تؤدي هذه الحالة إلى اتخاذ المصاب مسالك تعويضية توقع في نفسه أنه عظيم الشأن، ومتفوق على الآخرين، وعليم بكل شيء، ومن المصابين بجنون الارتياب من يتوهم أنه نبي عظيم، أو مخترع كبير، أو شاعر لا يشق له غبار، وجنون الارتياب مرض مزمن يتسم بـ(الوهام Delusio)، وهي مجموعة من الأفكار الضلالية يعتنقها المريض، ويؤمن إيماناً وثيقاً بتعرضه للاضطهاد والملاحقة، ويفسر سلوك الآخرين تفسيراً يتسق وهذا الاعتقاد".⁽³⁾

⁽¹⁾ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا: 129/5-130.

⁽²⁾ الشخصية اليهودية، د. صلاح الخالدي: ص 137-138.

⁽³⁾ صحيفة الشرق، العدد 305، ص 20، الصادرة بتاريخ 4/10/2012

وقد أكد عالم النفس "فرويد"⁽¹⁾ أن اليهود لديهم مرض البارنويا، وأن هذه البارنويا اليهودية بدأت منذ اعتقادهم أنهم شعب الله المختار؛ ولذلك لم يكونوا بحاجة إلى النازي هتلر لكي يتحولوا إلى مرضى بالبارنويا (جنون العظمة)؛ ولهذا فإن الأسر النازي لم يفعل سوى إيقاظ البارنويا اليهودية الكامنة والمكبوتة في ذل الشتات اليهودي، والمقنعة بمظاهر الذل والخنوع إليهم، ولا غرابة في ذلك؛ حيث إن احتقار الأغيار (الشعوب غير اليهودية) هو من التعاليم التلمودية الأساسية لدى اليهود، وقد شكل هذا الجانب المرضي لدى اليهود عبر التاريخ عاملاً أساسياً، هما:

- العامل الأول: الدين والإيمان اليهودي:

حيث يمثل عنصر الدين والإيمان اليهودي الارتباط الوحيد بين اليهود المعاصرين، وذلك بغض النظر عما إذا كان هذا الإيمان يقتصر على التبرع لما يسمى "إسرائيل"، (بوصفها تجمع شعب الله المختار)، أم كان يصل إلى حدود التمسك المتشدد بتعاليم التلمود.

- العامل الثاني: التنشئة الأسرية:

إن الطفل اليهودي منذ اللحظة الأولى من حياته يعيش أجواء أسرية مليئة بالأساطير والبطولات والتراث المتعالي على الآخر؛ لكنه وعندما يخرج من هذه الأجواء السامية يجد نفسه محقراً، على عكس إحياءات التفوق التي أمده بها الجيتو، وهذا التناقض يولد نوعاً من التمرد النرجسي الذي يدفع لاحقاً باليهودي إلى خوض المنافسات العنيفة إثباتاً لذاته، وانتصاراً لإحياءات تربيته، ولو كانت هذه على حساب الغير، وهذه المناسبة في ضوء التحليل النفسي تبين أن الطفل اليهودي الذليل في المجتمع يحاول الدفاع عن هويته (الأنا) لديه، وهو لا يجد ولا يقبل وفق تربيته دفاعاً محايداً عن هذه الهوية؛ لذلك فهو ينخرط في هجوم عدواني مقنع مستتر على المجتمع الذي يحتقره، أو على كل ما هو آخر يعاديه، واستناداً إلى التراث اليهودي (الذي رُبِّيَ الطفل على أساسه)، فإن أقصر السبل وأهونها لتحقيق المنافسة والتفوق هو جمع قدر أكبر من المال؛ إذ إن للمال سلطة موازية تمكن صاحبه من اختراق سلطة المجتمع، وذلك برز قبل قيام دولة لليهود؛ ولكن بعد قيام هذه الدولة أضيف إلى قوة المال القوة والتفوق العسكري، وهي وسائل للمساعدة للحصول على الاعتراف، وبالتالي التمرد على الاحتقار.⁽²⁾

(1) هو سيجموند فرويد (1856-1939م)، مفكر من أعضاء الجماعة اليهودية في النمسا ومؤسس مدرسة

التحليل النفسي، وُلد في مدينة فرايبورج بمورافيا (الآن في التشيك)، وهي مدينة صغيرة في الإمبراطورية النمساوية، ويُعدُّ من أهم المفكرين الغربيين. موسوعة اليهود، د. المسيري: 437/3.

(2) انظر: الشخصية اليهودية الإسرائيلية، د. محمود سعادت: ص 88-89.

ثالثاً: فقدان الثقة لدى اليهود تجاه أنفسهم وتجاه الآخرين.

إن فقدان الثقة لدى اليهود تجاه بقية بني البشر نتيجة طبيعية للآثار المترتبة على استعلائهم على البشر، ومع تأصل هذا الداء الخطير في نفوسهم من كبر وغطرسة؛ انقلب الأمر على أنفسهم، فصاروا يتعالون على بعضهم البعض، حتى في العصر الحديث، ففي أرض فلسطين الآن يعيش العدو المحتل في عدة جماعات يهودية، مقسمة وفقاً لمبادئ عنصرية، مثل: الإشكناز، والسفارديم، واليهود العرب، وهذه الطوائف وغيرها الكثير، يختلف قربها وبُعدها عن مراكز السلطة والمال.

إن تلك النظرة المتعالية من اليهود تجاه البشر لازمتهم منذ القَدَم، وأفقدتهم الثقة بأنفسهم، وفي شريعتهم، وفي حُبّ البشر لهم، فازدادت الفجوة بينهم وبين غيرهم، وانغلق اليهود على أنفسهم كثيراً، وأصبحوا يتقاتلون فيما بينهم، وشاعت العداوة والبغضاء بينهم كما أخبرنا القرآن الكريم، وتفكك المجتمع اليهودي، فهو شتات من عدة مجتمعات وأجناس ولغات واتجاهات فكرية مختلفة، فليس بينهم وحدة التاريخ، ووحدة الأرض، ووحدة الاقتصاد، ووحدة اللغة، ووحدة التكوين السيكلوجي المشترك.⁽¹⁾

لقد تحدث القرآن الكريم-في كثير من المواضع التي تتحدث عنهم- عن نزعة اليهود النفسية إلى التعالي على البشر؛ بل وتحولهم في كثير من الأحيان إلى التعالي على بعضهم البعض، والتشكيك في قدراتهم على أساس المال والسلطة، ومن الأمثلة على ذلك:

1- قوله تعالى في قصة طالوت: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 247].

ففي هذه الآية بيان مدى المجادلة والاستعلاء عند اليهود، والرفض لشريعة الله وحكمه وإرشادات نبيهم.

هذه الآية ترسم لقطة تصويرية غاية في الدقة والإيجاز، فقد حددت الملامح العامة لشخصية اليهود المريضة التي أصابها الغرور، فنسيت مع من تتحدث، وتجاهلت مع من تتجادل، فقالوا: (أنى)، وكأنهم يستفهمون، ولكنهم يتعجبون ويستنكرون، ثم يقررون مع أنفسهم (نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ)، ثم يأتي مقياس الغرور والاستعلاء والمفاضلة عندهم (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً

(1) انظر: التصوير القرآني للنفسية اليهودية، أيمن الصياد: ص71، والإسرائيليون من هم، قدرتي حفني: ص183.

مِنَ الْمَالِ). إن كل هذه المحاورات، وهذا الجدل، وهذا الشرط الذي وضعه اليهود هو شعور بالأنا المتضخمة، التي عادت عليهم بفقدان الثقة.⁽¹⁾

2- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 73].

يقول ابن كثير في تفسير {ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم} "أي: لا تطمئنوا وتظهروا سرهم وما عندكم إلا لمن اتبع دينكم، ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين، فيؤمنوا به، ويحتجوا به عليكم".⁽²⁾

فهذه الآية واضحة وصريحة في فقدان اليهود الثقة في غير أصحاب دينهم.

3- قوله تعالى: ﴿...بِأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: 14].

أي: عداوتهم فيما بينهم شديدة، تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين، وهم مختلفون غاية الاختلاف.⁽³⁾

4- ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

قال ابن كثير: "يعني: أنه لا تجتمع قلوبهم؛ بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائماً؛ لأنهم لا يجتمعون على حق".⁽⁴⁾

مثل هذه الآيات تبين حقيقة اليهود في فقدان ثقته حتى في اليهود أمثالهم، فهم معادون لبعضهم، غير متآلفين فيما بينهم.

رابعاً: أثر الإحساس بالأنا، والاستعلاء على البشر.

لقد كان للأناية وحب الذات والاستعلاء على البشر عند اليهود الأثر الأكبر في عدائهم للبشرية، فقد كانوا هم العدو الأول لكل بني الإنسانية، لا فرق بين مسلم أو نصراني أو وثني، فالكل عندهم سواء، حيث يعتبرون أنفسهم عنصراً ممتازاً خلق للحكم والسيادة والمُلك، وكل الناس بعد ذلك مجرد خدم وعبيد، خلقهم الله خصيصاً لخدمة الشعب المختار اليهود؛ بل إن اليهود ينظرون إلى كل بني البشر نظرة شنيئة، أي: أن الناس كالحوانات، لا حق لها، ولا

⁽¹⁾ انظر: التصوير القرآني للنفسية اليهودية، د. أيمن الصياد: ص 71.

⁽²⁾ تفسير ابن كثير: 59/2.

⁽³⁾ انظر: المصدر السابق: 75/8.

⁽⁴⁾ تفسير ابن كثير: 147/3.

حرمة، تُملك ولا تملك، تُخدم ولا تُخدم، فالناس عندهم كالأشياء بكل ما في الكلمة من معنى، جمادات لا حس لها ولا إرادة ولا فهم، وهي نظرة إجرامية تهدر حرمة الإنسان وحقوقه.⁽¹⁾

وبهذا يتبين ما لهذا المرض الذي عليه اليهود، من الأنانية وحب الذات، من خطورة على البشرية جمعاء، حيث ينظرون إليها نظرة حسد وحقد وعداوة وبغضاء، وحتى على اليهود أنفسهم، حيث يحب اليهودي نفسه فقط، ولا يجد في قلبه محبة حتى لإخوانه اليهود أمثاله، ومهما ظهر في الواقع من توحيد وتجمع لليهود فيما بينهم، فهو توحيد وتجمع للمصلحة، أو ضد أعداء اليهود من المسلمين، أما حقيقة الأمر فقلوبهم متفرقة، غير مجتمعة على المحبة، وأدق وصف لهذه الحالة هو وصف القرآن الكريم، حيث يقول الله عز وجل في ذلك: ﴿بِأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]

المطلب الرابع

أثر التمييز العنصري عند اليهود في التعامل مع الفلسطينيين

تقول الصحفية الأمريكية "فريدا أتلي" -في كتابها "العالم العربي"-: "تُصوّر إسرائيل في الولايات المتحدة عادة على أنها دولة ديمقراطية غربية الطراز، ومن الأمور المجهولة هنا بصورة عامة أن لإسرائيل قوانين تعسفية تقوم على التمييز العنصري، وتشبه كل الشبه قوانين النازيين في ألمانيا، والواقع أنه لم يوجد حتى الآن دولة مبنية بصورة صريحة وتامة -إلى هذه الدرجة- على أسطورة العرقية كإسرائيل".⁽²⁾

ويفسر "بن غوريون" هذا التمييز العنصري بقوله: "هذه ليست دولة يهودية فقط، حيث أغلبية السكان من اليهود؛ ولكنها دولة جميع اليهود حيثما وجدوا، ولكل يهودي يرغب في المجيء إلى هنا، إن هذا الحق موروث لمجرد كونه يهودياً".⁽³⁾

ويعترف "شاحك" بعنصرية اليهود تجاه الفلسطينيين فيقول: "ويعرف أي شخص يعيش في إسرائيل كم هي عميقة مواقف الكراهية والوحشية هذه تجاه الأغيار كافة، وكم هي منتشرة في وسط أكثرية اليهود الإسرائيليين، وهذه المواقف محجوبة عادة عن العالم الخارجي؛ ولكننا نجد أن أقلية مهمة من اليهود في إسرائيل وخارجها أصبحت تدريجياً، ومنذ إنشاء دولة إسرائيل وحرب 1967م، وصعود مناحم بيغن إلى السلطة أكثر صراحة حول مثل هذه الأمور، وبانت

(1) انظر: العقيدة اليهودية، د. سعد الدين صالح: ص 16.

(2) الإرهاب يؤسس دولة، الكيلاني: ص 154، نقلا عن كتاب "إسرائيل أمة مفتعلة، فرانتس شايدل: ص 291.

(3) قانون العودة وقانون الجنسية الإسرائيليان، أنيس قاسم: ص 31.

التعاليم اللإنسانية التي تُعتبر العبودية بموجبها القسمة والنصيب الطبيعي للأغيار تُقتبس علناً في إسرائيل في السنوات الأخيرة، حتى على شاشة التلفزيون من قبل المزارعين اليهود الذين يستغلون العمال العرب، وخصوصاً عمل الأولاد، ولقد استشهد زعماء غوش ايمونيم بالتعاليم الدينية التي تفرض على اليهود اضطهاد الأغيار، كتبرير لمحاولة اغتيال رؤساء البلديات الفلسطينيين، وكتفويض إلهي لخطتهم الخاصة بطرد العرب كافة من فلسطين".⁽¹⁾

ذلك التمييز العنصري اليهودي كان له أكبر الأثر في تعاملهم مع الفلسطينيين، منذ احتلالهم فلسطين 1948م، وظهر هذا الأثر واضحاً من خلال:

أ- القوانين العنصرية التي شرعتها ضد الفلسطينيين.

ب- الإجراءات والأعمال الهمجية التي قامت بها سلطات الاحتلال الصهيوني.

أولاً- القوانين والتشريعات التي شرعتها الحكومة الصهيونية ضد الفلسطينيين:

1- قانون العودة.

في العام 1950م صدر قانون العودة الذي نصت مادته الأولى على أنه "يحق لكل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل"، وهذا الحق غير محدد بزمن معين، وهو حق فطري لكل يهودي، ويمكنه استعماله في أي وقت يختاره؛ وبذلك فقد تجسد الدور الرئيس للدولة الصهيونية في تجميع يهود العالم في فلسطين المحتلة، ومن ثم منح حق الإقامة لأي يهودي يأتي إلى فلسطين؛ لأن هذا الحق ورثه عن يهوديته بزعمهم.

وهذا يعني: أنه يحق لكل شخص يهودي -مهما كانت جنسيته- أن يهاجر إلى الكيان المحتل، بغض النظر عن المكان والتاريخ اللذين ولد فيهما، وأن يحصل -حكماً، وبقوة القانون- على الجنسية اليهودية، في حين أن العرب الذين ولدوا في فلسطين، واقتلعوا من مواطنهم بالقوة وشردوا، يحرمون من حق العودة إلى أرض آبائهم وأجدادهم التي ولدوا فيها.⁽²⁾

ويتضمن قانون العودة تمييزاً واضحاً ضد العرب، كما يشكل مخالفة صريحة للقوانين والمواثيق الدولية، التي نصت على حق العودة، وأبرزها: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948م، والسياسية التي وضعت سنة 1966م، واتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين في

⁽¹⁾ التاريخ اليهودي، إسرائيل شاحاك: ص147.

⁽²⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: ص154، وقضية إسرائيل، دراسة في الصهيونية السياسية، روجيه جارودي: ص99، وعنصرية إسرائيل: فلسطينيو 48 نموذجاً، إعداد عباس إسماعيل: ص50.

زمن الحرب، واتفاقية إلغاء جميع أشكال التمييز العنصري 1965م، والعهد الدولي بشأن الحقوق المدنية ونص القرار 194، الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1948م.⁽¹⁾ وهكذا يظهر التمييز العنصري بوضوح في قانون العودة، بين صاحب الأرض وصاحب الحق، وهو الفلسطيني المهجر عن وطنه، والمغتصب للأرض، المحتل لها، فالأول: ممنوع عليه أن يعود إلى وطنه، والآخر مسموح له العودة بموجب هذا القانون، وشروط العودة فيه.

2- قانون الجنسية.

وهو القانون الذي قُدِّم إلى الكنيست، والذي جاء منسجماً ومكملاً للمبادئ العنصرية الواردة في قانون العودة، وتمت الموافقة عليه عام 1952م.

وقد نص هذا القانون على أن: "الجنسية اليهودية هي حق لكل مهاجر، بموجب قانون العودة، حتى قبل قدومه إلى الكيان المحتل".

ويعتبر هذا القانون تجسيداً للنزعة الاستيطانية الإحلالية الصهيونية، من حيث قبولها ازدواجية جنسية اليهود، وينطلق هذا القانون من مفهوم وحدة الشعب اليهودي، الموزع في جميع أقطار العالم؛ ولذا، فقد نص القانون على أن الحصول على الجنسية "الإسرائيلية" لا يتوقف على التنازل عن جنسية سابقة.

ولا تمنح الجنسية لسكان البلاد الأصليين؛ إلا إذا توفرت في طالبها شروط محددة، في مقدمتها: إثبات الإقامة في الكيان المحتل لفترة ثلاث سنوات، من إجمالي السنوات الخمس السابقة على تاريخ تقديم طلب الحصول على المواطنة.⁽²⁾

فعلى المواطن العربي الذي يريد الحصول على الجنسية اليهودية أن يثبت أنه ولد في البلد، وأنه عاش في المنطقة المحتلة، وأنه في إمكانه الحصول على مسكن دائم، وأنه ينوي الاستقرار نهائياً في البلد، ولديه معرفة كافية باللغة العبرية، وبعد استيفاء كل تلك الشروط، فإن عليه أن ينتظر حكم وزير الداخلية اليهودي بقبول أو رفض هذا الطلب.⁽³⁾ أما اليهودي، فإنه يكتسب الجنسية اليهودية بإحدى الطرق التالية⁽⁴⁾:

⁽¹⁾ انظر تفاصيل هذا القانون: حق العودة للشعب الفلسطيني، ومبادئ تطبيقه، رمضان بابادجي وآخرون: ص 6-57.

⁽²⁾ انظر: العنصرية الصهيونية، د. المسيري: ص 15، و موسوعة اليهود، د. المسيري: 7 / 124، والإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: ص 154، وعنصرية إسرائيل، عباس إسماعيل: ص 51.

⁽³⁾ انظر: العنصرية الصهيونية، د. المسيري: ص 18-19.

⁽⁴⁾ انظر: التفرقة العنصرية، السيد محمد عاشور: ص 36، والقضية الفلسطينية، د. سمر بهلوان: ص 257.

أ- بالعودة إلى الكيان اليهودي المحتل.

ب- بالإقامة فيه.

ج- بالمولد فيه.

د- بالتجنس.

فهذا القانون فيه التمييز واضح بين اليهودي المغتصب للأرض، والفلسطيني صاحب الأرض، فالأول له حق الجنسية؛ لأنه يهودي، وهذه-على زعمه- أرضه، والآخر ليس له ذلك الحق؛ لأنه ليس يهوديا، وهذه ليست أرضه وصدق الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمْتَ ضَيْرِي﴾ [النجم: 22]، أي: قسمة جائزة ظالمة.⁽¹⁾

3- قوانين الطوارئ والدفاع .

وهي القوانين التي أعلنتها الحكومة البريطانية في عام 1936م؛ لإضعاف المقاومة الفلسطينية للاستعمار، ثم أُضيفت إليها نصوص جديدة عام 1945م، وقد صادق الكنيست على تمديدها بعد إجراء بعض التعديلات، فأصبحت سارية المفعول في الدولة الصهيونية، وعُمِّم تطبيقها على المناطق المحتلة بعد يونه 1967م، فاستند إليها الكيان الصهيوني لمجابهة التحركات الشعبية الفلسطينية، وتتكون هذه القوانين المعروفة باسم (قوانين الدفاع) "حالة الطوارئ" 1945م من 170 مادة.⁽²⁾

وتخول هذه القوانين الحاكم العسكري صلاحيات واسعة جدا، سواء بالنسبة إلى الأشخاص، أو الممتلكات، ووفق هذه الأنظمة تتمكن السلطات العسكرية -ودون إعلان الأسباب الداعية إلى ذلك- من توقيف الأشخاص، وإغلاق بعض المناطق، ومصادرة الممتلكات، ومنع التجول، والإقامة الجبرية، وتحديد حرية التنقل، والطرده خارج البلاد، والمنع من العودة إلى البلاد، إضافة إلى القيود على حرية الاجتماع والصحافة.⁽³⁾

كما صدرت قوانين أخرى عرفت باسم (قوانين الطوارئ) "مناطق الأمن" سنة 1949م، من قبل الكيان الصهيوني؛ لإحكام رقابة الحكومة العسكرية اليهودية على السكان العرب، ولقد قامت السلطات العسكرية اليهودية بالاستفادة من تلك القوانين الدفاعية، وتم تقسيم المنطقة التي

⁽¹⁾ انظر: جامع البيان، الطبري: 525/22.

⁽²⁾ انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 124/7، والعنصرية الصهيونية، د. المسيري: ص23-24، والإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: ص154.

⁽³⁾ انظر: العنصرية الصهيونية، د. المسيري: ص23-24، والإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: ص154.

- يكون معظم سكانها عربا إلى مناطق عسكرية، ولا يستطيع أحد الخروج أو الدخول إلى تلك المناطق، دون تصريح مكتوب من السلطات العسكرية، يحتوي على شروط عديدة، مثل:
- يحق لحامل التصريح البقاء خارج المنطقة المغلقة، بين السادسة صباحا والثالثة ظهراً فقط.
 - لا يحق لحامل التصريح أن يدخل المستعمرات اليهودية، وهو في الخارج.
 - لا يحق لحامل التصريح أن يسافر إلا عبر هذا الطريق.
 - لا يعمل بهذا التصريح أيام السبت، والعطلات اليهودية.
 - لا يحق لحامل التصريح ترك المنطقة المغلقة؛ إلا للعرض المكتوب في التصريح.
 - لا يحق لحامل التصريح تغيير مكان سكنه، دون تصريح من القائد العسكري.⁽¹⁾
- 4- قوانين مصادرة الأراضي:**

منذ العام 1948م وسلطات الاحتلال تمارس سياسة مصادرة الأراضي العربية، تحت أشكال مختلفة وأسماء متعددة، فتارة باسم تطبيق قوانين وأنظمة الدفاع والطوارئ، وتارة باسم قانون استملاك الأراضي، ويبقى الهدف في كل الحالات واحداً، وهو: تجريد السكان العرب من أراضيهم، وجعلها في خدمة الاحتلال الإسرائيلي.⁽²⁾

ويسجل البروفيسور إسرائيل شاحاك⁽³⁾ واقعة مصادرة الأراضي العربية لمصلحة الحركة الصهيونية بقوله: "إن القانون الاشتراكي الإسرائيلي قائم من أجل نقل ملكية الأراضي لصالح مجموعة قوية هي: اليهود، لا لصالح مواطني إسرائيل فقط؛ بل لصالح اليهود أجمع، إنني أسمى ذلك عنصرية".⁽⁴⁾

ولم تتوقف سلطات الاحتلال أبداً عن مصادرة الأراضي العربية، وقد كانت إحدى محاولاتها بهذا الصدد في العام 1976م، حين قررت مصادرة آلاف الدونمات من منطقة

(1) انظر: العنصرية الصهيونية، د. المسيري: ص 23-28.

(2) انظر: الإرهاب يؤسس دولة: د. الكيلاني: ص 156.

(3) إسرائيل شاحاك: كاتب يهودي، ولد في وارسو عاصمة بولندا عام 1933م، وعاش تحت الحكم النازي، ثم وصل إلى فلسطين سنة 1945م، جاهد شاحاك ضد التفرقة العنصرية، حتى تعرض بسبب مواقفه هذه إلى إدانة الكنيسة الصهيونية له، وإلى هجوم الصحافة عليه. انظر: التفرقة العنصرية، السيد محمد عاشور: ص 49.

(4) الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: ص 156، نقلا عن صحيفة يديعوت أحرونوت، 14/11/1975م.

الجليل، وقد جاء رد عرب فلسطين المحتلة عام 1948م على هذا الإجراء شديداً وحازماً، جسده الأحداث التي وقعت في يوم الأرض 1976/3/30م.⁽¹⁾

ثانياً: الأعمال الهمجية التي قام بها الاحتلال الصهيوني ضد الفلسطينيين منذ احتلال فلسطين وحتى اليوم:

1- أساليب التعذيب:

وصف تقرير دولي -حول أساليب التعذيب اليهودية في أبريل 1970م- حالات كانت الكلاب البوليسية فيها تطلق على المسجونين العرب، وأيديهم مغلولة وراء ظهورهم، وكيف كانت السلطات اليهودية تضع أصابع المسجونين بين مفصلات الأبواب، ثم يتم إحكام غلق الأبواب على الأصابع المعتصرة، وكيف كانت تقتلع أظافر الأصابع بالكماشات، وكيف كان يحقن المسجونون بمحلول فيه مواد حريفة، وكيف كان الجنود الإسرائيليون يمسكون بأحد المساجين العرب، ويدخلون في قضييه أعواد الكبريت، وغير ذلك من الأساليب البربرية في التعذيب.⁽²⁾

ونشرت جريدة "الصندي تايمز" -بعد خمسة أشهر من البحث والتنقيب- تقريراً تفصيلياً عن وسائل التعذيب في الكيان الصهيوني، حيث وصفه التقرير بأنه تعذيب منظم، ممنهج، يتم من خلال "أساليب دقيقة"، مثل: الصدمات الكهربائية، والحبس الانفرادي في زنانات مبنية بشكل خاص، والاعتداءات الجنسية، وتعرض التقرير لكافة أجهزة المخابرات اليهودية، بدءاً من "شين بيت" إلى "لاتام" (إدارة المهمات الخاصة)، وانتهاءً بالمخابرات العسكرية.

وذكر التقرير وجود ستة مراكز للتعذيب: ثلاثة سجون في نابلس ورام الله وغزة، والمجمع الروسي في القدس، ومركزان آخران، مكانهما غير محدد.⁽³⁾

2- العقاب الجماعي.

ومن وسائل إرهاب السكان العرب: العقاب الجماعي، بالرغم من أن هذا العقاب يعد خرقاً لاتفاقية جنيف 1949م؛ إلا أن الكيان الصهيوني يستخدمه على نطاق واسع في المناطق المحتلة، ويتخذ هذا العقاب أشكالاً مختلفة ومتجددة منذ احتلال فلسطين عام 1948م حتى اليوم، ومن أمثلة العقاب الجماعي في منتصف السبعينات:

(1) انظر: المصدر السابق: ص 156.

(2) انظر: العنصرية الصهيونية، د. المسيري: ص 39-40 نقلاً عن صحيفة "الكريستيان ساينس مونيتور" في 1 مارس 1977م.

(3) انظر: المصدر السابق: ص 41-42 نقلاً عن جريدة "الصندي تايمز" اللندنية، عدد 19 يونيو 1977م.

أ- بعد إضراب مسالم في رام الله تم إلغاء كافة التصاريح لاستيراد أغنام من الضفة الشرقية، كما حرمت بلدية رام الله من الحصول على الأموال التي قام يجمعها المهاجرون الفلسطينيون في الولايات المتحدة.

ب- وفي عام 1976م، وبعد مظاهرة جماعية في رام الله أيضا فرض حظر التجول على سكان البلدة، البالغ عددهم 20000 نسمة، لفترة أحد عشر يوما، فيما عدا سويغات قليلة تتراوح بين ساعة إلى ثلاث ساعات.⁽¹⁾

ج- تقدم "موشي ديان" بفكرة جديدة للعقاب الجماعي، فبدلا من اختيار أسر بعينها لعقابها، اقترح حرمان أي مدينة في الضفة الغربية -تبدي مقاومة- من موارد الحياة الضرورية؛ لتوجيه ضربة مباشرة لسبل معيشة السكان العرب، كحرمانهم من الطعام ومنع أغنامهم من الرعي.

د- وجود خطة حكومية لفرض عقوبات اقتصادية، مثل: منع الكهرباء، والطعام، والأدوية، عن المدن المتمردة.⁽²⁾

ومن أمثلة العقاب الجماعي على سكان قطاع غزة في الفترة الأخيرة وحتى اليوم ما يأتي⁽³⁾:

1- في أي موجة تصعيد تحدث في قطاع غزة، تغلق حكومة الاحتلال الصهيوني معابر القطاع أمام حركة البضائع والأفراد، والبحر أمام الصيادين، وتشن غارات عشوائية؛ لتحول القطاع إلى سجن كبير تتساقط عليه القذائف.

2- يقول فضل المزيني، الباحث في دائرة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية في المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان إن الممارسة الأوسع لجريمة العقاب الجماعي لغزة تتمثل في الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة منذ 13 عاما، مشيرا إلى أن تقارير دولية معتمدة خلصت إلى أن الحصار جريمة عقاب جماعي.

3- وأوضح فضل المزيني أيضا أن العقوبات الجماعية الأخيرة، كانت لها تأثيرات كبيرة على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، مشيرا إلى حرمان مئات المرضى من الحق في الصحة وأضاف المزيني: "في العادة يتقدم 2200 طلب لمرضى يريدون مغادرة غزة لتلقي العلاج خارج حدود القطاع، فترفض السلطات الإسرائيلية منح نحو ثلثهم تصاريح خروج"، مشيرا إلى أنه في يناير الماضي، تقدم 1795 مريضا بتصاريح للسفر للعلاج رفضت إسرائيل منح 547 تصاريح

⁽¹⁾ انظر: العنصرية الصهيونية، د. المسيري: ص42-43 نقلا عن مجلة "تايم"، عدد 30، مايو 1977م.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: ص43-44 نقلا عن مجلة "تايم" عدد31، مايو 1977م.

⁽³⁾ انظر: شبكة العين الإخبارية [/https://al-ain.com](https://al-ain.com)

مغادرة.

4- وأكد المزيني أن العقاب الجماعي يقيد حرية السفر لعموم الفلسطينيين، حوالي مليوني فلسطيني في غزة يعاقبون جماعيا بسبب أفعال لم يرتكبوها.

5- وأشار المزيني إلى أنه عندما تغلق المعابر كلياً حتى العدد المحدود من السلع التي تدخل لغزة تقف تماماً، ما يؤدي لتوقف المصانع ومختلف المرافق عن العمل، ما يعكس على حرمان آلاف من العمال من العمل، وتابع: "حتى المنتجات الزراعية تتأثر سلباً من العقاب الجماعي"، مؤكداً أنه نتيجة هذه السياسة وصلت البطالة بغزة إلى 50% والفقر إلى 53%.

6- يمثل الصيادون الفلسطينيون واحدة من الحلقات الأكثر تضرراً من سياسة العقاب الجماعي ، فمع كل تصعيد ولو محدوداً يصدر إجراء بحقهم.

وقال زكريا بكر، رئيس اتحاد لجان الصيادين: إن العقوبات الجماعية المتعلقة بالبحر

تمس 4 آلاف صياد إضافة إلى 1000 آخرين مرتبط عملهم بالصيد كالتجار والحرفيين.

وأكد صلاح عبدالعاطي، رئيس الهيئة الدولية لدعم الشعب الفلسطيني (حشد) في حديثه لـ"العين الإخبارية"، أن القانون الدولي الإنساني يجرم العقوبات الجماعية، وأشار إلى أن ما تقوم به قوات الاحتلال بهذا الصدد يرقى إلى جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، خاصة إذا تزامنت إجراءاته ضد المدنيين مع منع إدخال البضائع والدواء، ومنع السفر، وبالتالي تترك نتائج كارثية على السكان، وأضاف: "إسرائيل حولت بجرائمها غزة لمنطقة منكوبة.. وهي مستمرة بجرائمها في ظل وجود دعم أمريكي لها، واستخدام الفيتو يوفر غطاء للاحتلال لمواصلة جرائمه.

عقوبات جماعية في الضفة.

إن توظيف إسرائيل لسياسة العقاب الجماعي لا يقتصر على قطاع غزة؛ بل يمتد إلى الضفة الغربية والقدس المحتلة، ومن أمثلة ذلك⁽¹⁾:

1- ما ذكره الباحث الحقوقي ياسر عبد الغفور قال: إن سياسة إسرائيل المتمثلة في هدم منازل ذوي الأسرى والشهداء الذين ينفذون عمليات فدائية، هو شكل من أشكال العقاب الجماعي التي يجرمها القانون الدولي، وتشكل انتهاكات فاضحة لاتفاقية جنيف الرابعة.

2- وأضاف عبد الغفور، في حديثه لـ"العين الإخبارية"، أن سياسة إغلاق المناطق وفرض التصاريح والحرمان من السفر، جميعها أشكال من العقاب الجماعي تمارسها قوات الاحتلال بمنهجية في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلى جانب سياسة الحصار، والقصف العشوائي التي تقترفها في قطاع غزة.

(1) انظر: شبكة العين الإخبارية [/https://al-ain.com](https://al-ain.com)

وأكد أن إسرائيل تستفيد من منافع الإفلات من العقاب الذي يوفره الدعم الأمريكي متعدد الأوجه، والصمت الأوروبي، وعجز المجتمع الدولي عن إيجاد آليات مناسبة تلزم الاحتلال بقواعد القانون الدولي، وهو ما يشجعها على اقتراف المزيد من الجرائم التي تطال نتائجها بشكل خاص المدنيين الفلسطينيين.

3- التمييز في المجال الاقتصادي.

لقد عمل الكيان الصهيوني على تدوير المجتمع الفلسطيني الريفي، من خلال تحطيم الاقتصاد الذي يعتمد عليه الفلسطينيون في معيشتهم، وتحويلهم من مزارعين وملاكين إلى عمال مأجورين؛ ليسهل اقتلاعهم من وطنهم؛ فالنسبة الكبيرة من الفلسطينيين الذين بقوا في بيوتهم وأراضيهم بعد الاحتلال الصهيوني هم من الفلاحين، وقد صادر الكيان الصهيوني المساحات الشاسعة من أراضيهم الزراعية، وكذلك قام بسياسة "تضخيم الضرائب" على الأرض؛ ليجبر الفلاحين الفلسطينيين على التخلي عن أراضيهم.

إضافة إلى ذلك، أصدر الكيان الصهيوني قرارات باعتبار بعض المناطق القروية مناطق "مدن"، مما يعني: رفع الضرائب على الأراضي في تلك المناطق، والهدف من تلك الضرائب هو: إجبار المواطن العربي على بيع أرضه لتسديد الضرائب.⁽¹⁾

وبصورة عامة فالوضع الاقتصادي للعرب يختلف اختلافاً جذرياً عن الوضع الاقتصادي للصهاينة؛ فالوجود الفعال للعرب ممنوع في المؤسسات التعاونية الزراعية، والشركات الصناعية المتعلقة بصناعة السلاح، كذلك لا يحق لهم الوجود في المنشآت الحكومية المهمة.⁽²⁾

4- التمييز في المجال السياسي.

تعد السلطات الصهيونية العرب في الكيان الصهيوني مواطنين مؤقتين، يجب التخلص منهم في أقرب وقت، ولم تعترف بأية حقوق سياسية أو نشاط سياسي لهم، مثل: تشكيل الأحزاب، وإصدار الصحف، وكل ما تسمح به الحكومة الصهيونية للعرب إنما هو الاختيار ما بين الأحزاب السياسية الصهيونية. كما أن العرب الفلسطينيين غير ممثلين تمثيلاً حقيقياً في أجهزة الحكم، حتى مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية يُختار من بين الصهاينة المتطرفين ضد العرب، ولو كان نظام الحكم القائم في الكيان الصهيوني غير عنصري لكان للأقلية العربية 88 نائباً في الكنيست (مجلس النواب الصهيوني)، وثلاثة وزراء في مجلس الوزراء، ومع ذلك

⁽¹⁾ انظر: الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، خالد القشطيني: ص 95-96.

⁽²⁾ موسوعة اليهود، د. المسيري: 7 / 125-126.

فإن عدد النواب العرب لم يتجاوز في الكنيست ثلث هذا العدد، ولم يحدث أبداً أن اشترك وزير عربي واحد في أي مجلس وزراء صهيوني.⁽¹⁾

ومن مجمل استطلاعات الرأي يتبين: أن أكثرية اليهود تنظر إلى فلسطينيي 48 بعين الريبة والشك، باعتبارهم خطراً على الكيان المحتل، وطابورا خامسا، وتؤيد إقصاءهم عن مواقع صنع القرار، وحتى عن المشاركة السياسية، ونيل الحقوق.⁽²⁾

ويبرز في السنوات الأخيرة شكل آخر وجديد من أشكال التمييز العنصري في الكيان الصهيوني، يتمثل في إقامة جدران للفصل بين الأحياء العربية والأحياء اليهودية، في عدد من

الأماكن المختلطة بين الجماعتين، وذلك وفق اعتبارات عنصرية.⁽³⁾

5- تدمير القرى والآثار الفلسطينية.

امتدت عملية تصفية الكيان الفلسطيني لتشمل الآثار التي تركها الفلسطينيون خلفهم أثناء خروجهم، ففي 1940م قال "دافيد وايتس" أحد كبار المسؤولين في الوكالة اليهودية: "لا يجب ترك قرية أو قبيلة دون تدميرها، وبذلك يمكن تحقيق الحكم الصهيوني بوجود أرض بلا شعب". وتم تدمير 385 قرية في فلسطين من مجموع القرى البالغ عددها 475، وقامت القوات المسلحة اليهودية بتدمير وإزالة أكثر من 10000 منزلا من منازل المواطنين، الذين يقاومون السلطة اليهودية في غزة والضفة الغربية، في الفترة من يوليو 1967م إلى ديسمبر 1972م.⁽⁴⁾

ثالثاً: طرد العرب (الترانسفير).

إن فكرة "الترانسفير"، أي: نقل أو ترحيل السكان الفلسطينيين، وهي التعبير عن طرد العرب، هي فكرة شائعة في الكيان الصهيوني المحتل، وما تزال تلقى رواجاً كبيراً بين اليهود، وهذا المفهوم راسخ في الصهيونية، ومتأصل في النظرة الصهيونية إلى كون أرض فلسطين حقا وراثيا لليهود، وإلى كونها ملكا حصريا لهم، وهذا ما يتبناه معظم اليهود في الكيان المحتل، وهذا يقود إلى الاستنتاج أن العرب غرباء، وأن عليهم أن يرحلوا؛ لذلك رافقت فكرة ترحيل العرب كل مراحل المشروع الصهيوني قبل تأسيس الدولة وبعده، فهذه الفكرة ذات جذور عميقة.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر: بحوث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية، الصهيونية حركة عنصرية، ص 98.

⁽²⁾ انظر: عنصرية إسرائيل، عباس إسماعيل: ص 43، نقلا عن "مواطنون بلا مواطنة": تقرير مدى السنوي الأول للرصد السياسي- إسرائيل والأقلية الفلسطينية 2000-2003م، نمر سلطاني: ص 101-123.

⁽³⁾ انظر: عنصرية إسرائيل، عباس إسماعيل: ص 43.

⁽⁴⁾ انظر: المصدر السابق: ص 46.

⁽⁵⁾ انظر: عنصرية إسرائيل، عباس إسماعيل: ص 69-71.

وبيّن تقرير المؤسسة العربية لحقوق الإنسان أن نسبة تأييد فكرة الترحيل القسري لفلسطينيي 48 بلغت بين اليهود 62%، وأن أكثر من 40% يؤيدون الفصل العنصري.⁽¹⁾

أ- النصوص التوراتية التي يعتمد عليها اليهود في فكرة طرد العرب وترحيلهم من وطنهم:

1- يوصي الرب موسى عليه السلام قائلاً: "فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سَكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمَحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مَرْفَعَاتِهِمْ".⁽²⁾

2- في التثنية: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِثِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ"⁽³⁾

ب- أقوال ومواقف زعماء اليهود في التخطيط لطرد العرب وترحيلهم عن وطنهم:

تبنى اليهود شعاراً أصبحوا يرددونه دائماً عن فلسطين، يقول: إن فلسطين "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وكان قد سبقهم إلى هذا الشعار اللورد البريطاني شافتسبري-الذي ناصر القضايا الصهيونية طوال حياته (1801-1885م)-؛ ولكن بعبارة قريبة ومشابهة، حيث كتب في مذكراته "...هناك بلد بلا شعب، والله يوجهنا الآن بحكمته ورحمته نحو شعب بلا وطن".⁽⁴⁾

وهذه بعض أقوال زعماء اليهود في التخطيط لطرد العرب وترحيلهم عن وطنهم:

1- قال هرتزل: "إن دولة اليهود يجب أن تشكل في فلسطين جزءاً لا يتجزأ من سور الدفاع عن أوروبا ضد آسيا، وقلعة للحضارة ضد البربرية... سنحاول إخراج السكان الأصليين عبر الحدود، وأن نجد لهم عملاً في البلدان التي نطردهم إليها، وأن ننكر عليهم العمل في بلادنا، وإذا انتقلنا لمنطقة توجد فيها حيوانات مقدسة لم يعتد اليهود عليها، كالأفاعي الكبيرة مثلاً، سنحاول استعمال الناس البدائيين للقضاء عليها قبل أن نجد لهم عملاً في البلاد التي يعبرون إليها".⁽⁵⁾

2- وقال بن جوريون-مخاطباً اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في يونيو 1938م-: "أويد الترحيل القسري، ولا أرى فيه شيئاً غير أخلاقي".⁽⁶⁾

⁽¹⁾ انظر: المصدر السابق: ص43، نقلاً عن على الهامش: التقرير السنوي لانتهاكات حقوق الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل للعام 2006، طارق إبراهيم، المؤسسة العربية لحقوق الإنسان.

⁽²⁾ سفر العدد: 33/52.

⁽³⁾ سفر التثنية: 7/1-2.

⁽⁴⁾ فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، بيان نويهض الحوت: ص295.

⁽⁵⁾ العنف في الأيديولوجية الصهيونية، حمد سعيد الموعد، مجلة الأرض، العدد الرابع، 1988م، وهي مأخوذة عن مصادر الإرهاب الصهيوني، شؤون فلسطينية، د. جورج طعمة، عدد 25 أيلول 1973م، ص250.

⁽⁶⁾ انظر: عنصرية إسرائيل، عباس إسماعيل: ص69، نقلاً عن (عرض كتاب فصول من التطهير العرقي في فلسطين، في صحيفة الحياة، لندن 19/4/2007م).

3- قال بن جوريون لابنه: "لا بد أن نطرد العرب، ونستولي على أماكنهم وأن نستعمل القوة، إذا اضطررنا إلى ذلك".⁽¹⁾

4- وكتب هرتسل في يومياته في 12/6/1895م: "عندما نحتل البلاد سنعمل سريعا على إفادة الدولة التي ستأخذنا، ويجب أن نستخلص ملكية الأرض التي ستعطي لنا؛ ولكن باللطف والتدريج سنحاول أن نشجع فقراء السكان على النزوح إلى البلدان المجاورة، وذلك بتأمين أشغال لهم هناك، ورفض إعطائهم أي عمل في بلدنا؛ أما أصحاب الأملاك فسيكونون بجانبنا، على أننا يجب أن نقوم بكلا العمليتين استخلاص الأرض، وإبعاد الفقراء بتعقل وحذر".⁽²⁾

ج- تنفيذ خطة طرد العرب.

وبعد مرحلة التأسيس والتخطيط لطرد العرب جاء دور التنفيذ، وذلك خلال حرب عام 1948 م، التي تميزت بالعمليات العسكرية، التي نفذها الصهاينة، وأهمها: الخطة "دالت"، والتي شملت عددا من العمليات التي بلغت ثلاث عشرة عملية، لكل منها مكان وزمان محدد، وتعرف المصادر الإسرائيلية الخطة "دالت" بأنها: أول خطة استراتيجية وضعتها الهاغاناه، بغرض احتلال مناطق على نطاق قطري واسع، والسيطرة عليها، ومن ضمن ما تهدف إليه: تطهير القرى العربية، وطرد العرب من المناطق المختلفة، وحتى من أحياء معينة، واستهدفت الخطة مدن صفد، طبريا، حيفا، تل الربيع، يافا، والقدس.⁽³⁾

لقد ثبت من خلال وثائق فرع الاستخبارات في وزارة الدفاع الصهيونية، التي تناولت موضوع هجرة العرب من فلسطين، في أثناء الفترة بين 1/12/1945م، والتي وقعت بين يدي بني موريس، ونشرتها مجلة "ميدل إيستشذر"، بأن العمليات العسكرية من قبل العصابات الصهيونية، كانت السبب المباشر في طرد 75% من السكان الذين غادروا فلسطين.⁽⁴⁾

ولقد تم توثيق أكثر من ثلاثين مجزرة، وتدمير 530 قرية فلسطينية، كان على أثرها ترحيل أكثر من 800 ألف فلسطيني عن أراضيهم عام 1948م؛ مما تسبب بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذين ما زالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم القديمة، ويتمسكون بحق العودة.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ التصور الصهيوني للترحيل: نظرة تاريخية عامة، نور الدين مصالحة، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد7، صيف 1997م، ص30.

⁽²⁾ يوميات هرتزل، إعداد: أنيس صايغ، ترجمة: هلدا شعبان صايغ: ص76.

⁽³⁾ حرب فلسطين 1947-1948م، الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، المقدمة.

⁽⁴⁾ انظر: الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير؟ شريف كناعنة: ص28-99.

⁽⁵⁾ انظر: عنصرية إسرائيل، عباس إسماعيل: ص69.

وهكذا يتضح من خلال ما سبق: أن فكرة طرد الفلسطينيين من ديارهم وأرضهم ووطنهم فكرة مؤصلة تأصيلا توراتيا، من الدرجة الأولى؛ حيث لا يقبل اليهود أن يعيش معهم شعب آخر في أرض واحدة؛ ولذلك كان عليهم أن يطردوا أصحاب الأرض الحقيقيين؛ ليعيشوا وحدهم على تلك الأرض، لا ينازعهم ولا يشاركهم فيها أحد.

المبحث الثاني

الانعزالية في الفكر اليهودي، وأثرها على الفلسطينيين

المطلب الأول

الجدور التاريخية للفكر الانعزالي عند اليهود.

أولاً: الانعزالية اليهودية.

1- المقصود بالانعزالية اليهودية:

يفسر د. المسيري الانعزالية اليهودية بأنها "عبارة تفترض أن اليهود يعيشون في حالة عزلة عن الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها... كما تُفسر أيضاً بأن اليهود لا يمكنهم الاندماج في مجتمعات الأغيار بسبب هويتهم أو شخصيتهم أو طبيعتهم أو تاريخهم أو جوهرهم اليهودي، ولا يختلف تفسير معادي اليهود لهذه الظاهرة عن تفسير الصهاينة، فاليهود بحسب تصورهم يعزلون أنفسهم عن الأغيار؛ لأن هذه هي طبيعتهم وشخصيتهم وهويتهم، وتتعكس هذه السمة في سلوكهم وتاريخهم".⁽¹⁾

هذه الانعزالية مترتبة على فكرة إيمان اليهود باختيارهم -إلى الأبد- دون سائر البشر، وتميزهم بقومية خاصة تجعلهم أفضل من سائر البشر.⁽²⁾

2- أدلة العهد القديم على الانعزالية اليهودية:

أ- جاء في سفر التكوين: "وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِعَبْدِهِ كَبِيرِ بَيْتِهِ الْمُسْتَوَلِيِّ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ لَهُ: ضَعْ يَدَكَ تَحْتَ فُجْدِي، فَاسْتَخْلِفْكَ بِالرَّبِّ إِلَهِ السَّمَاءِ وَإِلَهِ الْأَرْضِ أَنْ لَا تَأْخُذَ زَوْجَةً لَابْنِي مِنْ بَنَاتِ الْكِنَعَانِيِّينَ الَّذِينَ أَنَا سَاكِنٌ بَيْنَهُمْ".⁽³⁾

ب- وجاء في سفر عزرا: "لَمْ يَنْفَصِلْ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ وَالْكَهَنَةُ وَاللَّوِيُّونَ مِنْ شُعُوبِ الْأَرْضِ حَسَبَ رَجَاسَاتِهِمْ، ... لِأَنَّهُمْ اتَّخَذُوا مِنْ بَنَاتِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِبَنِيهِمْ، وَاخْتَلَطَ الزَّرْعُ الْمُقَدَّسُ بِشُعُوبِ الْأَرْضِ. وَكَانَتْ يَدُ الرُّوسَاءِ وَالْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الْخِيَانَةِ أَوْلَى".⁽⁴⁾

ج- وجاء في سفر اللاويين: "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي مَيَّرَكُم مِّنَ الشُّعُوبِ... وَتَكُونُونَ لِي قَدِيسِينَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّرْتُكُمْ مِّنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي".⁽⁵⁾

⁽¹⁾ موسوعة اليهود، د. المسيري: 66/2.

⁽²⁾ انظر: العنصرية اليهودية، أحمد الزغبى: ص 151.

⁽³⁾ سفر التكوين: 3-2/24.

⁽⁴⁾ سفر عزرا: 2-1/9.

⁽⁵⁾ سفر اللاويين: 26-24/20.

3- أسباب الانعزالية اليهودية:

أ- منع العالم من معرفة شيء عنهم.

كان اليهود وما يزالون يحرصون على العزلة عن أمم العالم؛ حتى لا تعرف الأمم عنهم شيئاً، إلا ما يسمحون هم بالاطلاع عليه، و يعتبر العهد القديم عندهم من الأسرار التي يجب ألا تتسرب إلى الجوييم، فلما قام أتباع المسيح عليه السلام بإبلاغها إلى غير بني إسرائيل بلغاتهم فكر اليهود في إنشاء مستودع فكري وديني آخر خاص بهم، ومن هنا جاءت فكرة الشريعة الشفوية (المشناة)، وتفاسيرها الخاصة (التلمود)، وأعطيت عندهم نفس الدرجة من القدسية التي للتوراة؛ بل أكثر؛ حتى تستمر في داخلها عزلتهم عن العالم ورفضهم الانفتاح على شعوبه.

وقد أخذ اليهود يتفرقون ويمعنون في البعد عن مراكز الاضطهاد إلى أبعد ما استطاعوا الوصول إليه من بلاد العالم، حيث عاشوا في هذا الشتات تزداد في نفوسهم عقدة الشعور بالاضطهاد، ويتضخم معها الحقد على أمم العالم، فلا يبقى لهم حل بعد ذلك إلا العزلة التي ألفت بهم في النهاية في الجيتو.⁽¹⁾

ب- رفض الاندماج في الأمم الأخرى.

تقوم العزلة التي فرضها اليهود على أنفسهم على التزمّت والتعصب الديني والعنصري، ورفض الاندماج في الأمم الأخرى، ومع استمرارها تزداد الأفكار الأسطورية، مثل: "شعب الله المختار"... "الشعب الأبدي"... "الشعب الأزلي"... "الشعب المقدس"، ويزداد تخوفهم ممن حولهم، وتخوف الناس منهم، مما أدى إلى العداوة المتبادلة بينهم وبين غيرهم.⁽²⁾

ج- اعتبار أنفسهم فئة منبوذة.

يحاول اليهود تقوية أنفسهم على اعتبار أنهم أقلية منبوذة، فيحاولون السيطرة على المجتمع من خلال السيطرة على مراكز السلطة والمال والإعلام، وحين ينتبه المجتمع المحيط بهم لهذه النوايا التسلطية يبدأ في حصارهم، مما يؤدي إلى استمرار العزلة وزيادتها، فمع العزلة تنمو الأفكار المرضية والمشاعر المرضية والسلوكيات المرضية، وهذا ما يظهر بوضوح، حيث تنمو الأفكار العنصرية والمشاعر العدائية في حارات اليهود وفي الجيتوهات وفي المستعمرات والمستوطنات.

وتجسيدا لهذا السلوك الانعزالي كان اليهود يبنون الحصون ذات الأسوار العالية لتكون لهم سكنى وحماية، وينعزلون في أماكن خاصة بهم، ويقاومون الاندماج مع غيرهم أو الانفتاح

⁽¹⁾ انظر: الشخصية الإسرائيلية: د. حسن ظاظا: ص70.

⁽²⁾ انظر: سيكولوجية الصهيونية، د. محمد المهدي: ص50.

على المجتمعات الأخرى، حتى معابدهم كانت أشبه بالقلع الحصينة بينونها على قمم الجبال ولا يسمحون لأحد بدخولها.⁽¹⁾

د - تخوفهم ممن يقترب منهم.

من المفارقات: أن اليهود لم يهتموا بدعوة الآخرين لدينهم؛ بل كانوا يتخوفون ممن يقترب منهم، حتى ولوعن طريق الدين الذي هو دعوة لهداية البشر دون تمييز.

وحين تأمروا لإقامة وطن لهم في فلسطين، بعد عصور طويلة من العزلة والشتات،

جاءوا ومعهم هذه الصفة المرضية، فبنوا المستعمرات المعزولة (المسماة خطأ بالمستوطنات)، ووضعوا الحواجز في كل مكان بينهم وبين الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين.

ولقد انتبه بعض مفكريهم إلى أن أرض فلسطين تتحول مع الوقت إلى جيتو ضخم

لليهود (تحت وهم الوطن القومي)، وإلى مصيدة يضع فيها اليهود أنفسهم بأنفسهم لكي يغرقوا في النهاية بفعل الطوفان البشري العربي والإسلامي، أو بفعل تغير موازين القوى الدولية

وعلاقات المصالح في يوم من الأيام.⁽²⁾

4- فترات العزلة التي مر بها اليهود:

الفترة الأولى:

ترجع التوراة تاريخ العزلة اليهودية الاختيارية إلى فترة إقامة بني اسرائيل في مصر،

حيث رسم لهم يوسف عليه السلام خطة الهجرة من أرض كنعان⁽³⁾، كما دبر لهم الإقامة في أرض

مستقلة بهم، مستغلا تقدير فرعون مصر له "فَكَلَّمَ فِرْعَوْنُ يُوسُفَ قَائِلًا: أَبُوكَ وَإِخْوَتُكَ جَاءُوا

إِلَيْكَ. أَرْضُ مِصْرَ قُدَّامَكَ. فِي أَفْضَلِ الْأَرْضِ أَسْكِنُ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ، لَيْسَ كُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ.

وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ دَوُو قُدْرَةٍ، فَاجْعَلْهُمْ رُؤَسَاءَ مَوَاشٍ عَلَى التِّي لِي".⁽⁴⁾

وما أن ذهب يوسف، وذهب النفوذ العبراني في الحكم، حتى كلفهم فرعون مصر

بالعمل كسائر المصريين في الزراعة والبناء، فاعتبروا هذا التكليف تعذيبا وعبودية، وفكروا في

الخروج من مصر، وجعلوا "يهوه" إلههم القبلي ينكل بالمصريين في صورة عمليات انتقامية، بدلا

من رد الجميل على إقامتهم بمصر لخمس قرون، نعموا خلالها بخيرات مصر، وهي الخيرات

التي ندموا على تركها عندما عانوا الأهوال والجوع والتشريد في التيه.⁽⁵⁾

(1) انظر: سيكولوجية الصهيونية، د. محمد المهدي: ص 50.

(2) انظر: المصدر السابق: ص 51.

(3) انظر: سفر التكوين: الإصحاح 45.

(4) سفر التكوين: 6-5/46.

(5) انظر: الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص 12.

الفترة الثانية:

استمرت الفترة الأولى للعزلة إلى فترة السبي البابلي الذي بدأ عام 586 ق. م، حيث يقول عالم الاجتماع الصهيوني (آرثر روبين): "وكان من الحيوي في تلك الأيام خلال فترة السبي البابلي أن تصان عقيدة (يهوه) من ضغط العقائد الغربية، نظراً لقلّة عدد اليهود النسبية، وقد كان ذلك عملاً شاقاً؛ لكن زعماء القبائل اليهودية قد اعتقدوا وكانوا على حق في ذلك - أنه باستطاعتهم تصحيح ذلك الوضع باتخاذ إجراءات استثنائية تقضي بالتفريق الكامل بين اليهود وغيرهم، والمنع المطلق لكل تأثير بالدم والثقافة غير اليهودية.⁽¹⁾، وطوال تلك القرون كانوا في حالة انعزال شبه تام، وانفصال شبه كامل عن سكان البلاد الأصليين (الفلسطينيين).⁽²⁾

الفترة الثالثة:

وقد استمر اليهود على انغلاقهم هذا حتى بعد تشريدهم النهائي -على يد الرومان- من فلسطين عام 135م، مع ازدياد عددهم عن طريق التبشير بديانتهم في أنحاء الدولة الرومانية الواسعة وما جاورها، حيث لم يزاولوا جميع الأعمال التي كان يزاولها أبناء البلاد التي حلوا فيها؛ وإنما اقتصروا -غالبا- على مزاولة الأعمال الاقتصادية: التجارة، والصيرفة، حتى سيطروا عليها سيطرة شبه تامة⁽³⁾؛ فقد "كانت التجارة الدولية عملاً تخصصوا فيه وكادوا أن يحتكروه"⁽⁴⁾

الفترة الرابعة:

وبعد انتشار الديانة النصرانية في أوروبا منذ 325م كان رد الفعل ضد اليهود، حيث لم يعجب النصارى أن يروا اليهود المسؤولين -في زعمهم- عن صلب المسيح عيسى عليه السلام هم المسيطرون على الحياة الاقتصادية⁽⁵⁾؛ مما أوجع الاضطهادات ضدهم، فشرعت الدول الأوروبية في إصدار القوانين التي تحد من أنشطتهم، حتى انتهى الأمر بتضييق بعض تلك الدول الخناق عليهم في أراضيها، مما أجبرهم على الانعزال في أحياء خاصة بهم، عرفت باسم الجيتو⁽⁶⁾.⁽⁷⁾

⁽¹⁾ انظر: العنصرية اليهودية، أحمد الزغبى: ص153، نقلا عن: Dr L ArtharRupin: The Jews of the present a socio-scientific study, Berlin 1904

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: ص153.

⁽³⁾ انظر: العنصرية اليهودية، أحمد الزغبى: ص153-154.

⁽⁴⁾ قصة الحضارة، وول ديورانت: 61/14.

⁽⁵⁾ انظر: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، د. حسن صبري الخولي: 10-9/1، والجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، د. إسماعيل أحمد ياغي: ص18-19.

⁽⁶⁾ سيأتي تعريف الجيتو في أسماء مناطق الانعزال اليهودي في أوروبا في نفس هذا المطلب.

⁽⁷⁾ انظر: العنصرية اليهودية، أحمد الزغبى: ص154.

5- دور الدين اليهودي في عزلة اليهود:

لا يمكن فهم الطابع الانعزالي للحياة اليهودية دون إلقاء الضوء على دور الدين اليهودي داخل هذا النسق من الحياة، إن القوانين الدينية اليهودية الخاصة بقوانين الطعام (الكاشير)، وتحريم الزواج المختلط، والختان، وصلاة الجماعة، وعادة الدفن الخاصة، والعديد من المحظورات المقدسة التي تحرم متاع الدنيا، وتوصف بغير النظافة... كل هذه القواعد والقوانين والمحظورات -التي فرضها حاخامات اليهود بتشدد- هي التي عمقت من طابع العزلة اليهودية، وكانت تهدف إلى تذكير اليهودي بانفصاله وتميزه وتفرده.⁽¹⁾

في ظل هذا المناخ الانعزالي المتمحور حول الدين وسلطة الحاخام تبلورت السمات السيكولوجية الأساسية للشخصية اليهودية الانعزالية، التي عانت نوعا من الانفصام في الرؤية، جعل الصراع في المشاعر والتناقض الحاد في السلوك محورا رئيسا تحددت من خلاله السمات الرئيسية لتلك الشخصية، وهي:

أ- عقدة التناقض بين الشعور بالاستعلاء والشعور بالدونية والاضطهاد:

إن كتابات العهد القديم زاخرة بالأقوال التي تدل على تلك المشاعر المتناقضة، فبالنسبة لعقدة الشعور بالدونية فقد ورد في سفر الخروج النصوص التالية:

1- "فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخَّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لِأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَّاسِعَةٍ".⁽²⁾

2- "فَأَسْتَعْبِدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْنُفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمُ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَأَسِطَتِهِمْ عُنْفًا".⁽³⁾

3- "وَالآنَ هُوَ ذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَ الَّذِي يُضَايِفُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ".⁽⁴⁾

ويجمع المفكرون الصهاينة على اختلاف آرائهم وعلى تباين مجالات اهتمامهم وعلى تنوع أساليبهم إجماعا يسترعي الانتباه على أن اليهود مضطهدون، ويتفق الصهاينة على فكرة

⁽¹⁾ انظر: الايديولوجية الصهيونية، د. المسيري: ص 30. والشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص 19.

⁽²⁾ سفر الخروج: 7/3-8.

⁽³⁾ سفر الخروج: 13/1-14.

⁽⁴⁾ سفر الخروج: 9/3.

واحدة مؤداها: "أن اليهود جميعا قد تعرضوا لتيار من الاضطهاد والعذاب، بدأ منذ تاريخ موغل في القدم، وما زالت آثاره مستمرة حتى الآن".⁽¹⁾

ب- رفض الاندماج في الشعوب:

تتصف الشخصية الصهيونية بإحساس حاد بالعزلة عن البشر، وهو وضع اختاره الصهاينة بأنفسهم، فبعد أن ينسوا من أوروبا أدانوا الإنسانية كلها، بعد أن فشلت حركة التنوير اليهودية في تحقيق الحلم الاندماجي، وقرروا أن العالم معادٍ لهم، وعززوا هذا الإحساس، حتى أصبح بالنسبة لهم حقيقة نفسية.

إن الصهيونية دعوة عنصرية إلى "القومية اليهودية"، وإن موجة الاندماج التي كانت مستمرة بين اليهود في أوروبا الشرقية والغربية قد هالت المفكرين الصهاينة، وكذلك أدياء الصهيونية، فانطلقوا يحذرون اليهود من مغبة الاندماج بالأغيار.

لقد رأى الصهاينة أن الاندماج في الشعوب هو السبب وراء ما أطلقوا عليه "التخريب النفسي والمادي"، الذي أصاب اليهود في روسيا وغيرها من البلدان، وركزوا على تصوير سلبيات النفسية اليهودية مركزين على مشاعر العبودية التي رأوا أنها تشمل كل مجالات الحياة اليهودية وكل طبقات اليهودية.⁽²⁾

6- أسماء مناطق الانعزال اليهودي:

أ- أسماء أماكن سكنى اليهود في العالم (عامة):

أطلق على أماكن سكنى اليهود في العالم أسماء متعددة مثل:

1- البورجيتو.

2- الحيتو.

3- حارة اليهود.

4- حي اليهود.

5- الحي الرابع.

6- الملاح.

7- المعازل.⁽³⁾

⁽¹⁾ انظر: تجسيد الوهم، قديري حفني: ص 97.

⁽²⁾ انظر: الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص 51.

⁽³⁾ انظر: التفرقة العنصرية، السيد عاشور: ص 165.

1- فالبورجيتو: كان أول ما أطلق على حي اليهود في إيطاليا؛ أما الجيتو فهو حي اليهود أيضاً، وهو اختصار لكلمة البورجيتو.

2- حي اليهود: هو المنطقة التي يسكنها اليهود في بعض بلاد أوروبا، مثل حي اليهود في فرنسا.

3- الحي الرابع: هو المكان الذي سكنه اليهود في مدينة الاسكندرية أيام حكم الرومان لمصر.

4- حارة اليهود: هي أماكن سكنى اليهود في بلاد الشرق، مثل: حارة اليهود في القاهرة.⁽¹⁾

5- الملاح: ويطلق على مكان سكنى اليهود في بلاد المغرب العربي، وربما جاءت من احتراف اليهود تجارة الملح أو تمليح الأسماك أو دبغ الجلود باستخدام الأملاح المختلفة لذلك.⁽²⁾

6- المعازل: وهو الذي يسكنه الوطنيون من أهالي جنوب أفريقيا.

لكن المعازل تختلف عن باقي أسماء الجيتو؛ لأن الملاحظ في المعازل أن عدد سكانها أكثر من باقي السكان، فسكان المعازل يبلغون حوالي اثني عشر مليون أفريقي؛ بينما يبلغ عدد البيض وهم أصحاب السلطة ثلاثة ملايين نسمة، وهذا عكس ما نشاهده في الجيتو، حيث يكون ساكنوه فئة قليلة بالنسبة لسكان الدولة التي تؤوي هذه الفئة.⁽³⁾

ب- مناطق الانعزال اليهودي في شرق أوروبا:

في شرق أوروبا اتخذت مناطق الانعزال اليهودي تسميات متعددة مثل:

1- **الشتتل**: صيغة التصغير لكلمة "شتوت"، وتعني: "المدينة الصغيرة"، وهي كلمة عبرية الأصل وكانت تعني "شنتلة"، أي: زرع أو شتل (كيان ما داخل التربة)، و الشنتل عبارة عن تجمع سكاني من اليهود يتراوح بين ألف وعشرين ألفاً، وتدور الحياة فيه حول المعبد اليهودي، والمنزل اليهودي، ثم السوق الذي يلتقي فيه اليهود بالأغيار.⁽⁴⁾

2- **القاهاال**: كلمة عبرية تعني جمهوراً أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد، أو طائفة، أو الطائفة اليهودية في إحدى مدن الشتات اليهودي.⁽⁵⁾

ويعني بها الخلية الأساسية لتنظيم حياة اليهود في منطقة إقامتهم، وتشبه مهام القاهاال مهام الدولة تجاه مواطنيها، وتعتبر تجسيدا للحكم الذاتي من قبل الحكومة.

⁽¹⁾ انظر التفرقة العنصرية، السيد عاشور: ص165، وموسوعة اليهود، د. المسيري: 288/4.

⁽²⁾ انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا: ص75. وموسوعة اليهود، د. المسيري: 288/4.

⁽³⁾ انظر: التفرقة العنصرية، السيد عاشور: ص165-166.

⁽⁴⁾ انظر: الايديولوجية الصهيونية، د. المسيري: ص26، والشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: 12.

⁽⁵⁾ انظر: الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص13، نقلا عن القاموس المركز، افراهم ايفن شوشان:

ص618. والايديولوجية الصهيونية، د. المسيري: ص26.

وكانت القاهال تقوم-بتصديق من السلطات- بإجراء الزواج، كما عهد إليها بتمثيل اليهود أمام السلطات، وجمع الضرائب نيابة عنها.

وقد عرف بهذا الاسم "قاهال" بولندا المعروف باسم مجلس البلاد الأربع، يضم: بولندا الكبرى، وبولاندا الصغرى، وفولينيا، ولتوانيا، وهي الأقاليم الأربعة الكبرى في مملكة بولندا.⁽¹⁾

3- الجيتو:

يعتبر أشهر أشكال الانعزالية اليهودية في العالم، حيث أصبح يطلق على سبيل التعميم على كل شكل من أشكال الحياة الانعزالية وسط الشعوب التي عاش اليهود بين ظهرانيها.⁽²⁾ وكانت حارة اليهود رمزاً للتمزق والجمود الفكري والاجتماعي والعزلة عن الإنسانية والحدق عليها، فكانت تتعرض لغارات وهجمات من جيرانها لأسباب أساسها في الغالب اقتصادي، هو ثورة الشعوب على الربا اليهودي، والتفنن في ابتزاز الأموال.⁽³⁾

أ- معنى الجيتو:

وللجيتو معنيان، معنى عام، ومعنى خاص:

- الجيتو بالمعنى العام:

أي مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، أو حي اليهود بشكل عام. ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية.

- الجيتو بالمعنى الخاص:

وهو ما أصبح شائعاً، ويعني المكان الذي يُفرض على اليهود أن يعيشوا فيه.⁽⁴⁾

ب- الأقوال الواردة في أصل كلمة الجيتو:

هناك أقوال كثيرة في أصل كلمة الجيتو، وكلها أقوال محتملة، منها:

1- تقول دائرة المعارف العبرية "أوتسار يسرائيل": "إن اشتقاق كلمة جيتو غير معروف، وتروي أن يهودا ديمودينا زار فلورنسا في القرن السادس عشر، فوجد اليهود يسكنون في حي خاص عليه سور اسمه "جيتو"، ونقول إن كلام دي مودينا يحتمل أن يكون الجيتو اسماً للسور المحيط بالحي، أو اسماً للحي اليهودي نفسه؛ ولكن يفهم من المقال أن اليهود قبل إقرار الجيتو كانوا

⁽¹⁾ انظر: الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص13، نقلا عن مسار التاريخ اليهودي الحديث، هوارد مورلي ساخار: ص32.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: ص16.

⁽³⁾ انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا: ص75.

⁽⁴⁾ انظر: موسوعة اليهود، د. المسيري: 288/4.

يختارون لأنفسهم أماكن منعزلة عن الأمم الأخرى ليقوموا فيها حول معبدهم ومقبرتهم ومدرستهم التلمودية، طبقاً للنظام الاجتماعي الذي وضعه مجلس "الفهل".⁽¹⁾

2- هناك من وجدوا أصلاً للتسمية في العبرية، من الفعل "جت"، بمعنى: الانفصال، أو العزل، أو الطلاق، ثم تحورت الكلمة فأصبحت جيتو، وتعني: عزل طائفة ما عن باقي السكان.⁽²⁾

3- وهناك من قال: إن مصدرها الأساس هو كلمة "الجيتو نوفو" بمعنى: المسبك الجديد، وهو معمل تسبك فيه المعادن، أو فرن مخصص لإذابة الحديد، وهو مكان الحي اليهودي المنعزل الأول في البندقية عام 1516م، وكان يطلق على هذا الفرن اسم "جيتار" بمعنى: إذابة المعدن، ومنذ ذلك الحين انتشر اصطلاح الجيتو في إيطاليا كلها، حيث أقيمت قسراً أحياء لليهود، غير أن هذا التفسير لم يلق ترحيباً لدى كثير من العلماء.⁽³⁾

ويرجح الباحث القول الثاني الذي يرجع الكلمة إلى الأصل العبري "جت"، بمعنى: الانفصال، أو العزل؛ لأنها الأقرب إلى معنى الجيتو، الذي أصبح مشهوراً في معناه أنه: المعزل الذي يعزل فيه اليهود أنفسهم في أي بلد يكونون فيه؛ تمييزاً لهم عن غيرهم من باقي الشعوب، وخوفاً من الاختلاط بهم؛ حتى لا يذوب جنسهم في هذه الشعوب حيث يتشددون ويفتخزون بجنسهم وعنصرهم اليهودي.

ج- نشأة الجيتو:

- في أوروبا:

هناك عدة أقوال في سبب نشأة الجيتو في أوروبا، منها:

1- قامت فتنة ضد اليهود في 1235م في حكم الإمبراطور فردريك الثاني، بسبب اتهام اليهود بقتل طفل مسيحي، فخصص الإمبراطور حياً مغلقاً لليهود؛ تأميناً لهم وتجنباً للاضطرابات.⁽⁴⁾ وبقي الحال على ذلك حتى سنة 1516م، حيث سكن اليهود منطقة أطلق عليها بورجيتو، ثم صدر مرسوم من البابا بولس الرابع سنة 1555م يحتم على اليهود الإقامة في حي

(1) انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا: ص 75.

(2) انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري: ص 154، و موسوعة اليهود، المسيري: 288/4. والأيديولوجية الصهيونية، المسيري: ص 27. والتفرقة العنصرية، عاشور، ص 166.

(3) انظر: معجم المصطلحات الصهيونية، أفرايم ومناحي تلمي: ص 98، والشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص 16، نقلاً عن دائرة المعارف العبرية، المجلد العاشر: عمود 595، وانظر: التفرقة العنصرية، السيد عاشور: ص 166، وتجسيد الوهم، قدرني حفني: ص 107.

(4) انظر: التفرقة العنصرية السيد عاشور: ص 167.

خاص بهم، يغلق عليهم في ساعة معينة من الليل، ولا يفتح حتى الفجر، وبقي الجيتو حتى ألغاه البابا بولس التاسع سنة 1847م.⁽¹⁾

2- وهناك رأي يقول: إن ظهور الجيتو يرجع إلى عادة كانت في روما، وهي: أنه إذا اعتلى بابا جديد منصبه فإن اليهود يظهرون ولاءهم لهذا البابا الجديد، ويقدمون الطاعة له، فيرد عليهم البابا باحتقار، ثم يصدر أمرا بعدم الاعتداء على اليهود، وسار بعض أمراء الإقطاع على هذه العادة حتى 1417م، ولم يدم ذلك طويلا، حيث ألغى البابا بولس الرابع هذا المرسوم الذي كان يعطي اليهود الحرية الدينية، وأنشأ لهم مكانا خاصا سمي بالجيتو.⁽²⁾

- في مصر:

أما الجيتو في مصر فقد بدأ عند مجيء يعقوب عليه السلام مصر، حيث ذكرت التوراة أن فرعون مصر أجبر بني إسرائيل على البقاء في المكان الذي اختاروه لأنفسهم، في إقليم "جوشن" بشرق الدلتا، في موضع يدعى "رعسيس"، حصرهم المصريون فيه "وجعلوا عليهم رؤساء للتسخير حتى يرهقوهم بأعبائهم، فبنوا لفرعون مدينتين للمخازن: فيثوم، ورعسيس".⁽³⁾

ولم يكن هذا المقام الإجباري يحمل اسم الجيتو في تلك الأزمان؛ ولكنه من نفس هذا القبيل.⁽⁴⁾ ويستخلص من ذلك: أن اليهود منذ القدم يبدؤون طائعين مختارين بفرض حصار على أنفسهم وراء أسوار من العزلة والتزمت والتعصب الديني والعنصري ورفض الأمم الأخرى، ثم ما يلبث هذا الحصار أن يصبح إجباريا بأيدي أعدائهم، لا يستطيعون الفكك منه، وأشد ما يخشاه كثير من مفكري اليهود في العصر الحديث هو أن يكون "الوطن القومي" الذي تخيلته الصهيونية في فلسطين، وأصبح أخيرا يسمى بدولة إسرائيل مجرد معزل اختياري عالمي لليهود، معرض أن يصبح نوعا من الجيتو الضخم الذي تنتقل مقاليدته إلى القوى العظمى المتحكمة في سياسة العالم، فيبقى اليهود محبوسين فيه.⁽⁵⁾

د- وصف الجيتو:

الجيتو اليهودي تحيط به أسوار عالية، وله بوابة أو بوابتان، ويمنع اليهود مغادرته بعد منتصف الليل، وفي أيام الأحاد، وفي أعياد النصارى، وكان حيا منعزلا، له بوابات مزودة بمزاليج

(1) انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا: ص74، والتفرقة العنصرية السيد عاشور: ص168.

(2) انظر: التفرقة العنصرية السيد عاشور: ص167.

(3) "فَجَعَلُوا عَلَيْهِمْ رُؤُوسَاءَ تُسَخِّرِ لِكَيْ يُدَلُّوهُمْ بِأَنْقَالِهِمْ، فَبَنَوْا لِإِرْعَوْنَ مَدِينَتَيْ مَخَازِنَ: فِيثُومَ، وَرَعْمَسِيْسَ. وَلَكِنْ بِحَسْبِمَا أَدَلُّوهُمْ هَكَذَا نَمُوًا وَآمَنَدُوا. فَأَخْتَشَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ". سفر الخروج: 11/1.

(4) انظر: الشخصية الإسرائيلية، د. حسن ظاظا: ص75-76.

(5) انظر: المصدر السابق: ص74-76.

من الداخل تغلق مع حلول الليل، وقد تضاعف عدد اليهود في أواخر القرن 18م، مما أدى إلى ازدحام الجيتوات، وكانت منازل الجيتو تبدو أعلى من نظيراتها في المدينة؛ وذلك لأنه لم يكن مسموحاً باتساع مساحة الجيتو عن القدر المحدد له، وبالتالي؛ ونظراً لما كان معروفاً عن اليهود من خصوبة لم يكن هناك من حل إلا بارتفاع المباني رأسياً؛ لاستيعاب زيادة السكان، وكثيراً ما أدى ذلك إلى انهيار المنازل، وتحول احتفالات الزواج والخطوبة إلى نواح شامل، كما كان ذلك يؤدي أيضاً إلى انتشار الحرائق المدمرة، و تسبب هذا الارتفاع في المنازل في حجب الشمس عن هذه الأحياء، فأصبحت لذلك رطبة وغير صحية.⁽¹⁾

هـ- نتائج العزلة اليهودية على الواقع اليهودي الجيتوي:

- لقد كان لهذا التأكيد على العزلة بعض النتائج بالنسبة للواقع اليهودي الجيتوي، منها:
- 1- التقليل من اختلاط اليهود بالمسيحيين يوماً بعد يوم، وبالتالي ازدياد الشبهات تجاه اليهود.
 - 2- ازدياد نسبة الكثافة السكانية بسبب قيود التوسع في مساحة الأحياء اليهودية، مما أدى إلى تدهور المستوى الاجتماعي للحياة، ونقشي الأمراض، وتراكم القاذورات، مما ترك أثراً عميقاً على وجدان اليهود القاطنين بالجيتو، وعمق من انفصالهم عن العالم الخارجي.
 - 3- انعدام الإحساس بالأمن لدى اليهودي خارج أسوار الجيتو؛ لأنه أصبح يشعر بأنه يوجد خارج أسوار الجيتو عالم غريب ومعادٍ شرير؛ أما داخل الأسوار فكان يجد الأمن والطمأنينة والثقة والإيمان العميق بأنه ينتمي إلى الأمة المقدسة والشعب المختار.
 - 4- تعمق الإحساس لدى اليهودي بأن الجيتو هو درع الأمان للحفاظ على الجماعة اليهودية وشريعته، وأن هذه الإقامة الانعزالية هي التي تحافظ على حياته الروحية إلى أن يشاء الرب إعادته إلى ما يسمى "أرض الميعاد" مع حلول الخلاص المسيحاني.
 - 5- حدثت فكرة العزل الإجباري من أوجه النشاط التي كان يقوم بها اليهود في مجال التجارة الدولية، مما جعل الفقر يعم الحياة اليهودية.⁽²⁾
- و- آثار الجيتو على رؤية الصهاينة وسلوكهم⁽³⁾:

إن جميع جيتوات العالم جمعت في رقعة من الأرض هي فلسطين، لخلق جيتو واحد مكثف هناك؛ لأن الجيتو اليهودي في المجتمعات الأوروبية قد ترك آثاراً عميقة على الكيان

⁽¹⁾ انظر: معجم المصطلحات الصهيونية، أفرايم ومناحي تلمي: ص 98، وتجسيد الوهم، قذري حفني:

ص 108-109، وموسوعة المفاهيم، د. المسيري: ص 155، وموسوعة اليهود، د. المسيري: 291/4.

والإيديولوجية الصهيونية، د. المسيري: ص 33.

⁽²⁾ انظر: الشخصية اليهودية، د. رشاد الشامي: ص 19.

⁽³⁾ انظر: الأيديولوجية الصهيونية، المسيري: 195/1-197، والعنصرية اليهودية، د. أحمد الزغبي: 159/1.

الصهيوني في فلسطين، حيث تشبه الوظيفة التي يقوم بها هذا الكيان في (المشرق العربي) وظيفة الجيتو اليهودي في تلك المجتمعات من حيث الآتي:

- 1- تواجد الكيان اليهودي المحتل في (المشرق العربي)؛ ولكنها ليست منه، فهي لا تنتمي للسياق الحضاري الذي توجد فيه.
- 2- تشبه نظرة الصهاينة للعالم الخارجي نظرة يهود الجيتو للأغيار، فهي نظرة شك عميقة وإحساس بأن هذا العالم متربص بالحمل اليهودي الوديع.
- 3- لا يزال الكيان الصهيوني معتمد في كافة شؤون الحياة على المؤازرة الخارجية، تماما مثل الجيتو الذي كان عاجزا عن الدفاع عن نفسه ضد هجمات الناقلين، من النصارى العاجزين عن سداد القروض اليهودية.
- 4- كان يهود الجيتو يدفعون الضرائب للحكومة نظيرا للحماية، والضريبة التي يدفعها اليهود في الكيان الصهيوني هي الحروب المستمرة لمساندة المصالح الاستعمارية في المنطقة العربية.
- 5- كان المرابي اليهودي لا يستغل الفلاحين النصارى في أوروبا فحسب؛ بل كان يهدد الأساس المادي لوجودهم أيضا، حيث كان ينزع ملكية أولئك الفلاحين حين يعجزون عن السداد، والاحتلال اليهودي في علاقته بالعرب الفلسطينيين بدأ أولا بنزع ملكياتهم، وانتهى أخيرا بطرد غالبيتهم من ديارهم بعد قيام (الكيان الصهيوني) في أرض فلسطين.

ح- آثار الجيتو على الحياة داخل الكيان الصهيوني:

انعكست آثار الجيتو على الحياة داخل الكيان الصهيوني، حيث تظهر الكثير من "المستعمرات والمستوطنات الصهيونية في فلسطين على شكل جزر مسلحة، يقبع داخل أسوارها المستوطنون"⁽¹⁾ اليهود.

1- عزل الكيان اليهودي المحتل حضاريا:

يقول عالم النفس اليهودي "جورج تامارين": "إن جعل إسرائيل قلعة عسكرية حصينة بالنسبة إلى جيرانها (العرب) قد أدى إلى عزل إسرائيل حضاريا، وتحويلها إلى جيتو كبير تسوده اتجاهات حضارية انعزالية ورجعية، تنمو فيه الأفكار العنصرية، وكانت النتيجة قطع أوامر الاتصال بين الشباب الإسرائيلي والعالم، مما ساعد على سيادة مشاعر مرضية إزاء أي نقد يوجه إلى الممارسة السياسية والاجتماعية في إسرائيل".⁽²⁾

⁽¹⁾ موسوعة المفاهيم، د. عبد الوهاب المسيري: ص 156.

⁽²⁾ اليهود تاريخ وعقيدة، د. كامل سعفان: ص 123-124.

2- الممارسات العنصرية الإجرامية:

هذه العقلية اليهودية المنغلقة بما تنطوي عليه من عنصرية كان لها أبلغ الأثر في الممارسات العنصرية الإجرامية ضد كل من ينغص عليهم عزلتهم، ولا سيما الفلسطينيين.⁽¹⁾

3- إنشاء المغتصبات الصهيونية على شكل جزر مسلحة:

يقول د. المسيري: "ويمكننا أن نرى إنشاء المستعمرات والمستوطنات الصهيونية في فلسطين على شكل جزر مسلحة يقبع داخل أسوارها المستوطنون، على أنها امتداد للرؤية الجيتوية، وقد أتقن المستوطنون إقامة هذه المستعمرات الجيتوية المسلحة، حتى إنه كان يتم إنشاؤها في أقل من يوم، فكانت وحدات المهندسين والوحدات المقاتلة تصل إلى موقع المستعمرة وتبدأ في إقامتها من الأجزاء الخشبية التي سبق إعدادها، فتضع بعض الأكشاك أو الخيام التي تحاط بجدار خشبي مزدوج يملأ في الداخل بالحجارة الصغيرة لمنع نفاذ الرصاص، كما تجهز حفر الأسلحة لإطلاق النار، ويقام برج في منتصف ساحة المستعمرة مزود عادة بنور كشاف، وتحاط المستعمرة في النهاية بأسوار من الأسلاك الشائكة وأحزمة من الألغام".⁽²⁾

4- إنشاء خط بارليف⁽³⁾:

"وقد بلغ هذا الاتجاه الاستيطاني الجيتوي قمته في خط بارليف الذي يتكون هو الآخر من عدة أسوار وأبراج".⁽⁴⁾

ثانياً: بناء الجدر في الفكر اليهودي.

1- بناء الجدران العالية فكرة صهيونية قديمة.

الجدر والأسوار والأبراج جذورها متأصلة في تاريخ اليهود، وفي النفسية الصهيونية، فاليهودي منذ القدم مهتم بتشديد الجدران والأسوار، والعهد القديم مليء بالحديث عن بناء الأسوار والأبراج العالية، ومنها: أسوار أورشليم وأريحا.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر: العنصرية اليهودية، د. أحمد الزغبيني: ص 161.

⁽²⁾ موسوعة المفاهيم، د. عبد الوهاب المسيري: ص 156.

⁽³⁾ خط بارليف: هو سلسلة من التحصينات الدفاعية التي كانت تمتد على طول الساحل الشرقي لقناة السويس . بُني خط بارليف من قبل إسرائيل بعد احتلالها لسيناء بعد حرب 1967، كان الهدف الأساسي من بناء الخط هو تأمين الضفة الشرقية لقناة السويس ومنع عبور أي قوات مصرية إليها. سمي الخط بذلك الاسم نسبة إلى حاييم بارليف القائد العسكري الإسرائيلي. [/https://ar.wikipedia.org](https://ar.wikipedia.org)

⁽⁴⁾ موسوعة المفاهيم، د. عبد الوهاب المسيري: ص 156.

⁽⁵⁾ انظر: جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس، الدوافع- والآثار السياسية، د. صالح الرقب: ص 2-3.

إن بناء الجدران والأسوار عند اليهود هو استجابة لحالة الإحساس بخطر المطاردة لديهم، وتاريخياً كان اليهود بحاجة لملجأ من هذا الإحساس، فهم قبل أن يرسموا خريطة بناء لبيت يحرصون على خريطة بناء السور والجدران حول البيت.⁽¹⁾

وفي حوار لموقع المسلم مع د. صالح الرقب حول الجدار العازل، قال د. صالح: "إن فكرة الجدار الحالي لها صلتها بالنظرية الأمنية الراسخة في النفسية اليهودية، ويجمع المؤرخون اليهود على أنه في الممالك القديمة التي أقامها اليهود كانت الجدر من أهم ما يحرصون على إقامته حول مدنهم وتجمعاتهم السكانية، ومن ذلك: ما كان قبل بعثة النبي محمد ﷺ، حيث حرص اليهود المقيمون حول المدينة المنورة على إقامة الجدر حول قراهم ومدنهم في خيبر، وبني قريظة، وبني قينقاع؛ لكي تصبح قلاعاً محصنة".⁽²⁾

"وقد انطلق الرسول ﷺ إلى فتح خيبر، وكانت بلدة محصنة جداً، فقد كان فيها لليهود سبع حصون كلها بسراديبي، وكانوا يخزنون مؤنثهم في هذه الحصون، ويستطيعون أن يقاتلوا غيرهم وهم في حصونهم عاماً كاملاً حتى ينصرف الخصم عنهم، ولم يكن للعرب معرفة بفتح الحصون، ولا القتال من وراء جدر، ولم يجيدوا إلا القتال في العراء وجهاً لوجه، ومع ذلك فقد هزموا بقوة الله تعالى اليهود واستولوا على قلاعهم".⁽³⁾

يقول الكاتب اليساري اليهودي أوري أفنيري: "إن فكرة الجدار محفورة عميقاً داخل الوعي الصهيوني، وهي ترافق هذا الوعي منذ نشأة الصهيونية، وقد كتب ثيودور هرتسل في كتابه "دولة اليهود" الذي كان حجر الأساس للصهيونية المعاصرة: إن دولة اليهود في فلسطين ستشكل جزءاً من السور الأوروبي أمام آسيا، وهي نقطة انطلاق للحضارة ضد البربرية، بعد أكثر من مئة عام يجسد جدار شارون هذه الرؤيا تجسيداً كاملاً".⁽⁴⁾

2- الأدلة على بناء الجدر والأسوار والقرى المحصنة في العهد القديم وفي القرآن الكريم:

أ- الأدلة على بناء الأسوار والأبراج العالية في العهد القديم:

لقد تحدث العهد القديم عن بناء الأسوار والأبراج العالية في العديد من أسفاره، فمن ذلك:

⁽¹⁾ انظر: مقال "حكاية الجدران والغيتوهات"، بقلم: د. محمود عوض، بتاريخ 2006/2/19م، <http://arabmail.de/aoad> موقع بريد العرب على (الإنترنت).

⁽²⁾ حوار مع د. صالح الرقب: الأسباب الحقيقية وراء بناء اليهود للجدار الفاصل، بتاريخ 22 شوال 1424هـ، موقع المسلم <http://almoslim.net>

⁽³⁾ الجدار الصهيوني في فلسطين المحتلة: طبيعته - دوافعه - وأخطاره، د. صالح الرقب: ص 6.

⁽⁴⁾ الجدار الفاصل "عقلية الجيتو": أوري أفنيري، موقع المشهد الإسرائيلي على (الإنترنت) 2003/9/5م.

- 1- "أَحْسِنَ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيُونَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ".⁽¹⁾
- 2- "وَتَشَدَّدَ وَبَنَى كُلَّ السُّورِ الْمُنْهَدِمِ وَأَعْلَاهُ إِلَى الْأَبْرَاجِ، وَسُورًا آخَرَ خَارِجًا، وَحَصَّنَ الْقَلْعَةَ، مَدِينَةَ دَاوُدَ، وَعَمَلَ سِلَاحًا بَكثَرَةً وَأَثْرَاسًا".⁽²⁾
- 3- "وَبَعْدَ ذَلِكَ بَنَى سُورًا خَارِجَ مَدِينَةِ دَاوُدَ غَرْبًا إِلَى جِيحُونَ فِي الْوَادِي، وَإِلَى مَدْخَلِ بَابِ السَّمَكِ، وَحَوَّطَ الْأَكْمَةَ بِسُورٍ وَعَلَاهُ جِدًّا. وَوَضَعَ رُؤْسَاءَ جُيُوشٍ فِي جَمِيعِ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ فِي يَهُودَا".⁽³⁾
- 4- "وَعِنْدَ تَدْشِينَ سُورِ أُورُشَلِيمَ طَلَبُوا اللَّائِيِينَ مِنْ جَمِيعِ أَمَاكِنِهِمْ لِيَأْتُوا بِهِمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ، لِكَيْ يُدْشِنُوا بِفَرْحٍ وَبِحَمْدٍ وَغِنَاءٍ بِالصُّنُوجِ وَالرَّبَابِ وَالْعِيدَانِ".⁽⁴⁾
- 5- "وَأَجْعَلُكَ لِهَذَا الشَّعْبِ سُورَ نَحَاسٍ حَصِينًا، فَيَحَارِبُونَكَ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْكَ، لِأَنِّي مَعَكَ لِأَخْلَصِكَ وَأُنْقِذَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ".⁽⁵⁾
- 6- "وَأَخُذُ أَنْتَ لِنَفْسِكَ صَاجًا مِنْ حَدِيدٍ وَأَنْصِبُهُ سُورًا مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، وَتَثَبْتَ وَجْهَكَ عَلَيْهَا، فَتَكُونُ فِي حِصَارٍ وَتُحَاصِرُهَا. تِلْكَ آيَةٌ لِنَيْتِ إِسْرَائِيلَ".⁽⁶⁾

هذه النصوص الكثيرة في بناء الأسوار، تكشف عن تأصيل فكرة بناء الأسوار في العقليّة اليهودية، وأنها مأخوذة من نصوص العهد القديم، وتبين مدى اهتمام اليهود ببناء الأسوار، فمرة ذكر السور من حديد، ومرة من نحاس؛ ليكون قويا في مواجهة أعداء اليهود.

ب- بناء الجدر والقرى المحصنة في القرآن الكريم:

تحدث القرآن الكريم عن نفسية اليهود وطريقتهم في قتال المسلمين، وهي القتال في قرى محصنة أو من وراء جدر، قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 13-14]، فقله تعالى: (من وراء جدر) ينبئ عن المهانة والاستتار والاختفاء المريب والغموض لدا اليهود.

يقول د. صالح الرقب معلقا على تلك الآية: "إننا نفهم أكثر قوله تعالى: (لا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ) [الحشر: 14] حين نسمع أنّ قيادة الجيش

⁽¹⁾ سفر المزمير: 18 / 51.

⁽²⁾ سفر أخبار الأيام الثاني: 5/32.

⁽³⁾ سفر أخبار الأيام الثاني: 14 / 33.

⁽⁴⁾ سفر نحما: 27 / 12.

⁽⁵⁾ سفر إرميا: 20 / 15.

⁽⁶⁾ سفر حزقيال: 3/4.

الصهيوني قد وضعت سيارة مرسيديس مصفحة تحت تصرف كل عائلة يهودية فقدت أحد أفراد مستوطناتها، وحين نرى الطفل الفلسطيني الأعزل يواجه الدبابة والرصاص بالحجر؛ بينما الجندي الصهيوني قابع في موقعه أو محتمي في دبابته، واليهود اليوم لا يقاتلون الفلسطينيين إلا من وراء جدر، فقد أتوا في دبابات مدرّعة، محمّلة بعدد كبير من أكياس التراب، ولم ينزل أيّ منهم من دباباتهم المحصنة؛ خوفاً من القتل الذي ينتظرهم. لقد صدق المولى عز وجل حين قال عن اليهود: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) [الحشر:14].⁽¹⁾

3- بناء الجدر في الفكر الصهيوني الحديث.

ذكر الكاتب "وسام عفيفة" في مقال له تحت عنوان "إسرائيل قامت على شعار "سور وبرج"، أنه في مطلع الهجرة اليهودية لأرض فلسطين أواخر القرن التاسع عشر، وفي مطلع القرن العشرين كان الصهاينة يقيمون الجدر حول مستوطناتهم، وأن الكاتب اليهودي "يهودا ليطاني" أشار إلى أنه في العشرينات والثلاثينيات أطلق اليهود حملة "جدار وبرج"، في إشارة إلى كون التحصين أهم عنصر في العقيدة الأمنية للكيان الصهيوني، وبعد الإعلان عن الدولة بقي الجدار يحتل مكانة كبيرة في العقيدة الأمنية الصهيونية، وأشار ليطاني إلى أن رئيس الوزراء الصهيوني الأول "بن غوريون" شوهد وهو يشارك في إقامة الجدار حول المستوطنات الحدودية، وبعد حرب الأيام الستة أقام العدو اليهودي خط "بارليف" الشهير.

ولفت "عفيفة" إلى وجود إجراءات أمنية مشددة، في مختلف مدن وقرى الأراضي المحتلة، تتراوح ما بين حاجز عسكري، أو جدار، أو كتل أسمنتية، وخاصة في مدينة القدس المحتلة، والتي تحولت بفعل الحواجز والنقاط العسكرية إلى ما أشبه بالسجن الكبير، ويرى كثير من المحللين السياسيين أن بناء الجدار إنما يعكس العقلية اليهودية، التي قامت على الهوس الأمني، ومحاولة إحاطة نفسها بما يمنعها من الاختلاط بالآخرين.

ودلل عفيفة على استمرار عقلية الجيتو بقرار وزراء الحكومة الصهيونية عام 2002م دعم اقتراح قانون يمكن الوكالة اليهودية من إقامة بلدات جماهيرية لليهود فقط، وبإعداد وثيقة عام 1997م تبحث إنشاء جدار أو سور حول الأحياء اليهودية القريبة من المناطق الفلسطينية، بناء على طلب قائد شرطة القدس المحتلة "آريه عاميت"، الفكرة تمركزت حول منع تسلل العرب من مخيمات اللاجئين وبيت جالا للقدس، ومنع إطلاق النار بشكل مباشر نحو منازل جيلو.

(1) جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس، الدوافع- والآثار السياسية، د. صالح الرقب: ص 4-5.

وأكد عفيفة أنه ومنذ نشأة الكيان الصهيوني في شكل قرى وتجمعات، كان الجدار الذي يحيط بهذه القرية أو ذاك "الكيوتس" من أولى الضروريات، وكان الشعار الذي رفعه اليهود آنذاك "سور وبرج"، مما يدل على استحكام الهوس الأمني؛ وبين 1948 و1967م كانت القدس محاطة بالأسيجة والحيطان الوقائية حماية من القناصة، والعوائق المضادة للمدركات وما شابه، ومعظم المستوطنات التي أقيمت في الأراضي الفلسطينية بعد حرب الأيام الستة أحيطت بالجدار، مثل الذي حصل في عهد "سور وبرج".

وختم عفيفة مقاله بالقول: وعلى الرغم من سيطرة جيش الاحتلال الصهيوني على الضفة الغربية وقطاع غزة بقوة وبطش، فإن الجدران التي تحيط بالمستوطنات أشاعت إحساساً من الضعف والعزلة، "كربيات أربع" المحاطة بالجدران، وأبراج الحراسة من كل اتجاه، تشبه حتى اليوم في عين الناظر الأجنبي مدينة محصنة شبه عسكرية، وليست قرية مدنية عادية.⁽¹⁾

وفي مقال له بعنوان "جدار الضم والتوسع الصهيوني حول القدس" ذكر الكاتب والمحلل السياسي الفلسطيني، عدنان أبو عامر أن البدايات الأولى في بناء هذا الجدار كانت في عام 2002م، وأرجع فكرته إلى العسكري الصهيوني "داني تيرزا" 47 عاماً، عقيد الاحتياط في الجيش، القاطن في مستعمرة "جيلو"، المقامة على تخوم "القدس الكبرى"، وهو من اليسار الصهيوني، فكانت فكرة بناء السور للوقاية من العمليات الفدائية التي نفذها الفلسطينيون؛ ولمنعهم من ذلك، ثم جاء اليمين ليتخذ منها وسيلة لتحقيق بعض من رؤاه الأيديولوجية في التوسع والاستيطان، وإبقاء السيطرة على كامل المناطق.⁽²⁾

وهكذا يتبين: أن بناء الجدر في الفكر الصهيوني كان منذ باية الاحتلال الصهيوني لفلسطين عام 1948م حتى اليوم وأنه كان دائماً هاجساً أمنياً يراود فكر زعماء وقادة ووحكام الكيان الصهيوني المحتل ظناً منهم أن هذه الأسوار والجدر تحميهم من العمليات الفدائية الجهادية التي يقوم بها المجاهدون الفلسطينيون وصدق الله العظيم الذي قال في اليهود ﴿وَضَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: 2]

⁽¹⁾ انظر: مقال "إسرائيل قامت على شعار "سور وبرج"، 11-8-2003 وسام عفيفة، <http://alasar.ws/> موقع العصر.

⁽²⁾ من مقال بعنوان: "جدار الضم والتوسع الصهيوني حول القدس"، د. عدنان أبو عامر. على صفحته الشخصية بتاريخ الثلاثاء 16 يناير 2018 <https://adnanabuamer.com>

المطلب الثاني

أثر الانعزالية على الواقع الفلسطيني

أولاً: الرؤية الصهيونية للجدار العازل:

إن فكرة الجدار العازل فكرة مترسّخة في الوجدان الصهيوني، وقد صرح رعانان جيسين - المتحدث باسم الدولة الصهيونية- بأن قرار الجمعية العامة بإحالة موضوع الجدار الفاصل إلى محكمة العدل الدولية هو محاولة لنزع الشرعية عن "حق الشعب اليهودي في أن تكون له دولة يهودية يمكن الدفاع عنها"، وتتعلق الرؤية الصهيونية من التصور الصهيوني بأن فلسطين "أرض بلا شعب"، وكان هدفه إخلاء هذه الأرض من سكانها، عن طريق التهجير والطرده (الترانسفير)؛ ولكن بعد عام 1967، ومع اكتشاف استحالة تنفيذ هذا المخطط؛ نظراً لضخامة الكتلة السكانية الفلسطينية التي ضمتها الدولة الصهيونية، ونظراً لوعيتها وتنظيمها تم تعديل هذا الشعار الصهيوني، بحيث أصبح "فلسطين أرض، فيها شعب ليست له حقوق في هذه الأرض، فوجوده عرضي هامشي، بالقياس إلى حقوق الشعب اليهودي المطلقة"، ومع تعاضم المقاومة الفلسطينية أصبح الشعار هو "فلسطين أرض فيها شعب، لا نود أن نراه، ولا بد من محاصرته، وتقييد حريته وحركته". لقد ارتبطت نظرية الأمن الصهيونية بالمكان (الحواجر الطبيعية والصناعية)، والأشياء (الأسلحة)، مع إسقاط عنصر التاريخ والإنسان.⁽¹⁾

ولقد تبني زعماء الحركة الصهيونية، والحكومات اليهودية المتعاقبة فكرة فصل وعزل الفلسطينيين بأسوار واقية، تمنع اتصالهم باليهود، ضمن رؤية استراتيجيّة، وكان الزعيم اليهودي الروسي زئيفي جابوتنسكي 1880-1940م -مؤسس اتحاد الصهيونيين الإصلاحيين المتشدد- أول من نادى بذلك، حيث كتب مقالة عام 1923 م بعنوان: "خلف الحائط الحديدي، نحن والعرب"، قال فيها: "إن أي شعب فطري سوف يقاوم المستوطنين الغرباء، طالما لاحت له بارقة أمل في التخلص من خطر الاستيطان الأجنبي، هكذا سوف يتصرف العرب، وسوف يظلون كذلك، مادامت هناك بارقة أمل في أنهم يستطيعون منع فلسطين من أن تصبح أرض إسرائيل"، ويضيف جابوتنسكي كذلك: "إننا لا نستطيع أن نجبر العرب على الرحيل، ولا نستطيع أن نوقف الاستيطان الذي يعني تحقيق الأهداف الصهيونية، في السيطرة على الأراضي العربية؛ لذلك

(1) انظر: جريدة الاتحاد، د. عبد الوهاب المسيري، السبت 13 مارس 2004 <http://www.alittihad.ae>

دعا جابوتينسكي إلى تكوين محيط يهودي متين، مغلف بجدار حديدي خرساني صلب، يصعب اختراقه؛ فالحلّ لديه هو: إقامة جدار حديدي بين اليهود والعرب الذين سيستسلمون لاحقاً.⁽¹⁾

ثانياً: خطط الفصل لدى الحكومات الصهيونية:

لقد تبنت الحكومات الصهيونية المتعاقبة العمالية والليكودية سياسات الفصل، وضم مساحات كبيرة من أراضي الضفة الغربية المحتلة إلى الكيان المحتل، ووضعت لذلك خططاً عديدة، من هذه الخطط:

1- خطة إسحق رابين للفصل:

ظهرت فكرة الجدار في عهد رئيس الوزراء الصهيوني السابق اسحق رابين عام 1995م، في رده على عملية "بيت ليد" الاستشهادية في فلسطين المحتلة، في أواخر يناير عام 1995م، التي أدت إلى مقتل 21 جندياً يهودياً، وجرح العديد، حيث طلب "رابين" من وزير الأمن الداخلي "موشيه شاحال" وضع خطة لفصل الكيان الصهيوني عن الشعب الفلسطيني؛ ولكن الفكرة سقطت لأسباب اقتصادية، وعندما قال رابين: "أخرجوا غزة من تل أبيب"، وقال رابين في إحدى تصريحاته: "إننا نعمل بجد ونشاط من أجل الانفصال عن الشعب الآخر الذي نسيطر عليه، وإننا سنصل إلى هذه الغاية إن عاجلاً أم آجلاً"، وأعرب "رابين" مرة عن رغبة حكومته في فصل "المناطق" الفلسطينية عن "المناطق" اليهودية في قوله: "نحن هنا وهم هناك". وأضاف كذلك: "إننا لا نعود إلى خطوط عام 1967 م، ولن ننسحب من القدس، ولن نتزحج من غور الأردن"، وكانت تلك الأقوال أولى تعبيرات رابين عن مصطلح الفصل.

وفي 1996م تبلورت فكرة إقامة جدار للفصل على طول محور (هحمينوت) الشرقي، وكان الحديث حينئذٍ عن منطقة بعرض كيلومترين داخل الضفة الغربية وراء الخط الأخضر، في شكل أحزمة أمنية، واعتبارها منطقة عسكرية مغلقة؛ لكن هذه الفكرة رفضت من قبل رابين.⁽²⁾ لقد كانت أفكار رابين يغلب عليها الهاجس الأمني أولاً وأخيراً، مغفلاً البعد السياسي، مع أن التصريح بها جاء والاتصالات الفلسطينية الصهيونية جارية لتنفيذ ما تم التوقيع عليه، من اتفاقات واستحقاقات المرحلة الانتقالية، ومن الواضح أن إغفال الجانب السياسي عن عملية

(1) انظر: الجدار الأمني، علي الشرعة: ص16، وجدار الفصل العنصري، عليان الهندي: ص167.
(2) الجدار العازل يثير أسئلة أكثر مما يحل مشكلات: صحيفة البيان، أغسطس 2003، العدد 640. وجدار الفصل الآثار والمخاطر، موقع المركز الفلسطيني للإعلام (-www.palestine.info) 2003/11/8. والجدار الفاصل الإسرائيلي في الفكر الصهيوني، د. وجدي سواحل.

الفصل سيترتب عليه آثاراً اقتصادية واجتماعية تمس السكان الفلسطينيين، وقد تقلب الأمور كلها رأساً على عقب؛ إلا أن الصهاينة لم يعبئوا بكل هذه المعطيات.⁽¹⁾

2- خطة إيهود باراك للفصل:

بعد اندلاع انتفاضة الأقصى في 28/9/2000م عاد الحديث مرة أخرى حول الفصل، عندما أعلن باراك -رئيس الحكومة الصهيونية السابق- "في حال استمرار الانتفاضة سأؤججه إلى الفصل أحادي الجانب، هدفنا هو: أن نعمل على الفصل بين إسرائيل والفلسطينيين، وإذا لم ينجح هذا من خلال المفاوضات؛ فإننا سنعمل ذلك بصورة أحادية الجانب"⁽²⁾، وإلا فقد تجد "إسرائيل" نفسها في وضع يسفك فيه الطرفان دماء بعضهم البعض، أو أنها ستصبح دولة أبارتهايد (تميز عنصري)، أو أنها قد تجد نفسها تعاني وضعاً مماثلاً للوضع في بلقاست وفي بوسنيا"⁽³⁾.

وكلف "باراك" نائب وزير الدفاع "أفرايم سنيه" بإعداد ورقة عمل، ووضع تصور لهذه الخطة حول الفصل؛ إلا أنه لم تتوفر أية معلومات عن خطط للفصل، سوى ما تسرب إلى وسائل الإعلام حينئذ حول بعض الأفكار بشأن عملية الفصل.⁽⁴⁾

3- خطط أرئيل شارون للفصل:

من أكثر الزعماء الصهيونيين تحمساً لفكرة الفصل: أرئيل شارون؛ حيث قدم العديد من الخطط والخرائط الهادفة إلى ضم مساحات من أراضي الضفة الغربية إلى الكيان المحتل، وخاصة المناطق والمستوطنات القريبة من خط التماس، وكان شارون يقصد تحويل المناطق العربية إلى معازل وكانتونات، ومنذ تسلمه رئاسة الوزراء بدأ عملياً في تنفيذ العديد من الخطط، ومنها: الخطة المتدرجة، ثم خطة أورانييم الجهنمية، ثم خطة السور الواقية.⁽⁵⁾

وقد أعلن شارون في برنامجه الانتخابي مراراً عن استعداده للسماح بإقامة دولة فلسطينية على 42% من الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد نشرت الصحف العبرية إيجازاً لأفكار شارون حول الفصل، والتي كان يروج لها حتى قبل بدء حملة

(1) انظر: مقال بعنوان "جدار الفصل ومستقبل حدود الدولة الفلسطينية"، معتز أبو الدبس، تاريخ النشر:

<https://pulpit.alwatanvoice.com2010/2/25>

(2) يديعوت أحرونوت، 2000/10/12م.

(3) انظر: الجدار الأمني الفاصل، علي الشرعة: ص18، وصحيفة يديعوت أحرونوت، 2003/8/29م.

(4) انظر: مقال "جدار الفصل ومستقبل حدود الدولة الفلسطينية"، معتز أبو الدبس، سبق ذكره

(5) انظر: الجدار الأمني الفاصل، علي الشرعة: ص19.

الانتخابات لرئاسة مجلس الوزراء، والتي اعتمدت على افتراض إعلان قيام دولة فلسطينية من طرف واحد، وهذه الأفكار تعتمد على:

1- إعادة الانتشار للقوات الصهيونية في المناطق الحيوية للكيان المحتل، وذلك في منطقة الغور بعرض يتراوح بين 16-20 كيلومتر، وقطاع بعرض 10 كيلومتر شرق القدس، وقطاع بعرض يتراوح بين 100 كيلو متر إلى 7,5 كيلو متر على طول الخط الأخضر.

2- عدم التخلي عن أي مستوطنة يهودية، حتى ولو كانت موجودة في العمق العربي.

3- قيام الدولة الفلسطينية مرهون بخطة سياسية أساسها تسوية مرحلية لعدة سنوات.

ولم يتحدث شارون عن خطة للفصل؛ إلا أنه وبعد التصعيد المستمر للانتفاضة ووقوع العديد من العمليات الفدائية في قلب مدينة القدس، وفي وسط التجمعات السكانية اليهودية الكبيرة، مثل: نتانيا، وحيفا، وتل أبيب، بدأ الحديث مجدداً عن خطط الفصل، واعتبر هذا في نظر الكثيرين تراجعاً عن مواقف شارون السابقة.⁽¹⁾

يتبين مما سبق: أنّ جميع الحكومات الصهيونية، والأحزاب الحاكمة والمعارضة، في دولة الاحتلال: العمالية، والليكودية، تبنت سياسات الفصل بين الشعب الفلسطيني واليهود المحتلين المغتصبين لأرض فلسطين، وأجمعت على ضرورة بناء الجدار، وأن أصل الجدار مشروع أعده حزب العمل، وتولى إنجازه حزب الليكود؛ فقد بدأ إسحق رابين رئيس حزب العمل آنذاك، ثم إيهود باراك، ثم أرئيل شارون من حزب الليكود.

ثالثاً: شكل الجدار ومكوناته:

يبلغ طول الجدار الفاصل 750 كيلو متر؛ بينما يبلغ طول الخط الأخضر الذي يفصل بين أراضي عام 1948 م المحتلة وأراضي الضفة الغربية 350 كيلومتر، والذي تم ترسيمه بين الدول العربية والكيان الصهيوني، ضمن اتفاقية رودس عام 1949 م.⁽²⁾

ويلتف الجدار الفاصل على مسافة 45 كم حول القطاع الشمالي للضفة الغربية، ويسير على امتداد السفوح الشرقية بطريقة تسمح للكيان المحتل بالسيطرة على غور الأردن، وبذلك يطوق الجدار الضفة الغربية بأكملها، من شمال محافظة جنين حتى جنوب محافظة الخليل، كما يطوق الجدار القطاع الشرقي لمدينة القدس، ويعزلها عن باقي مناطق الضفة الغربية، وإن السبب الرئيس لطول الجدار الفاصل يعود إلى كثرة التعاريف الناتجة عن التداخل بين القرى

(1) انظر: مقال بعنوان "جدار الفصل ومستقبل حدود الدولة الفلسطينية"، معتر أبو الدبس، سبق ذكره، نقلا عن صحيفة القدس بتاريخ 2002/4/16م باختصار شديد.

(2) انظر: اتفاقيات الهدنة العربية الإسرائيلية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية: ص 63.

والمدن الفلسطينية والمستوطنات اليهودية، التي أقامها الكيان الصهيوني بعد احتلال الضفة الغربية عام 1967م، ويتوغل الجدار في بعض المناطق ليصل إلى 22 كيلومتراً، كما هو في محافظة سلفيت.⁽¹⁾

ويشتمل الجدار الفاصل على مجموعة من الأنظمة المتكاملة للحماية، مثل: المراقبة الإلكترونية، والأسلاك الشائكة، والخنادق، وأبراج المراقبة، والأسيجة المكهربة، والمناطق العازلة، ويتكون الجدار الفاصل من عدة مقاطع، وهي⁽²⁾:

- 1- أسلاك شائكة لولبية، تعد أول عائق للجدار من الجهة الشرقية.
- 2- خندق بعرض 4 أمتار وعمق 5 أمتار، يأتي مباشرة بعد الأسلاك الشائكة.
- 3- شارع مسفلت بعرض 12 متراً، وهو شارع للاستخدام العسكري لمرور دوريات المراقبة.
- 4- شارع مغطى بالتراب الناعم، بعرض أربعة أمتار، لكشف آثار المتسللين، على أن يمشط هذا المقطع مرتين كل يوم.
- 5- الجدار الإسمنتي، وهو عبارة عن جدار إسمنتي بارتفاع 4 أمتار، يعلوه سياج معدني إلكتروني، وأضواء كاشفة، وغيرها.
- 6- في مناطق أكثر حيوية، يرتفع الجدار ليصل إلى 8 أمتار، لحجب الرؤية وحماية المستوطنين الذين يمرون بسياراتهم على هذه الطرق.
- 7- بعد الجدار الفاصل يوجد شارع رملي وترابي، ثم شارع مسفلت، بعده خندق مماثل للخندق الأول، ثم أسلاك شائكة لولبية.
- 8- كما توجد كاميرات فيديو بعيدة المدى، تكلف كل منها 1.5 مليون شيكل، ومركبة على أعمدة عالية لرصد المنطقة على طرفي الجدار.⁽³⁾

ويُتوقع أن يعزل الجدار عند الاكتمال من بنائه ما مساحته 733 كم من الأراضي الفلسطينية التي ستصبح داخل الجدار، وبالتالي يستولي عليها الاحتلال، إضافة إلى الأراضي

⁽¹⁾ جدار الضم : ضم الأراضي بالقوة من خلال إقامة الجدار في عمق الأراضي المحتلة، المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان: ص30، غزة، فلسطين، 2004م.

⁽²⁾ "الجدار الفاصل والدوافع والآثار"، بلال الشويكي، موقع مفتاح الإلكتروني www.miftah.org/arabic، ومقال "البعد الخفي لجدار الفصل العنصري"، زكريا شاهين، موقع العرب نيوز، <http://alarabnews.com>، ومقال "جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام" المركز الفلسطيني للإعلام، <https://www.palinfo.com>، وانظر: مقال بعنوان "جدار الفصل ومستقبل حدود الدولة الفلسطينية"، معتر أبو الدبس، تاريخ النشر: <https://pulpit.alwatanvoice.com2010/2/25>

⁽³⁾ مقال "جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام". المركز الفلسطيني للإعلام، <https://www.palinfo.com>

المحتلة عام 48، كما أنه سيعزل نحو 200 كم من منطقة الأغوار، والتي تعدّ سلة فلسطين الغذائية، وهي المنطقة الواقعة في الجهة الشرقية لفلسطين، ويمس الجدار من خلال مساره ثمانى محافظات فلسطينية، تضم 180 تجمعاً، ويصل طول مقطع الجدار في القدس 168 كم. وقد فصل الجدار تجمعات فلسطينية مكتظة بالسكان عن القدس مثل: "مخيم شعفاط"، و"سميرا ميس"، و"كفر عقب"، تضم ما يقارب 30 ألف نسمة من حملة الهوية المقدسية، وهكذا فإن الجدار العنصري حرم الفلسطينيين من استغلال أكثر من ثلث مساحة الضفة الغربية.⁽¹⁾

رابعاً: مراحل بناء الجدار:

مر بناء الجدار بأربع مراحل قبل أن يكون أمراً واقعاً، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى:

تمت الموافقة عليها من قبل الحكومة الصهيونية في أغسطس 2002م، ويبلغ طول الجدار فيها 157 كيلو متراً، منها 137 كيلو متراً تمتد من قرية سالم في شمال الضفة الغربية حتى قرية مسحة في منطقة سلفيت، و 20 كيلو متراً في شمال مدينة القدس وجنوبها، وانتهت هذه المرحلة في 2003/7/13م، وفيها تم الاستيلاء على 107 كيلو متر مربع من مساحة الضفة الغربية.⁽²⁾

المرحلة الثانية:

يبلغ طول الجدار فيها 80 كيلو متراً، وبموجبه تم إغلاق الضفة الغربية من جهة الشمال والشمال الغربي، وتمت الموافقة عليه في كانون الثاني 2003م، وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول: بطول 43 كيلو متراً من شمال غرب جنين حتى نهر الأردن أقصى الشرق. القسم الثاني: بطول 37 كيلو متراً، من غرب بلدة بردلة في محافظة طوباس وحتى تياسير في الجنوب في نفس المحافظة.

المرحلة الثالثة:

يبلغ طول الجدار في هذه المرحلة 243 كم، وهو مقسم إلى ثلاثة أقسام: C1, C2, C3، يبلغ طوله في C1 64 كم، ويمتد حول مدينة القدس، وتمت الموافقة عليه في آب 2003م، ويطوق الجدار الفاصل بئر نابالاً من جميع الجهات؛ أما C2, C3 فتتركزان حول غرب مدينة نابلس، ويصل طول الجدار فيها 179 كم.

(1) مقال "جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام". المركز الفلسطيني للإعلام. <https://www.palinfo.com>

(2) انظر: جدار الفصل العنصري: حقيقته، أخطاره، وتحدياته، مركز اليراق للبحوث والدراسات والثقافة، البيرة،

فلسطين، 2003م، الموقع (اليراق) الإلكتروني www.alburaq.org

المرحلة الرابعة:

تمت الموافقة عليها في تشرين الأول 2003م ، ويمتد الجدار إلى جنوب القدس وبيت لحم وغرب الخليل و جنوبها، ويبلغ طول الجدار في هذه المرحلة 173 كم. وبهذا يطوق الجدار الفاصل الضفة الغربية من جميع الجهات، و يستولي على حوالي % 45.3 من مساحة الضفة الغربية، ولا يبقى سوى % 54.7 من مساحة الضفة الغربية.⁽¹⁾

خامساً: مسارات الجدار حول شرقي القدس:

بدأت فكرة بناء جدار عازل حول جميع مدينة القدس، شرقها وغربها، تراود بن غوريون عند قيام دولة الاحتلال 1948م، كعاصمة موحدة أبدية لدولتهم -على حد زعم اليهود-.⁽²⁾ إنَّ الجدار الفاصل -حسب خطة الحكومة الصهيونية- سيحيط بشرق مدينة القدس، من خلال فصلها عن باقي مناطق الضفة الغربية، وقد تمَّ اتخاذ القرارات الخاصة بمسار الجدار الفاصل في هذه المنطقة، واستصدار المصادقات للشروع في العمل، ضمن ثلاث مسارات أساسية، كل مسار يشتمل على مقطع أو أكثر:

المسار الأول: في حزيران 2002م، ضمن القرار المبدئي لإقامة الجدار بأكمله، تمت المصادقة على المسار الخاص بالمرحلة (أ)، والذي يشتمل على مقطعين في شمالي القدس وجنوبها، ويمتد المقطع الشمالي على طول حوالي 10كم، من معسكر عوفر غرباً ولغاية حاجز قلنديا شرقاً؛ أما المقطع الجنوبي فيضم حوالي 10كم من شارع الأنفاق غرباً، ولغاية مدينة بيت ساحور (جنوبي جبل أبو غنيم - هار حوما) شرقاً، وقد تمَّ الانتهاء من إقامة هذين المقطعين في تموز 2003م.

المسار الثاني: في أيلول 2003م صادقت لجنة الوزراء للشؤون الأمنية على مسار الجدار في باقي المناطق حول القدس، باستثناء المقطع المحاذي لمستوطنة (معاليه أوميم)، في إطار المصادقة على المراحل (ج) و(د) من الجدار بأكمله، وتناولت المصادقة ثلاثة مقاطع ثانوية: **المقطع الأول:** يمتد على طول 17 كم، من الطرف الشرقي لمدينة بيت ساحور جنوباً، ولغاية الطرف الشرقي لبلدة العيزرية شمالاً.

المقطع الثاني: طوله 14 كم، ويمتد من الطرف الجنوبي لقريّة عناتا حتى حاجز قلنديا شمالاً.

⁽¹⁾ السياج الأمني، وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2004م، انظر: الموقع الإلكتروني www.altawasul.com.

⁽²⁾ تداعيات المشروع الإسرائيلي في الفصل الأحادي الجانب والجدار الفاصل، مركز دراسات الشرق الأوسط:

المقطع الثالث: تم بناؤه على امتداد 14 كم، ويحيط بخمس قرى من الناحية الشمالية الغربية للقدس (بئر نبالا، الجيدة، الجيب، بيت حنينا البلد والنبي صموئيل) المحاذية للحدود البلدية. **المسار الثالث:** في شباط 2005م، وفي أعقاب الحكم الصادر عن محكمة العدل العليا، في شهر حزيران 2004، والذي شطب أحد مقاطع الجدار الفاصل تحت مبرر انعدام النسبية.⁽¹⁾ ويقدر لهذا المقطع أن يفصل ويعزل في كانتونات القرى العربية: العيزرية، وأبو ديس، والسواحة الشرقية، وغيرها، وسيكون بناء جدار معاليه أدوميم أكبر بكثير مما هو مخطط له؛ لأن بناءه على الأرض مرتبط بتطبيق المخطط الهيكلي لهذه المنطقة المسمى E1، الذي يدعو إلى إسكان أكثر من 500 ألف يهودي في مساحة تصل حتى المنحدرات الجبلية للبحر الميت، بهدف فصل شمال ووسط الضفة عن جنوبها بشكل مطلق، وعلى أية حال فإن الجدار حول مدينة القدس سيبلغ طوله -إذا بني وفق التخطيط الحالي- ما يقارب 145 كم، ويتصف الجدار بعرض يصل من 40-100 متر مربع، ومنح حرمة شارع تقدر بأكثر من 250 متر.⁽²⁾ **سادساً: الدوافع النفسية اليهودية لإقامة الجدار⁽³⁾:**

إن الدارس للنفسية اليهودية عبر التاريخ يجدها تتعلق بالجدار، تتحصن فيه، ومن وراءه، وهذا ما ذكره القرآن وهو يشخص النفسية اليهودية التي يسكنها الخوف والجبن، حيث قال تعالى -في حق اليهود-: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]. وهذا ما يلخص لنا الدوافع النفسية اليهودية لإقامة الجدار، وهي:

1- الحرص على الحياة:

يحرص اليهود على أية حياة مهما كانت دنيئة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 94]. ويقول تعالى: ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 96]. إن اليهود من أشد الناس حرصاً على الحياة؛ لأنهم يخافون الموت لكثرة كفرياتهم ومعاصيهم في الحياة الدنيا.

⁽¹⁾ مسار الجدار حول شرقي القدس: (بتسليم)، مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، انظر: موقعه على شبكة المعلومات الدولية (www.btselem.org/Arabic)

⁽²⁾ موقع عبري على الانترنت لمؤيدي الفصل أحادي الجانب www.hipardut.org.il مخطط لبناء جدار فاصل

⁽³⁾ انظر: جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس، د. صالح الرقب: ص 11-16، بتصرف يسير

2- الأناية واحتقار الآخرين والنزعة العنصرية لشخصيتهم:

إنّ بناء الجدار يمثل قمة سياسة الفصل العنصرية؛ فاليهود يطبقون نظاما اضطهاديا عنصريا، غير عادل وغير قانوني⁽¹⁾، فهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18]، وغيرهم من الناس (الجويم)، مسخرون لخدمتهم، ولا يرون حرجا في إيذاء غيرهم أو قتلهم، وسرقة أرضهم وممتلكاتهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: 75].

يقول يوري ديفيس⁽²⁾: "إنّ الجدار يأتي في السياق المتعلق بتاريخ الأيديولوجية الأساسية التي تفرق بين اليهود وغير اليهود، والملتزمة ببرنامج سياسي استعماري استيطاني، ضمن برنامج سياسة التمييز العنصري"⁽³⁾.

3- العزلة والتفوق:

إنّ فكرة العزلة عن الآخرين تعود إلى اعتقاد اليهود بتميزهم، وعمق قيم الاستعلاء على الآخرين، فلكي يتحقق هذا الأمر لا بد من تحويل الوطن اليهودي إلى غيتو كبير، تكون أسواره قادرة على المحافظة على الهوية المميزة للشعب اليهودي.

إنّ دولة الاحتلال تريد عزل نفسها عن الفلسطينيين بزعم الدواعي الأمنية، إنها عقلية الانعزال اليهودي، وهي مسألة سياسية عنصرية، وهذا يشير إلى مستقبل العلاقات بين الصهيونيين والفلسطينيين، وهو أن هذا الجدار عازل بين الشعبين.⁽⁴⁾

4- الجبن والخوف وكرهية الموت:

إنّ النفس اليهودية مملوءة بالخوف والجبن، ولا تجرؤ إلا على قتال الضعفاء، ولا تقاقل إلا من وراء جدر وأماكن محصنة اتقاء بأس الآخرين، وخاصة المسلمين، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: 14].

(1) انظر: جدار الفصل العنصري في فلسطين، شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية: ص 78.

(2) يوري ديفيس: عضو يهودي منتخب في المجلس الثوري لحركة فتح، يعيش بالضفة الغربية، ومتزوج من فلسطينية، يرغب في تمثيل مئات المناضلين غير العرب الذين شاركوا في النضال الفلسطيني من أجل التحرر، ولد ديفيس في مدينة القدس عام 1943م، وبدأ مشواره السياسي عام 1960م كناشط حقوقي رافض للاحتلال اليهودي، ومناهض للصهيونية. انظر: موقع قناة روسيا العربية على الانترنت <https://arabic.rt.com>

(3) انظر دراسة بعنوان: جدار الفصل في سياق التمييز العنصري الإسرائيلي، يوري ديفيس، ضمن كتاب جدار الفصل العنصري في فلسطين: ص 178-179.

(4) انظر: الجدار الأمني الفاصل بين الكيان الصهيوني والضفة الغربية، مركز دراسات الشرق الأوسط: ص 17، ومقال "جدار الفصل الإسرائيلي"، محمد غنايم، موقع الجزيرة نت (www.aljazeera.net).

قرى محصنة: أي: مدن وقرى محصنة بالحيطان والأبراج العالية، أو من وراء جدر، أي: من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم، لا يقدرّون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقاتلة؛ بل إما في حصون، أو من وراء جدر محاصرين.

ولقد كشف الخبير الصهيوني "كريفلد" عن دوافع الخوف التي جعلته يقدم اقتراحاً للحكومة الصهيونية ببناء الجدار، وهي خوفهم من مواجهة المجاهدين الفلسطينيين، الذين يتمتعون بروح قتالية عالية وحب الاستشهاد؛ بينما يهرب الجنود اليهود من الخدمة، ويبكون عند مقابر أصدقائهم، وأن عدم بناء الجدار يعني تدمير دولة الكيان الصهيوني.⁽¹⁾

5- الشعور بالذلل والضعف:

على الرغم من مقولات اليهود الزائفة: إن دولة اليهود دولة لا تقهر، وإن جيش اليهود جيش لا يقهر؛ فإن اليهود يعيشون حالة من الشعور بالذلل والهوان، قال الله تعالى -حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام- أنه قال لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 21-22]، إضافة إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدُخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُخَفُّوْا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأَعْوَابِ غَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 112].

6- المكر والخداع والمؤامرات في الخفاء:

إن حروب اليهود دائماً كانت مصحوبة بالمكر والمؤامرات في الخفاء. وإقامة الجدار العنصري على أراضي الضفة الغربية نوع من المكر والدهاء اليهودي للاختباء خلفه، ومن ثم للسيطرة على الأرض الفلسطينية، وتهويد مدينة القدس المحتلة، وبحجج أمنية واهية. ومن دوافع بناء الجدار حفاظ اليهود على مكانة السلطة الفلسطينية، والتي يأملون إبرام تسوية سياسية معها وفق المقياس الصهيوني، خاصة بعد تصاعد مكانة الحركات الإسلامية المقاومة في الأوساط الفلسطينية لقيامها بالعمليات الاستشهادية، وقد عبّر شاول موفاز -وزير الحرب الصهيوني- عن خشيته من عدم الوصول إلى اتفاق سياسي مع السلطة الفلسطينية؛ لتراجع دورها لدى

(1) انظر: تداعيات المشروع الإسرائيلي في الفصل الأحادي الجانب والجدار الفاصل: ص 21-22.

الجمهور الفلسطيني، وقد صرّح موفاز بأنه لا بد من عملية الفصل بين الجانبين: الفلسطيني واليهودي حتى لا تضطر حكومة الاحتلال التعامل مع الفلسطينيين المتشددين.⁽¹⁾

سابعاً: أهداف الجدار:

يحاول الكيان الصهيوني، وبكل الوسائل المتاحة لديه تضليل الرأي العام العالمي، وإقناعه بأن الجدار الفاصل إنما هو سياج أمني، الهدف منه: منع رجال المقاومة الفلسطينية من القيام بعمليات عسكرية ضد اليهود داخل أراضي فلسطين المحتلة عام 1948م؛ ولكن الحقيقة والواقع على الأرض عكس ذلك تماماً؛ فالكيان الصهيوني يهدف من وراء إقامة الجدار الفاصل تحقيق العديد من الأهداف: السياسية، والاقتصادية، والأمنية، والديموغرافية⁽²⁾، وهي على النحو التالي:

1- الأهداف السياسية:

إن الجدار الفاصل بمثابة ترسيم حدود من جانب واحد بين الكيان الصهيوني المحتل والفلسطينيين، وفرض حقائق جديدة على الأرض تمثلت في السيطرة على مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية، وقد عمل الجدار الفاصل على تقسيم الضفة الغربية إلى ثلاثة أقسام:

أ- منطقة أمنية شرقية على طول غور الأردن بمساحة 1237 كيلو متراً مربعاً، أي: ما يعادل 21.9% من مساحة الضفة الغربية، وتضم هذه المنطقة العديد من المستعمرات اليهودية.

ب- منطقة غربية أمنية بمساحة 1328 كيلو متراً مربعاً، أي: ما يعادل 23.4% من مساحة الضفة الغربية، وهذا يعني أن كلتا المنطقتين تضم 45.3% من مساحة الضفة الغربية.

ج- المنطقة الثالثة التي تبلغ مساحتها 54.7% من مساحة الضفة الغربية، وستنقسم إلى 8 مناطق و(64) معزلاً فلسطينياً.⁽³⁾

لقد قامت سلطات الاحتلال الصهيونية في ظل انتفاضة الأقصى 2000م بتحويل بعض المستوطنات القريبة من القدس والتي داخل حدودها إلى "أحياء يهودية"، وإحكام سيطرتها على المساحات الحيوية في شرقي القدس، وتحويلها إلى جزر منفصلة عن بعضها البعض.⁽⁴⁾

(1) انظر: جدار الفصل العنصري: ظافر بن خضراء ورولا يوسف البرغوتي: ص 37.

(2) انظر: بحث بعنوان "الجدار الفاصل ومستقبل الدولة الفلسطينية، دراسة في الجغرافية السياسية"، صبحي يوسف الأستاذ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، 2010م، المجلد 12، العدد 1، ص 355.

(3) انظر: مقال "الجدار الفاصل والدوافع والآثار"، بلال الشويكي، سبق ذكره.

(4) انظر: موقع المسلم على الانترنت <http://old.almoslim.net> وجدار الفصل العنصري في القدس، الواقع العملي لفرض حل إسرائيلي نهائي، عليان الهندي: ص 173-174.

2- الأهداف الاقتصادية:

أقدم الكيان الصهيوني على مصادرة مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية، خاصة الزراعية الواقعة بمحاذاة جدار الفصل، بضمها إلى المستوطنات اليهودية، حيث بلغ عدد المستعمرات الصهيونية في الضفة الغربية 150 مستعمرة في نهاية العام 2015، منها 26 مستعمرة في محافظة القدس، تتوزع بواقع 16 مستعمرة في القدس (J1) ، و 10 مستعمرات في القدس (J2)، وبلغ عدد المستعمرين في الضفة الغربية في نهاية العام 2015م 7,291 مستعمرا، مقارنة بـ 369,598 مستعمرا في نهاية العام 2014م، أي: بنسبة نمو مقدارها 3,2%⁽¹⁾.

لقد ترتب على مصادرة الأراضي الزراعية هجرة آلاف الفلسطينيين من مزارعهم وقراهم إلى داخل الضفة الغربية وخارجها، وأفقد سكان الضفة الغربية السلة الغذائية، حيث تعد هذه الأراضي التي تم مصادرتها من أخصب أراضيها، مما نتج عنه استيراد العديد من المواد الغذائية من الكيان المحتل، وبذلك ضمن الكيان التبعية الاقتصادية في حالة قيام دولة فلسطينية في المستقبل، كما ودمر الكيان العديد من المصانع والمحاجر ومعظم مصادر الرزق في المناطق الواقعة ضمن الجدار و المناطق القريبة من المستوطنات، مما أدى إلى ارتفاع نسبة البطالة في هذه المناطق.⁽²⁾

3- الأهداف الأمنية:

كان للعمليات العسكرية الناجحة لرجال المقاومة الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة والضفة الغربية دور كبير في إثارة الهاجس الأمني الصهيوني، وقد أسفرت هذه العمليات عن قتل المئات من اليهود، فقد بلغ عدد القتلى من اليهود منذ انتفاضة الأقصى سبتمبر 2000م وحتى 31 ديسمبر 2005م 1039 قتيلا.⁽³⁾

هذا الأمر دفع بالصهاينة إلى التفكير في التسريع في بناء الجدار الفاصل، وقد ظهر هذا في مقالات العديد من الكتاب اليهود، ومنهم: تسفي برئيل، ويهود الليطاني، وموشيه أرنس، ويسرائيل هرنيل، كما أيد إقامة الجدار داني أثار رئيس بلديات خط التماس مع الفلسطينيين، والذي قال: "إن الجدار سيمنع 98% من العمليات ضدنا". لقد قام مجلس السلام والأمن

⁽¹⁾ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني صدر بتاريخ 2016/10/16م على الموقع الإلكتروني

<http://www.pcbs.gov.ps>

⁽²⁾ انظر: بحث بعنوان "الجدار الفاصل ومستقبل الدولة الفلسطينية"، صبحي الأستاذ: ص 358-359.

⁽³⁾ انظر: معطيات وإحصائيات، الموقع الإلكتروني بتسيلم ww.btselem.org (2006)

اليهودي الذي يضم مجموعة كبيرة من جنرالات الجيش بحملات واسعة داخل المجتمع اليهودي تحت شعار "الأمن يساوي الفصل" ، و قال كذلك: "إن العبء العسكري الإسرائيلي الملقى على الجيش سيقبل كثيرًا"، وسيتضمن إقامة الجدار الفاصل التواصل الجغرافي بين المستوطنات اليهودية ومنطقة الأغوار، عبر العديد من الطرق الالتفافية حول التجمعات السكانية العربية، من خلال مصادرة آلاف الدونمات لهذه الأغراض.⁽¹⁾

4- الأهداف الديموغرافية:

اهتمت الحركة الصهيونية والحكومات اليهودية اهتماما كبيرا بالعامل الديموغرافي، ومارست سياسة ترانسفير(ترحيل) ضد الفلسطينيين، منذ حرب عام 1948م حتى اليوم، واستخدمت في ذلك عدة سياسات، منها: مصادرة الأراضي، وفرض الضرائب الباهظة، وإغلاق المؤسسات الإنتاجية، وهدم البيوت، والاعتقالات، ورغم ذلك فإن الزيادة السكانية في الأراضي الفلسطينية في تزايد مستمر، فعلى سبيل المثال: بلغت في الضفة الغربية وقطاع غزة من 3.5 إلى % 4 ؛ بينما يتزايد اليهود بمعدل 2% فقط ! هذه الحقائق الديموغرافية أثارت الهاجس الأمني لدى اليهود، ونهت إلى الأخطار المترتبة على الزيادة السكانية، وعلى بقاء الكيان اليهودي وهويته الدينية الصهيونية.⁽²⁾

ثامناً: تداعيات وآثار الجدار الفاصل:

إن الجدار الفاصل قد أضر أضراراً كبيرة في مناحي حياة الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية، إن الجدار الفاصل يمتد إلى أكثر من 750 كيلو متر، ويطوق الضفة الغربية ويلتف حولها كالثعبان من الشمال حتى الجنوب، وسيتسبب في إحداث العديد من الأضرار، أهمها: تضرر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية للسكان، هذا بجانب تضرر القطاع الصحي والقطاع التعليمي.⁽³⁾

1- آثار الجدار الفاصل على الأوضاع الاقتصادية:

يسعى الكيان الصهيوني من خلال إقامة الجدار الفاصل لضرب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب الفلسطيني وتخريبها، وجعل الاقتصاد الفلسطيني تابعا للكيان الصهيوني وسوقاً استهلاكياً له، وذلك من خلال مصادرة مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية، فمذ العملية العسكرية التي أطلق عليها عملية السور الواقى في 29 مارس 2000م، أقدم الكيان

⁽¹⁾ انظر: بحث بعنوان "الجدار الفاصل ومستقبل الدولة الفلسطينية"، صبحي الأستاذ، بحث سابق: ص 359.

⁽²⁾ انظر: جدار الخوف، إبراهيم أبو الهيجاء، سلسلة دراسات فلسطينية، مركز الإعلام العربي.

⁽³⁾ انظر: بحث بعنوان "الجدار الفاصل ومستقبل الدولة الفلسطينية"، بحث سابق: ص 361.

الصهيوني على مصادرة وتجريف مساحات كبيرة من الأراضي لصالح الجدار، مما تسبب في كارثة للمزارعين، حيث تم السيطرة على أراضيهم، وقد عمل الجدار على الفصل بين المزارع وأرضه، فأصبح المزارع في منطقة، وأرضه في منطقة أخرى، ولا يسمح للمزارعين بالوصول إلى أراضيهم إلا عبر التصاريح من قبل القوات الصهيونية، وعند الموافقة يصل المزارع إلى أرضه عبر بوابات تفتح وتغلق في ساعات معينة، مما أدى إلى فقدان كثير من المزارعين لفرص العمل، وانتشار البطالة التي بلغت % 30,9⁽¹⁾.

2- آثار الجدار الفاصل على الأوضاع الاجتماعية:

لقد تأثرت العلاقات الاجتماعية من جراء إقامة الجدار الفاصل، حيث أظهرت النتائج أن % 90.7 من الأسر الفلسطينية غرب الجدار تأثرت قدرتها على زيارة الأهل والأقارب؛ بينما بلغت في شرق الجدار % 70.6 من الأسر، كما أثر الجدار الفاصل على زيارة الأماكن المقدسة بنسبة % 89.5 غرب الجدار مقابل % 81.8 للأسر المقيمة شرق الجدار، وأثر الجدار أيضا على زواج الأفراد الذين يختارون شريك الحياة ممن يقيم في الجهة الأخرى من الجدار، فارتفعت بذلك من % 12.6 قبل بناء الجدار، إلى % 64.2 بعد بناء الجدار، وارتفعت بشكل ملحوظ للأسر المقيمة غرب الجدار من % 9.1 قبل بناء الجدار، إلى % 57.3 بعد بناء الجدار.⁽²⁾

هذا، ويمر الجدار بأراضي الضفة الغربية، مما يعني: أنه سيؤثر على حياة 210,000 فلسطيني يسكنون 67 قرية ومدينة بالضفة الغربية، حيث إن:

- 13 تجمعاً سكانياً يسكنها 11,700 فلسطيني، سيجدون أنفسهم سجناء في المنطقة ما بين الخط الأخضر (الأراضي المحتلة عام 48) والجدار.
- وجود جدار مزدوج يشكل عمقا للجدار العازل الفاصل، سيخلق منطقة حزام أمني، الأمر الذي سيجعل 19 تجمعاً سكانياً يسكنها 128,500 فلسطينياً محاصراً في مناطق معزولة.
- يؤدي إقامة هذا الجدار إلى إعاقة حرية حركة الفلسطينيين وقدرتهم على الوصول إلى حقولهم، أو الانتقال إلى القرى والمدن الفلسطينية الأخرى لتسويق بضائعهم ومنتجاتهم.
- يؤدي بناء الجدار العازل إلى الفصل بين 36 تجمعاً سكانياً شرق الجدار يسكنها 72,200 فلسطيني، وبين حقولهم وأرضهم الزراعية التي تقع غرب الجدار.⁽³⁾

⁽¹⁾ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2004م على الموقع الإلكتروني <http://www.pcbs.gov.ps>

⁽²⁾ المصدر السابق.

⁽³⁾ انظر: مقال "جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام" المركز الفلسطيني للإعلام، سبق ذكره.

3- أثر الجدار على التعليم:

خلف الجدار آثاراً سلبية عميقة على العملية التعليمية؛ فقد حرم الكثير من الطلبة والمدرسين الوصول إلى مدارسهم، مما أربك العملية التعليمية في العديد من المدارس. وقد بينت نتائج مسح أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن 3.4% من الأفراد الفلسطينيين في التجمعات التي تأثرت بالجدار تركوا التعليم.

4- أثر الجدار على الوضع الصحي:

فقد أثر الجدار بشكل كبير على الحياة الصحية للسكان الفلسطينيين الذين يعيشون غربه؛ إذ أصبح من المستحيل أحياناً الوصول إلى المراكز الصحية والمستشفيات الواقعة شرق الجدار، فالقرى الفلسطينية الواقعة غربه، لا تتمتع بأية خدمات طبية.

5- أثر الجدار على المياه الفلسطينية:

إن المنطقة المعزولة خلف الجدار العنصري تقع فوق الحوضين الجوفيين الغربي والشمال شرقي، اللذين تقدر طاقتهما التصريفية بـ 507 مليون متر مكعب سنوياً؛ أما المنطقة المعزولة الشرقية فتقع بكاملها فوق الحوض الشرقي، ذي الطاقة التصريفية التي تقدر بنحو 172 مليون متر مكعب سنوياً، ويقدر عدد الآبار الجوفية في هاتين المنطقتين بـ 165 بئراً، بطاقة ضخّ تقدر بـ 33 مليون متر مكعب بالسنة؛ أما بالنسبة لعدد الينابيع فيقدر بـ 53 ينبوعاً بطاقة تصريفية 22 مليون متر مكعب سنوياً، وهذا يعني: نهب الاحتلال وسرقة نسبة هائلة من الموارد المائية، وحرمان المواطنين الفلسطينيين منها.⁽¹⁾

6- آثار الجدار على مدينة القدس:

هناك مجموعة من الجدران التي تقيمها سلطات الاحتلال الصهيوني تضم جزءاً من مدينة بيت لحم، وتطوق جميع الضواحي بمدينة القدس، فتتفصل بعض الأحياء العربية منها عن الضفة الغربية، ومنها عن القدس وغيرها، وقد بدأت الحكومة الصهيونية أولى خطواتها عندما أقرت مشروع "غلاف القدس" الذي يهدف إلى توسيع حدود بلدية القدس، وجعلها تسيطر على مساحات شاسعة من الضفة الغربية، وإكمال الطوق الاستيطاني حول المدينة، بدءاً من مستوطنة جبل أبو غنيم "هارحوماه" مروراً بمستوطنة "معاليه أدوميم"، ثم مستوطنة "جبعات زئيف" في الشمال، والأخطر من هذه الخطة هو بناء "جدار عازل" يفصل بين شرقي القدس وغربي القدس، يبلغ طوله 68 كيلومتراً، وسيتم تغيير شكل الجدار وفقاً لمسار الأرض التي يمر منها ففي المناطق المفتوحة يكون واسعاً جداً وبطول 50-60 متراً، حيث يضم كل عناصر

(1) انظر (3، 4، 5): مقال "جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام" المركز الفلسطيني للإعلام، سبق ذكره.

الجدار الأمني الحدودي من سور وطرق ترابية وقنوات والكثرونيات؛ أمّا في الأماكن المبنية السكنية مثل: أبو ديس، والعيزرية، فسيبنى سور ارتفاعه 6-8 أمتار، وفي مطلع تشرين الأول 2003م ابتداءً ببناء مقطع من الجدار طوله 17 كيلومترا من بيت ساحور، ومن ثمّ شمالا نحو أبو ديس والعيزرية حتى حاجز الزعيم، المقطع الآخر المصادق عليه -والذي لم يشيد بعد- بطول 14 كيلومتر، سيبدأ من عناتا جنوب شرق بسغات زئيف، ويواصل شمالا وغربا حتى حاجز قلندية حيث يتصل بالجدار الشمالي.⁽¹⁾

لقد جاء جدار القدس تتويجا لسياسة الخنق التي تمارسها دولة الاحتلال في القدس منذ العام 1967م؛ لأنه سيعزل عند اكتماله أكثر من 160,000 فلسطيني من شرقي القدس عن مدينتهم، كما سيعزل المناطق الصناعية والحركة التجارية بشكل كامل.⁽²⁾

7- الجدار الفاصل ومشروع القدس الكبرى:

إن فكرة التخطيط للجدار الفاصل لم تكن عبثية أو فكرة عابرة على الأذهان والعقول، القيادة الصهيونية أعدت الخطة لزرع هذا الجدار، بهدف تحقيق مخطط سياسي كبير، ألا وهو: مدينة القدس الكبرى، وفق خطة سياسية للمستقبل في دولة الكيان للاحتلال الصهيوني.⁽³⁾

إنّ مشروع الجدار الفاصل العنصري يرسم حدود المدينة في إطار ما يسمى حدود القدس الكبرى، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها 840,2 كم، أو ما يعادل 15% من مساحة الضفة الغربية، من خلال صنع هوية يهودية للمدينة، تمحى معها هويتها العربية والإسلامية، فتبدو الأغلبية اليهودية كاسحة، وتصبح مساحة الأراضي التي يسيطر عليها العرب صغيرة جدًا بالنسبة لما يسيطر عليه اليهود، ويستهدف مشروع القدس الكبرى تطويق الأحياء العربية في المدينة القديمة، وفصلها عن الأحياء العربية القائمة خارج السور، مما يسبب صعوبة كبيرة للسكان تدفع إلى الهجرة خارج مدينتهم؛ إن هدفه النهائي فصل شمال الضفة الغربية عن جنوبها، وقطع تواصلها مع القدس، مقابل تثبيت التواصل الإقليمي والجغرافي بين المستوطنات الواقعة في الضفة الغربية، وخارج الحدود الإدارية لبلدية القدس.⁽⁴⁾

(1) انظر: جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس: الدوافع، والآثار السياسية، د. صالح الرقب: ص18، نقلا عن صحيفة هآرتس، مقال بعنوان "الجدار خطوة يأس"، بقلم: داليا شاحوري، 2003/12/25م.

(2) انظر: المصدر السابق: نفس الصفحة.

(3) انظر: جدار الفصل العنصري في القدس، جمال حماد المقيد، (كاتب صحفي وباحث)، غزة -فلسطين،

تاريخ النشر: 2014/12/24م، موقع دنيا الوطن <https://pulpit.alwatanvoice.com>

(4) انظر: جدار الفصل العنصري ومشاريع التهويد تحطم أسوار القدس، عماد خضر، موقع المسلم

(http://almoslim.net)، 1427/8/27.

والجدار يمتد 225 كم لإضافة شمال القدس وجنوبها؛ ليشكل غلافا للقدس، ويعزل شرق القدس عن الضفة الغربية، ويعزل 250 ألف مواطن مقدسي عن الضفة الغربية، ويضم 325 كم مربع إلى دولة الاحتلال، ويعزل 35 ألف مواطن يحملون بطاقة الهوية الإسرائيلية عن مدينتهم القدس، كما يفصل البلدات والإحياء الواقعة داخل حدود المدينة عن القرى والبلدات الواقعة خارج المدينة.⁽¹⁾

إنَّ الجدار العازل سيطوق مدينة القدس وسيحيط بها، وسيؤدي في حالة إتمامه إلى أن تصبح القدس محاطة بالمستوطنات والمناطق اليهودية من كل جوانبها، بحيث يصعب تصورها كعاصمة للدولة الفلسطينية، كما سيؤدي هذا الجدار إلى تحقيق نظرية القدس الكبرى، وخلق تطور شرقي القدس التي كانت تسكنها أغلبية فلسطينية، ويمنع امتدادها الطبيعي، كما سيؤدي إلى ضم أحياء "معاليه أدوميم" و"جبعات زئيف"، وجميع المستوطنات الواقعة خارج بلدية القدس، كما سيؤدي إلى إخراج قرى ومناطق فلسطينية من حدود بلدية القدس، وبهذه الطريقة يتخلص الكيان الصهيوني من السكان الفلسطينيين في المدينة، وبذلك يهدف المشروع إلى تحقيق عدة أهداف، أهمها:

أ- رفع عدد اليهود في مدينة القدس ومحيطها إلى مليون يهودي، أي: حسم الصراع الديمغرافي لصالح اليهود، من خلال ضم المستوطنات الواقعة خارج حدود مدينة القدس؛ لتصبح جزءا منها، ومن ثم تهويد القدس أرضا وسكانا، بعد طرد السكان المقدسيين منها، وفق سياسة مرسومة من قبل الحكومة الصهيونية.

ب- تحقيق مشروع القدس الكبرى؛ بسيطرة الاحتلال على 25% من مساحة الضفة الغربية لصالح المشروع، أي: نهب مزيد من أراضي الضفة الغربية لصالح الدولة العبرية.⁽²⁾

ج- تحسين الدفاع عن القدس -التي يعتبرها الكيان المحتل- عاصمة الدولة الموحدة.

د- منع تطور المدن والبلدات الفلسطينية التابعة لشرقي القدس، وهي: أبو ديس، والعيزرية.⁽³⁾

8- الجدار الفاصل وتهويد القدس:

إنَّ من أخطر التداعيات التي يمكن أن تنتج عن بناء الجدار حول القدس، العمل على استكمال تهويد كامل مدينة القدس، وخاصة شرق القدس الذي تم احتلاله 1967م، وإخراج

⁽¹⁾ انظر: جدار الفصل العنصري: ظافر بن خضراء، ورولا يوسف البرغوتي: ص 64.

⁽²⁾ انظر: جدار الفصل العنصري، ظافر بن خضراء، ورولا البرغوتي: ص 65، ومقال "حكومة إسرائيل تقرّ مسار الجدار حول القدس محتجزة وراءه أكثر من 100 ألف مقدسي"، عبد الرؤوف أرناؤوط، صحيفة الأيام.

⁽³⁾ انظر: جدار الفصل العنصري، د. صالح الرقب: ص 18.

السكان الفلسطينيين منها على المدى البعيد، بكل الوسائل والسبل التعسفية والعنصرية، كي تواجه حكومة الاحتلال الصهيوني السكان الفلسطينيين بالأمر الواقع، وتقطع الطريق عليهم في أن يكون شرقي القدس عاصمة لدولتهم القادمة، كما يصرح الطرف الفلسطيني الرسمي. والتهويد للأرض التي يغتصبها اليهود من أهلها الأصليين شعار رفعه قادة العدو الصهيوني، منذ بداية الهجرة اليهودية الأولى إلى فلسطين، وجاء على لسان بعض الجنرالات اليهود، فمثلاً: يقول زئيفي -زعيم حركة موليدت-: "إن علينا ألا نخجل من تحقيق فكرة الترحيل (الترانسفير) لسائر السكان غير اليهود، واليوم أنا جئت أحثكم على تطبيق ما أوصيت به المؤتمرات الصهيونية المتعاقبة، منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في سويسرا عام 1897م، لقد سبقني دافيد بن غوريون في تنفيذ المهمة التي أوكلت له".⁽¹⁾

ويمكن الإشارة إلى اثنتين من آليات التهويد التي يغذيها بناء الجدار الفاصل:

أولاهما: حسم الصراع الديمغرافي لصالح اليهود:

بعد استكمال مسار الجدار حول المدينة سيجد أكثر من خمسة وخمسين (55) ألف مقدسي أنفسهم خارج حدود المدينة في المرحلة الأولى، وهذا العدد مرشَّح للارتفاع ليصل إلى مائة ألف مقدسي؛ لأنَّ القرار يمهد الطريق في المستقبل لسلخ الأحياء الفلسطينية جنوب المدينة عنها، وضمها للضفة الغربية، ولجلب مزيد من اليهود للمدينة المقدسة؛ قرَّرت الحكومة الصهيونية تقديم تسهيلات كبيرة لكل يهودي يستعد للاستيطان في القدس ومحيطها، عن طريق توفير فرص عمل كثيرة، عبر إقامة مناطق صناعية ومرافق سياحية، إلى جانب تقديم تسهيلات ضريبية كبيرة، وفي نفس الوقت فإنَّ الحكومة الصهيونية تقدم قروضاً ميسرة جداً لتسهل على اليهود شراء شقق في الأحياء الاستيطانية داخل المدينة وحولها، ويقوم ممثلو الوكالة اليهودية بالتجوال في أرجاء العالم لحث اليهود على تفضيل الاستيطان في القدس عندما يهاجرون إلى الدولة العبرية، وهذا يعني محو الهوية العربية والإسلامية لمدينة القدس، واستبدالها بهوية يهودية من الناحيتين: التاريخية، والدينية، أي: تجسيد فكرة يهودية الدولة، وعزل كل من هو غير يهودي خارج الحدود التي تريد رسمها، بعد الانتهاء من بناء الجدار حول القدس.

ثانيتهما: توفير احتياطي أراضٍ لإقامة مزيد من المستوطنات:

يؤدي الجدار إلى المزيد من إقامة المستوطنات من خلال مصادرة مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية، كما أوجد مساحات واسعة من الأراضي الشاسعة الخالية التي بالإمكان استغلالها في إقامة الأحياء الاستيطانية، فالجدار الذي يصل القدس بمستوطنة "معاليه أدوميم"،

(1) انظر دراسة في جيوبوليتيكا الجدار الفاصل: إعداد الباحث: محمد داود: ص 11.

كبرى مستوطنات الضفة الغربية، مكن سلطات الاحتلال من استغلال الأراضي بين القدس وتلك المستوطنة، في مشروع بناء آلاف الوحدات السكنية لاستيعاب الآلاف من اليهود.⁽¹⁾ وتتمثل خطورة هذا الإجراء في أنه يستبق الحل الدائم، ويضم تجمعات استيطانية لبلدية الاحتلال، بحيث تعتبر الدولة العبرية مصير التجمعات الاستيطانية -عندما يحين التفاوض حول التسوية الدائمة- خارج نطاق التفاوض، ومع أن التجمعات الاستيطانية الكبيرة ليست كلها تقع في محيط القدس؛ لكن تكريس ضم بعضها لبلدية الاحتلال يعني حدوث سابقة تسمح للدولة العبرية بضم بقية التجمعات لها.⁽²⁾

9- آثار الجدار الفاصل على مستقبل الدولة الفلسطينية:

تهدف الدولة العبرية من وراء إقامة الجدار إلى رسم حدود سياسية لإعاقة إقامة الدولة الفلسطينية، وهي تستبق بذلك مفاوضات الوضع النهائي، وهو الأمر الذي تدركه الولايات المتحدة والمجتمع الدولي، فهم يعون أن إقامة الجدار سيلحق بالشعب الفلسطيني أضراراً سياسية واجتماعية واقتصادية، وأنه سيساهم في تسمين الغول الاستيطاني، وإحكام السيطرة الصهيونية على الفلسطينيين وأرضهم، وليصبح ذلك أمراً واقعاً.⁽³⁾

ولعل من أشد أخطار الجدار الفاصل ما سيحدثه من عمليات طرد وهجرة قسرية داخلية في الضفة الغربية، تمهيداً للترانسفير في سياق الوطن البديل، وتوفير فرصة لمزيد من مصادرة الأراضي والاستيطان، وتزايد عدد المستوطنين في الضفة الغربية، وربما كان هذا هو الغرض الحقيقي من بناء الجدار، فلو كان الهدف منه أمنياً لاكتفوا ببنائه على طول الخط الأخضر.⁽⁴⁾ وأكد عدد من المتخصصين في مجال الاستيطان، والعاملين في مجال الإعلام أن الجدار العازل يعتبر من أخطر المخططات الاستيطانية التي تنفذها سلطات الاحتلال على الأرض، منذ احتلالها لبقية الأراضي الفلسطينية عام 1967م، وهذا الجدار يشكل مأساة إنسانية كبيرة للفلسطينيين؛ حيث تسبب في قطع أوصال الأرض والمجتمع، ويتسبب في مشكلات كبيرة

(1) انظر: مقال "الجدار حول القدس: مقدمات الانتفاضة الثالثة"، صالح النعامي، موقع تلفاز الجزيرة على

شبكة المعلومات الدولية (www.aljazeera.net) 1427/4/19 هـ-2006/5/17م، وجدار القدس يعزل

آلاف الفلسطينيين عن مدينتهم، جعفر هادي حسن، صحيفة الحياة اللندنية، 2005/7/18م.

(2) انظر: بحث "جدار الفصل العنصري"، د. صالح الرقب: ص 34.

(3) انظر: التداعيات السياسية لجدار الفصل، حلقوايا الوضع النهائي وفقاً للرؤية الصهيونية، مجلة فلسطين

المسلمة، العدد التاسع، سبتمبر 2003م.

(4) انظر: مقال "الجدار الفاصل يكشف للعالم بشاعة الاحتلال اليهودي"، عيسى القدومي، مجلة الفرقان،

الكويت، العدد رقم 302، التاريخ 2004/07/19م.

لا حصر لها في البنية الفلسطينية، ويحول دون قيام دولة مستقلة، ويصادر إمكان قيام سلطة فلسطينية حقيقية فاعلة ومقتدرة، تستطيع قيادة شعبها، وتأخذ بيده نحو التنمية والبناء.⁽¹⁾ أدت الإجراءات الصهيونية على أرض الواقع إلى التعقيد المستمر في الوصول إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة قابلة للحياة، بامتداد جغرافي متواصل، وتمثل ذلك في الأمور الآتية⁽²⁾:

أ- أدى وجود الجدار الفاصل إلى السيطرة الصهيونية على مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية داخل حدود 1967، مما ترتب عليه الهجرة القسرية للسكان، وتفكك النسيج الاجتماعي للأسر الفلسطينية.

ب- أدى وجود المستعمرات اليهودية إلى:

- 1- اقتطاع مساحات كبيرة من الأراضي الفلسطينية لصالح قلة قليلة من المستعمرين.
 - 2- إنشاء الحواجز ونقاط التفطيش على الطرق، مما أعاق حركة المرور وقطع أوصال الأراضي الفلسطينية، وحولها إلى مجموعة من الكنتونات.
 - 3- الحد من الحركة الطبيعية والاقتصادية للسكان، وإثارة المشاكل للسكان، وخاصة الذين يسكنون بالقرب من المستعمرات.
 - 4- سرقة كميات كبيرة من موارد المياه العذبة المتمثلة في الخزان الجوفي، في حوض العوجا التماسح حيث يضخ 400 مليون م³، وينوي الاحتلال ضمه إلى داخل الجدار الفاصل.
 - 5- تعطيل العديد من الشركات والمصانع الإنتاجية، وترك العديد من السكان لمزارعهم، بسبب الإجراءات الصهيونية، مما ترتب عليه فقدان فرص العمل، والفقر، وانتشار البطالة.
 - 6- استمرار تهويد مدينة القدس فوق الأرض وتحت الأرض، وإحاطة المدينة المقدسة بمجموعة من الأسيجة؛ لعزلها عن محيطها العربي والإسلامي.⁽³⁾
- يقول حزب السلام الصهيوني غوش شالوم: "إنَّ الجدار لن يوفر الأمن والسلام للإسرائيليين؛ لأنَّه رمز للاحتلال، لا أقل ولا أكثر، ومن خلال نظرة عابرة لمخطط هذا الجدار يلاحظ أنه يعكس رؤية شارون الحقيقية للحدود التي يجب أن تتوقف عندها أي دولة فلسطينية في المستقبل".⁽⁴⁾

(1) انظر: مقال "الجدار الفاصل يكشف للعالم بشاعة الاحتلال اليهودي"، عيسى القدومي، مجلة الفرقان، الكويت، العدد رقم 302، التاريخ 2004/07/19م.

(2) انظر: بحث بعنوان "الجدار الفاصل ومستقبل الدولة الفلسطينية"، صبحي يوسف الأستاذ، بحث سابق.

(3) انظر: المصدر السابق، 2003/10/18م.

(4) الجدار الحديدي "فصل عنصري باسم السلام"، ميتشيل بليتنيك، ترجمة: حميد نعمان، مجلة زد نيوز.

المبحث الثالث

الجدور الدينية للإرهاب في الفكر اليهودي، وأثره في الواقع الفلسطيني

المطلب الأول: الإرهاب في الفكر اليهودي.

أولاً- تعريف الإرهاب لغة واصطلاحاً:

أ- تعريف الإرهاب لغة:

الإرهاب: من الفعل الثلاثي رَهَبَ، بِالْكَسْرِ، يَرْهَبُ رَهْبَةً وَرُهْبًا، بِالضَّمِّ، وَرَهَبًا، بِالتَّحْرِيكِ، أَي: خَافَ، وَرَهَبَ الشَّيْءَ رَهْبًا وَرُهْبًا وَرَهْبَةً: خَافَهُ، وَالْإِسْمُ: الرَّهْبُ، وَالرُّهْبِيُّ، وَالرَّهْبِيُّ، وَتَرَهَّبَ غَيْرَهُ إِذَا تَوَعَّدَهُ؛ وَالرَّهْبَةُ: الْخَوْفُ وَالْفَرْعُ، وَأَرْهَبَهُ وَرَهَبَهُ وَاسْتَرْهَبَهُ: أَخَافَهُ وَفَزَعَهُ.⁽¹⁾

ب- تعريف الإرهاب في الاصطلاح:

اختلف العلماء والمفكرون اختلافاً كثيراً في تحديد معنى الإرهاب اصطلاحاً، وضبط مفهومه، وهذا ما زاد مصطلحه غموضاً وتعقيداً، فمن هذه التعريفات:

1- تعريف الأمم المتحدة:

الإرهاب: تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهدد الحريات الأساسية، أو تنتهك كرامة الإنسان.⁽²⁾

2- تعريف القانون الدولي:

هناك عدة تعريفات للإرهاب دولياً، نقلها صاحبنا كتاب علم الإرهاب⁽³⁾ عن علماء في القانون الدولي، منها:

1- عرفه د. عبد العزيز سرحان: "بأنه كل اعتداء على الأرواح، والممتلكات العامة أو الخاصة، بالمخالفة لأحكام القانون الدولي، بمصادره المختلفة.

2- وعرفه الخبير في القانون (جونزبورغ) بقوله: "هو الاستعمال العمدي للوسائل القادرة على إحداث خطر عام، تتعرض له الحياة أو السلامة الجسدية أو الصحة والأموال العامة".

3- وعرفه الخبير في القانون (رون) بقوله: "إنه الاستعمال العمدي للوسائل القادرة على إحداث خطر عام".

(1) لسان العرب، ابن منظور: 436/1.

(2) الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص17، نقلا عن وثائق الأمم المتحدة: الجمعية العامة، مجلس الأمن، اللجنة المختصة المعنية بالإرهاب الدولي: محاضر اجتماعات، دراسات، تقارير، قرارات، من العام 1982م حتى غاية العام 1994م.

(3) علم الإرهاب د. محمد عوض الترتوري، د. أغادير عرفات جويحان: 31، 32.

4- وقال القانوني (جورج ليفاس): "الإرهاب هو الاستعمال العمدي والمنظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب، بقصد تحقيق أهداف معينة".

وقد وردت هذه التعريفات للإرهاب من قبل هؤلاء الخبراء وعلماء القانون في المؤتمرات الدولية، سواء في إطار اجتماعات المجموعات القانونية الخاصة، أو في عهد عصبة الأمم ومنظمة الأمم المتحدة.

وكذلك عُرّف الإرهاب دولياً: بأنه أبرز صور العنف السياسي المسلح، وهو أحد الأعمال الخطيرة الموجهة ضد الدول.⁽¹⁾

لكن هذه التعريفات رغم تعددها، قد أغفلت شيئاً مهماً في التعريف لا بد منه، وهو: حق الشعوب في مقاومة المحتل الذي اغتصب الأرض، وأخذ يمارس بحق الشعوب أبشع أنواع الجرائم؛ فقد جعلت التعريف عاماً، ولم تضع له استثناءً للشعوب المحتلة التي لا بد لها من استخدام القوة المسلحة، لإجبار المحتل على الرحيل عن أرضها؛ وكل ذلك بسبب هيمنة القوى العظمى على قرارات المؤسسات الدولية التي لا تسمح بخروج أي شيء من هذه المؤسسات؛ إلا ما يتفق مع مصالحها ومصالح حلفائها في العالم.⁽²⁾

3- تعريف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:

عُرّف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الإرهاب -بعد أحداث 11/ سبتمبر 2001م- بأنه "ترويع الآمنين، وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرّياتهم وكرامتهم الإنسانية، بغياً وإفساداً في الأرض، ومن حق الدولة التي يقع على أرضها هذا الإرهاب الأثيم أن تبحث عن المجرمين، وأن تقدمهم للهيئات القضائية؛ لكي تقول كلمتها العادلة فيهم".⁽³⁾

4- ويعرف د. عصام رمضان -المتخصص في القانون الدولي- الإرهاب بأنه: "استخدام أو تهديد باستخدام العنف ضد أفراد، ويعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة، أو تهديد الحريات الأساسية للأفراد، لأغراض سياسية، بهدف التأثير على موقف أو سلوك مجموعة مستهدفة، بغض النظر عن الضحايا المباشرين".⁽⁴⁾

5- عرف مجلس وزراء الداخلية والعدل العرب الإرهاب في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب- الصادرة عام 1998م في القاهرة- كما يلي:

(1) الإرهاب الدولي وشرعية المقاومة، سهيل حسين الفتلاوي: 54.

(2) انظر: علم الإرهاب د. محمد عوض الترتوري، د. أغادير عرفات جويحان: 32.

(3) بيان مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بشأن ظاهرة الإرهاب، 15 شعبان، 1922هـ، 1 نوفمبر 2001م.

<http://www.islamweb.net>

(4) الأبعاد القانونية للإرهاب الدولي، د. عصام صادق رمضان، مجلة السياسة الدولية، عدد 854، ص 24.

"الإرهاب: كل فعل من أفعال العنف أو التهديد، أيًا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق، أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو اختلاسها، أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر".⁽¹⁾

6- تعريف المجمع الفقهي الإسلامي:

الإرهاب: "عدوان يمارسه أفراد أو جماعات أو دول، بغياً على الإنسان في (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذًا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه: إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها".⁽²⁾

ولم يستطع الباحثون الحصول على تعريف محدد للإرهاب؛ نظرًا لعدم ضبطه ومعرفة نوع العنف الذي يميزه عن غيره، ولعدم وجود معيار ثابت يمكن الرجوع إليه في مفهومه.⁽³⁾

التعريف المختار للإرهاب:

يرجح الباحث تعريف المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وهو نفسه الذي عرفه مجلس وزراء الداخلية والعدل العرب في الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، ويبدو أن المجمع الفقهي قد اعتمد تعريف مجلس وزراء الداخلية؛ لأنه حسب التاريخ الصادر فيه أسبق من تاريخ قرارات المجمع الفقهي بأربع سنين تقريباً، وهذا الترجيح لهذا التعريف؛ لأنه تعريف دقيق وشامل، يصف حقيقة الإرهاب الذي يجمع الكل على أنه مرفوض، ويشمل كل من يقوم به من (الأفراد والجماعات) والدول كذلك، وهذا ما يغفله كثير من التعريفات، ويشمل جميع أشكال ومظاهر العدوان المختلفة، مثل: الاعتداء على (الدين والدم والعقل والمال والعرض)، وهذا ما غفل عنه كثير من التعريفات، أو اقتصر على بعضه دون بعض، وهو تعريف يتوافق

⁽¹⁾ المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، جريدة الرياض، 1418\11\29 هـ، العدد 10818.

⁽²⁾ قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة: ص 355 - 356، الدورة السادسة عشرة، في 26 شوال 1422 هـ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

⁽³⁾ انظر: بحث بعنوان: "الفرق بين الجهاد والإرهاب"، د. لمياء بنت سليمان الطويل، مجلة البحوث الإسلامية، عدد 97، ص 247.

مع مبادئ الإسلام العظيم في تحريم الاعتداء على تلك الكليات، التي أمر الإسلام بالمحافظة عليها، وحرمة الاعتداء عليها، واعتبر ذلك من الحاربة التي رتب عليها عقوبة مغلظة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: 33].

ومن الجدير بالذكر أن الكفاح المسلح للشعوب الخاضعة للاحتلال الأجنبي من أجل تحرير أرضها المحتلة، والحصول على حقها في تقرير مصيرها واستقلالها -وفقاً لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها- لا يعد إرهاباً، وأن الدفاع عن الأوطان فطرة غريزية عند البشر جميعاً، وأنهم مارسوا هذا الحق منذ أقدم عهودهم، وما زالوا يمارسونه حتى اليوم، وهم بهذه الممارسة يعتقدون أنهم يقومون بعمل مشروع؛ بل إن من واجبهم القيام بهذا العمل حتى لو فقدوا حياتهم في هذا السبيل.

هؤلاء الذين يدافعون عن أوطانهم لم يكونوا بحاجة إلى قرار من أحد أو من هيئة، كي يمارسوا هذا الحق؛ لأنه مفطور في غرائزهم لا يمكنهم التخلي عنه، أو حتى الاستهانة به، وقد جاءت القوانين البشرية كلها، وقبلها الشرائع السماوية لتؤكد هذا الحق، وتأمّر الناس بممارسته مهما كلفهم من ثمن، وكان الإسلام من ضمن هذه الشرائع التي أمرت أتباعها بالدفاع عن بلادهم، وعدت موتهم في هذا السبيل طريقاً إلى الجنة، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحض على الجهاد، وعلى الدفاع عن الأوطان، ورسولنا الكريم ﷺ أمرنا بالدفاع عن أوطاننا، وعد ذلك واجبا على كل القادرين، من الرجال والنساء.⁽¹⁾

وعلى غرار قوانين الأمم المتحدة جاءت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، التي وقعها وزراء الداخلية العرب، فقد جاء في المادة الثانية من هذه الاتفاقية:

"لا تُعد جريمة حالات الكفاح بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان، من أجل التحرر وتقرير المصير، وفقاً لمبادئ القانون الدولي".⁽²⁾

كما أن رابطة العالم الإسلامي أكدت في بيان مكة -الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي، المنعقد في مكة، في الفترة ما بين 21-26/10/1422هـ- الحق للجميع في الدفاع عن أوطانهم وأعراضهم ضد المحتلين الغاصبين، وأن هذا الحق مشروع في كل الشرائع الإلهية، والقوانين الوضعية. لقد وقع الخلاف الواضح بين المصطلحات في تعريف الإرهاب، حتى لوحظ على بعضها العموم، وعلى الآخر التخصيص؛ لكن وبعد التحقيق تبين أن كلمة الإرهاب ترجمة من terrorism

(1) انظر الإرهاب في ميزان الشريعة، د. عادل عبد الله العبد الجبار: ص 23-24.

(2) المصدر السابق: ص 24-25، نقلاً عن مجلة معلومات دولية، مركز المعلومات القومي، عدد 57.

إلى إرهاب باللغة العربية، ترجمة غير صحيحة لغوياً؛ لأنّ الخوف من القتل أو الجرح أو التدمير هو مجرد خوف مادي، يعبر عنه بالرعب، وليس الرهبة؛ لأنّ الرهبة في اللغة العربية عادة استخدام للتعبير عن الخوف المشوب بالاحترام، لا الخوف والفرع الناجم عن تهديد قوة مادية أو حيوانية أو طبيعية، فذلك إنما هو رعب أو ذعر، وليس رهبة، والكلمة الصحيحة التي تقابل المفردة الانجليزية terrorism هي: إرعاب؛ ولكن مجمع اللغة العربية أقر استخدام كلمة إرهاب التي لها رواج واستعمال واسع في الرأي العام العربي، وجرى الناس على استعمالها، وأصبحت متداولة ومتعارف عليها.⁽¹⁾

ثانياً- الجذور الدينية للإرهاب الصهيوني، وأثرها على الحركة الصهيونية:

ترجع جذور الإرهاب الصهيوني إلى تعاليم التوراة والتلمود وبروتوكولات حكماء صهيون والأيديولوجية الصهيونية، حيث يربط يهود اليوم أنفسهم بيهود العهد القديم؛ لتبرير ارتكاب المجازر الجماعية والحروب العدوانية واغتصاب الأرض والثروات. وقد رسّخ كتبة التوراة والتلمود أطماعهم وأحلامهم بسرقة الأرض العربية في فلسطين من سكانها الأصليين، وقتل أصحابها الشرعيين، وغرسوا في أتباعهم الإرهاب وقتل غير اليهود، وتلقّف الصهاينة ما ورد في التوراة من أساطير وخرافات وأطماع وأكاذيب لاستعمار فلسطين وتهويدها والهيمنة على المنطقة العربية من النيل إلى الفرات، وفرض هيمنة اليهودية على العالم.⁽²⁾

أ- نصوص العهد القديم التي تحدثت عن الإرهاب اليهودي:

لقد أصبحت التوراة جوهر الصهيونية، والصهيونية هي الحركة والأيديولوجية التي قام عليها الكيان اليهودي المحتل لفلسطين، وتتص التوراة على أن اليهودي وحده هو الإنسان وجزء من العزة الإلهية، وأن الدنيا بما فيها ملك له، له عليها حق التسلط، وتفتخر التوراة بما حدث لأهل مدين على أيدي اليهود، وتقول: إنهم قتلوا كل ذكر، وقتلوا ملوك مدين فوق قتلاهم، وسبوا نساء مدين وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم وكل أملاكهم، وأحرقوا جميع مدنهم ومسكنهم.⁽³⁾ لقد وضع موسى عليه السلام -في نظر اليهود- أسس التقاليد العسكرية الصهيونية التي سار عليها فيما بعد الأحفاد، وبعد موته تولى خادمه يشوع بن نون، الذي أصبح القائد العسكري

⁽¹⁾ انظر: الإرهاب في ميزان الشريعة، د. عادل عبد الله العبد الجبار: ص25.

⁽²⁾ انظر: مقال بعنوان "الجذور الدينية للإرهاب الصهيوني"، د.غازي حسين، أرشيف موقع قناة المنار اللبنانية، <http://archive.almanar.com.lb20-11-2012>

⁽³⁾ انظر: المقال السابق "الجذور الدينية للإرهاب الصهيوني"، د.غازي حسين.

لعملية غزو أرض كنعان، وصار بعد ذلك بطلاً إسرائيلياً معاصراً، وقدوة تحتذى بسبب وحشية أسلوبه في التعامل مع الشعوب غير اليهودية، وكذلك فعل نبي الله داود مع أعدائه من الفلسطينيين، على حسب زعم التوراة المحرفة.

ولقد جمعت قوانين الحرب في العهد القديم في سفر التثنية، وفيه تحدد لليهود كيفية الاستيلاء على المدن، وأسلوب التعامل مع أهل البلاد، في الإصحاحات: (10/20 و 14/21 و 10/23 و 16/23 و 5/24)، وأصبحت هذه الأسفار مرجعاً وقانوناً ووحياً للقادة الصهاينة.⁽¹⁾

وهذه بعض نصوص العهد القديم التي تتحدث عن الإرهاب اليهودي:

1- ورد بخصوص السبايا والغنائم قول التوراة: "فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. لَكِنْ جَمِيعُ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةً ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَاتٍ".⁽²⁾

2- جاء في سفر التثنية: "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمِلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ فَاصْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ".⁽³⁾

3- يذكر سفر يشوع أنه هاجم مدينة أريحا الكنعانية، وأحرقها بمن فيها من الأحياء حتى الحمير، وسجل السفر الحروب التي خاضها بنو إسرائيل ضد خصومهم والمذابح التي ارتكبوها، وزعم -على لسان يشوع- أن يهوه هو الذي أمره بالقيام بتلك المذابح وباركها وقدسها.⁽⁴⁾

يقول سفر يشوع: "فَهْتَفَ الشَّعْبُ وَصَرَئُوا بِالْأَبْوَابِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هَتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُلٍ مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْلِ وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ بِحَدِّ السَّيْفِ".⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر: الأصول التوراتية للعنف اليهودي، د. عبد الغني عماد: ص 8.

⁽²⁾ سفر العدد: 17/31.

⁽³⁾ سفر التثنية: 10/20.

⁽⁴⁾ انظر: المقال السابق بعنوان "الجذور الدينية للإرهاب الصهيوني"، د. غازي حسين.

⁽⁵⁾ سفر يشوع: 20/6-21.

4- ما فعله داوود عليه السلام مع أعدائه -حسب زعم التوراة المحرفة-: "وَبَعْدَ ذَلِكَ ضَرْبَ دَاوُدَ الْفَلِسْطِينِيِّينَ وَذَلَّلَهُمْ، وَأَخَذَ دَاوُدُ زِمَامَ الْقَصَبَةِ مِنْ يَدِ الْفَلِسْطِينِيِّينَ. وَضَرْبَ الْمُوَابِيِّينَ وَقَاسَهُمْ بِالْحَبْلِ. أَضْجَعَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ، قَفَّاسَ بِحَبْلَيْنِ لِلْقَتْلِ وَبِحَبْلِ لِالِاسْتِحْيَاءِ. وَصَارَ الْمُوَابِيُّونَ عَبِيدًا لِدَاوُدَ يُقَدِّمُونَ هَدَايَا".⁽¹⁾

5- وفي السفر السابق: "وَهَرَبَ أَرَامُ مِنْ أَمَامِ إِسْرَائِيلَ، وَقَتَلَ دَاوُدُ مِنْ أَرَامَ سَبْعَ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَضَرْبَ شُوبَكَ رَئِيسَ جَيْشِهِ فَمَاتَ هُنَاكَ. وَلَمَّا رَأَى جَمِيعُ الْمُلُوكِ، عَبِيدُ هَدَرٍ عَزَّرَ أَنَّهُمْ انْكَسَرُوا أَمَامَ إِسْرَائِيلَ، صَالَحُوا إِسْرَائِيلَ وَاسْتَعْبَدُوا لَهُمْ، وَخَافَ أَرَامُ أَنْ يُنْجِدُوا بَنِي عَمُونَ بَعْدُ".⁽²⁾

ب- نصوص التلمود التي تحدثت عن ممارسة اليهود للإرهاب:

جاء في الفصل السادس من كتاب "الكنز المرصود في قواعد التلمود" -تحت عنوان: "حياة الأجانب وأشخاصهم"- نصوص تبين التصاق صفة الإرهاب باليهود في معاملتهم مع الآخرين الذين يعتبرونهم أغيار وأجانب، يجوز معهم فعل المحرمات التي حرّمها الله على اليهود، معتقدين أن هذا التحريم خاص في التعامل فيما بينهم، من هذه النصوص:

1- "غير مصرّح للكاهن أن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصاً، ولو حصل القتل خطأ، أو ندم الكاهن بعد ذلك؛ ولكن قال الحاخام (شار): إنه يمكنه أن يبارك الشعب بتلك اليد، إذا كان المقتول غير يهودي، ولو حصل القتل بقصد وسبق إصرار".

وبناء على ذلك فإن قتل غير اليهودي لا يعدّ جريمة عندهم؛ بل فعل يرضي الله !!

2- وجاء في كتاب (بوليميك): "إن لحم الأميين لحم حمير، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة؛ أما اليهود فإنهم تطهروا على طور سينا، والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم؛ ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي".

3- "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرّم على اليهودي أن ينجّي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرج من حفرة يقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين".

4- "إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر".

5- وزاد الحاخام (رشي) إنه: "يلزم عمل الطرق اللازمة لعدم خلاص الوثني المذكور منها". أي: من الحفرة.

(1) سفر صموئيل الثاني: 2-1/8.

(2) سفر صموئيل الثاني: 18/10.

6- وقال (ميمانود): "الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني، فإذا رأيتَه واقعاً في نهر، أو مهدداً بخطر، فيحرم عليك أن تتقذه منه؛ لأن السبعة شعوب الذين كانوا في أرض كنعان، المراد قتلهم من غير اليهود، لم يقتلوا عن آخرهم؛ بل هرب بعضهم واختلط بباقي أمم الأرض؛" ولذلك قال (ميمانود): "إنه يلزم قتل الأجنبي؛ لأنه من المحتمل أن يكون من نسل السبعة شعوب، وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع".

7- "من ينكر شيئاً من الاعتقادات اليهودية يعتبر كافراً، ومن تلامذة الفيلسوف (ابيقور)، ويلزم بغضه واحتقاره وإهلاكه؛ لأنه جاء في الكتب: كيف لا أبغض يا إلهي من يبغضك".

8- "إذا قصد يهودي قتل حيوان، فقتل شخصاً خطأ، أو أراد قتل وثني أو أجنبي، فقتل يهودياً، فخطيئته مغفورة ملاحظة للقصد".

على أنه من المعلوم أن قتل اليهودي من الجرائم التي لا تغتفر، فيلزم أن يكون قتل الأجنبي عندهم من الفضائل، حتى أنهم يسامحون القاتل في هذه الحالة.

9- "إنه جائز قتل من ينكر وجود الله، وإذا نظر أحد اليهود كافراً في حفرة فعليه أن لا يخرجها منها، وحتى ولو وجد فيها سلماً يمكن الكافر أن يخرج بواسطته منها وجب على اليهودي نزعه، محتجاً بأنه أخرجه حتى لا ينزل عليه قطيعه، وإذا وجد حجراً بجانب الحفرة وجب عليه وضعه عليها، ويقول: إني أضع هذا الحجر ليمر عليه قطيعي".

10- "من العدل أن يقتل اليهودي بيده كافراً؛ لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً إلى الله".

11- "إن الكافر -كما قال الحاخام (اليعازر) هم: يسوع المسيح ومن اتبعه"، وقال الربابي (يهودكيا): إن هذه اللفظة تشمل الوثنيين على العموم.

12- أما ما جاء من قول التوراة: "لا تقتل" (يقصد في الوصايا العشر)، فقال ميمانود: "إنه تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل".

ومن المفروض عندهم قتل كل من خرج عن دينهم، وخصوصاً الناصريين؛ لأن قتلهم من الأفعال التي يكافئ الله عليها.

ووصف المعلم (جراز) -وهو خوجة في مجمع الحاخامات في مدينة (برزلو) - المسيحي بالعداوة، وقال: "إنه يجب إعدامه، ومدح الوسائط التي يمكن بها التوصل لهذا الغرض".

هذا وحب سفك الدم البريء عند الحاخامات ثابت في التاريخ العام؛ لأنه جاء فيه: إن شاول خرج لمحاربة المسيحيين، وهو لا يقصد إلا القتل والفتك بهم فتكاً ذريعاً، ومذكور في رسائل الرسل: أن اليهود كانوا يُهَيِّجون سكان المدن التي يسكنونها ضد المسيحيين.

وقالت: اليهود في كتابهم المسمى: (سدرحا دوروت): إن الحاخامات تسببوا برومة في قتل جملة من النصارى.⁽¹⁾

إن النصوص التلمودية تقوم بعملية تثبيت لمفاهيم التوراة عن الإرهاب للشعوب غير اليهودية، كما أنها تقوم بتأصيل ذهنية اليهودي ونظرته لسواه من الأغيار، فهو يسقط عنهم الصفة الإنسانية، وبعد هذا الإسقاط العقائدي النظري يصبح القتل والاستئصال المادي خطوة سلوكية تكمل الإيمان اليهودي؛ بل تتحول إلى نوع من الطقوس والشعائر عند الملتمزمين بأصول الدين اليهودي، فالمذبحة التي قام بها "باروخ غولد شتاين" في الخليل وقتل فيها سبعة وعشرين شخصا، وجرح أكثر من خمسين من المصلين المسلمين في قلب المسجد أثناء تأديتهم للصلاة، هذه المذبحة كانت ترجمة لهذا المناخ الفكري الذي يعتبر كما في التلمود "كل من يسفك دم شخص غير يهودي عمله مقبول عند الله كمن يقدم قربانا إليه"، وقد تحول غولد شتاين بفعلته هذه إلى بطل قومي، كما مناحيم بيغن من قبل في مجزرة دير ياسين، كما أرييل شارون بكل مجازر لبنان أثناء الاجتياح عام 1982م، ومنها مجزرة صبرا وشاتيلا وغيرها.⁽²⁾

ويعد الإرهاب اليهودي من أهم المرتكزات لتحقيق المشروع الصهيوني في الوطن العربي، فهو ليس مجرد وسيلة للعقلية اليهودية المغرمة بالإرهاب والعنصرية وسفك الدماء والانتقام، ووضع القوة فوق الحق والسلام والعدل؛ وإنما هو عقيدة دينية، ومخطط ورسالة أبدية، يوجهها رجل الدين والمفكر والكاتب والمتقف ورجل الدولة اليهودي، لمحاربة العرب والمسلمين وجميع الشعوب والأمم غير اليهودية، مما يعرض السلام الإقليمي والعالمي لأفدح الأخطار.⁽³⁾ وحينما يستعرض الباحث في التاريخ الفكري للصهيونية فإنه يستنتج الملاحظات التالية:

- 1- تأسس المشروع الصهيوني على المبادئ الأولية التي بناها الفكر اليهودي طوال تاريخه، وأبرزها: أن اليهود شعب الله المختار، وأن سائر البشرية هم الأغيار، وهم أدنى مرتبة منهم، وأن من حقهم أن يستخدموا الأغيار لخدمتهم، ومن أجل مصلحتهم.
- 2- حينما تعاملت الصهيونية مع العرب صنفتهم في درجة دنيا في سلم الأغيار، وهو ما أباح لقادة الإرهاب الصهيوني أن يستخدموا جميع الوسائل الممكنة للقتل والإبادة والاعتقال والإبعاد والتعذيب والنسف والتدمير والتخريب، وبذلك تأسست مدرسة للإرهاب خاصة بالصهيونية.

⁽¹⁾ الكنز المرصود في قواعد التلمود على المكتبة الشاملة: ص58-60.

⁽²⁾ انظر: الأصول التوراتية للعنف اليهودي، د. عبد الغني عماد: ص17-26.

⁽³⁾ انظر: مقال سابق بعنوان "الجذور الدينية للإرهاب الصهيوني"، د. غازي حسين.

3- لازم الإرهاب بمختلف أشكاله وأنواعه المشروع الصهيوني، منذ بدأ زعماء الصهيونية التفكير فيه، وبخاصة ثيودور هرتزل، ويشكل جوهر هذا المشروع، ومن هنا يلاحظ ذلك التوارث في الإرهاب بين قادة الصهيونية وزعماء الكيان المحتل، توارثا لا انقطاع فيه، حتى إن الإرهاب غدا عملاً يومياً عادياً.

4- من الثابت أنه ما من مسئول صهيوني إلا كان إرهابياً في الفكر أو الممارسة أو في كليهما معاً، ومن يراجع تاريخ الإرهاب الصهيوني يجد أن أسماء معظم القادة والمسئولين اليهود هم قادة للمنظمات الإرهابية السرية والعلنية، أو مسئولون أو عاملون فيها.⁽¹⁾

وذكر الجهاز المركزي الفلسطيني للإحصاء، في تقرير له، يوم الإثنين 13 مايو 2019م، أن عدد الشهداء الفلسطينيين والعرب، منذ نكبة 1948م وحتى كتابة ذلك التقرير (داخل وخارج فلسطين)، بلغ نحو 100 ألف شهيد؛ فيما سجلت منذ عام 1967م مليون حالة اعتقال، واستعرض الجهاز أوضاع الشعب الفلسطيني عشية الذكرى الـ71 للنكبة، وذكر أن عدد الشهداء بلغ منذ بداية انتفاضة الأقصى 10 آلاف و853 شهيداً، خلال الفترة من 29 سبتمبر 2000م وحتى 7 مايو 2019م، منوهاً بأن عام 2014م كان أكثر الأعوام دموية، حيث ارتقى 2240 شهيداً، منهم 2181 استشهدوا في غزة، غالبيتهم خلال العدوان الصهيوني؛ أما خلال عام 2018م فقد بلغ عدد الشهداء 312 شهيداً، منهم 57 طفلاً، وثلاث سيدات، ولا يزال الاحتلال يحتجز جثامين 15 شهيداً.

وأضاف التقرير أن عدد الأسرى في سجون الاحتلال بلغ حوالي 5700 أسيراً، كما هو في نهاية مارس 2019 (منهم 250 طفلاً و47 امرأة)؛ أما عدد حالات الاعتقال فبلغت خلال عام 2018 حوالي 6500 حالة، من بينهم 1063 طفلاً، و140 امرأة.⁽²⁾

ج- الإرهاب في بروتوكولات حكماء صهيون:

أكدت بروتوكولات حكماء صهيون على العنف والإرهاب كوسائل مهمة في تنفيذ أهداف الصهيونية العالمية، فقد وردت كلمتي العنف والإرهاب فيها أربعة عشر مرة، ولمعرفة مدى اهتمام حكماء صهيون بالعنف والإرهاب منذ مؤتمريهم الأول، فهذه الفقرات التي أكدت استخدامها فيها⁽³⁾:

(1) انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 6-9 باختصار.

(2) انظر: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، الإثنين، 13 مايو 2019 <http://www.pcbs.gov.ps>

(3) بحث بعنوان "الإرهاب في الحركة الصهيونية"، حيدر أحمد علو: ص 7-10، على صفحته الشخصية

hayder2004@yahoo.com

1- البروتوكول الأول:

- أ- "يجب أن يلاحظ أن ذوي الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوي الطبائع النبيلة، وإذن فخير النتائج في حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية".⁽¹⁾
- ب- "يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة".
- ج- "إن القوة المحضة هي المنتصرة في السياسة، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة، يجب أن يكون العنف هو الأساس، ويحتم أن يكون ماکراً خداعاً".⁽²⁾

2- البروتوكول الثالث:

"لقد أقتنعنا الأمميون بأن مذهب التحررية سيؤدي بهم إلى مملكة العقل، وسيكون استبدالنا من هذه الطبيعة؛ لأنه سيكون في مقام يجمع كل الثورات، ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات".⁽³⁾

3- البروتوكول السابع:

"من أجل أن نظهر استبدالنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا، سوف نبين قوتنا لواحدة منها، متوسلين بجرائم العنف، وذلك هو ما يقال له: حكم الإرهاب".⁽⁴⁾

4- البروتوكول التاسع:

- أ- "إننا مصدر إرهاب بعيد المدى".⁽⁵⁾
- ب- "ولكي لا تتحطم أنظمة الأمميون قبل الأوان الواجب، أمددناهم بيدنا الخبيرة، وأمنا غايات اللوالب في تركيبهم الآلي، وقد كانت هذه اللوالب ذات نظام عنيف؛ ولكنه مضبوط".⁽⁶⁾

5- البروتوكول الحادي عشر:

أ- "سنكون في هذه اللحظة المعينة وحدها آمنين كل الأمان؛ لكي نعلن كل تغييراتنا، وهناك سبب آخر هو: أن التغييرات التي يحسها الشعب في أي وقت قد يثبت أنها خطيرة؛ لأنها إذا قدمت بعنف صرامة، وفرضت قهراً بلا تبصر، فقد تسخط الناس".

⁽¹⁾ بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي: ص 63.

⁽²⁾ (ب-ج-د): بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي: ص 67.

⁽³⁾ المصدر السابق: ص 73.

⁽⁴⁾ المصدر السابق نفسه: ص 81.

⁽⁵⁾ المصدر السابق نفسه: ص 83.

⁽⁶⁾ المصدر السابق نفسه : 84.

ب- "بينما الناس لا يزالون يتألمون من آثار التغيير المفاجئ، وهم في حالة فزع وبلبلة، أن يعرفوا أننا بلغنا من عظم القوة والصلابة والامتلاء بالعنف أفقاً، لن ننظر فيه إلى مصالحهم نظرة احترام".⁽¹⁾

6- البروتوكول الثاني والعشرون:

"أفلا يزال ضرورياً لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمنا هو إرادة الله؟ هل يمكن -ولنا كل هذه الخيرات الضخمة- أن نعجز بعد ذلك عن إثبات أن كل الذهب الذي ظللنا نكدسه خلال قرون كثيرة جداً لن يساعدنا في غرضنا الصحيح للخير، أي: لإعادة النظام تحت حكمنا؟ إن هذا قد يستلزم مقداراً معيناً من العنف".⁽²⁾

7- البروتوكول الرابع والعشرون:

"ولن يأتى شيوخنا على أزمة الحكم إلا بالرجال القادرين على أن يحكموا حكماً حازماً، ولو كان عنيفاً".⁽³⁾

وهكذا تمتلئ عبارات العنف والإرهاب في هذا الكتاب (بروتوكولات حكماء صهيون)، الذي يعد مصدراً من مصادر الفكر اليهودي الصهيوني، مما يؤصل لهذا الفكر الإرهابي الذي عليه اليهود والصهاينة قديماً وحديثاً.

د- أقوال زعماء اليهود وزعماء بعض الدول الاستعمارية في التشجيع على الإرهاب:

مما شجع اليهود على الإرهاب الاستعماري أقوال كثير من زعمائهم وزعماء بعض الدول الاستعمارية، ومنها⁽⁴⁾:

1- وصف وعد بلفور (1917م) الأغلبية الساحقة من العرب في فلسطين بـ"السكان غير اليهود".

2- المذكرة التي قدمها وايزمان إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام -المنعقد في باريس- في 1919/2/3م، التي تضمنت "الحد الأدنى لدولة اليهود المقبلة"، وأدخل فيها كل فلسطين، وجنوبي لبنان، وجنوبي سورية حتى دمشق، وخليج العقبة، وخط حديد الحجاز حتى معان، ومنابع مياه الأردن في سفوح جبل الشيخ.

⁽¹⁾ (أ-ب): بروتوكولات حكماء صهيون، محمد خليفة التونسي: ص 90.

⁽²⁾ المصدر السابق: ص 120.

⁽³⁾ المصدر السابق نفسه: ص 123.

⁽⁴⁾ (أقوال (1-6): هيئة الموسوعة الفلسطينية، الموسوعة الفلسطينية: 186-185/1.

3- قول جابوتنسكي -مخاطبا الصهيوني-: "كل إنسان آخر على خطأ، وأنت وحدك على صواب... لا توجد في العالم إلا حقيقة واحدة، وهي بكاملها ملكك أنت".

4- قول مناحيم بيغن: "تعلمت منذ حداثة سني عن أبي أننا نحن اليهود لا بد أن نعود لأرض إسرائيل... إن أكثر الأمور ضرورة هو الشعور الداخلي الذي يحول ما هو شرعي إلى غير شرعي، وما هو غير شرعي إلى شرعي ومبرر. لقد كنا مقتنعين بالشرعية المطلقة لأعمالنا اللاشرعية".

5- قول ليفي أشكول: "إن رسالتنا التاريخية تتحقق بالوجود والقوة".

6- قول موشيه ديان -مهددا العرب بالغزو والإرهاب-: "لقد كتب على جيلنا لكي يحيا أن يكون دائما على أهبة الاستعداد، وأن نظل مسلحين أقوياء شديدي العزم، وإذا وقع السيف من يدنا فسوف نموت".

ثالثاً- التربية والإرهاب:

يؤكد منهج الدين اليهودي على عقيدة "شعب الله المختار" لدفع الأجيال الناشئة إلى احتقار الأغيار، فلا يوجد طفل في الكيان المحتل لا يحفظ عن ظهر قلب "لَأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَقَدْ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ".⁽¹⁾

ولقد لعب الأدب الصهيوني أيضا دوراً خطيراً في تكوين الشخصية اليهودية؛ ولكن الدور الأخطر هو للمدارس الدينية التي تعتبر مواقع لتخريج "الإرهاب العقائدي"، حيث يبيح الحاخامات دماء الأغيار، ويدعون الجنود إلى رفض الأوامر الداعية إلى الانسحاب من الأراضي المحتلة.

وكنموذج على ذلك: الفتوى التي أصدرها 15 حاخاماً يوم 12/7/1995م، حينما علموا باحتمال أن تؤدي المفاوضات بين السلطة الوطنية الفلسطينية والكيان الصهيوني إلى انسحاب جزئي من بعض المستعمرات في الضفة الغربية وقطاع غزة، تقول الفتوى: "إن التوراة تحظر إخلاء قواعد عسكرية للجيش الإسرائيلي في يهودا والسامرة، وتسليمها إلى غير اليهود، وعلى آلاف الجنود ممن يقضون الخدمة العسكرية رفض الأوامر القاضية بالانسحاب من هذه القواعد".⁽²⁾

⁽¹⁾ سفر التثنية: 2/14.

⁽²⁾ مجلة الدفاع العربي، العدد 7، إبريل/ نيسان 1996، بيروت، ص22.

وكان الحاخامون الأشكناز قد وجهوا في خريف العام 1993م رسالة دينية إلى اليهود، قالوا فيها: "إن الحكومة التي تريد السلام مع العرب هي حكومة مجرمة".⁽¹⁾

ويتساءل رجال الدين: "كيف تسمح الحكومة لنفسها بالتنازل عن أرض قاتل اليهود من أجلها طويلاً، وطالما حلموا بالعودة إليها".⁽²⁾

وهكذا يتبين لنا دور التربية والتعليم والأدب وفتاوى الحاخامات اليهود في نشأة الإرهاب عند اليهود الصهاينة، وتشجيع اليهود الصهاينة وتحريضهم على ممارسته ضد الأغيار، ليجد اليهودي نفسه أنه يرضي ربه حينما يمارس الإرهاب والعنف ضد الآخرين من غير اليهود.

رابعاً- الفكر والإرهاب:

لقد جسد الأدب الصهيوني ما في قلوب الصهيونيين من حقد على البشرية جمعاء. وتعد قصيدة الشاعر "شاؤول تشرنخوفسكي" (1875-1943م)، بعنوان "فليكن هذا هو ثأرنا" نموذجاً لذلك، حيث يقول: "سيأتي اليوم الذي تفقد فيه أيها المضطهد طهارتك، وتغرس حد سكينك في عنق أخيك ابن أمك كأنك تذبح خنزيرك المفضل، في عيد القيامة في الفناء أو في ميدان القرية، وسيكون رنين أنات موته مثل الموسيقى، أو المهرجان في أذنك، يا يوم الثأر، يوم ينتف ابنك شعر ذقنك التي علاها الشيب، ويرفع في وجهك قبضته الصلبة مهدداً، ويناديك من حنجرته الحيوانية، يا يوم الثأر والعقاب".⁽³⁾

ويستجد هذا الشاعر بـ"سيف الإله" للانتقام والثأر، فيقول: "فلترسل يا إلهي، فلترسل سيفك لثأر منهم، ولتركهم في بؤس شديد دون ذرية، فلتصب حنقك على الأمم التي لا تقرنك، ولتصب غضبك على الممالك التي لا تتادي باسمك؛ لأنهم قد دمروا مساكن شعبك وأكلوا نصيب يعقوب".

ثم يصف في القصيدة نفسها كيف سيكون الانتقام من كل شعوب الأرض: "في كل ليلة نصد من قبورنا حيث دفنا، لنشرب دماء الجزارين".⁽⁴⁾

وهكذا يتبين أن الأدب الصهيوني يُعَبِّئ اليهود الصهاينة بالحقد والعنف والإرهاب، ويحرضهم عليه بأبشع الصور الأدبية، التي يتغنى بها الأدباء والشعراء والمفكرون الصهاينة، حين يدعون اليهود لارتكاب أعمال العنف والإرهاب والقتل وسفك الدماء.

⁽¹⁾ صحيفة هآرتس، 14/9/1993م.

⁽²⁾ صحيفة دافار، 11/8/1994م.

⁽³⁾ الإسرائيليون الأوائل جيراننا الجدد، وجهه أبو ذكري: ص22.

⁽⁴⁾ المصدر السابق: ص22-23.

خامساً - إرهاب الكيان اليهودي المحتل (إرهاب الدولة):

هناك منظمات تدعمها دول، تقوم بأعمال إرهابية، وقد تستأجر مجموعات من الناس أو الأفراد لتأدية هذه الأعمال، وهذا ما يسمى "إرهاب الدولة"، وهو أخطر أشكال الإرهاب؛ لأنه أداة سياسة القوة والعدوان والبطش والسيطرة والتدخل في الشؤون الداخلية للدول.⁽¹⁾

أ- المقصود بإرهاب الدولة:

إرهاب الدولة يعني: "أن تستخدم الدولة نفسها، أو الجماعات التي تعمل باسمها، أو هي أجيرة لها وسائل من أجل إرهاب الآخرين في خارج الدولة، وقد يكون هؤلاء الآخرون دولة، أو جماعة، أو أفراداً، وتستخدم الدولة المرهبة القوة الاقتصادية أو السياسية أو الإعلامية أو العسكرية أو بعضها أو كلها."⁽²⁾

ب- أشكال إرهاب الكيان اليهودي المحتل:

ويتمثل إرهاب الكيان الصهيوني في عدة أشكال، منها:

- 1- تقديم الدعم إلى الأنظمة الاستعمارية والاحتلالية والعنصرية والفاشية.
- 2- تقديم الدعم إلى الجماعات المسلحة التي تقوم بثورة مضادة ضد الحكومات الوطنية.
- 3- الوقوف ضد حركات التحرير الوطني التي تناضل من أجل حق تقرير المصير لشعبها.
- 4- فرض سياسة معينة على حكومة وطنية ضد إرادة شعبها.⁽³⁾
- 5- العصابات الإرهابية، مثل: الهاغاناه، والأرغون، وشتيرن الإرهابية، وغيرها، وأصبح قادة تلك العصابات رؤساء وزارات ووزراء وقادة في الدولة والجيش والمجتمع اليهودي⁽⁴⁾، وقد تم انتخاب اثنين من رؤساء وزراء اليهود، كانا عضوين بارزين في منظمات إرهابية، وهما: (مناحيم بيغن، وإسحق شامير)، كانا وراء مذابح وعمليات إرهابية ضد الفلسطينيين، وجاء بعدهما رئيس الوزراء إسحق رابين الذي ارتكب جرائم حرب وتهجير وقتل جماعي عند احتلال اللد والرملة في 1948م، وكسر عظام الشبان الفلسطينيين في الثمانينات.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 23-24.

⁽²⁾ الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 24، نقلا عن: BawyerBaell, J., The Terror Out of Zion, St. Martin, sPress, New York, 1977, pp.47-48

⁽³⁾ الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 24، نقلا عن: Yanah Alexander, Marjarie Ann

Brwne, Allan S. Nanes, control of Terrorism: International Documents, Carne, Russak and company, New York, 1983, p.107.

⁽⁴⁾ مقال بعنوان "إسرائيل أخطر دولة إرهابية في العالم"، غازي حسين. <http://archive.almanar.com.lb>

⁽⁵⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، الكيلاني: ص 87.

ومن أشكال إرهاب الكيان اليهودي المحتل أيضاً⁽¹⁾:

6- إرهاب المعارضة الدينية، ومثال على تلك المعارضة: الحاخام مائير كاهانا الذي يمثل أقصى اليمين اليهودي في أميركا، وشارك عام 1968م في تأسيس رابطة الدفاع اليهودي في نيويورك، ثم انتقل "كاهانا" إلى الكيان المحتل عام 1971م، وعرض عليه كل من حزب حيروت اليميني بزعامة "مناحيم بيغين"، والحزب القومي الديني بزعامة "يوسف بورغ" الانضمام إليهما؛ لكنه فضل تأسيس حركته الخاصة التي عرفت باسم "كاخ"، وتعني "الطريق"، وقد ضمت الحركة التي تحولت إلى حزب عشرات من اليهود الشبان الذين اعتنقوا فكرة إرهاب العرب، واتسع نطاق هذه الحركة في الثمانينيات بعد أن خسر حزب العمل (لأول مرة منذ إنشاء دولة الكيان المحتل) زمام الحكم في انتخابات 1977م، والتي أتت بكتلة الليكود وانتخبت "كاهانا" عضواً في الكنيست عام 1984م. أصدر "كاهانا" كتاباً بعنوان "الفكرة اليهودية" أوضح فيه معتقداته ومبادئ حركة "كاخ" على النحو التالي:

أ- إن أسلوب العنف هو الأفضل في التعامل مع العرب.

ب- وجود العرب على أرض إسرائيل يلوّث اليهودية؛ لذلك فإن طردهم ضروري للخلاص.

ج- ضرورة تدمير المسجد الأقصى (الذي وصفه بأنه أقيم فوق أنقاض المعبد اليهودي الثاني).

د- الدعوة إلى ضم الضفة الغربية إلى إسرائيل كضرورة توراتية.

هـ- إسرائيل بشكلها الحالي ليست دولة يهودية، ولن تصبح كذلك إلا إذا عاد إليها جميع اليهود من أنحاء العالم، وخرج منها العرب.

و- إن الفلسطينيين "حشرات" ينبغي إخراجهم أو قتلهم.

ي- شكّل "كاهانا" تنظيمًا أسماه "الإرهاب ضد الإرهاب"، وكانت عملياته موجّهة ضد العرب في الكيان الصهيوني.

7- التحالف الصهيوني الاستعماري، ترتبط التنظيمات، فقد ارتبطت الصهيونية ارتباطاً عضوياً بالاستعمار العالمي، فهي تعيش على أمواله، وتقدم غطاء وخدمات لوجوده، ما يجعل الكيان المحتل ذراعاً طويلة وغير مباشرة للاستعمار.

8- القيام بعمليات إرهابية داخل الدول الأخرى، ومثال ذلك: اختراق حدود دولة مستقلة هي تونس، والوصول بقوات يهودية إلى مقرّ منظمة التحرير الفلسطينية هناك، واغتيال أحد قادتها خليل الوزير (أبي جهاد)، والإعلان عن مسؤوليتها.

(1) انظر (6-8): الإرهاب الصهيوني ودوره في قيام الدولة العبرية، دلال بسما، مجلة الدفاع الوطني، العدد 44، 2003م.

ج- أمثلة عن القادة الإرهابيين للكيان المحتل:

1- "موشي دايان"، كان رئيس الأركان الإسرائيلي، في منتصف الخمسينيات من كبار مؤيدي سياسة العمليات الانتقامية الإرهابية ومخططيها، ففي محاضرة له في تموز/ يوليو 1955م اعتبر دايان أن مشاكل الأمن القائمة ليست ظاهرة عابرة، وربما استمرت سنين طويلة؛ لهذا فإن الأسلوب الأفضل -في نظره- لتوفير الأمن على الحدود هو اتباع سياسة العمل الانتقامي الإرهابي، ويبرر دايان هذه السياسة بقوله: "إننا قادرون على تحديد ثمن غال لدمائنا، لا تستطيع تحمله أية قرية عربية، أو جيش عربي، أو حتى حكومات عربية".⁽¹⁾

ويضيف دايان: "إن القوات الإسرائيلية لا تستطيع ملاحقة المتسللين إلى ما وراء الحدود...إلا أن الجيش الأردني قادر على محاربتهم إذا أيقن أن سرقة بقرة في رامات هالوفيش (مستوطنة يهودية على الحدود مع الأردن) تلحق الضرر بقليلية، وقتل يهودي في روحامه يشكل خطراً على سكان غزة...؛ أما الدافع الذي سيدفع الحكومات والقوات العربية للقيام بذلك - والسكان العرب كي يدركوا ذلك- فيجب أن يكون ملموساً وحقيقياً وأكيداً، ويتمثل في العمليات الانتقامية، والخوف منها، وبدون هذه العمليات سيسوء الوضع على الحدود أكثر فأكثر، ويصل إلى حد الفوضى الحقيقية. إن عمليات انتقامية شديدة تنفذ من حين إلى آخر يمكنها أن تردع عمليات الشغب التي تسود مناطق الحدود".⁽²⁾

2- "ارئييل شارون" الذي أنشأ "الوحدة 101"، في آب/ أغسطس 1953م، بقرار من رئيس شعبة العمليات في ذلك الحين "موشي دايان"، الذي تسلم رئاسة الأركان في كانون الأول/ ديسمبر من السنة نفسها. كانت "الوحدة 101" عصابة محترفة من الإرهابيين، وبمناخ جيش خاص لشارون، الذي أصبح -فيما بعد- أبرز قادة الكيان الصهيوني العسكريين المتميزين بالإرهاب، وتطرفهم العسكري والسياسي، انطلاقاً من عدائهم الشديد للعرب، وبحسب الرواية في كتاب المظليين، لم يكن أفراد هذه الوحدة يصنفون وفق رتبهم العسكرية؛ "وإنما وفق كفاءاتهم وتجربتهم القتالية...وكانوا يتدربون باستمرار على تنفيذ هجمات مفاجئة ضد قوى عربية، وعلى نصب الكمائن وأساليب التغطية، وكيفية الرد في حال اكتشافهم أو تعرضهم لهجوم من قبل وحدة نظامية".⁽³⁾

⁽¹⁾ بحث بعنوان "سياسة اليد الطويلة" حنه شاهين: ص55، 1983م، نقلاً عن كتاب بالعبرية: فصول

مذكرات، مؤثر هارتسيون، تل أبيب، 1969.

⁽²⁾ البحث السابق، نفس الصفحة، نقلاً عن كتاب "يوميات شخصية"، موشي شاريت، تل أبيب، 1978م.

⁽³⁾ البحث السابق: ص57، نقلاً عن كتاب بالعبرية "كتاب المظليين"، ميخائيل بار-زوهار، تل أبيب، 1969.

المطلب الثاني

المنظمات الصهيونية الإرهابية، والأعمال التي قامت بها

أولاً- المنظمات الصهيونية الإرهابية:

المنظمات الصهيونية الإرهابية التي شكلها اليهود كثيرة جداً؛ ولكن نذكر عدداً منها على سبيل التمثيل، لا الحصر، وهي المنظمات الأكثر شهرة، والأكثر دموية وإرهاباً:

1- المنظمة الصهيونية العالمية:

هي أم المنظمات الصهيونية، أسسها ثيودور هرتزل (1860-1904م)، وهي تمثل تياراً كبيراً يؤمن بأن الخلاص القومي لليهود لا يتحقق إلا من خلال عمل سياسي مبرمج متكامل، محمي عالمياً؛ ولذلك دعا هرتزل إلى المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال (بازل) السويسرية في 29/8/1897م، وأسفر المؤتمر عن تحقيق أمرين رئيسيين، هما:

- 1- وضع البرنامج الصهيوني الذي عرف ببرنامج بال (بازل).
 - 2- تنفيذ المنظمة الصهيونية العالمية البرنامج الذي نص على: أن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، يضمه القانون العام، وقد أدى نشاط تلك المنظمة إلى هجرة أربعين ألف يهودي إلى فلسطين ما بين 1904 و1914م.⁽¹⁾
- ومن الأعمال الإجرامية التي قادتها هذه المنظمة: أنها قادت أتباعها إلى استخدام العنف خلال الانتداب البريطاني على فلسطين، وتسببت في نزوح العديد من الفلسطينيين، ثم إنكار حقهم في العودة إلى أراضيهم وممتلكاتهم المفقودة خلال حربي 1948 و1967.⁽²⁾

2- منظمة الهاجاناه:

هي الاسم المختصر للمنظمة العسكرية اليهودية السرية، تأسست بتاريخ 1020/6/12م في طبريا، وخلال أحداث عام 1929م قام أفراد هذه العصابة بالمزيد من العمليات الإرهابية في القدس وحيفا والخليل.⁽³⁾

(1) انظر: الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، 4/ 328-333.

(2) <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(3) من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين، غازي السعدي: 2/305، ط1، دار الجليل للنشر، عمان-الأردن، 1985م.

وقادت الهاجاناه الصراع المسلح الإرهابي لإنشاء دولة الكيان المحتل منذ العام 1921م حتى 1948م، حين شكلت مع غيرها من المنظمات العسكرية الإرهابية الصهيونية المماثلة ما يسمى "جيش الدفاع الإسرائيلي".

وكان للهاجاناه دور رئيس في احتلال فلسطين، وإنشاء دولة الكيان المحتل، وشغل عدد من ضباطها مناصب قيادية في الكيان المحتل في مختلف الميادين.⁽¹⁾

ومن أشهر المذابح التي ارتكبتها هذه المنظمة: مجزرة دير ياسين، واقتحام قرية بلدة الشيخ التي استشهد فيها ستمائة شهيدا، واجتياح حيفا، وتهجير أغلبية أهلها في 22 أبريل 1948، مخلفة أكثر من مائة وخمسين شهيدا وأربعين جريحا.⁽²⁾

3- منظمة البالماخ:

البالماخ: معناها بالعبرية "جند العاصفة"، وهي تنظيم عسكري إرهابي، أنشئ في العام 1941م، وتخصص بأعمال القتل والنسف والتخريب، وشكلت وحداته قوة الهاجاناه الضاربة، نظراً إلى قدرتها على تنفيذ المهام العدوانية، من القتل والتدمير.⁽³⁾

وفي حرب 1948م قاتلت فرق البالماخ في الجبهة الجنوبية، واحتلت النقب، وهي من قامت بطرد الأكثرية العربية من فلسطين، عن طريق المذابح التي ارتكبتها الإرهابيون الصهيوينيون ضد العرب، كمذبحة دير ياسين التي قامت البالماخ بالتخطيط لها وتنفيذها مع الإرغون وشنتين. ومن إرهابيي البالماخ الذين اشتهروا وأصبحوا رؤساء أركان الجيش الصهيوني: موشي دايان (1953-1957م)، وإسحق رابين (1963-1967م)، وحاييم بارليف (1968-1971م).⁽⁴⁾

4- منظمة الإرغون:

اسمها "أرغون تسفائي لئومي بارتس يسرائيل"، أي: "المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل"، وتختصر بحروف اسمها الأولى بكلمة "ايتسل"، وشعارها: "يد تمسك ببندقية"، وقد تأسست 1931م، منشقة عن الهاجاناه، واحتجاجا عليها، ويعد جابوتنسكي الأب الفكري لها.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. المسيري: ص 408.

⁽²⁾ مقال بعنوان: الهاجاناه.. قصة عصابات وحشية شكلت النواة الأولى لجيش الاحتلال الإسرائيلي، فاطمة نادي، ص 29 أبريل، 2019م <https://www.sasapost.com/>

⁽³⁾ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. المسيري: ص 97.

⁽⁴⁾ انظر: الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية: 189/1.

⁽⁵⁾ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. المسيري: ص 65.

كانت التعليمات لأفراد الأرغون: قتل أي فلسطيني مهما كان عمره أو جنسه، سواء كان طفلاً أو شيخاً أو امرأة أو شاباً، اضرب واهرب، اضرب بقوة وقسوة، إلقاء القنابل في التجمعات العربية التي يرتادها العرب والفرار فوراً، وضع عبوات ناسفة في أسواق الخضار بالمدن الكبرى، كيافا وحيفا والقدس، نصب الكمائن للسيارات العربية الكبيرة والصغيرة وقتل من فيها.⁽¹⁾ وقد اتجهت الإرغون إلى إرهاب العرب؛ بقتلهم واغتيالهم وطردهم من بيوتهم وأراضيهم، ولهذا المنظمة دور كبير في مذبحه دير ياسين التي وقعت في 10/4/1948م، والتي ارتبط اسمها باسم زعيمها مناحيم بيغن ومنظمتها.⁽²⁾

5- منظمة شتيرن:

اسمها الرسمي "لحمي حيروت إسرائيل"، أي: "المحاربون من أجل حرية إسرائيل"، وتسمى اختصاراً "ليحي"؛ ولكنها عرفت أكثر باسم مؤسسها "إبراهام شتيرن". ومن النماذج والأدلة على ممارسة هذه الجماعة الإجرامية للعنف والإرهاب: ما قامت به من أعمال السطو على المصارف وقتل الأفراد ونسف المنازل وقتل الحراس.⁽³⁾ وقد اشتركت عصابة شتيرن مع الأرجون في الهجوم الإجرامي على قرية دير ياسين كما اشتركت معهما الهاجاناه بشكل سري.⁽⁴⁾

وقد نفذت "ليحي" بالتعاون مع المنظمات الصهيونية الأخرى عمليات إرهاب وقتل وتخريب واسعة ضد العرب، ومن بين هذه العمليات: جريمة نسف سرايا يافا العام 1947م.⁽⁵⁾

6- منظمة الوحدة 101:

تشكل هذه الوحدة تجسيدا حيا لإرهاب الدولة، فقد أنيط بها الضربات الإرهابية العدوانية المفاجئة، كالقتل الجماعي، والإرهاب، والتدمير الجماعي، وتم تشكيل هذه الوحدة في العام 1953 بقيادة أريئيل شارون، وخلفت المنظمات الصهيونية الإرهابية التي كانت قائمة قبل إنشاء الكيان المحتل، مثل: الهاغاناه والبالماخ والأرغون وشتيرن.

وقد قاد شارون وحدته هذه في أول عملية إرهابية رسمية سرية في يوم 14 أكتوبر/ تشرين الأول 1953م، حيث دمر قرية قبية العربية بمن فيها من السكان، فدمر إحدى وأربعين

(1) الإرهابيون الأوائل جيراننا الجدد، أبو زكري: ص 43.

(2) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. المسيري: ص 65.

(3) انظر: الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية: 190/1، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. المسيري: ص 227.

(4) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د. المسيري: ص 227.

(5) انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: ص 122.

بينما للسكنى، وقتل تسعة وستين شخصا، نصفهم من النساء والأطفال، وقد أنكر بن غوريون - رئيس الوزراء آنذاك - علمه بالعملية، وزعم أن جميع وحدات الجيش الصهيوني كانت في ثكناتها حين العملية.⁽¹⁾

7- منظمة غوش إيمونيم:

هي في الأصل حركة استيطانية تكونت في بداية الفترة التي أعقبت حرب 1973م وبتأثير من حركات الاحتجاج الكثيرة التي سادت أوساط المجتمع في ضوء نتائج تلك الحرب.⁽²⁾ إن التعبير الأوضح والأقوى عن "الأصولية اليهودية" في المجتمع الصهيوني يتركز في هذه المنظمة، وهي تضم أكثر من عشرين ألف عضو إرهابي؛ أما شعارها فهو "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بحسب تورا إسرائيل"، وتعتبر هذه المنظمة أنجح حركة غير برلمانية نشأت في الكيان المحتل منذ تأسيس الدولة في العام 1948م.⁽³⁾ وكانت أولى المستعمرات التي أقامتها هي: مستعمرة الون موريه، وثار حول قيامها ضجة إعلامية كبيرة.⁽⁴⁾

بدأت هذه الحركة تصعد نشاطاتها الإرهابية ضد العرب منذ العام 1980م، وقد اتخذت تلك الهجمات الإرهابية عدة أشكال، منها⁽⁵⁾:

- 1- مهاجمة العرب في أماكن سكنهم، أو على الطرقات، وإطلاق النار عليهم بهدف القتل.
- 2- الاعتداء على المدارس العربية والمساجد، وانتهاك حرمة الأماكن المقدسة.
- 3- اختطاف الشبان العرب، ثم قتلهم بعد ذلك.
- 4- زرع العبوات الناسفة في الأماكن العامة والساحات الرئيسية والمساجد والمدارس والكنائس.
- 5- تدمير السيارات العربية، وإحراق المباني في لحول ومخيم الدهيشة ورام الله ونابلس.

8- حركة كاخ:

تعتبر حركة كاخ من أكثر الحركات الإرهابية الصهيونية تطرفا في عنفها وعنصريتها، وقد نمت داخلها شبكة معقدة من المجموعات الإرهابية المسلحة وعلى مختلف المستويات.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: 124.

⁽²⁾ من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين، غازي السعدي: 307/2.

⁽³⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: 125.

⁽⁴⁾ من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين، غازي السعدي: 309/2.

⁽⁵⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: 125-127.

⁽⁶⁾ من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين، غازي السعدي: 318/2.

من أشهر الجماعات اليهودية المعنية بهدم الأقصى، وقد تأسست عام 1972 على يد الحاخام اليهودي الأمريكي "مائير كاهانا"، وتبنت منظومة من الأفكار النازية التي تتوعد العرب، وتدعو إلى طردهم وتمارس في مواجهتهم أقصى أشكال القهر والتمييز العنصري والإرهاب. مركزها في مستوطنة "كريات أربع" وتتألف قيادة حركة "كاخ" العليا من ثلاثة أعضاء هم: باروخ مرزيل (رئيس الحركة)، ونوعام قدرمان (الناطق بلسانها)، وتيران بولاك (رئيس لجنة الأمن على الطرق). وقد كان باروخ مرزيل (أمين سر حركة "كاخ" في الكنيسة والناطق بلسان الحركة، وأبرز مساعدي مائير كاهانا) قد علق على مجزرة الحرم الإبراهيمي في الخليل مشيداً بسفاحها باروخ جولدشتاين قائلاً: "إنه ليس مجنوناً، إنه رجل عظيم، إنه رجل صديق". ومن أتباعها المتطرف جودمان الذي قام بهجوم على الأقصى يوم 11 أبريل 1982م.⁽¹⁾

وقد اعتقل مؤسس هذه الحركة (كاهانا) في العام 1980م بسبب الاشتراك في خطة لتدمير المقدسات الإسلامية في القدس، وهو وراء نشاطات مجموعة عرفت باسم "ت ن ت (الإرهاب ضد الإرهاب)"، فمنذ وصوله إلى فلسطين وهو يقوم بنشاطات موجهة ضد العرب، وساعية إلى القضاء على وجودهم، وقد تمثلت تلك النشاطات الإرهابية فيما يلي:

- 1- توجيه تهديدات إلى العرب الذين يعيشون في فلسطين 1948 بضرورة الرحيل.
 - 2- المساهمة بدور نشيط في مجال الاستيطان، وخاصة في الضفة الغربية وقطاع غزة.
 - 3- تدبير سلسلة من حوادث الاعتداء على الأماكن العامة العربية، بما فيها الاعتداء على المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الأخرى عند المسيحيين والمسلمين، بدعوى إعادة بناء الهيكل وحائط المبكى.
 - 4- تنظيم خلايا سرية مسلحة مهمتها مهاجمة العرب وقتلهم وخطفهم لإرهابهم، سعياً وراء تهجيرهم، وتفريغ المناطق العربية من سكانها العرب.⁽²⁾
- 9- منظمة جبل الهيكل:**

وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الجبل الذي أقيم عليه هيكل سليمان -كما زعمت التوراة- وهو جبل مورياه الذي ضحى إبراهيم عليه السلام، عليه بابنه اسحق عليه السلام، كما في سفر التكوين، وهو المكان الذي بني عليه هيكل سليمان، وبنيت قبة الصخرة عليه والمسجد الأقصى عليه. ومنذ العام 1967م سعت خمس جماعات تضم أكثر من ألف وخمسمائة إرهابي لتغيير

⁽¹⁾ مقال بعنوان: المنظمات والحركات والجماعات المتطرفة في إسرائيل، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا/ <http://info.wafa.ps/>

⁽²⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: 130-131.

هذه الحال، وقد قامت -فضلا عن جريمتي قتل وحرق في جبل الهيكل، على أيدي أشخاص من أعضائها في العامين 1969 و1982م- بعدد من المحاولات العدوانية، لتغيير الوضع القائم في موقع المسجد الأقصى وقبة الصخرة؛ ففي العام 1984م اعترض أحد الحراس العرب جماعة في جوار المسجد الأقصى، وعندما اتصل بالشرطة هربوا، وقد تبين لاحقا أنه كان معهم ثلاثون كيلو غرام من المتفجرات والصواعق وأجهزة التفجير واثنان وعشرون قنبلة يدوية.⁽¹⁾ وهناك منظمات إرهابية كثيرة غير ما ذكر.

ثانياً- الأعمال الإرهابية التي قامت بها المنظمات الصهيونية:

مع حلول سنة 1948م كانت المنظمات والعصابات الصهيونية قد ارتكبت عددا من المجازر والمذابح، مستهدفة المدنيين الفلسطينيين، منها⁽²⁾:

- 1- سنة 1936م قتل فلسطينيين في بتاح تكفا.
- 2- سنة 1937م قتل سبعة عشر فلسطينيا، وجرح واحد وعشرون آخرون، نتيجة إلقاء قنابل على الحافلات العربية وأسواق الخضار في القدس ويافا.
- 3- سنة 1938م قتل مائة وأربعة وثمانين فلسطينيا، وجرح مائتان وسبعون في حيفا والقدس وتل أبيب، منهم عشرة قتلوا في أثناء خروجهم من المسجد الأقصى.
- 4- سنة 1939م قتل سبعة وخمسون فلسطينيا، وجرح واحد وثمانون في القدس وبلد الشيخ قرب حيفا وفي رحبوت، بواسطة إطلاق النار واستخدام القنابل اليدوية.
- 5- سنة 1944م نسف منزل مكون من أربعة طوابق في مدينة يافا، ولم تعرف أرقام الخسائر.
- 6- سنة 1946م نسف فندق الملك داود في القدس، وأدى ذلك إلى مقتل واحد وأربعون فلسطينيا، وثمانية وعشرون بريطانيا، وسبعة عشر يهوديا، وخمسة من جنسيات أخرى، وفي السنة ذاتها قتل ثلاثة فلسطينيين في تل أبيب.
- 7- سنة 1947م قتل مائتان وثمانية وثمانون فلسطينيا، وجرح مائتان وأربعة وسبعون في مدينة حيفا وبلد الشيخ وصفد والعباسية وطبريا والقدس واللطرون ويافا.

ولتحقيق الهدف الرئيس لدولة الكيان الصهيوني -وهو اقتلاع الشعب الفلسطيني من دياره وأرضه- قامت بالاعتداء على مخيمات اللاجئين والنازحين الفلسطينيين، وعملت على إبادتهم؛ لأن تجمعهم في هذه المخيمات على حدود فلسطين يقلقها ويزعجها.

⁽¹⁾ الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: 132-133.

⁽²⁾ انظر: من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين، غازي السعدي: 35/2-44 باختصار شديد، وموقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا [/https://info.wafa.ps/](https://info.wafa.ps/)

- وقد نوعت دولة الكيان المحتل غاراتها الإرهابية على المخيمات الفلسطينية بحسب الأغراض المستهدفة من الغارة، وبحسب موقع المخيم وتكوينه وأهميته، فمن أنواعها:
- 1- الغارة البرية: كالغارة على موقع الكرامة الأردني، وتمارس دولة الكيان المحتل هذا الأسلوب في العدوان عندما يكون المخيم قريباً من الحدود؛ لذلك كثرت قبل حرب 1967م غاراته على المخيمات ومدن الضفة الغربية وقطاع غزة.
 - 2- الغارة الجوية: التي قد تتحول إلى معارك جوية كبيرة عندما يكون المخيم في بلد عربي، يملك دفاعاً جويًا قويا، كمصر وسورية.
 - 3- الغارة بالجنود المحمولين بالحوامات (الهليكوبتر): وقد نفذها العدو الصهيوني ضد المخيمات وقواعد الفدائيين في لبنان والأردن.
 - 4- الغارة البحرية ضد مخيمات اللاجئين القريبة من الساحل اللبناني.⁽¹⁾

وقد ألقت القوات الصهيونية في هجومها على مخيمات اللاجئين بأطنان القنابل المتفجرة وقنابل النابالم والقنابل الفسفورية شديدة الحرق والقنابل العنقودية، وكلما احتلت مخيماً تقتل كل من فيه، رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً، وتعد الغارة الصهيونية على مخيمي البداوي ونهر البارد قرب مدينة طرابلس شمالي لبنان أنموذجاً للإرهاب الصهيوني، حيث قتل فيها واحد وثلاثون شخصاً، وعشرات الجرحى، وتدمير مستودعات الأغذية التابعة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين (الأنثروا)، وتدمير مستوصف ومدرسة ابتدائية، ومشغل للخياطة، وكان الأطفال الفلسطينيون هدفاً للإرهاب الصهيوني.⁽²⁾

ولم يفرق الإرهابيون الصهاينة في القتل بين الكبار والصغار، فقد قاموا بقتل الأطفال الفلسطينيين، ومن الأمثلة على ذلك:

- 1- عندما كان أطفال قرية "وادي فوكين" في الضفة الغربية يلعبون ويلهون في 11/9/1954م أطلق جنود صهاينة وابلا من الرصاص عليهم، فقتلوا اثنين منهم.⁽³⁾
- 2- في 2/11/1954 كان ثلاثة أطفال يجمعون الحطب، بالقرب من قرية دير أيوب في الضفة الغربية، أطلق الجنود النار عليهم، فجرحوا صيباً، ثم ساقوا طفلين آخرين إلى مكان، حيث أطلقوا النار عليهما فقتلوهما، ثم مات الطفل الثالث في اليوم التالي متأثراً بجراحه.⁽⁴⁾

(1) الموسوعة الفلسطينية: 379/3.

(2) انظر: الإرهاب يؤسس دولة، هيثم الكيلاني: ص 201.

(3) انظر: الموسوعة الفلسطينية: 566/4.

(4) اعتداءات إسرائيل قبل هجوم 29 أكتوبر 1956 على مصر، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية: ص 93-

ومن الأمثلة الأخرى على قتل الإنسان الفلسطيني من قبل القوات الصهيونية:

- 1- في صباح 13/1/1952م قام أربعة جنود من الجيش الصهيوني بقتل رجل وابنه، وهما يحرثان أرضهما في منطقة دير كريمان اللاتيني داخل الأراضي الأردنية بحوالي مائتي متر.
- 2- في 4/3/1955م أغارت دورية صهيونية مسلحة بالبنادق والخناجر والرشاشات على مجموعة صغيرة من مضارب البدو، جنوبي شرقي مدينة الخليل، وخطفت ستة من رجالهم، وأثناء السير بهم مزقت أجساد أربعة منهم بالخناجر والحرا، ثم أطلقوا الرصاص على الخامس منهم فصرعوه؛ أما السادس فأطلقوا سراحه، وطلبوا منه أن يرجع، ويخبر قومه بما رأى.
- 3- في يوم 5/4/1956م قصفت المدفعية الصهيونية قصفا عشوائيا وسط مدينة غزة ودير البلح وعيسان وخزاعة، لم يتوقف إلا في المساء، مما أدى إلى مقتل ستين شخصا، منهم سبعة وعشرون سيدة، وتسعة رجلا، وأربعة أطفال، وثلاثة وتسعون جريحا، منهم اثنتان وثلاثون سيدة، وثلاثة وخمسون رجلا، وثمانية أطفال.⁽¹⁾
- 4- وفي إحصاء لصحيفتي هآرتس وجيروزاليم بوست أن الجنود الصهاينة قتلوا في العام 1991: سبعة وتسعين فلسطينيا، وفي العام 1992م: مائة وواحد وعشرون فلسطينيا، وفي العام 1993م: مائة وخمسة وستون فلسطينيا.⁽²⁾
- 5- وفي يوم واحد هو يوم 18/12/1992 أطلق الجنود الصهاينة النار على ثمانية فلسطينيين في خان يونس فقتلوه، وفي اليوم التالي قتلوا ستة آخرين في البلدة نفسها، وجرحوا العشرات.⁽³⁾
- 6- استخدم الكيان المحتل الأسلحة الكيماوية ضد الشعب الفلسطيني، وبخاصة ضد الانتفاضة التي بدأت أواخر العام 1987م، وقد اتجهت جهودها لإنتاج وتطوير أسلحة حرب الإبادة، وسخرت طاقاتها العلمية، وعبأت مصانعها ومختبراتها، ففي العام 1988م طورت أنواعا من الغازات تطلق من مسافات بعيدة، وهي قنابل يتدفق الغاز منها، لا يمكن الإمساك بها، وتحتوي على غاز CS و CN بكمية خمسمائة غرام من الغاز، وقنابل غاز IMI من إنتاج مؤسسة التصنيع العسكري اليهودية.

7- عمدت المنظمات الصهيونية الإرهابية في العامين 1947 و 1948م إلى تسميم آبار بعض القرى العربية، مثل: نورس وكوكب الهوا وسيرين ولوبية ومدينة الناصرة، وفي قرية نورس وحدها

(1) انظر: اعتداءات إسرائيل قبل هجوم 29 أكتوبر 1956 على مصر، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية: 57، 102، 162.

(2) انظر: الإرهاب يؤسس دولة، الكيلاني: 196، نقلا عن صحيفة هآرتس وجيروزاليم بوست، 10/12/1993م

(3) الإرهاب يؤسس دولة، الكيلاني: 196، نقلا عن وثيقة الأمم المتحدة رقم A/48/278 وتاريخ 10/8/1993م، ص45.

قامت قوة من الهاغاناه يوم 1948/4/24م بتسميم بئر القرية، مما أدى إلى وفاة عشرة أشخاص، وإصابة العشرات من سكان القرية بأمراض وعاهات مزمنة.⁽¹⁾

ومن العمليات الإرهابية التي قامت بها المنظمات السرية الإرهابية أيضا:

1- أحرقت منظمة "إرهاب ضد الإرهاب" عام 1975م حافلة لشركة الباصات العربية في وادي الجوز بالقدس، كما حطمت واجهة سينما الزهراء في القدس في 1982م، وكتبت على الجدران شعارات تقول: "إرهاب ضد الإرهاب"، و "الموت لراجمي الحجارة"، وقامت هذه المنظمة أيضا بوضع العبوات الناسفة في المساجد في منطقة الخليل في 1983/12/23م.⁽²⁾

2- قامت حركة "كاخ" العنصرية بعمليات كثيرة تحدثت عنها مجلة هاغولام هازيه، وقام أعضاء "كاخ" بعدة عمليات إجرامية، منها: محاولة الاستيلاء على المسجد الأقصى، ومحاولة تفجير قبة الصخرة، والرمي الطائش قرب قبة الصخرة، والاعتداء على حافلة عربية في القدس، وقنابل مفخخة في القدس العربية، وإحراق السيارات في حي أبو الطور.⁽³⁾

3- قامت منظمة "الحشمونائيم" بأهم عملية للمنظمة، وهي: محاولة تفجير قبة الصخرة في يوليو 1982م؛ لكنها فشلت بسبب اكتشاف الشرطة اليهودية للشحنات الناسفة قبل انفجارها.⁽⁴⁾

4- قامت حركة "حيرب دافيد" بقتل ثلاثة فلسطينيين، وهم قرويون من قرية ترقومية العربية، كما قامت هذه المنظمة بقتل شخص فلسطيني، دون أن يكون هناك سبب قط.⁽⁵⁾

ثالثا- إرهاب المغتصبين الصهاينة⁽⁶⁾:

لقد سعت مجموعات المغتصبين إلى وراثة المنظمات الإرهابية الصهيونية، مثل: الهاغاناه وشتيرن والأرجون، وإلى تكرار نفس الدور الذي لعبته هذه المنظمات في ارتكاب المجازر في المدن والقرى الفلسطينية؛ لإحداث موجات جديدة من التهجير، تخفف الكثافة الديموغرافية العربية.

إن تحول المغتصبين إلى مليشيا موازية للجيش الإسرائيلي، وأخذهم دورا أمنيا أساسيا ضد الشعب الفلسطيني، ساهم في تأجيج النزعات المتطرفة عند هؤلاء المغتصبين، وفرض

⁽¹⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، الكيلاني: ص200-201، نقلا عن مجلة ماسنين، 1968/6/14م.

⁽²⁾ انظر: من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين، غازي السعدي: ص317.

⁽³⁾ انظر: المصدر السابق: ص319.

⁽⁴⁾ نقلا عن مجلة الأرض، مرجع سابق، ص23.

⁽⁵⁾ نقلا عن صحيفة يديعوت أحرونوت، 1994/9/12م.

⁽⁶⁾ المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية، الاعتداء على الأرض والإنسان، غسان دوعر: ص207-210.

وقائع جديدة، تمثلت في النشاط الاستيطاني في الضفة الغربية، وزيادة التواجد المسلح الصهيوني في مختلف أنحاء الأراضي المحتلة.

وكان أول التنظيمات المسلحة التي شكلها المغتصبون، وبدأت العمل الإرهابي ضد الشعب الفلسطيني خلال الانتفاضة ما أطلقت عليه وسائل الإعلام اسم "المنتقمون الصهاينة"، حيث قام هذا التنظيم بإطلاق النار باتجاه سيارة فلسطينية يوم 1991/12/28م، مما أدى إلى وقوع ثلاثة جرحى، هم: طبيب، وشقيقته، مع ابنتها الرضيعة، وهم من مدينة الخليل.⁽¹⁾

وأصبح المغتصبون وجها لوجه مع الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، بعد تشكيل وحدات الحرس المدني من مستوطنين متطوعين، قامت بمهام الشرطة وحرس الحدود، وقطعت الطرقات العامة، ومنعت آلاف العمال الفلسطينيين بالقوة من الذهاب إلى أعمالهم.⁽²⁾

إن عنف المغتصبين اتخذ أبعادا خطيرة، عبر ارتكاب الجرائم والمذابح الجماعية، تحت سمع وبصر قوات الاحتلال، وبمساندتها أحيانا، ومن ذلك:

1- خلال ستة أيام من 4-10/12/1993م قتلت مليشيا المغتصبين ستة فلسطينيين؛ ثلاثة منهم من عائلة واحدة، وجرحت أكثر من عشرة أشخاص، داخل مناطق انتشار الجيش، الذي حظر التجول على التجمعات العربية، مستثيا المغتصبين، الذين أنشأ مجلس مغتصباتهم منظمة علنية باسم هشومير (الحارس)، تضم متطوعين للقيام بأعمال انتقامية ضد الفلسطينيين، وقد عين الجنرال "يوسي كولر" قائدا لهذه المنظمة.⁽³⁾

2- أثناء تأدية حوالي ثمانمائة من أبناء مدينة الخليل صلاة الفجر في المسجد الإبراهيمي، حوالي الساعة 5:30 صباح يوم الجمعة 1994/2/25م، اقتحم المغتصب الصهيوني "باروخ غولد شتاين" المسجد، وأطلق على المصلين وابلا من نيران رشاشه، فقتل 29 مصليا، بينما كانت دورية عسكرية صهيونية قريبة من المسجد تدقق في هويات الداخلين إلى المسجد، وإن غولد شتاين نفسه اقتحم المسجد الإبراهيمي على مرأى من جنود تلك الدورية، وقد سبق لغولد شتاين أن اعتدى بالضرب على المصلين بالمسجد نفسه، يومي 4 و 1993/10/7م، وفي المرة الثانية ألقى مواد كيميائية حارقة على سجاد المسجد، وبعد أن أنهى "غولد شتاين" مذبحته تمكن مصلون نجوا من المذبحة منه، وفتكوا به بأيديهم، وقد غدا قبره مزارا لليهود للمستوطنين.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ مجلة الهدف، العدد 1037، 1991/1/13م، ص 19، نقلا عن: يديعوت أحرونوت، 1991/12/28م.

⁽²⁾ نقلا عن الحرية، العدد 1510، 12/29، 1991م، نقلا عن معاريف، 1991/12/18م.

⁽³⁾ نقلا عن الإرهاب اليهودي، إياد عبد الخالق: ص 15، فلسطين الثورة، العدد 967، 1994/1/9م.

⁽⁴⁾ انظر: المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية، غسان دوعر: ص 209-210.

لقد قام المغتصبون اليهود بأعمال عنف وإرهاب ضد الفلسطينيين الأمنيين في أرضهم وبيوتهم، ومن النماذج المشهورة للإرهاب في فترة الثمانينات ما يلي⁽¹⁾:

- 1- سنة 1980م وضع عبوات ناسفة في سيارات رؤساء بلديات نابلس ورام الله والبييرة، ونتيجة ذلك بترت ساقا بسام الشكعة، رئيس بلدية نابلس، وأخصص قدم كريم خلف، رئيس بلدية رام الله، وأصيبت قدمه الأخرى بجراح بالغة، بينما نجا رئيس بلدية البييرة، إبراهيم الطويل بأعجوبة.
- 2- في 1981 إشعال النار في حافلة لطلبة جامعة الخليل وبعض المحلات في منطقة السوق.
- 3- سنة 1982م قتل شاب من قرية بني نعيم، وآخر من قرية سنجل، وفتاة في مخيم العروب، وشاب عمره 16 عاما في نابلس، وشاب في مدرسة الحسين بن علي في الخليل، وطفلة عمرها أربع سنوات في الخليل أيضا، وصبيا عمره 12 عاما في البييرة.
- 4- سنة 1983م إطلاق النار، وتفجير قنابل في مخيم قلنديا وجامعة بير زيت ومسجد القزازين في الخليل، وحديقة في نابلس، وعلى حافلات في رام الله والبييرة.
- 5- وفي مارس 1983م ارتكب المغتصبون جريمة جديدة استهدفت طلاب المدارس، وأسفرت عن إصابة الآلاف من الطلبة بالتسمم، وخاصة في مدارس جنين وعرابة وميثلون وبرقين وطولكرم، بعد أن رشوا مادة كيميائية سامة على الستائر يؤدي استنشاقها إلى حدوث التسمم.
- 6- وفي السنة ذاتها قتل المستوطنون الطفلة عائشة البحش في مدينة نابلس، وأحرقوا ست سيارات فلسطينية في القدس، وقتلوا ثلاثة مواطنين في مخيم الدهيشة، وأحرقوا أربعة آلاف دونما من الزيتون في منطقة نابلس، كما ارتكب المستوطنون جريمة إرهابية في الخليل عندما اقتحموا الجامعة، وأطلقوا النار باتجاه الطلبة وجرحوا 23 طالباً.
- 7- في يوم الجمعة 1983/2/25م انفجرت قنبلة، خارج مسجد القزازين في الخليل، قبل خروج نحو ثلاثة آلاف مصلي، أدى إلى جرح اثنين، وإعطاب سيارتين كانتا متوقفتين في المنطقة ذاتها. ومن الأعمال الإرهابية التي قامت بها المنظمات الصهيونية السرية: اغتيال شخصيات كثيرة من المناضلين الفلسطينيين، ومعظم الاغتيالات حدثت خارج البلاد المحتلة.

وفيما يلي أمثلة ونماذج منتقاة من ذلك السجل، مرتبة حسب تاريخ وقوعها:

- 1- وائل زعيتر: مناضل فلسطيني، استطاع أن يمد جسورا مع المنظمات اليسارية في إيطاليا، لشرح القضية الفلسطينية، ولذلك قررت أجهزة المخابرات الصهيونية اغتياله، وقد أطلق عليه النار شخصان مجهولان يوم 1972/10/17م في روما فقتلاه.⁽²⁾

(1) انظر: المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية، غسان دوعر: ص 192-193.

(2) انظر: الموسوعة الفلسطينية: 4/ 567-568.

2- محمود الهمشري: مناضل فلسطيني، عين ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في باريس، وأقام علاقات دبلوماسية مع الأوساط السياسية والثقافية الفرنسية، مما أثار غضب الأجهزة الصهيونية، فوضع له عملاً قنبلة موقوتة في بيته بباريس في 8/12/1972م، انفجرت وقتلته، ورفضت السلطات الصهيونية أن يدفن في قريته الفلسطينية أم خالد، فدفن في باريس.⁽¹⁾

3- قامت قوة من الجيش الصهيوني ليلة 10/4/1973م بالنزول إلى الشاطئ اللبناني، وقصدت ثلاثة من القياديين الفلسطينيين، وهم: كمال عدوان، ومحمد يوسف النجار، وكمال ناصر، واغتالهم في دورهم.⁽²⁾

4- نعيم خضر: مناضل فلسطيني، درس في بلجيكا، ونال شهادة الدكتوراه في القانون الدولي من جامعة لوفانا، ثم عين ممثلاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في بروكسل، وعمل ممثلاً للمنظمة لدى السوق الأوروبية المشتركة والبرلمان الأوروبي، ونظراً لنشاطه العلمي والدبلوماسي اغتالته المخابرات الصهيونية يوم 1/6/1981م في بروكسل.⁽³⁾

5- ماجد أبو شرار: كاتب ومناضل فلسطيني، كان يشارك في مؤتمر عالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني عقد في روما، حينما اغتالته المخابرات الصهيونية يوم 9/10/1981م بقنبلة وضعت تحت سريره في أحد فنادق روما.⁽⁴⁾

6- نبيل أحمد فليف: شاب فلسطيني، درس الطبيعة النووية، وبرز فيها، ورفض أن يغادر مخيم "الأمعري" بالأرض المحتلة، وقد اغتاله إرهابيو الموساد دون أي سبب ظاهر، سوى اهتمامه بالذرة، وعثر على جثته يوم 2/4/1984م.⁽⁵⁾

7- وفي يوم 21/10/1986م اغتال عملاء الموساد منذر أبو غزالة، المناضل الفلسطيني، وكان قد وصل إلى أثينا واستأجر سيارة، وفي اليوم الثاني لوصوله انفجرت قنبلة وضعت في سيارته، فقتل في الحال.⁽⁶⁾

8- الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي: فلسطيني الأصل، نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة انديانا، ودرّس فيها، وكان له نشاط ملحوظ في مجال العلوم والدراسات الإسلامية، وكان مرشحاً من قبل الولايات المتحدة ليكون أحد أعضاء وفد المفاوضات الفلسطيني لمؤتمر جنيف

⁽¹⁾ انظر: الموسوعة الفلسطينية: 165/4.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: 161/4.

⁽³⁾ انظر: المصدر السابق نفسه: 476/4.

⁽⁴⁾ انظر: المصدر السابق نفسه: 66-67/4.

⁽⁵⁾ انظر: الإرهابيون الأوائل جيراننا الجدد، وجيه أبو ذكري: 147.

⁽⁶⁾ انظر: المصدر السابق: ص148.

للسلام، وفي يوم 1986/5/27م اقتحم بيته إرهابيون من الموساد الصهيوني، وقتلوه وزوجته.⁽¹⁾
9- وفيما يلي قائمة منتقاة من الاغتيالات التي نفذت بواسطة الموساد⁽²⁾:

أ- حسين علي أحمد أبو الخير: ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص، اغتيل في قبرص في 1973/1/25م.

ب- محمود ولد صالح: أحد القادة الفلسطينيين، اغتيل في باريس في 1977/2/2م.

ج- سعيد حمادي: ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لندن، اغتيل في لندن في 1978/2/4م.

د- عز الدين القلق: مناضل فلسطيني، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في فرنسا، اغتيل في مكتبه في باريس يوم 1978/8/3م.

هـ- علي ناصر ياسين: ممثل منظمة التحرير في الكويت، اغتيل في الكويت العام 1979م.

و- إبراهيم عبد العزيز: أحد قادة فتح، اغتيل في قبرص في 1979/12/15م.

ز- سمير طوقان: عضو مكتب المنظمة في قبرص، اغتيل في قبرص في 1979/12/25م.

ح- علي حسن سلامة: عضو المجلس الثوري لحركة فتح، وقائد قوات الـ 17، ورئيس جهاز أمن الرئاسة، اغتيل بحادث تفجير سيارته في بيروت العام 1979م.

ط- الدكتور عبد الوهاب الكيالي: عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وعضو

المجلس الوطني الفلسطيني، اغتيل في بيروت في 1981/12/7م.

ي- محمد طه: من حركة فتح، اغتيل في ألمانيا العام 1982م.

ك- فضل سعد عناني: نائب مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في باريس، اغتيل في باريس في 1982/7/23م.

ل- سعد صايل: عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، اغتيل في البقاع اللبناني في 1982/9/27م.

م- عصام السرطاوي: عضو المجلس الوطني الفلسطيني، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في الاشتراكية الدولية، اغتيل في لشبونة عاصمة البرتغال في 1983/4/10م.

رابعاً: القتل و الإبادة الجماعية في الفكر اليهودي:

1- مفهوم الإبادة الجماعية:

ورد في المبدأ السادس من مبادئ محاكمات نورمبرج أن الإبادة الجماعية هي: "القتل،

الإبادة، الاسترقاق، والإبعاد، وكل فعل آخر غير إنساني يرتكب ضد أي شعب مدني، قبل

⁽¹⁾ انظر: الإرهابيون الأوائل جيراننا الجدد، وجيه أبو ذكري: ص144-146.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق: ص152-153.

وأثناء الحرب، وكذلك أفعال الاضطهاد المبنية على أسباب سياسية أو عرقية أو دينية، متى كانت هذه الأفعال أو الاضطهادات ترتكب تبعاً لجريمة ضد السلام، أو جريمة حرب، أو كانت ذات صلة بها".⁽¹⁾

كذلك نصت المادة 18 من مشروع مدونة الجرائم ضد أمن وسلامة البشرية لعام 1996 على تعريف الجرائم ضد الإنسانية، وتحديد صورها بأنها: "كل فعل من الأفعال التالية، عند ارتكابه بشكل منتظم، أو على نطاق واسع، أو بتحريض أو توجيه من إحدى الحكومات، أو من أي منظمة أو جماعة، وتشمل: القتل العمد، الإبادة، التعذيب، الاسترقاق، الاضطهاد لأسباب سياسية أو عنصرية أو دينية، التمييز النظامي لأسباب عنصرية أو إثنية أو دينية، والذي يشمل انتهاك الحقوق والحريات الأساسية للإنسان، ويؤدي إلى ضرر جسيم بجزء من السكان، والإبعاد التعسفي أو القتل القسري للسكان، والاحتجاز التعسفي، والإخفاء القسري للأشخاص، والاعتصاب والدعارة القسرية، والأشكال الأخرى من الاعتداء الجنسي، والأعمال اللاإنسانية الأخرى التي تلحق ضرراً جسيماً بالسلامة الجسدية أو العقلية، أو بالصحة العامة، أو بالكرامة الإنسانية، مثل: التشويه، والإصابات الجسدية الجسيمة".⁽²⁾

وهناك من توسع في تعريفها، فعرّفها بأنها: "الفظاعات التي ترتكب أثناء العدوان، القائمة على أساس عرقي أو ديني، ويمكن تعريفها بحصر عناصرها، وهو ما حاولت المادة الثانية من اتفاقية 1948م الخاصة بمنع جريمة الإبادة الجماعية أن تقوم به. وتتص تلك المادة على أن الإبادة الجماعية تعني أيًا من الأفعال التالية، المرتكبة على قصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، هذه الأفعال مثل: أ- قتل أعضاء من الجماعة.

ب- إلحاق أذى جسدي أو روعي خطير بأعضاء من الجماعة.

ج- إخضاع الجماعة -عمداً- لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

د- فرض تدابير تستهدف الحيلولة دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

هـ- نقل أطفال من الجماعة -عنوة- إلى جماعة أخرى.

وتبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة الاتفاقية أعلاه في 9 ديسمبر/ كانون الأول عام 1948م، ودخلت حيز التنفيذ في 12 من يناير/ كانون الثاني عام 1951م، وتتص الأطراف المتعاقدة في الاتفاقية على منع "الإبادة الجماعية، سواء ارتكبت في أيام السلم أو أثناء الحرب".

⁽¹⁾ بحث بعنوان "جريمة الإبادة الجماعية"، د. خالد السيد: ص1، مركز الإعلام الأمني.

⁽²⁾ المصدر السابق: ص2.

ولا يقتصر التجريم على الإبادة الجماعية؛ وإنما يشمل التآمر على ارتكابها، والتحريض المباشر والعلني عليها، ومحاولة ارتكابها، والاشتراك فيها، كذلك فإن أحكام الاتفاقية تسري على الدول التي لم تصادق عليها وفق استشارة قانونية لمحكمة العدل الدولية في الـ28 من مايو/ أيار 1951م. وقد تعزز ذلك بتقرير من الأمين العام للأمم المتحدة في الثالث من مايو/ أيار 1993 اعتبر الاتفاقية جزءاً من القانون العرفي، وقد صادق على ذلك مجلس الأمن الدولي.⁽¹⁾ ويتفق حقوقيون كثر على أن ما تقوم به دولة الاحتلال الصهيوني اليوم من اعتداءات على المدنيين في قطاع غزة، وما قامت به تاريخياً أثناء حروبها، وبعد ذلك، كمجازر صبرا وشاتيلا، وغير ذلك، هو من صميم الإبادة الجماعية.⁽²⁾

2- نصوص العهد القديم التي تتحدث عن الإبادة الجماعية:

هناك نصوص كثيرة تتحدث عن الإبادة الجماعية في الفكر اليهودي، وهذه بعض النصوص التي تتحدث عن ذلك:

1- "فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِديَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. وَمَلُوكُ مِديَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلَاهُمْ: أُوَيِّ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابِعَ. خَمْسَةَ مَلُوكٍ مِديَانَ. وَيَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ. وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِديَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلَاقِهِمْ. وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مَدِينِهِمْ بِمَسَاكِينِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ. وَأَخَذُوا كُلَّ الْغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَأَتَوْا إِلَى مُوسَى وَالْعَازَارَ الْكَاهِنِ وَإِلَى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالْغَنِيمَةِ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى عَرَبَاتِ مُوَابِ الَّتِي عَلَى أَرْضِ أَرِيحَا. فَخَرَجَ مُوسَى وَالْعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلَاءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الْأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِائَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أَنْثَى حَيَّةً؟ إِنَّ هَؤُلَاءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلَامِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةَ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَعُورَ، فَكَانَ الْوَبَأُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. فَالآنَ أَقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفْتِ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرٍ أَقْتُلُوهَا لِكِنْ جَمِيعُ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ".⁽³⁾

⁽¹⁾ موقع الجزيرة نت <https://www.aljazeera.net/news> وموقع ويكيبيديا <https://ar.wikipedia.org> وموقع <https://encyclopedia.usmmm.org> وتطور مفهوم جرائم الإبادة الجماعية، د. معمر عبد الحافظ، ود. حامد أحمد: ص 17-18، نقلا عن جدلية القانوني والسياسي والإنساني 2009/7/30 www.alawan.org

⁽²⁾ انظر: موقع الجزيرة نت <https://www.aljazeera.net/news>

⁽³⁾ سفر العدد: 31-7-18.

هذا الكلام من سفر العدد الذي ينسب إلى موسى عليه السلام يستحيل أن يكون النبي موسى عليه السلام قد تكلم به، يقول د. البار -معلقاً على النص السابق-: "وحاشا لموسى عليه السلام أن يأمر بقتل الأطفال والنساء، والأمر الغريب حقاً: أن أهل مدين قد أكرموا موسى عليه السلام، عندما هرب أول مرة من مصر، وزوّجه كاهنها (يثرون) ابنته (صفورة)⁽¹⁾، ثم عندما خرج موسى عليه السلام مع بني إسرائيل من مصر قدموا له المعونة والمشورة، وفجأة يقرر كاتب السفر أن يقوم موسى عليه السلام بحرب إبادة كاملة لهؤلاء، الذين أحسنوا إليه- حسب زعمهم-".⁽²⁾

2- يذكر سفر يشوع أن يشوع حين دخل مدينة أريحا أباد كل من فيها من رجال ونساء وأطفال، فيقول هذا السفر: "فَهَتَفَ الشَّعْبُ وَضَرَبُوا بِالْأَبْوَاقِ. وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتِ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هُتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلِّ رَجُلٍ مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَأَمْرَأَةٍ، مِنْ طِفْلِ وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ بِحَدِّ السِّيفِ... وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا".⁽³⁾

والمسلمون يعتقدون جازمين أنه لا يمكن لنبي من الأنبياء؛ موسى، أو يشوع عليهما السلام، أو غيرهما أن يأمر بمثل تلك الأعمال الإجرامية، من: القتل، وسفك الدماء للأبرياء، من: النساء، والأطفال، وكبار السن.

ويؤكد ذلك الاعتقاد كثير من الباحثين، الذين يعتقدون أن معظم تلك المجازر- إن لم يكن كلها- أسطورية؛ لأن أريحا، والمدن التي حولها، قد دمرت تدميراً كاملاً في العصر البرونزي المتوسط (1550 ق.م)، ولم يكن لها وجود في عصر يشوع (القرن الثاني عشر قبل الميلاد)؛ لأنها كانت مدمرة تماماً، قبل وجود موسى ويشوع بثلاثة قرون تقريباً.⁽⁴⁾

3- تحدث سفر يشوع عن إبادة مدينة "عاي" الفلسطينية، وأن جميع من سقطوا فيها من رجال ونساء اثنا عشر ألفاً، أي جميع أهالي عاي، فيقول: "وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ"

(1) لم يُذكر اسم ذلك الشيخ الكبير الذي أصهر إليه موسى عليه السلام في القرآن الكريم، والذي ذكره د. البار "تعليقاً على النص الثاني هو قول من أقوال المفسرين، وقد ذكر الطبري أقوال المفسرين، ومنها: أن يثرون هذا هو ابن أخي شعيب عليه السلام، ومنها: أن اسمه يثري، وقال آخرون: بل اسمه شعيب، وهو شعيب النبي عليه السلام، ولم يرجح الطبري أي قول منها، ونقل ابن كثير عن بعضهم: أنه رجل مؤمن من قوم شعيب، وذكر أن المشهور عند كثير من المفسرين أنه شعيب عليه السلام، وذكر د. مهران الأقوال السابقة كلها، ورجح أنه نبي الله "شعيب" عليه السلام.

انظر: جامع البيان، الطبري: 562/19، وتفسير ابن كثير: 228/6، وبنو إسرائيل، د. مهران: 194/3.

(2) المدخل، د. البار: ص18.

(3) سفر يشوع: 24-20/6.

(4) انظر: المدخل، د. البار: ص19.

سُكَّانِ عَايٍ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايٍ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَايٍ. وَيَسُوعُ لَمْ يَرِدْ يَدَهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِزْرَاقِ حَتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايٍ. لَكِنَّ الْبَهَائِمَ وَغَنِيمَةَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لِأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَسُوعُ. وَأَحْرَقَ يَسُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلًّا أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَمَلَكَ عَايَ عُلْفَهُ عَلَى الْحَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَسُوعُ فَأَنْزَلُوا جُنَّتَهُ عَنِ الْحَشَبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا رُجْمَةً حِجَارَةً عَظِيمَةً إِلَى هَذَا الْيَوْمِ".⁽¹⁾

هل هذا الفعل الإجرامي من القتل حتى الإبادة يمكن أن يصدر من نبي هو يوشع، إن

ذلك لهو البهتان المبين على أنبياء الله تعالى ممن كتب التوراة بيده، وقال هذا من عند الله. 4- وبعد استيلائه على مدينة "عاي"، تقدم يسوع إلى محاربة أهل مقيدة ولبنة و لخيش و عجلون و حبرون و دببير، ففي سفر يشوع: "وَأَخَذَ يَسُوعُ مَقِيدَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ مَلِكَهَا هُوَ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يَبْقَ شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكٍ مَقِيدَةَ كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا. ثُمَّ اجْتَاَزَ يَسُوعُ مِنْ مَقِيدَةَ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى لِبْنَةَ، وَحَارَبَ لِبْنَةَ. فَدَفَعَهَا الرَّبُّ هِيَ أَيْضًا بِيَدِ إِسْرَائِيلَ مَعَ مَلِكِهَا، فَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يَبْقَ بِهَا شَارِدًا، وَفَعَلَ بِمَلِكِهَا كَمَا فَعَلَ بِمَلِكِ أَرِيحَا. ثُمَّ اجْتَاَزَ يَسُوعُ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لِبْنَةَ إِلَى لَخِيْشَ وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَحَارَبَهَا. فَدَفَعَ الرَّبُّ لَخِيْشَ بِيَدِ إِسْرَائِيلَ، فَأَخَذَهَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَضَرَبَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ. حِينَئِذٍ صَعِدَ هُورَامُ مَلِكُ جَاَزَرَ لِإِعَانَةِ لَخِيْشَ، وَضَرَبَهُ يَسُوعُ مَعَ شَعْبِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدًا. ثُمَّ اجْتَاَزَ يَسُوعُ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ لَخِيْشَ إِلَى عَجْلُونَ فَتَزَلُّوا عَلَيْهَا وَحَارَبُوهَا، وَأَخَذُوهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَحَرَّمَ كُلَّ نَفْسٍ بِهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِلَخِيْشَ. ثُمَّ صَعِدَ يَسُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ مِنْ عَجْلُونَ إِلَى حَبْرُونَ وَحَارَبُوهَا، وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدِينِهَا وَكُلِّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يَبْقَ شَارِدًا حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ بِعَجْلُونَ، فَحَرَّمَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ بِهَا. ثُمَّ رَجَعَ يَسُوعُ وَكُلَّ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى دَببِيرَ وَحَارَبَهَا، وَأَخَذَهَا مَعَ مَلِكِهَا وَكُلِّ مُدِينِهَا، وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَحَرَّمُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا. لَمْ يَبْقَ شَارِدًا، كَمَا فَعَلَ بِحَبْرُونَ كَذَلِكَ فَعَلَ بِدَببِيرَ وَمَلِكِهَا، وَكَمَا فَعَلَ بِلِبْنَةَ وَمَلِكِهَا. فَضَرَبَ يَسُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلَّ مُلُوكِهَا. لَمْ يَبْقَ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ. فَضَرَبَهُمْ يَسُوعُ مِنْ قَادَشَ بَرْنِيَعِ إِلَى عَزَّةَ وَجَمِيعِ أَرْضِ جُوشِنَ إِلَى جِبْعُونَ. وَأَخَذَ يَسُوعُ جَمِيعَ

(1) سفر يشوع: 29-24/8.

أُولَئِكَ الْمُلُوكِ وَأَرْضِهِمْ دُفَعَةً وَاحِدَةً، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ. ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ إِلَى الْمَحَلَّةِ إِلَى الْجِلْجَالِ".⁽¹⁾

هل يمكن لنبي مثل يوشع أن يصدر منه هذا الإجراء وهذه المذابح والإبادة الجماعية لمدنيين أبرياء في تلك المدن التي ذكرت في ذلك النص؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

5- وتتوج وصايا الحرب تلك العبارة الناضحة بالشر: "قُومِي وَدُوسِي يَا بِنْتَ صِهْيُون، لِأَنِّي أَجْعَلُ قَرْتَكَ حَدِيدًا، وَأَطْلَأُكَ أَجْعَلُهَا نُحَاسًا، فَتَسْحَقِينَ شُعُوبًا كَثِيرِينَ، وَأَحْرِمَ غَنِيمَتَهُمْ لِلرَّبِّ، وَتَرَوْنَهُمْ لِسَيِّدِ كُلِّ الْأَرْضِ".⁽²⁾

ويعلق د. الشامي على النصوص السابقة قائلا: "وهذه النصوص التوراتية التي تغذي الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية، تدرس في المدارس الإسرائيلية، دون أن تحظى بأي معالجة نقدية تذكر، وقد قام العالم السيكولوجي "جورج تامارين" بإجراء بحث في جامعة تل أبيب 1966م حول ردود فعل الطلبة على سفر يشوع، وفضائح أريحا، ومقيدة وغيرها من الأماكن، وقدم ثلاثة أسئلة إلى 1066 طالبا من الصف الرابع حتى الصف الثامن: هل تعتقدون أن يشوع والإسرائيليين قد فعلوا الصواب؟ لنفرض أن الجيش الإسرائيلي يحتل قرية عربية بالقتال، فهل يتحتم أن يفعل كما فعل يشوع مع أهالي أريحا ومقيدة؟ وكانت النتيجة: أن 60% أجابوا بأن يشوع قد فعل الصواب، و30% وافقوا على عمل المثل ضد أهالي القرية العربية المحتلة، أما السؤال الثالث، فقد درس تأثير التمركز العنصري على الحكم الأخلاقي، وطلب رد فعل على عمل فظيع ارتكبه جنرال لين في الصين البعيدة، وحصل هذا السؤال على رد إيجابي من جانب 70% فقط".⁽³⁾

3- المذابح والمجازر:

لقد قامت سلطات الاحتلال الصهيوني بارتكاب الكثير من المذابح والمجازر بحق الشعب الفلسطيني، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، منها على سبيل المثال، لا الحصر:

أ- مذبحه قريتي بلد الشيخ و حواسة (1/1/1948م)، في الجنوب الشرقي لحيفا.

بدأ الهجوم في الساعة الأولى من يوم 1/1/1948م، وكان عدد المهاجمين يتراوح بين مائة وخمسين ومائتي صهيونيا، وقد قذف المهاجمون البيوت بالقنابل، وقتلوا سكان القريتين

⁽¹⁾ سفر يشوع: 24/10-43.

⁽²⁾ سفر ميخا: 4/13.

⁽³⁾ الشخصية اليهودية، د. الشامي: ص150.

بالرشاشات بعد أن حاصروا القريتين، وكانت حصيلة هذه المذبحة ثلاثين فلسطينياً بين قتيل وجريح معظمهم من النساء والأطفال.⁽¹⁾

ب- مذبحة "دير ياسين"

تمت هذه المذبحة في 9 نيسان 1948م، على يد عصابتي: الاتسل وليحي، باطلاع وموافقة قائد عصابة الهاجاناه في القدس دافيد شالينيل، بعد أن احتلتا قرية دير ياسين غرب القدس، وكان عدد سكانها ستمائة فلسطينياً، وذبح فيها مائتان وأربعة وخمسون فلسطينياً.⁽²⁾ من هؤلاء المقتولين ذبحاً: خمس وعشرون امرأة حبلى، بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة، برؤوس الحراب، ومن هؤلاء كذلك: اثنان وخمسون طفلاً، قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم، ثم ذبحوا، واحتزت رقابهم في أحضان أمهاتهم، ثم أجهز على الأمهات، ومثل بهن، كما قتل ومثل بنحو ستين امرأة وفتاة أخرى.⁽³⁾

ج- مذبحة قبية (14-15/10/1953م):

تقع قرية قبية العربية على مسافة 22 كيلو متر شمالي شرق مدينة القدس، و44 كيلو متر غربي مدينة رام الله، وهي في الجانب العربي على بعد قرابة كيلو مترين من خط الهدنة الأردنية- اليهودية، وكان عدد سكانها يومذاك نحو 2000 نسمة، جميعهم من العرب. تعرضت هذه القرية ليلة 14-15/10/1953م لعدوان صهيوني، من قبل وحدات من الجيش النظامي بقيادة أرييل شارون، واستخدمت فيه مختلف أنواع الأسلحة، ففي الساعة السابعة والنصف من مساء يوم 14 تشرين الأول/ أكتوبر تحركت قوة عسكرية صهيونية، تقدر بنحو ستمائة جندي نحو القرية، وطوقتها وعزلتها عن سائر القرى العربية.

نتج عن هذا العدوان: تدمير ستة وخمسين منزلاً، ومسجد القرية، ومدرستها، وخزان المياه الذي يغذيها بالماء، واستشهد سبعة وستون من سكانها: رجالاً، وأطفالاً، ونساءً، وجرح عدد كبير من السكان، وأبيدت أسر كاملة، منها: أسرة عدد أفرادها اثنا عشر شخصاً.⁽⁴⁾

د- مذبحة "كفر قاسم" (29 أكتوبر 1956م):

في 29 أكتوبر 1956، وعشية العدوان الثلاثي على مصر، قامت قوة حرس حدود تابعة للجيش اليهودي بتنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع فيها قرية كفر قاسم في

⁽¹⁾ انظر: الموسوعة الفلسطينية: 413/1.

⁽²⁾ انظر: من ملفات الإرهاب، غازي السعدي: ص58.

⁽³⁾ اعتداءات إسرائيل قبل هجوم 29 أكتوبر سنة 1956 على مصر: ص11.

⁽⁴⁾ انظر: الموسوعة الفلسطينية: 502/3، ومجازر وممارسات الإرهاب الصهيوني، غازي السعدي: 90/2.

المثلث، على الحدود مع الأردن، وتلقوا أوامر بقتل المتأخرين عن موعد حظر التجول، وكان أول الضحايا أربعة عمال حيوا الجنود الإسرائيليين بكلمة "شالوم" فردوا إليهم التحية بحصد ثلاثة منهم، بينما نجا الفلسطيني الرابع حين توهموا أنه لقي مصرعه هو الآخر، كما قتلوا 12 امرأة كن عائدات من جمع الزيتون، وعلى مدى ساعة ونصف قتلوا 49 شهيداً و13 جريحاً.⁽¹⁾

هـ - مذبحه صبرا وشاتيلا (16-18/9/1982م):

لقد غزت القوات الصهيونية لبنان يوم 6 حزيران/ يونيو 1982م، وتم الاتفاق على خروج قوات الثورة الفلسطينية من بيروت، بدءاً من 21 آب/ أغسطس، فيما دخلت القوات متعددة الجنسيات إلى بيروت في اليوم ذاته.

بدأت القوات متعددة الجنسيات تجرد القوى الوطنية والمخيمات الفلسطينية من أسلحتها الخفيفة والثقيلة، وباتت المخيمات مجردة من أسلحتها، وبعد ثلاثة أسابيع فقط انسحبت القوات متعددة الجنسيات، فبات الموقف في قبضة قوات الغزو الصهيونية، واستولت القوات الصهيونية على أجزاء واسعة من المدينة، من بينها: مخيم صبرا للاجئين، ثم حاصرت القوات الصهيونية مخيمي صبرا وشاتيلا من ثلاثة اتجاهات، وبذلك توفرت كافة الظروف لتنفيذ خطة المذبحة في المخيمين، تلك المذبحة التي نفذتها قوات الكتائب، بالاتفاق مع قيادة القوات الصهيونية، وبإشرافها وحمايتها.

دخلت القوات اللبنانية (وهي الجناح العسكري للكتائب اللبنانية) إلى مخيمي صبرا وشاتيلا، في الساعة السادسة من مساء يوم 16 أيلول/ سبتمبر 1982م، وخطت قيادة الكتائب والصهاينة معا للمذبحة، وتعاونتا في التنفيذ، فأخذت الكتائب على عاتقها عملية دخول المخيمين وقتل من فيهما، وتولت القوات الصهيونية إعداد الظروف والعوامل اللازمة لتنفيذ الخطة، كما تولت الإشراف على العملية، وحماية قوات الكتائب طوال مدة العملية، وتغطية انسحابها، وأمر "رفائيل ايتان"⁽²⁾ قيادة الكتائب بإعلان التعبئة العامة لجميع قواتها، وحظر التجول في المناطق التي تسيطر عليها كافة، استعداداً لعملية اجتياح مخيمي صبرا وشاتيلا، وأبلغ ايتان قياديي الكتائب بأن القوات الصهيونية ستطوق مخيمي صبرا وشاتيلا، أما القتال في المخيمين ذاتهما فيقع على عاتق القوات اللبنانية، كما أبلغهم "ايتان" أيضاً أن وزير الدفاع

⁽¹⁾ وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا [/https://info.wafa.ps/](https://info.wafa.ps/)

⁽²⁾ رفائيل ايتان: هو وزير صهيوني سابق، ورئيس هيئة الأركان السابق، ولد في 11 يناير 1929م في ما يعرف حالياً بتل عدشيم (تل العدس)، وتوفي غرقاً في بحر إسدود في 23 نوفمبر 2004م. wikipedia.org

الصهيوني "أريئيل شارون" موافق على هذه الخطة. وفي صباح 15/9/1982م وصل "شارون" إلى مركز القيادة المتقدم، حيث التقى رئيس الأركان وأبلغه ما اتفق عليه مع قادة الكتائب، واتصل برئيس الوزراء "مناحيم بيغن"، بعد ذلك انتقل "شارون" إلى المركز الرئيس لحزب الكتائب، حيث اتفق مع قادتهم على تنفيذ الخطة.

دخلت القوات اللبنانية إلى المخيمين الساعة السادسة مساء يوم 16/9/1982م، ومن بين الوقائع التي حدثت: هجوم جيش الكتائب على مستشفى غزة في مخيم صبرا، فقد اجتأه في الساعة الخامسة من صباح 18/9/1982م، واقتادوا جميع من فيه، من: أطباء، وممرضات، وعاملين، ومرضى إلى خارجه، ثم قتلهم جميعاً؛ باستثناء من ليسوا فلسطينيين منهم، أما المرضى الذين لم يستطيعوا المشي فقد قتلهم الغزاة وهم في أسرته⁽¹⁾. كانت حصيلة المذبحة ثلاثة آلاف ومائتين وسبعة وتسعين قتيلاً، معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال، منهم: ألف وسبعة وتسعين قتيلاً في مستشفى عكا، وألف وثمانمائة قتيلاً في بيوت وأزقة مخيمي صبرا وشاتيلا⁽²⁾.

إنها مذبحة رهيبة خططت لها القيادة العسكرية الصهيونية، ووفرت لها الحماية والوسائل اللازمة، وأشرفت على تنفيذها، وأوكلت إلى الكتائب (القوات اللبنانية) التنفيذ، فلا مجال للصهاينة أن ينكروا تورطهم في هذه المذبحة، أو ينفوا علاقتهم بها.

و- مذبحة المسجد الإبراهيمي:

في فجر يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان الموافق 25 فبراير عام 1994، سمحت القوات الصهيونية التي تقوم على حراسة الحرم الإبراهيمي بدخول المستوطن اليهودي المعروف بتطرفه "باروخ جولدشتاين" إلى الحرم الشريف، وهو يحمل بندقيته الآلية، وعدداً من خزائن الذخيرة المجهزة، وعلى الفور شرع جولدشتاين في حصد المصلين داخل المسجد. وأسفرت هذه المذبحة عن استشهاد 60 فلسطينياً؛ فضلاً عن إصابة عشرات آخرين بجروح، وذلك قبل أن يتمكن من تبقّي على قيد الحياة من السيطرة عليه وقتله⁽³⁾.

(1) المرجع الرئيس عن مذبحة صبرا وشاتيلا: الغزو الإسرائيلي للبنان، هيثم الكيلاني (مع مجموعة من الباحثين بإشراف العماد مصطفى طلاس): ص 318-331، ومجازر وممارسات الإرهاب الصهيوني، غازي السعدي: ص 279-281، والمجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، د. جواد الحمد: ص 38-47.

(2) انظر: المجازر الصهيونية، جواد الحمد: ص 47، ومجلة المستقبل، عدد 292، سبتمبر 1982م، ص 30-31.

(3) وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا <https://info.wafa.ps/>

تلك بعض المذابح التي تعرض لها الشعب الفلسطيني على يد قوات الاحتلال الصهيونية، ولقد أحصى كتاب علمي أصدره جيش التحرير الفلسطيني المذابح التي نفذتها الصهيونية -قبل قيام الكيان الصهيوني- أي: منذ عام 1937م حتى 14/5/1948م، فبلغت خمسة وأربعين مذبحه، في حين أن المذابح-حسب إحصاء الكتاب المذكور- في الفترة من 14/5/1948م حتى غاية 25/2/1994م بلغت أربعة وسبعين مذبحه، وذكر الكتاب أن شهداء الانتفاضة الأولى 1987-1993م بلغ عددهم خمسمائة وأربعة شهداء، في حين أن عدد شهداء الانتفاضة الثانية في فترة عشرة أشهر فقط، أي: من 28/9/2000م حتى غاية 31/7/2001م بلغ ستمائة وواحداً وستين شهيداً.

بلغ عدد شهداء انتفاضة الأقصى 24/9/1996م 64 شهيداً، ودمرت سلطات الاحتلال الصهيوني تدميراً كاملاً في الفترة من 1967م حتى 15/5/2001م أكثر من سبعة آلاف ومائة وخمسة وثمانين منزلاً، إضافة إلى مباني المؤسسات والدوائر التابعة للسلطة الفلسطينية، واقتلاع سلطات الاحتلال مئات الآلاف من أشجار الزيتون وغيرها من المزروعات.⁽¹⁾

تلك المجازر والمذابح لم تكن إلا تطهيراً عرقياً لشعب أعزل، على أيدي عصابات صهيونية، تربت على الإرهاب والحقد والكراهية لكل من هو غير يهودي.

وتاريخ الحركة الصهيونية مليء بأعمال الإرهاب والقتل الجماعي، فقد نشر قادة الصهيونية ومفكروها مؤلفات كثيرة بحثوا فيها الإرهاب كعقيدة وسياسة ووسيلة، وتحدثوا عن المنظمات الإرهابية وأيديولوجيتها، والجرائم التي ارتكبتها، وعندما فكرت الصهيونية في إقامة دولة يهودية في فلسطين رأت أن ذلك لن يتم إلا بإبادة سكان البلاد الأصليين، أو طردهم عن طريق الإرهاب، وعلى هذا شكل الإرهاب والعنف منذ البداية صلب الخطة الصهيونية الرامية إلى احتلال فلسطين.⁽²⁾

خامساً: قتل المدنيين الفلسطينيين.

إن من شريعة اليهود وفكرهم المنحرف أثناء الحروب: عدم التفريق بين المقاتلين المحاربين، والمدنيين المسالمين؛ من الرجال كبار السن، والنساء والأطفال، فنجدهم في حروبهم الكثيرة قديماً وحديثاً يتعمدون قتل المدنيين المسالمين الأبرياء، والعزل الذين لا يملكون سلاحاً، أو لا يقاتلون. وهذا ما وقع منهم أثناء حروبهم ضد الفلسطينيين، منذ 1948م إلى يومنا هذا.

⁽¹⁾ انظر: المجازر الصهيونية المرتكبة بحق الشعب العربي الفلسطيني، خلال القرن العشرين، جيش التحرير الفلسطيني، إدارة التوجيه المعنوي والسياسي.

⁽²⁾ انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 5-6.

وقد مر فيما سبق ما قام به الجيش الصهيوني من إبادة جماعية للفلسطينيين في المجازر الإرهابية التي قام بها منذ احتلاله لفلسطين عام 1948م، وسنتحدث هنا عما قام به الجيش الصهيوني من قتل للمدنيين، منذ الانتفاضة الأولى وحتى الحرب الثالثة على غزة.

1- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الأولى: أ- الانتفاضة الفلسطينية الأولى:

تعد الانتفاضة الفلسطينية حدثاً كبيراً فارقاً في تاريخ نضال الشعب الفلسطيني، وحلقة من حلقات المقاومة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني لفلسطين، وقد بدأت هذه الانتفاضة على أثر حدث عظيم من أحداث القتل المتعمد، الذي تعرض له الشعب الفلسطيني على أيدي المحتل الصهيوني، حيث أوردت وكالات الأنباء في يوم الثلاثاء الواقع في 8 ديسمبر عام 1987م خبراً من قطاع غزة المحتل، مفاده: أن المغتصب اليهودي هيرتزل بوكوزا صدم بشاحنته سيارتين صغيرتين تقلان عمالاً من القطاع بالقرب من حاجز بيت حانون العسكري، فاستشهد أربعة منهم، وجرح تسعة آخرون.⁽¹⁾

هذه الحادثة تفجرت على أثرها منذ اليوم التالي انتفاضة عفوية شعبية عارمة، انطلقت من مخيم جباليا في غزة، وسرعان ما انتشر لهيبها في كل أنحاء القطاع والضفة الغربية، وهكذا أصبح يوم التاسع من كانون الأول/ ديسمبر هو يوم البداية.

ومر عام كامل من عمر الانتفاضة لم تتراجع خلاله ولم تضعف، حتى أصبح العام 1988م -عام الانتفاضة الأول- هو العام الفاصل في تاريخ القضية الفلسطينية منذ النكبة، والمنعطف الكبير في حياة الشعب الفلسطيني، وكانت انتفاضة يستحيل وصفها بـ"الإرهابية"؛ بل على العكس من المنطق الصهيوني في طرح مفهوم الإرهاب، تمكنت الانتفاضة عبر مشاهدتها اليومية من إصاق صفة الإرهاب بالجندي الصهيوني، الذي يطلق النار وقنابل الغاز والدخان على فتيان يحملون أعلام وطنهم، ولا يردون عليه بغير الحجارة.⁽²⁾

ب- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الأولى⁽³⁾:

لقد قام الجيش الصهيوني بقتل المئات من الفلسطينيين في الانتفاضة الفلسطينية الأولى

(1) انظر: بحث بعنوان "الانتفاضة وتطور القضية الفلسطينية، أ. شفيق الحوت، ود. بيان نويهض الحوت، 993/6، الموسوعة الفلسطينية، نقلا عن The Jerusalem Post, 9/12/1987، والمستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية، غسان محمد دوعر: ص195.

(2) بحث "الانتفاضة وتطور القضية الفلسطينية"، شفيق الحوت، وبيان الحوت، 993/6، الموسوعة الفلسطينية.

(3) انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص158-162.

معظمهم بالرصاص الحي، وبعضهم بالضرب، أو من الاختناق بالغاز المسيل للدموع، وتراوحت أعمار الضحايا بين الرابعة والرابعة والثمانين، وبينهم نساء، وأصيب آلاف آخرون من جراء الضرب بالعصي وكسر العظام، وبخاصة بعد أن أعلن وزير الدفاع إسحق رابين في 19 كانون الثاني/يناير 1988م سياسة جديدة هي سياسة "القوة والجبروت والضرب".

وقد أوردت الصحف تقارير عن ضرب على نطاق واسع، وعن دخول جنود الجيش الصهيوني البيوت وضرب من فيها نساء ورجالا، وتقول لجنة التحقيق -المرسلة من "الأطباء لحقوق الإنسان"، ومركزها مدينة بوسطن في الولايات المتحدة، زارت الأراضي المحتلة في فبراير 1988م-: "إن الآلاف من العرب أصيبوا بكسور في العظام، أو بأضرار أخرى على يد الجنود الصهاينة، وورد في التقرير الذي أعلنته في 30 مارس 1988م: "إن أشعة إكس والسجلات الطبية تكشف عن نسق من الكسور المتعددة والجزئية، التي توحى بانتهاج سياسة تهدف إلى التعطيل، لا القتل، وإيقاع أقصى الضرر من دون المجازفة في التسبب بالوفاة، وهو شكل مدروس هادف من الوحشية، لا يميز بين الضحايا؛ لكنه دقيق في اختيار نوع الأذى"، ولاحظت اللجنة أن "30% من الإصابات بالرصاص التي شاهدناها بعد يوم واحد في المستشفيات، قد أدت إلى تعطيل طويل أو دائم للأرجل، بسبب شلل جزئي أو نصفي أو شلل كلي، ومعظمهم لن يتمكن من المشي مرة أخرى، ولن يتمكن من الخروج من المستشفى أو دار التمريض".⁽¹⁾

بلغ عدد الفلسطينيين الذين قتلوا بأيدي القوات اليهودية 1,376، منهم: 281 قاصرون لم يبلغوا 17 عاما، و 115 قتلوا بأيدي مدنيين يهود، 23 منهم: قاصرون لم يبلغوا 17 عاما.⁽²⁾

2- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الثانية "انتفاضة الأقصى":

أ- الانتفاضة الفلسطينية الثانية:

اندلعت شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية عقب اقتحام زعيم المعارضة الصهيونية آنذاك أرييل شارون، يوم 28 سبتمبر/أيلول 2000م باحات المسجد الأقصى، تحت حماية نحو ثلاثة آلاف من الجنود والقوات الخاصة⁽³⁾، وتجوّل شارون في ساحات المسجد، وقال عن "الحرم القدسي" بأنه سيبقى منطقة يهودية، مما أثار استنقاز الفلسطينيين، فاندلعت المواجهات بين المصلين والجنود الصهاينة.⁽⁴⁾

(1) الإرهاب يؤسس دولة، د. هيثم الكيلاني: ص 160، نقلًا عن صحيفة نيويورك تايمز، 24/1/1988م.

(2) مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة <https://www.btselem.org/arabic>

(3) انظر: الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، د. عبد الوهاب المسيري: ص 317.

(4) <http://www.aljazeera.net/encyclopedia>. والحرب الثالثة على غزة، عدنان أبو عامر: ص 16.

ب- قتل المدنيين في الانتفاضة الفلسطينية الثانية:

وعلى إثر اندلاع تلك المواجهات بين المصلين والجنود الصهاينة؛ قُتل سبعة فلسطينيين، وجرح 250 آخرون، كما أُصيب 13 جندياً صهيونياً، وشهدت مدينة القدس مواجهات عنيفة أسفرت عن إصابة العشرات، وسرعان ما امتدت إلى جميع المدن في الضفة الغربية وقطاع غزة، وسميت بـ"انتفاضة الأقصى".⁽¹⁾

ومما يلفت النظر أنه منذ بداية أحداث الانتفاضة استهدفت آلة الإرهاب الصهيونية وبشكل مكثف الأطفال الصبية (أكثر من 90 طفلاً خلال الشهرين الأولين)، وسيارات الإسعاف ورجالها (حتى يوم 23 أكتوبر كانت 24 سيارة إسعاف قد تعرضت أثناء قيامها بمهام الطوارئ في الضفة وغزة إلى إصابات مباشرة برصاص جنود الاحتلال والمستوطنين، وانضم عدد من رجال الإسعاف إلى قافلة الشهداء والمصابين، ويضاف إلى ذلك: التعطيل المتعمد لحركة سيارات الإسعاف، والتضييق الشامل على وصول مستلزمات العلاج والأدوية، وذلك وفق تقارير منظمات حقوقية محلية ودولية).⁽²⁾

ويعتبر الطفل الفلسطيني "محمد الدرة" رمزاً للانتفاضة الثانية، فبعد يومين من اقتحام المسجد الأقصى أظهر شريط فيديو التقطه مراسل قناة تلفزيونية فرنسية في 30 سبتمبر/أيلول 2000م مشاهد إعدام للطفل (11 عاماً)، الذي كان يحتمي إلى جوار أبيه ببرميل إسمنتي في شارع صلاح الدين جنوبي مدينة غزة، وأثار إعدام الجيش الصهيوني للطفل "الدرة" مشاعر غضب الفلسطينيين في كل مكان، وهو ما دفعهم إلى الخروج في مظاهرات غاضبة ومواجهة الجيش الصهيوني؛ مما أسفر عن مقتل وإصابة العشرات منهم.

ووفقاً لأرقام فلسطينية ويهودية رسمية، فقد أسفرت الانتفاضة الثانية عن استشهاد 4412 فلسطينياً، إضافة إلى 48 ألفاً و322 جريحاً؛ بينما قُتل 1100 يهودياً، بينهم ثلاثمائة جندي، وجرح نحو 4500 آخرين.⁽³⁾

ووفقاً لإحصائيات المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان تحت عنوان "انتفاضة الأقصى تدخل عامها التاسع" من 2000/09/29م - 2008/09/29م:

- بلغ عدد القتلى المدنيين الفلسطينيين الذين قتلوا على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة (3731).

⁽¹⁾ انظر: الحرب الثالثة على غزة، عدنان أبو عامر: ص16.

⁽²⁾ انظر: الصهيونية والعنف، د. عبد الوهاب المسيري: ص321.

⁽³⁾ <http://www.aljazeera.net/encyclopedia>. والحرب الثالثة على غزة، عدنان أبو عامر: ص16.

- وعدد القتلى الفلسطينيين الذين قتلوا على أيدي قوات الاحتلال في الضفة الغربية وقطاع غزة في اشتباكات مسلحة (1114).

وبلغ المجموع العام للقتلى الفلسطينيين على أيدي قوات الاحتلال (4845)، "يستثنى من هذا الرقم الوفيات على الحواجز العسكرية وضحايا الحصار المفروض على قطاع غزة والعمليات التفجيرية داخل الكيان المحتل".⁽¹⁾

وللتعامل مع التبعات المتواصلة للانتفاضة على الصعيد الصهيوني نفذ الجيش عددا من العمليات العسكرية الكبرى لمحاولة القضاء عليها، وإيقاف مدها المتواصل، وتوج ذلك بالحملة العسكرية في الضفة الغربية التي أطلق عليها اسم "السور الواقى"، والقيام بتنفيذ عمليات موضعية ذات بعد عسكري واضح.⁽²⁾

وانتقل الإرهاب الصهيوني إلى استخدام الدبابات وطائرات الهليكوبتر في إغارات صباحية وليلية على المدن، وبينها غزة ونابلس ورام الله، وشملت الغارات قصف أحياء سكنية، ومرافق خدمية واقتصادية، فضلا عن مزارع السلطة الفلسطينية وشرطتها وأجهزة أمنها، بما في ذلك الوحدة المكلفة بحماية الرئيس عرفات شخصيا (القوة 17).⁽³⁾

توقفت انتفاضة الأقصى في الثامن من فبراير/ شباط 2005م بعد هدنة بين اليهود والفلسطينيين في قمة "شرم الشيخ"؛ إلا أن مراقبين يرون أن الانتفاضة الثانية لم تنته، لعدم توصل الفلسطينيين واليهود إلى أي حل سياسي، ولا استمرار المواجهات بمدن الضفة الغربية.⁽⁴⁾

ج- عمليات الاغتيال:

عمل "أريئيل شارون" على اغتيال أكبر عدد من قيادات الصف الأول بالأحزاب السياسية والحركات العسكرية الفلسطينية، في محاولة لإخماد الانتفاضة، وإضعاف فصائل المقاومة وإرباكها، وفي مقدمتهم مؤسس حركة حماس الشيخ أحمد ياسين، وعدد من كبار مؤسسي الحركة، وأبو علي مصطفى (مصطفى الزبري)، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان <https://pchrgaza.org>

⁽²⁾ انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص 16.

⁽³⁾ انظر: الصهيونية والعنف، د. عبد الوهاب المسيري: ص 325، موقع الجزيرة نت. www.aljazeera.net

⁽⁴⁾ انظر: موقع الجزيرة نت . <http://www.aljazeera.net>

⁽⁵⁾ انظر: المصدر السابق.

ووفقاً لإحصائيات المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، فقد بلغ عدد الذين اغتالهم الجيش الصهيوني خلال الثمانية أعوام: 739 منهم 510 مستهدفون و 229 غير مستهدفين.⁽¹⁾

ويبلغ مجموع المصابين في الأراضي المحتلة من بداية الانتفاضة على أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلي أكثر من 25,000 مواطن، 12261 مصاباً منهم من قطاع غزة.⁽²⁾

د- المنازل المهتمة في قطاع غزة:

- هدم بشكل كلي: 2958 منزلاً، وهدم بشكل جزئي: 2909 منزلاً.

هـ- المنازل المهتمة في الضفة الغربية وفق مؤسسة أريج من سنة 2000-2007م:

1606 منزلاً.⁽³⁾

قتل المدنيين في الحروب الثلاثة الأخيرة على غزة:

يقول د. الشامي: "وقد جمعت قوانين الحرب في "العهد القديم" في "سفر التثنية"، وهي تحدد لهم أسلوب الاستيلاء على المدن، وأسلوب التعامل مع أهل البلاد في الإصحاحات التالية، وهي: الإصحاح العشرون، والإصحاح الحادي والعشرون، الفقرات: (10-14)، والإصحاح الثالث والعشرون، الفقرات: (10-16)، والإصحاح الرابع والعشرون، الفقرة الخامسة. وهذه القوانين هي التي يتسلمها القادة الإسرائيليون كمصدر وحي، وكشريعة مقدسة؛ لاستئناف البعث الإسرائيلي في فلسطين، على أساس أن كل جريمة تصبح شرعية وقانونية، من أجل تحقيق وعد الرب، وكان "يشوع بن نون" هو الذي أرسى تقاليد العسكرية الإسرائيلية التي تحظى بالقدسية، والتي تنفذ كما لو كانت طقساً من طقوس القرابين البدائية؛ طمعا في رضاء الرب في الجسد العربي، واللحم العربي، والأرض العربية".⁽⁴⁾

وقد استغل القادة الصهاينة: سياسيون، وعسكريون، وقادة جيش هذه التعليمات والقوانين في حروبهم الثلاثة الأخيرة على قطاع غزة: وشنوا في الأعوام الستة الماضية ثلاثة حروب ضد قطاع غزة، بهدف إيقاف الهجمات الصاروخية تجاه مدن فلسطين المحتلة عام 1948م، وتدمير قدرات المقاومة الفلسطينية التي تعرض الأمن الصهيوني للخطر.⁽⁵⁾

(1) المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان / <https://pchr.org>

(2) المصدر السابق.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) الشخصية اليهودية، د. الشامي: ص 148-149.

(5) انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص 41، ومقال بعنوان "3حروب إسرائيلية على غزة خلال 6 سنوات"، 11/ يوليو 2014م، <https://www.noonpost.org>، وتقرير بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة، موقع وكالة الأناضول التركية باللغة العربية، <https://www.aa.com.tr>

الحرب الأولى على غزة:

بدأت في 27 ديسمبر 2008م، واستمرت لغاية 18 يناير 2009م، والتي أطلق عليها الكيان الصهيوني "الرصاص المصبوب"، وأطلقت عليها المقاومة الفلسطينية "معركة الفرقان".⁽¹⁾ فقد شن الجيش الصهيوني لدولة الاحتلال عملية عسكرية على غزة في 27 ديسمبر 2008م، وفي يومها الأول شنت 80 طائرة حربية صهيونية سلسلة غارات على عشرات المقار الأمنية والحكومية الفلسطينية في آن واحد، ما أسفر عن استشهاد 200 فلسطيني بالهجمة الجوية الأولى، غالبيتهم من عناصر الشرطة الفلسطينية، بمن فيهم مديرها العام اللواء "توفيق جبر"، واستمرت نحو 23 يوماً، انتهت في 18 يناير/ كانون ثاني 2008م.⁽²⁾ ورغم انتهائها، ومرور سنوات عليها، لم يعاقب قادة الاحتلال الصهيوني على جرائمهم في حق القطاع وسكانه، رغم إقرار منظمات دولية وحقوقية في تقاريرها بوقوع جرائم حرب بحق المدنيين الفلسطينيين.⁽³⁾

وجاءت هذه العملية العسكرية بعد خرق الكيان المحتل اتفاق تهدئة مبرم مع فصائل المقاومة، وفي مقدمتها "حماس"، واستمرت ستة أشهر، برعاية مصرية، باغتيال ستة مسلحين من كتائب القسام، في 4 نوفمبر 2008م، وردت كتائب القسام والأجنحة العسكرية للمقاومة الفلسطينية على العملية العسكرية، بإطلاق مئات القذائف والصواريخ محلية الصنع على البلدات والمستوطنات جنوبي الأراضي المحتلة عام 48م، رغم التحليق المكثف للطيران الصهيوني.⁽⁴⁾ وبحسب مؤسسة "توثيق" (حكومية)، فقد هدم الكيان الصهيوني المحتل في تلك الحرب أكثر من (4100) مسكن بشكل كلي، و(17000) بشكل جزئي.⁽⁵⁾ ولم تسلم منازل ومساجد ومدارس ومراكز تابعة لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) من قصف الطائرات الحربية والمروحية الصهيونية، بالإضافة إلى استهداف المستشفيات والمقار الصحية، بشكل مخالف للقانون الدولي.⁽⁶⁾

(1) انظر: مقال بعنوان: "حروب العدوان الصهيوني على غزة"، حسين عوض، 19 آب 2014 <http://amin.org>

(2) انظر: مقال سابق بعنوان "3حروب إسرائيلية على غزة"، ومقال بعنوان: الرصاص المصبوب.. عدوان على غزة فشل بإخضاعها: موقع الجزيرة نت. <http://www.aljazeera.net>

(3) انظر: مقال سابق بعنوان: الرصاص المصبوب.

(4) انظر: مقال سابق بعنوان 3 حروب إسرائيلية على غزة.

(5) انظر: المصدر السابق.

(6) انظر: المصدر السابق نفسه.

ومن المدارس التي استهدفها القصف الصهيوني: مدرسة الفاخورة في جباليا شمال غزة التي تم استهدافها في السادس من يناير/ كانون الثاني 2009 بقنابل الفسفور الأبيض الحارقة، مما أدى إلى استشهاد 41 مدنياً، وإصابة العديد بجروح وحروق.⁽¹⁾

وبعد مرور ثمانية أيام على قصف الجيش الصهيوني المكثف اتخذت الحكومة الصهيونية قراراً بشن عملية عسكرية برية على قطاع غزة، بمشاركة سلاح المدفعية وجنود المشاة والدبابات، وسط تحليق مكثف للطيران في الأجواء.⁽²⁾

واستخدم جيش الاحتلال الصهيوني عدداً من الأسلحة المحرمة دولياً، في مقدمتها: اليورانيوم المنضب، حيث حملت أجساد بعض الضحايا آثار التعرض لمادة اليورانيوم المخفف بنسب معينة، وكذلك الفسفور الأبيض، وقد اتهمت منظمة "هيومن رايتس ووتش" الكيان الصهيوني المحتل باستخدام الأسلحة الفسفورية.⁽³⁾

وأعلن رئيس الوزراء الصهيوني آنذاك "أيهود أولمرت" عن وقف إطلاق النار من جانب واحد، دون الانسحاب من قطاع غزة، بعد 23 يوماً من عملية "الرصاص المصبوب"، تلاه في اليوم التالي إعلان الفصائل الفلسطينية هدنة لمدة أسبوع لانسحاب الجيش من القطاع.⁽⁴⁾ وقالت تقارير دولية إن الجيش الصهيوني ألقى في الحرب الأولى قرابة "مليون" كيلوجرام من المتفجرات على قطاع غزة.⁽⁵⁾

وبحسب إحصاءات لجنة توثيق الحقائق التابعة للحكومة الفلسطينية والجهاز المركزي لإحصاء الفلسطينيين؛ فقد أدت عملية "الرصاص المصبوب" إلى استشهاد أكثر من 1436 فلسطينياً، بينهم نحو 410 أطفال، و104 نساء، ونحو 100 مسن، وإصابة أكثر من 5400 آخرين، بينهم أكثر من 400 إصابة خطيرة، نصفهم من الأطفال.

واعترفت السلطات الصهيونية بمقتل 13 يهودياً، بينهم 10 جنود، وإصابة 300 آخرين؛ إلا أن المقاومة الفلسطينية تحدثت عن قتل أكثر من 100 جندي صهيوني.⁽⁶⁾

⁽¹⁾ انظر: مقال سابق بعنوان: الرصاص المصبوب.

⁽²⁾ انظر: مقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة.

⁽³⁾ انظر: مقال سابق بعنوان: الرصاص المصبوب، ومقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة، وتقرير سابق بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة.

⁽⁴⁾ انظر: مقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة.

⁽⁵⁾ انظر: تقرير سابق بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة.

⁽⁶⁾ مقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة. وتقرير سابق: 3 حروب إسرائيلية على غزة. و مقال: "حروب العدوان الصهيوني على غزة"، بقلم: حسين عوض، بتصرف يسير، بتاريخ 19 آب 2014 <http://amin.org>

وفيما يأتي أهم محطات هذه الحرب:

- صبيحة 27 /12/2008م، قامت ثمانون طائرة بعشرات الغارات الجوية على قطاع غزة في وقت قصير، استهدفت الأحياء السكنية ومقار عسكرية وأمنية وشرطة تابعة (حماس)، وتسببت باستشهاد أكثر من مائتي فلسطيني، وجرح أكثر من سبعمائة آخرين.

- في 31 /12/2008م، ارتفاع حصيلة الشهداء لنحو أربعمائة، والجرحى لأكثر من ألفين إصابة، ثلاثمائة منهم خطيرة.

- يناير/ كانون الثاني 2008م، الطيران الحربي الصهيوني يغير على منزل القيادي في حماس د. نزار ريان بمخيم جباليا، مما أدى لاستشهاده مع 15 من أفراد عائلته.

- يناير/ كانون الثاني 2008م، في اليوم العاشر للعدوان ارتفع عدد الضحايا لأكثر من 550 شهيداً، و2700 جريحاً، بحسب إحصاءات وزارة الصحة في غزة.

- يناير/ كانون الثاني 2008م، صحيفة التايمز البريطانية قالت: إن الجيش الإسرائيلي يستخدم أسلحة محرمة دولياً في عدوانه على غزة، وإنه استعمل قذائف الفوسفور الأبيض.

- يناير/ كانون الثاني 2008م، حصيلة الضحايا ترتفع إلى أكثر من 1015 شهيداً، من بينهم 315 طفلاً، و100 امرأة، و98 مسناً، فيما تجاوز عدد الجرحى 4700.⁽¹⁾

ورغم استعمال الاحتلال للأسلحة المحرمة دولياً- وفي مقدمتها اليورانيوم المنضب والأسلحة الفسفورية- فإنه فشل في تحقيق أهدافه؛ بل تعرض لخسائر كبيرة؛ حيث قتل منه حوالي مائة شخص، من بينهم 48 جندياً، بحسب المقاومة، فضلاً عن إصابة أكثر من أربعمائة، وحالة الرعب النفسي التي اجتاحت الاحتلال والمستوطنين، والخسائر المادية التي قدرتها بعض الدراسات بـ2.5 مليار دولار.⁽²⁾

ب- الحرب الثانية على غزة:

بدأت في 14 نوفمبر، واستمرت إلى 21 نوفمبر 2012م، ففي 14 نوفمبر 2012 شن الجيش الصهيوني عملية عسكرية على غزة، أطلق عليها اسم "عمود السحاب"، وأطلقت عليها المقاومة الفلسطينية اسم معركة "حجارة السجيل"، واستمرت لمدة ثمانية أيام.⁽³⁾

بدأت الحرب الثانية باغتيال نائب القائد العام لكتائب عز الدين القسام "أحمد الجعبري"،

(1) انظر: مقال سابق بعنوان: الرصاص المصبوب.

(2) انظر: المصدر السابق.

(3) انظر: الحرب الثالثة على غزة، عدنان أبو عامر: ص41، ومقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة.

من مقال بعنوان: "حروب العدوان الصهيوني على غزة"، حسين عوض، 19 آب 2014 <http://amin.org>

عبر استهداف سيارة كان يستقلها برفقة مرافقه وسط مدينة غزة، تنفيذاً لقرار اللجنة الوزارية المصغرة للشؤون الأمنية الصهيونية (كابينت)، الذي اتخذته سراً في صبيحة اليوم السابق، على الرغم من التوصل إلى مسودة اتفاق تهدئة مع المقاومة بوساطة مصرية آنذاك.⁽¹⁾

وأعلنت المقاومة الفلسطينية -عقب اغتيال الجعبري- حالة الاستنفار، وقصفت البلدات والمستوطنات الصهيونية بعشرات القذائف والصواريخ.⁽²⁾

وأُسفرت الحرب عن استشهاد 162 فلسطينياً، بينهم 42 طفلاً، و 11 سيدة، وإصابة نحو 1300 آخرين، بحسب وزارة الصحة الفلسطينية، فيما قتل 20 يهودياً، وأصيب 625 آخرين، معظمهم بـ"الهلع"، بحسب وسائل الإعلام الصهيونية.⁽³⁾

وهدمت دولة الكيان المحتل 200 منزلاً بشكل كامل، خلال هذه العملية، ودمرت 1500 منزلاً بشكل جزئي، إضافة إلى تضرر عشرات المساجد، وعدد من المقابر والمدارس والجامعات والمباني والمؤسسات والمكاتب الصحفية.⁽⁴⁾

ج- الحرب الثالثة على غزة:

في 7 تموز 2014م شنت دولة الكيان الصهيوني المحتل حربها الثالثة على قطاع غزة، بدعوى وقف إطلاق الصواريخ على المدن والبلدات المحتلة عام 1948م، أسمتها "الجرف الصامد"، فيما أطلقت عليها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) اسم "العصف المأكول".⁽⁵⁾

استخدم فيها الجيش الصهيوني قواته البرية والبحرية والجوية ضد المدنيين الفلسطينيين في القطاع، من طائرات "أف 16"، والطائرات المروحية (الأباتشي)، وطائرات الاستطلاع بدون طيار، التي تحدد الأهداف، وتضع الإحداثيات بشكل دقيق، ودبابات "الميركافا 4"، واستخدم قذائف المدفعية من عيار 155 ملم، وأقدم على استدعاء الاحتياط، ودعم بأسلحة متطورة من الولايات المتحدة الأمريكية، وتكبد العدو مبلغ 225 مليون دولاراً؛ لتعويض النقص في القبة

(1) انظر: مقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة.

(2) انظر: المقال السابق.

(3) انظر: مقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة، و تقرير سابق بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة. من مقال: "حروب العدوان الصهيوني على غزة"، حسين عوض، 19 آب 2014 <http://amin.org>

(4) انظر: مقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة، و تقرير سابق بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة.

(5) انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص38، وتقرير سابق بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة. ومقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة. ومقال بعنوان: "حروب العدوان الصهيوني على

غزة"، بقلم: حسين عوض، بتصرف يسير، بتاريخ 19أب2014 <http://amin.org>

الحديدية، التي تعترض الصواريخ وقذائف المدفعية.

واستهدف العدو الصهيوني في هذه الحرب بيوت المدنيين العزل، والمدارس، والمستشفيات، وسيارات الإسعاف، والمساجد، والمؤسسات الحكومية، والجامعات، والمعامل، ومراكز الإعلام، وقام بتدمير محطة توليد الكهرباء الوحيدة في غزة، وأقدم على استخدام الأسلحة المحرمة دولياً، والأسلحة الفسفورية، التي تصيب بحروق مؤلمة وقاتلة، وارتكب سبعين مجزرة: مجزرة على سوق شعبي في الشجاعية، ومجزرة خزاعة قرب خان يونس، ومجزرة أطفال آل بكر على شاطئ البحر، ومجزرة برج الإسراء، ومجزرة منتزه مخيم الشاطئ، ومجزرة عائلة أبو جامع، وعائلة النجار، وعائلة البطش، ومجزرة مسجد الحرمين، ومجزرة عائلة الخليلي، وأغار الطيران على مدرسة لـ"الأونروا"، التي احتوى بداخلها الأطفال والنساء. وقد اتهم المؤرخ اليهودي المناهض "شلومو زاند" الكيان الصهيوني بتحويل القطاع إلى محمية كبيرة، وأنها فقدت كل ضابط أخلاقي، وهي لاتفهم غير لغة القوة.⁽¹⁾

وجاء إطلاق اسم "الجرف الصامد" على الحرب ضد غزة منسجماً مع العرف الصهيوني المتبع من الجيش في إطلاق أسماء الحملات العسكرية لمواجهة المقاومة، ومنها: "حقل الأشواك، الجحيم، جهنم المتدرجة، السور الواقي، رحلة بالألوان، المسار الحازم، غارس الليل، قوس قزح، السهم الجنوبي، الطريق الحازم، أول الغيث، أيام الندم، انفجارات بلا حدود، الواقي الأممي، رياح خريفية، الحديد البرتقالي، سيف جلعاد، أمطار الصيف، الرصاص المصبوب، عامود السحاب"، وجميع هذه الحملات وجهت ضد قطاع غزة والضفة الغربية، حيث يبدي قادة جيش الاحتلال اهتماماً كبيراً باختيار الأسماء التي يطلقونها على حملات القمع والتنكيل ضد الفلسطينيين، على أمل أن تخلق قدراً من الردع حتى قبل أن تنتهي مهمتها.⁽²⁾

استمرت الحرب "51" يوماً، انتهت في 26 أغسطس/آب 2014، تعرض خلالها قطاع غزة لعدوان عسكري إرهابي، جوي وبري، حيث نفذ الجيش الصهيوني منذ بدء العملية العسكرية في غزة سلسلة غارات، باستخدام الطائرات والزوارق والمدفعية على مختلف أنحاء غزة.⁽³⁾ وردت المقاومة الفلسطينية بقصف بلدات ومستوطنات ومواقع عسكرية صهيونية جنوب أيبب والقدس وأسود بعدة صواريخ محلية الصنع، وقد أطلقت المقاومة الفلسطينية على هذه

(1) من مقال بعنوان: "حروب العدوان الصهيوني على غزة"، بقلم: حسين عوض، بتصرف يسير، بتاريخ 19 آب 2014 <http://amin.org>

(2) انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص38، نقلاً عن ما سر تسمية أسماء الحملات العسكرية الإسرائيلية؟ وكالة أنباء الأناضول، 17/6/2014م.

(3) انظر: تقرير سابق بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة. ومقال سابق بعنوان 3 حروب إسرائيلية على غزة.

العملية العسكرية عليها اسم معركة "العصف المأكول".⁽¹⁾

وأسقط الجيش الصهيوني نحو 40 ألف طن من المتفجرات على القطاع خلال الحرب، وشن الجيش أكثر من 10 آلاف غارة مدفعية على غزة، استخدم خلالها قذائف شديدة الانفجار، تسببت بدمار كبير في المناطق المستهدفة.

كما أطلقت القوات الصهيونية قنابل دخانية بكثافة تجاه منازل المواطنين في الأحياء الشرقية للقطاع، وهذه القنابل تؤثر على ضيق التنفس، وتشكل خطورة على حياة المصابين بالربو، واستخدمت قنابل الفوسفور في مناطق عدة، بهدف إشعال الحرائق في منازل المواطنين. كما استهدفت الزوارق البحرية شواطئ بحر غزة بقذائف 120 ملم، وصواريخ بحر-بحر شديدة الانفجار، وأطلقت المدفعية المتمركزة شرق القطاع قذائف دبابت من نوع 120 ملم، وقذائف "الأبام" المحرمة دولياً تجاه المنازل، وقذائف الدبابات 120 ملم المتشظية والمسمارية، تحتوي كل قذيفة منها على 3 آلاف مسمار، تنتشر في أنحاء المكان المستهدف بمجرد انفجارها، مما يوقع أكبر عدد من الإصابات في صفوف الفلسطينيين، وكل قذيفة منها تحتوي على 4 حبات، وتحتوي كل حبة على اسطوانات (شفرات) للقطع والبت، وهذا السبب الحقيقي وراء الإصابات البشعة التي رآها الفلسطينيون عقب كل قصف صهيوني.⁽²⁾

كما رافقت العدوان العسكري على غزة موجة تصريحات عنصرية وتحريضية من شخصيات دينية وسياسية صهيونية، تدعو لمزيد من البطش الدموي للشعب الفلسطيني، وأصدر الحاخام "دوفليثور" من التيار الديني اليهودي القومي يوم 7/24 فتوى دينية تبيح للجنود قتل الفلسطينيين وتدمير غزة بالكامل؛ مسترشداً بالتوراة في كيفية التصرف في أوقات الحروب؛ لذا أوجب عدم تعريض الجنود للخطر والعمل على اتخاذ خطوات رادعة لإبادة العدو، كما دعا المحاضر بجامعة "بار إيلان" البروفسور "مردخاي كيدار" لاغتصاب نساء وأخوات وبنات رجال المقاومة في غزة كوسيلة للردع؛ لأن كل سكان غزة أعداء وهدف للقصف⁽³⁾، واعترف الحاخام اليهودي "إلياهو زيني" في جامعة التكنولوجيا بحيفا بحقيقة الصراع مع المقاومة الفلسطينية، بأن

(1) انظر: مقال سابق بعنوان 3حروب إسرائيلية على غزة.

(2) انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص45، نقلا عن ماجد أبو مراد نائب مدير شرطة هندسة المتفجرات بوزارة الداخلية في غزة، القدس، 2014/7/25م.

(3) تمثلت المدارس الدينية اليهودية بالفتاوى المحرصة على قتل العرب والفلسطينيين دون تمييز جمعت في كتاب "عقيدة الملك" الصادر عام 2009م من تأليف الحاخامين "يتسحاق شابييرا" و "يوسيف اليتسور"، ويعتبر دليلاً للجنود في تعاملهم الدموي مع الفلسطينيين. انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص45.

"ما يجري حالياً من قتال على جبهة غزة هو حرب دينية مع حماس، والجنود ينقصهم الإيمان لتزويد صلابتهم في القتال كمقاتلي حماس".

وأضاف: "المواجهة الدائرة في غزة حرب توراتية للدفاع عن اليهود، وفي حال نزعنا الصبغة الدينية عن المستوطنين فلا حق لهم بالوجود هنا؛ لأن أساس وجود اليهود ديني، وما يميز مقاتلي حماس: الصلابة والبأس بمقاتلة جنودنا، لتحليهم بالإيمان، داعياً لشحن الجنود بالوازع الديني ليكونوا قادرين على الصبر وتحمل المشاق في سبيل النصر على حماس".⁽¹⁾

وبعد يومين من الضربة الجوية اعتمدت المؤسسة العسكرية الصهيونية على المفاهيم المستندة إلى بلطجة القوة والتدمير والخراب، على شكل القصف الجوي المكثف، مما تسبب بتدمير أحياء فلسطينية، واستهداف عناوين البنية التحتية، من طرق وشبكات مياه وكهرباء، وكأن الجيش أراد القول للفلسطينيين في غزة: هذا مصير من يحاول المس بإسرائيل، هذا هو الثمن.⁽²⁾

وفي كل مرة اكتشف فيها الجيش اختفاء أحد جنوده في غزة بادر لتدمير المحيط عبر قوة نارية كبيرة، أو بالمفهوم العسكري استخدم سياسة "الأرض المحروقة" في الحادثتين التاليتين: الأولى: في الشجاعة، حين اختطفت حماس "أرون شاؤول" في 2014/7/20م، فارتكب الجيش مذبحه قتل فيها 120 فلسطينياً، وهدم البيوت على رؤوس أصحابها.

الثانية: في 2014/8/15م، عندما فقدت وحدة "غفعاتي" الضابط "هدار غولدن"، فأحرقت الوحدة أجزاء من رفح، وخلفت أكثر من 130 شهيداً.

ويبدو الإجراء انتقامياً، يتخذه الجيش في حال أسر أو اختطف أحد جنوده، ويعرف باسم "إجراء هانبيعل"، وهو معمول به منذ منتصف ثمانينات القرن الماضي، دون أن يصدر به قرار صريح؛ بل شفوي فقط، وفحواه: أنه في حال اختطاف جنود يهود، فإن أهم هدف هو إحباط العملية، وإن نتج عنه إصابة المختطف أو قتله، عبر قصف الموقع الموجود فيه، بشكل مكثف وعنيف؛ لأن عقيدة الجيش في هذا تقول: "جندي ميت أفضل من جندي مختطف".⁽³⁾

وقال "روي ريفتين" قائد سلاح المدفعية: إن الجيش أطلق على غزة أثناء حرب 2014م ما يفوق 5 مرات عدد القذائف التي أطلقها في حرب 2008-2009م، واستهدف 4762 هدفاً في

⁽¹⁾ حربنا مع حماس دينية، وكالة صفا، 2014/8/14.

⁽²⁾ انظر: لحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص 47، نقلاً عن البطن الإسرائيلية الرخوة.. رعب المصير! 2014/7/28/ www.group.net 194.

⁽³⁾ انظر: نظام "حنييعل".. جندي ميت أفضل من جندي مختطف! وكالة صفا الإخبارية 2014/8/13.

غزة، منهم 32 نفقا قام بتدميرها بشكل كامل، وأقدم على اغتيال 900 مقاوماً. واستخدم الجيش أثناء تقدمه قذائف الدخان الرمادي "إم 116" محلية الصنع؛ ولأنه يتلاشى بسرعة أكبر من دخان الفوسفور الأبيض تعين استخدام المزيد منها، وقدّر عدد القذائف بـ 34 ألفاً، ومئات صواريخ تموز أرض-أرض موجهة بكاميرات.⁽¹⁾

وقال قائد سلاح الجو "أمير ايشل": "إن الطائرات الحربية ألقت خلال الحرب على غزة كميات هائلة من النيران، سيشعر بها القطاع لسنوات قادمة، واستخدام كميات نيران هائلة أصابت أهدافها، في ظل ظروف معقدة، وبمساعدة القوات البرية".⁽²⁾

وطلب الجيش في مرات عديدة من سكان المناطق الحدودية إخلاء منازلهم فوراً، خاصة أهالي بيت لاهيا وبيت حانون والخزاعة وعبسان الكبيرة والصغيرة وبنى سهيلا ورفح وثل السلطان وشابورة والدهنية، مستخدماً سياسة الأرض المحروقة، خشية وجود أنفاق قريبة من الحدود.⁽³⁾

-التدمير المنهج في الحرب الأخيرة:

- 1- بلغ إجمالي المنازل المستهدفة 10604 منزلاً، منها 1724 منزلاً تم تدميرها بشكل كلي، و8880 ألفاً دمرت بشكل جزئي، وتسببت نيران الجيش الصهيوني بتدمير 12 سيارة إسعاف، وإلحاق الضرر في 10 مراكز رعاية أولية صحية، وإغلاق 34 مركزاً صحياً، وإلحاق أضرار في 13 مستشفى، ومقتل 16 عاملاً في القطاع الصحي، وإصابة 38 آخرين.
- 2- بلغ عدد المدارس المتضررة 188 مدرسة، وعدد الطلاب المتضررين جراء استهدافها 152 ألف طالباً، وتضررت 6 جامعات.
- 3- بلغ إجمالي الخسائر الاقتصادية بسبب العدوان 2.4 بليون دولاراً، وتعرض 19 من مرافق شركة الكهرباء للتدمير الكلي والجزئي، وقدرت تقارير اقتصادية تكلفة إعمار ما دمرته آلة الحرب الصهيونية في غزة خلال الحرب 5 بلايين دولاراً.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص142، نقلاً عن عرابي كلوب، قراءة في حرب إسرائيل الثالثة على غزة، <https://pulpit.alwatanvoice.com.2014/10/26>

⁽²⁾ الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص142.

⁽³⁾ انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص143.

⁽⁴⁾ انظر: الإحصائيات الواردة حول الخسائر الفلسطينية خلال حرب غزة أوردها الباحث نبيل السهلي في مقاله عن الآثار الكارثية للعدوان الصهيوني على غزة، الحياة اللندنية 2014/8/28 [www. Alhayat.com](http://www.Alhayat.com)

4- تدمير 22 جمعية خيرية، تضرر على أثرها 180 ألف شخص من المستفيدين منها، وشردت الاعتداءات 475 ألفاً، وبلغ عدد المشردين المدنيين نتيجة تهديدات القوات الصهيونية بإخلاء منازلهم 310 آلاف، والمشردين المدنيين نتيجة تدمير منازلهم 165 ألفاً.⁽¹⁾

ووفقاً لتوثيق مركز الميزان لحقوق الإنسان، قتلت قوات الاحتلال خلال حربها الثالثة على غزة (2219) من الفلسطينيين، من بينهم (556) طفلاً، و(299) امرأة، فيما بلغ عدد الجرحى الأطفال الذين تم رصدهم (2647) والجرحيات من النساء (1442).

كما هدم ودمر الاحتلال (31981) منزلاً وبنية سكنية متعددة الطبقات، من بينها: (8381) دمرت كلياً، ومن بين المدمرة كلياً (1718) بناية سكنية (تتكون الواحدة منها من أكثر من وحدة سكنية)، كما بلغ عدد المهجرين قسرياً جراء هدم منازلهم بشكل كلي (60623)، من بينهم (30842) طفلاً، و(16526) سيدة، وتجدر الإشارة إلى أن عمليات الرصد والتوثيق لم تشمل المنشآت والمساكن التي تعرضت لأضرار طفيفة وهي تعد بعشرات الآلاف.

وأجبرت قوات الاحتلال 520 ألفاً من سكان القطاع أغليبتهم من النساء والأطفال على الهرب من منازلهم، دون توفير سبل خروج آمنة، ودون توفر مراكز إيواء آمنة تتوفر فيها الحدود الدنيا لحفظ الكرامة الإنسانية المتأصلة، ما تسبب في معاناة بالغة لكل سكان القطاع.⁽²⁾

المطلب الثالث

معاملة الأسرى الفلسطينيين

أولاً: الأحكام الواردة في التعامل مع الأسرى في العهد القديم:

ذكر د. بكر زكي عوض بعض الأحكام التي تعامل اليهود بها مع أسرى أعدائهم الذين هزمهم أثناء حروبهم -حسب ماورد في العهد القديم-، والتي تظهر أن القائد اليهودي مخير بين عدة أمور، حسب المصلحة، وهذه بعض الأحكام⁽³⁾:

1- قتل الجميع: الرجال والنساء والأطفال:

- ورد في التوراة المحرفة أن موسى عليه السلام أمر جنود الحرب بقتل الأسرى الأطفال الذكور، وكل

⁽¹⁾ انظر: الحرب الثالثة على غزة، د. عدنان أبو عامر: ص144.

⁽²⁾ انظر: مركز الميزان لحقوق الإنسان <https://www.mezan.org>

⁽³⁾ انظر تقسيم هذه الأحكام (1-5): القتال؛ مشروعية وأدباً في الإسلام واليهودية والنصرانية، د. بكر زكي عوض، ص274-277.

النساء الزانيات: "فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلَاءِ الْحَيْشِ، رُؤَسَاءِ الْأَلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمَنَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُنتَى حَيَّةٍ؟ إِنَّ هَؤُلَاءِ كُنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلَامِ بُلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةِ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فَعُورَ، فَكَانَ الْوَبَاءُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرَ اقْتُلُوهَا".⁽¹⁾

- وورد في سفر التثنية: "وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا فَلَا تَسْتَبِقَ مِنْهَا نَسَمَةً مَاءً، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا".⁽²⁾

- وورد في سفر صموئيل الثاني أن "داوود عليه السلام كان يقطع أعداءه بالفؤوس والمناشير، ويلقي بهم في أتون الأجر، أي: موقد النار الكبير الذي يُلقى فيه الطوب اللين ليحرق".⁽³⁾ وهذا هو النص في ذلك: "فَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ الشُّعْبِ وَذَهَبَ إِلَى رِيَّةَ⁽⁴⁾ وَحَارَبَهَا وَأَخَذَهَا. وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، وَوَزْنَهُ وَوَزْنَهُ مِنَ الذَّهَبِ مَعَ حَجَرٍ كَرِيمٍ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ دَاوُدَ. وَأَخْرَجَ غَنِيمَةَ الْمَدِينَةِ كَثِيرَةً جِدًّا. وَأَخْرَجَ الشُّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَتَوَارِحِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَهُمْ فِي أُنُونِ الْأَجْرِ، وَهَكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مُدُنِ بَنِي عَمُونَ"⁽⁵⁾.⁽⁶⁾

تلك هي المرجعية الفكرية الهمجية للشخصية اليهودية، والتي تخلو من أي معنى من معاني الإنسانية والتحضر، مرجعية يكتنفها الحقد الأعمى، ويسيطر عليها تعصب قاتل، وتعطش للدماء، ورغبة في الإيذاء والخراب ضد الإنسانية.⁽⁷⁾

2- قتل الذكور البالغين، دون النساء والأطفال:

- ورد في سفر العدد: "فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ. وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ

⁽¹⁾ سفر العدد : 17-14/31.

⁽²⁾ سفر التثنية: 17-16/20.

⁽³⁾ أخلاق اليهود كما ترسمها تعاليم العهد القديم والتلمود، أ. د. إسماعيل علي محمد، نشر على موقع إخوان أونلاين <http://www.ikhwanonline.com>

⁽⁴⁾ رِيَّة: كلمة عبرية وعمونية معناها: كبيرة، وكانت عاصمة أرض بني عمون، واسمها الحديث: عمّان، وهي عاصمة الأردن. قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين:

د. بطرس عبد الملك- د. جون ألكسندر طمس- أ. إبراهيم مطر: ص 272.

⁽⁵⁾ بنو عمون: هم نسل بن عمتي، ابن لوط، ونال العمونيون غضب الله؛ لأنهم تحالفوا ضد بني إسرائيل، انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص 640.

⁽⁶⁾ سفر صموئيل الثاني: 31-29/12.

⁽⁷⁾ انظر: أخلاق اليهود كما ترسمها تعاليم العهد القديم والتلمود: أ. د. إسماعيل علي محمد، نشر على موقع إخوان أونلاين <http://www.ikhwanonline.com>

فَوْقَ قَتْلَاهُمْ... وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مَدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ، وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ
وَكُلَّ أَمْلَاكِهِمْ".⁽¹⁾

3- استرقاق الجميع:

تنص توراتهم على استرقاق جميع المحاربين في المدن التي تسلم نفسها صلحاً، كما جاء في سفر التثنية: "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلنَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ".⁽²⁾

وكان اليهود يعاملون الأسرى أبشع معاملة، ويسخرونهم في الأعمال الشاقة؛ كاحتطاب الحطب، وجلب الماء، وزراعة الحقول، وطحن القمح، ورفع الأشياء الثقيلة، وسائر خدمات البيوت، وغسل أرجل سادتهم، وإذا كان الأسير مملوكاً لسيدته؛ كان للسيد حق التصرف فيه كيف شاء، كأى متاع من أمتعته، له حق بيعه متى شاء، وكان الثمن المحدد لشراء العبد بخساً لدناءة شأنه، فلا يتجاوز بالعملة المتداولة في تلك الأيام ثلاثين شاقلاً، أي: ما لا تزيد قيمته في هذه الأيام على ستة دنانير أردنية، وقد أجازت الشريعة لليهودي الذي تقع في يده إحدى السبايا الجميلات أن يتزوجها، بعد أن يحلق شعر رأسها، وتقليم أظفارها، وينزع عنها الثياب التي كانت عليها عند وقوعها في السبي.⁽³⁾

جاء في سفر يشوع: "...فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجَاءُوا إِلَى مَدِينِهِمْ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ... فَأَجَابُوا يَشُوعَ وَقَالُوا... نَحْنُ بِيَدِكَ، فَأَفْعَلْ بِنَا مَا هُوَ صَالِحٌ وَحَقٌّ فِي عَيْنَيْكَ أَنْ تَعْمَلَ". فَفَعَلَ بِهِمْ هَكَذَا... وَأَنْقَذَهُمْ مِنْ يَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ. وَجَعَلَهُمْ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُحْتَطِبِي حَطَبٍ وَمُسْتَقِي مَاءٍ لِلْجَمَاعَةِ وَلِمَدْبَحِ الرَّبِّ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ".⁽⁴⁾

وجاء في سفر التثنية: "إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبِيًّا، وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةً الصُّورَةِ، وَالتَّصَفَّتْ بِهَا وَاتَّخَذَتْهَا لَكَ زَوْجَةً، فَحِينَ تَدْخُلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتَقْلِمُ أَظْفَارَهَا وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَنْزُوجُ بِهَا".⁽⁵⁾

⁽¹⁾ سفر العدد : 9-7/31.

⁽²⁾ سفر التثنية: 10/20.

⁽³⁾ انظر: المجتمع اليهودي، زكي شنوده: ص 466.

⁽⁴⁾ سفر يشوع: 26-3/9.

⁽⁵⁾ سفر التثنية: 14-10/21.

4- الفداء على مال يدفع كجزية ثابتة لا تنقطع:

ورد في سفر القضاة أن إسرائيل عندما استولى على كنعان، وأراد أهلها الإقامة فيها، قبل إقامتهم مقابل دفع الجزية، وهذا هو النص: "وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ أَنَّهُ وَضَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجِزْيَةِ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ طَرْدًا".⁽¹⁾

وكذلك ما فعله داود عليه السلام في حربه مع الموآبيين، وكانت حرباً شرسة، فبعد أن تغلب على الموآبيين، ومدد أسراهم على الأرض، وقاسهم بالحبل، قتل منهم ثلثين، وأبقى على الثلث، وصار الموآبيون عبيداً له يؤدون الجزية، وهذا هو النص: "وَبَعْدَ ذَلِكَ ضَرَبَ دَاوُدُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَذَلَّلَهُمْ، وَأَخَذَ دَاوُدُ زِمَامَ الْقَصَبَةِ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَضَرَبَ الْمُوآبِيِّينَ وَقَاسَهُمْ بِالْحَبْلِ. أَضْجَعَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ، فَقَاسَ بِحَبْلَيْنِ لِلْقَتْلِ وَبِحَبْلِ لِلِاسْتِحْيَاءِ. وَصَارَ الْمُوآبِيُّونَ عِبِيدًا لِدَاوُدَ يُقَدِّمُونَ هَدَايَا".⁽²⁾

5- الاستيلاء على الأرض وتقسيمها، مع طرد السكان دون قتلهم أو أسرهم:

- ورد في سفر العدد: "وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أَرْضِ أَرِيحَا قَائِلًا: "كَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ عَابِرُونَ الْأَرْضَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سَكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمُ الْمَسْبُوكَةَ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مَرْتَفَعَاتِهِمْ. تَمْلِكُونَ الْأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لِأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ الْأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا، وَتَقْسِمُونَ الْأَرْضَ بِالْقُرْعَةِ حَسَبَ عَشَائِرِكُمْ".⁽³⁾

6- التنكيل بالأسرى:

-ورد في سفر القضاة أن أدوني بازق⁽⁴⁾ هرب من جيش يهوذا، فتبعوه وأمسكوه، وقطعوا أباهم - جمع إبهام - يديه ورجليه فهرب أدوني بازق، فتبعوه وأمسكوه وقطعوا أباهم يديه ورجليه. فقال أدوني بازق: سبعون ملكاً مقطوعاً أباهم أيديهم وأرجلهم كانوا يلتقطون تحت مايدتي. كما فعلت كذلك جازاني الله.⁽⁵⁾

⁽¹⁾ سفر القضاة: 28/1.

⁽²⁾ سفر صموئيل الثاني: 4-1/8.

⁽³⁾ سفر العدد: 53-50.

⁽⁴⁾ أدوني بازق: اسم كنعاني معناه "سيد بازق"، وهو ملك بازق الذي حاربه جيش يهوذا وانتصر عليه، ففر هاربا غير أنه أمسك، وقطعت أباهم يديه وقدميه، جزاء لقسوته، حيث قطع أباهم سبعين ملكاً، وجيء بها إلى أورشليم حيث مات هناك، وبازق مدينة كانت في نصيب يهوذا. انظر: قاموس الكتاب المقدس: ص 40.

⁽⁵⁾ سفر القضاة: 6/1.

-ورود في التنكيل بالأسرى: ما فعله يشوع مع ملك عاي بعد أن أمسكه حياً، وبعد ما قتل جميع سكان عاي: "وَأَمَّا مَلِكُ عَايَ فَأَمْسَكُوهُ حَيًّا وَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى يَشُوعَ. وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايَ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى قَنُوا، أَنَّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايَ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، جَمِيعُ أَهْلِ عَايَ. وَيَشُوعُ لَمْ يَزِدْ يَدَهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِرْزَاقِ حَتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايَ. لَكِنَّ الْبَهَائِمَ وَغَنِيمَةَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لِأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ. أَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلًّا أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَمَلَكَ عَايَ عَاقَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَشُوعُ فَأَنْزَلُوا جُثَّتَهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا رُجْمَةً حِجَارَةً عَظِيمَةً إِلَى هَذَا الْيَوْمِ".⁽¹⁾

ثانياً: معاملة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني:

1- عدد الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني:

في ذكرى يوم الأسير الفلسطيني ذكرت هيئة شؤون الأسرى والمحررين الفلسطينية أن عدد الأسرى في سجون الاحتلال حتى يوم الأسير الذي يوافق 2020/4/17م بلغ حوالي 5000 أسيراً، (منهم 180 طفلاً وقاصراً، و 41 امرأة).⁽²⁾

2- معاناة الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي:

تعتبر سلطات العدو المعتقلين الفلسطينيين إرهابيين، أو مخربين؛ وليسوا سياسيين، أو أسرى حرب، ويرجع ذلك إلى إصرارها على حرمانهم من الامتيازات التي تعطيها اتفاقيات جنيف (1949م) لأسرى الحرب، وعلى رأسها: الاعتراف بشرعية المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال؛ ولذلك اتسمت معاملة المعتقلين الفلسطينيين بالعنصرية واللاإنسانية والوحشية⁽³⁾، ومن هذه المعاناة التي يعانيها الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي:

أ- المعاملة العامة لجميع الأسرى والمعتقلين⁽⁴⁾:

1- منع الزيارات.

2- الأحكام الإدارية.

(1) سفر يشوع: 23/8-29.

(2) انظر: موقع هيئة شؤون الأسرى والمحررين <http://cda.gov.ps>

(3) انظر: المصدر السابق: ص 246.

(4) انظر: الإرهاب يؤسس دولة، د. الكيلاني: ص 246. وتقرير سابق حول أوضاع الأسرى الفلسطينيين إعداد: الأسير المحرر رافت حمدونة.

3- منع تقديم امتحانات الجامعة والثانوية العامة.

4- منع إدخال الكتب.

5- سوء الطعام كماً ونوعاً.

6- عمليات التفتيش المتواصلة والعارية.

7- اقتحامات الغرف ليلاً.

8- النقل الجماعي للأسرى⁽¹⁾.

ب- الأوضاع الصحية الصعبة للأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني:

يعيش الأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال الصهيوني أوضاعاً صحية صعبة، جراء التعذيب الجسدي والنفسي الذي يتعرضون له، مثل: الحرمان من الرعاية الطبية الحقيقية، والمماطلة المتعمدة في تقديم العلاج للمرضى منهم، والقهر والإذلال والتعذيب أثناء الاعتقال والتحقيق، وأكدت تقارير المؤسسات المحلية والدولية التي تعنى بحقوق الإنسان، وتهتم بشؤون الأسرى، أن علاج الأسرى تخضعه إدارات السجون الصهيونية للمساومة والابتزاز والضغط على المعتقلين، الأمر الذي يشكل خرقاً واضحاً لاتفاقيتي جنيف: الثالثة، والرابعة (المواد 29 و30 و31) من اتفاقية جنيف الثالثة، والمواد (91 و92) من اتفاقية جنيف الرابعة، والتي أوجبت حق العلاج والرعاية الطبية، وتوفير الأدوية المناسبة للأسرى المرضى، وإجراء الفحوصات الطبية الدورية لهم.⁽²⁾

وهذه بعض الانتهاكات الصحية التي تمارسها إدارات سجون الاحتلال الصهيوني تجاه الأسرى الفلسطينيين في سجونها⁽³⁾:

1- الإهمال الصحي في تقديم العلاج، وعدم إجراء العمليات الجراحية للأسرى المرضى.

2- تخصيص طبيب واحد عام لكل الأمراض، والدواء لجميع الأمراض هو: الأسبرين.

3- عدم وجود أطباء اختصاصيين داخل السجن؛ كأطباء العيون والأنف والأذن والحنجرة.

4- لا يوجد في عيادات السجون أطباء مناوبون ليلاً لعلاج الحالات الطارئة.

(1) يعرف النقل الجماعي للأسرى بـ "البوسطة"، وهي عبارة عن: سيارة مصفحة محكمة الإغلاق، يتم فيها نقل الأسرى الفلسطينيين من وإلى المحاكم الإسرائيلية، أو للتنقل بين السجون المختلفة، أو النقل إلى المستشفيات خارج السجون؛ وتفتقر إلى مقومات السلامة، ولا يوجد في البوسطة مكان للجلوس، ولا تصلها أشعة الشمس أو الهواء، ويبقى الأسير مكبل اليدين والقدمين في وضعية واحدة. موقع عربي 21 <https://arabi21.com/>.

(2) انظر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا <http://info.wafa.ps/>

(3) انظر: المصدر السابق.

- 5- عدم وجود أطباء نفسانيين، رغم وجود العديد من الحالات النفسية التي تستلزم إشرافاً نفسياً.
- 6- عدم توفر الأجهزة الطبية لذوي الاحتياجات الخاصة؛ كالأطراف الصناعية لفاقدى الأطراف، والنظارات الطبية، وأجهزة التنفس، والبخاخات لمرضى الربو، والتهابات القصبة الهوائية.
- 7- عدم تقديم وجبات غذائية صحية للذين يعانون من الأمراض المزمنة كأمراض السكري، والضغط، والقلب، والكلى، وغيرها.
- 8- تحويل الأسرى المرضى إلى المستشفيات، وهم مكبلو الأيدي والأرجل، في سيارات شحن قديمة التهوية، بدلاً من نقلهم في سيارات إسعاف مجهزة ومريحة.
- 9- عدم إعطاء الأسرى المصابين بالأمراض المزمنة أدويةهم، وفحص الأسرى المرضى بالمعاينة بالنظر، وعدم لمسهم والحديث معهم، ومداواتهم من خلف شبك الأبواب.
- 10- الأسرى المرضى يعانون من ظروف اعتقال سيئة، مثل: قلة التهوية، والرطوبة الشديدة، والاكتظاظ الهائل، وكذلك النقص الشديد في مواد التنظيف العامة والمبيدات الحشرية.
- 11- الاعتداء على الأسرى المرضى، واستخدام الغاز لقمعهم؛ مما يزيد خطورة حالتهم الصحية.
- 12- عدم وجود أخصائي أو أخصائية أمراض نسائية؛ حيث لا يوجد إلا طبيب عام.
- 13- إجبار الأسيرات الحوامل على الولادة، وهن مقيدات الأيدي، وعدم الاهتمام بمعاناتهن لآلام المخاض والولادة.
- 14- استغلال الوضع الصحي للأسير المريض أو الجريح، وذلك بالتحقيق معه من خلال الضغط عليه لانتزاع الاعترافات.
- 15- عدم تقديم العلاج للأسير الجريح والمريض، واحتجازه في أماكن غير صحية؛ مما يزيد من معاناته وآلامه، ويعرض حياته للخطر.

وتؤكد إحصاءات "هيئة شؤون الأسرى" في نيسان 2018م بأن عدد الأسرى المرضى رهن الاعتقال في سجون الاحتلال الصهيوني قد وصل إلى ألف وثمانمائة أسير، ويشكلون (27.7%) من مجموع الأسرى البالغ عددهم ستة آلاف وخمسمائة أسيراً، وأن من بين الأسرى المرضى هناك قرابة سبعمائة أسير بحاجة إلى تدخل علاجي عاجل، بينهم مصابون بالسرطان، وعشرات الأسرى الذين يعانون من إعاقات مختلفة (جسدية ونفسية وذهنية وحسية).⁽¹⁾

(1) انظر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا <http://info.wafa.ps/> وانظر: موقع هيئة شؤون الأسرى والمحربين <http://cda.gov.ps/>

ج- العزل الانفرادي:

المقصود بالعزل الانفرادي:

هو: "وضع الأسير في حيز مكاني، يتميز بالضيق الفيزيائي والسيكولوجي، يتم الحرص فيه على التأكد من خلوه من مظاهر الحياة المختلفة، وجعلها في حدودها الدنيا أو دون ذلك، وعلى الأخص منها: مظاهر الحياة الاجتماعية والإنسانية، وذلك لإبقاء الأسير في حالة حصار وانحباس دائمين، بتضييق المساحات الفيزيائية والإنسانية إلى أدنى درجاتها؛ كي يصبح هذا الحصار والانحباس نمط حياة قسري مفروض على الجسد والحواس؛ للوصول إلى حصار الروح والقدرات الذهنية، وهو -أي العزل- بهذا يعتبر بحق (كسجن داخل السجن)".⁽¹⁾

وتبلغ مساحة غرف العزل عادة 1.5م على 2 م أو 3 م على 3.5 م، ويكون الحمام داخل الزنزانة نفسها، وتغلق الزنزانة بباب حديدي بأسفله شبك لإدخال الأكل، أي أن المعتقل محجوز لمدة ثلاثة وعشرين ساعة يومياً في غرفة لا يرى فيها أحداً، وفي أكثر الأحيان لا يدخلها ضوء الشمس، وحين يخرج الأسير للفورة (الفسحة)، أو للقاء المحامي، أو زيارة الأهل، يكون مقيد اليدين والقدمين، وأحياناً تبقى قيود اليدين أو القدمين خلال الفورة (الفسحة) أيضاً.⁽²⁾

- أسباب العزل الانفرادي:

للعزل الانفرادي أسباب متعددة منها⁽³⁾:

1- العزل كعقوبة:

يستخدم العزل في بعض الحالات كعقوبة بحق الأسرى على مخالفة "انضباطية" داخل السجن، وهنا يعزل المعتقل منفرداً في زنزانة لا يسمح له إلا بإدخال ملابسه إليها، ولا تحوي سوى الفرشة والغطاء، فبموجب المادة 56 من قانون مصلحة السجن لعام 1971م هناك أربعة وأربعون مخالفة انضباطية يعاقب عليها المعتقل بالعزل؛ كأن يخل المعتقل بهدوء السجن، وتبلغ مدة هذه العقوبة أربعة عشر يوماً.

2- العزل بقرار محكمة:

قانون الاحتلال يخول المحاكم بإصدار قرار بحجز المعتقل في العزل لمدة ستة أشهر في غرفة وحيداً، واثنا عشر شهراً في غرفة مع معتقل آخر، كما أن المحكمة مخولة -حسب

⁽¹⁾ المركز الفلسطيني للإعلام. <https://www.palinfo.com/news> وموقع هيئة شؤون الأسرى والمحررين [/http://cda.gov.ps](http://cda.gov.ps)

⁽²⁾ انظر: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان <http://www.addameer.org>

⁽³⁾ انظر: المصدر السابق.

القانون - بتمديد فترة عزل المعتقل لفترات إضافية، ولمدة لانهائية؛ فمثلاً: أكمل عميد الأسرى المعزولين محمود عيسى (47 عاماً)، والمحكوم بـ(ثلاث مؤبدات وستة وأربعين عاماً) حوالي ثلاثة عشر عاماً متفرقين في العزل، بعد تجديد العزل عدة مرات، ويكون العزل الأمني عادة بقرار من مخابرات الاحتلال، وتسعى الأجهزة الأمنية للاحتلال إلى استخدام العزل لمنع التواصل بين قيادة الحركة الأسيرة وباقي الأسرى، مثل قيامها بعزل جمال أبو الهيجا، عباس السيد، أحمد سعدي، حسن سلامة، مروان البرغوثي، وغيرهم من قيادات الحركة الأسيرة.

ظروف العزل في سجون الاحتلال:

يتسبب العزل في أضرار نفسية كبيرة للأسرى، حيث يؤدي إلى التشتت في النوم، الاكتئاب، الخوف، ويساهم في تفاقم الحالة النفسية للأسير إن وجدت قبل العزل، وتقدم مصلحة سجون الاحتلال علاجاً نفسياً ناقصاً للأسرى الفلسطينيين، يقتصر على حبوب الدواء فقط.⁽¹⁾ ويعد العزل من أقسى أنواع العقوبات التي تلجأ إليها إدارة مصلحة سجون الاحتلال ضد الأسرى، حيث يتم احتجاز الأسير بشكل منفرد في زنزانه معتمة وضيقة لفترات طويلة من الزمن، لا يسمح له خلالها الالتقاء بالأسرى، يتعرضون للضرب والإذلال بشكل يومي، معزولين اجتماعياً عن سائر زملائهم بالسجن وعن العالم الخارجي، ويمكن تشبيه الزنازين التي يعزلون فيها بالقبور، وقضى بعض الأسرى سنوات طويلة في زنازين انفرادية معزولين عن العالم الخارجي كلياً، وخرجوا منها مصابين بأمراض نفسية وعضوية خطيرة.⁽²⁾

العزل في القانون الدولي:

يعد العزل نوعاً من أنواع التعذيب النفسي المحرم، بموجب المادة الأولى من اتفاقية مناهضة التعذيب، المنعقدة في العام 1984م، كما يعد العزل من أساليب المعاملة اللاإنسانية التي تحط من الكرامة، المحرمة بمقتضى المادة السابعة من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والحقوق السياسية، كذلك فإن ظروف العزل لا تتناسب الحد الأدنى من المعايير الصحية للسجون ومراكز الاعتقال، التي تؤكدتها المادتان (91) و(92) من اتفاقية جنيف الرابعة.⁽³⁾

د - معاملة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال الصهيوني:

ترتكب دولة الاحتلال بحق الأسيرات الفلسطينيات في السجون الصهيونية عشرات الانتهاكات، أهمها:

(1) انظر: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان <http://www.addameer.org> ..

(2) انظر: تقرير سابق حول أوضاع الأسرى الفلسطينيين إعداد: الأسير المحرر رأفت حمدونة.

(3) انظر: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان <http://www.addameer.org>

- 1- طريقة الاعتقال الوحشية للأسيرة أمام أعين ذويها وأطفالها الصغار.
- 2- طرق التحقيق الجسدية والنفسية.
- 3- الحرمان من الأطفال.
- 4- الإهمال الطبي للحوامل منهن، والتكبير أثناء الولادة.
- 5- أشكال العقوبات داخل السجن بالغرامة، والعزل، والقوة، والاحتجاز في أماكن لا تليق.
- 6- التفتيشات الاستفزازية من قبل إدارة السجن.
- 7- توجيه الشتائم لهن، والاعتداء عليهن بالقوة عند أي توتر، وبالغاز المسيل للدموع.
- 8- سوء المعاملة أثناء خروجهن للمحاكم والزيارات، أو حتى من قسم إلى آخر.
- 9- الحرمان من الزيارات أحياناً.
- 10- في العزل يكون سجينات جنائيات يهوديات بالقرب من الأسيرات الأمريات.
- 11- عدم الاهتمام بأطفال الأسيرات الرضع وحاجاتهم.⁽¹⁾

هـ- معاملة الأسرى الفلسطينيين الأطفال في سجون الاحتلال الصهيوني:

هناك مائة وستة وتسعون طفلاً دون سن الثامنة عشرة في السجون اليهودية، يتعرضون لانتهاكات صارخة تخالف كل الأعراف والمواثيق الدولية التي تكفل حماية هؤلاء القاصرين، وتأمين حقوقهم الجسدية والنفسية والتعليمية، وتواصلهم بأهليهم ومرشدين يوجهون حياتهم، والتعامل معهم كأطفال؛ وليس كإرهابيين، كما تتعامل معهم إدارة السجن. كما يعاني الأسرى الأشبال من فقدان العناية الصحية والثقافية والنفسية، وعدم وجود مرشدين داخل السجن، واحتجازهم بالقرب من أسرى جنائيين يهود في كثير من الأحيان، وتخويفهم والتنكيل بهم أثناء الاعتقال.⁽²⁾

و- تعذيب الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني:

يقوم الاحتلال بتعذيب المعتقلين تعذيباً مبرمجاً، حتى أصبح هذا التعذيب قانونياً، وتقليداً تمارسه مؤسسة لها تقنياتها وأساليبها الدقيقة، وأجهزتها التي تحدد منهجية استخدام هذه الأساليب وكيفيةها⁽³⁾، ويتبين ذلك من خلال الإجراءات التالية:

⁽¹⁾ انظر: تقرير سابق حول أوضاع الأسرى الفلسطينيين إعداد: الأسير المحرر رأفت حمدونة.

⁽²⁾ انظر: المصدر السابق.

⁽³⁾ انظر: الأصول التوراتية، عبد الغني عماد: ص 18.

1-القرارات التي تسمح بممارسة التعذيب:

أجازت حكومة الاحتلال الصهيوني في منتصف تشرين ثاني 1994م للشرطة اليهودية وجهاز الشاباك استعمال كل الأساليب التي من شأنها نزع اعترافات المعتقلين، وحصلت على الشرعية القانونية من خلال قرارات محكمة العدل العليا التي سمحت باستخدام الضغط الجسدي ضد المعتقلين الفلسطينيين، ومن هذه القرارات التي أصدرتها المحكمة العليا:

1- قرار في 16/4/1996م يسمح بتعذيب المعتقل محمد عيسى حمدان من قرية بيت سيرا / رام الله، والذي استخدم معه أسلوب الهز.

2- قرار في 17/11/1996م يسمح باستمرار تعذيب المعتقل خضر ذيب مبارك من سكان حلحول/ الخليل، وعبد العزيز هرملس.

4- قرار في تاريخ 14/10/1997م يقضي برد الالتماس المقدم من محامي المعتقل جمال أبو الجدائل من سكان قرية السموع في الخليل؛ لوقف تعذيب موكله، والسماح لجهاز المخابرات بمواصلة الضغط الجسدي والنفسي عليه.

5- قرار بتاريخ 13/1/1998م يسمح لجهاز المخابرات اليهودية مواصلة تعذيب المعتقل عبد الرحمن إسماعيل غنيمات من صوريف الخليل.⁽¹⁾

2- أساليب تعذيب الأسرى في سجون الاحتلال الصهيوني:

تنوعت وتعددت أساليب المحققين الصهاينة في تعذيب الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، وهذه بعض تلك الأساليب:

1- وضع "الموزة" الذي يكون فيه المعتقل مغطى الوجه، موثوق اليدين والقدمين، وممدد أرضاً.

2- وضع "الضفدع" الذي يجعل المعتقل في وضع مقوس مدى ساعات، ويده موثوقتان.⁽²⁾

وقد حددت أجهزة الأمم المتحدة، والمنظمات غير الحكومية، التي تهتم بحقوق الإنسان، ومنها: بتسليم، ومنظمة العفو الدولية، أبرز الوسائل المستخدمة للضغط، وانتزاع المعلومات من المعتقلين، ومنها:

1- اعتقال المشتبه بهم، دون السماح لهم بالاستحمام وتغيير ملابسهم، طيلة مدة اعتقالهم، وإرغامهم على تناول طعامهم بأيديهم التي توضع قبل ذلك في المراحيض.

2- الشبح: وهو ربط أيدي المعتقل ورجليه على كرسي صغير بأوضاع ملتوية، أو تعليقه على عامود من يديه، بحيث يبقى واقفاً على رؤوس أصابعه، ويغطي رأسه بكيس خشن تفوح منه

⁽¹⁾ شبكة فلسطين للحوار 2003/1/16م/ <https://www.paldf.net/>

⁽²⁾ انظر: مجلة الباحث، بيروت، العدد 24، 1982، ص 62.

روائح كريهة، وتبث باستمرار أصواتا صاخبة جدا، ومنع المعتقل من النوم، ويعين لهذا الغرض شخص لإيقاظه، كلما نامت عيناه.

3- تخويف المعتقل؛ بإخباره أن أشخاصا توفوا خلال التحقيق معهم، وتهديده بالتكيل بعائلته، والاعتداء الجنسي على النساء.

4- هز المعتقل بقوة؛ مما يؤدي إلى تأرجح رأسه.

5- الضرب والصفع والركل، وتكسير الأيدي، وانتزاع الأظافر، والتعليق من القدمين أو اليدين بسقف الغرفة، مع الجلد وحقن السجين بإبر تسبب الجنون المؤقت، وإيهام المساجين أن دواءهم بيد المحقق، وإطفاء السجائر بالأجساد، وإدخال أنبوب قلم حبر جاف، أو أعواد كبريت في الجهاز التناسلي، ثم إشعالها بعد ذلك.⁽¹⁾

و- شهداء مقابر الأرقام:

لا زال لدى الاحتلال ما يقارب من مائتين وثمانين جثمانا محتجزا ، وسبعين مفقودا، ودولة الكيان المحتل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تعقل الموتى لأكثر من ثلاثين عاما متواصلة، كما يحدث برفضها تسليم جثامين شهداء معتقلين في مقابر للأرقام منذ العام 1978م مثل جثمان الشهيدة دلال المغربي، والعشرات من الشهداء يواريهم الاحتلال بلا أدنى حرمة، وفق كرامة إنسانية تحفظها كل الشرائع السماوية، فيما يسمى بمقابر الأرقام، وآخر انتهاك في هذا الملف إبلاغ المحكمة اليهودية العليا عن فقدان جثمان الشهيد أنيس محمود دولة، الذي استشهد في سجن "عسقلان" عام 1980م، بعد إضرابه عن الطعام ثلاثين يوما، والتتصل من مسؤولياتها تجاه هذه الجريمة، ودولة الاحتلال تنتهك القانون الدولي الإنساني ومعايير حقوق الإنسان، الذي يلزم أي دولة احتلال بتسليم الجائمين إلى ذويهم، واحترام كرامة المتوفين، ومراعاة طقوسهم الدينية خلال عمليات الدفن.⁽²⁾

(1) انظر: مجلة الباحث، بيروت، العدد24، 1982، ص62.

(2) انظر: تقرير سابق حول أوضاع الأسرى الفلسطينيين إعداد: الأسير المحرر رأفت حمدونة.

المطلب الرابع حصار قطاع غزة

أولاً: المقصود بحصار غزة:

1- تعريف الحصار لغة:

من مادة (حصر)، وَحَصَرَهُ يَحْصُرُهُ حَصْرًا: ضَيَّقَ عَلَيْهِ، وَأَحَاطَ بِهِ⁽¹⁾، وَإِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ مِنْ أَمْرٍ قِيلَ: حَصَرَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ أَمْرِهِ، فَكَلَّ مِنْ ضَاقَ صَدْرُهُ بِأَمْرٍ فَقَدْ حَصَرَ⁽²⁾، وَالْحَصِيرُ: الْمَخْبِيسُ⁽³⁾، وَالْحَصْرُ، وَمِنْهُ الْحَصَارُ هُوَ: الْجَمْعُ وَالْحَبْسُ وَالْمَنْعُ⁽⁴⁾، وَيَطْلُقُ أَيْضًا عَلَى قَيْدِ الدَّابَّةِ، وَالْمَوْضِعِ الَّذِي يَحْصُرُ فِيهِ الْإِنْسَانُ، وَحَاصِرُهُ مُحَاصِرَةٌ وَحِصَارًا، أَي: أَحَاطَ بِهِ، وَمَنْعَهُ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْ مَكَانِهِ⁽⁵⁾.

يتبين مما سبق: أن تعريف الحصار لغة يدور حول المعاني التالية: الجمع والحبس والضيق والإحاطة، والقيد والمنع، وهو ما ينطبق تماما على حصار غزة، فهو جمع الناس في مكان واحد وهو قطاع غزة وحبسهم في هذا المكان، والإحاطة بهم وتقييد حركتهم والتضييق عليهم، ومنعهم من مغادرة القطاع.

2- تعريف الحصار اصطلاحاً:

هناك تعريفات كثيرة للحصار في الاصطلاح، منها:

- 1- "اصطلاح عسكري، يقصد به: ضرب نطاق من القوات المسلحة المهاجمة حول موقع حصين، كمدينة، أو قلعة؛ لتطويقها، تمهيداً للاستيلاء عليها، بعد استسلام الموقع للمهاجمين، بسبب انقطاع موارد المعيشة، نتيجة لقطع الإمدادات الواردة إليها من خارجها"⁽⁶⁾.
- 2-التضييق والحبس والمنع الذي تقوم به دولة أو مجموعة دول ضد جماعة أو دولة؛ لتحقيق أهدافٍ سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، والتضييق عليها؛ للرضوخ لشروطها⁽⁷⁾.

(1) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي: 630/2، ومختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي: ص74.

(2) انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور: 135/4-136.

(3) انظر: مختار الصحاح، الرازي: ص74.

(4) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين: 72/2.

(5) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: ص178.

(6) دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله: 718/2.

(7) بحث محكم بعنوان "الصبر والثبات في مواجهة الحصار: دراسة تطبيقية على حصار قرينش للنبي ﷺ ومن معه"، د. نعيم الصفدي: ص450، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة.

3- تعريف حصار غزة:

هناك تعريفات كثيرة لحصار غزة، اقتصر الباحث على اثنين منها:

أ- عرّفه الدكتور عطية فياض بأنه: "حبس أهل غزة فيها، ومنعهم من الخروج منها، أو الدخول إليها، ومنع الحركة التجارية؛ بل ودخول المساعدات الإنسانية، وغيرها، وما يترتب على ذلك من إلحاق الضرر الفادح بالناس؛ أصحاء، ومرضى، بسبب نقص الطعام والشراب والدواء والوقود اللازم، وزيادة البطالة".⁽¹⁾

ب- هو الحصار الذي فرضه الاحتلال الصهيوني، بمساعدة من اللجنة الرباعية الدولية، على قطاع غزة، إثر فوز حماس في الانتخابات التشريعية في 2006م، ثم شدد حصاره عليه، بعد انفراد حكومة موالية لحماس بالحكم في القطاع في يونيو 2007م، وشمل إغلاق جميع المعابر بين القطاع والأراضي المحتلة، منذ عام 1948م، وازداد إحكاماً بعد إغلاق مصر معبر رفح.⁽²⁾ مما سبق يتبين: أن حصار غزة هو: الطوق الذي فرضته سلطات الاحتلال على قطاع غزة، بعد تشكيل حركة حماس الحكومة العاشرة، نتيجة فوزها في انتخابات المجلس التشريعي عام 2006م، ويشمل قيوداً على حركة المعابر والبضائع، وحركة تدفق الأموال عبر البنوك، وتم تشديده بعد انفراد حكومة موالية لحماس بالحكم قطاع غزة، وامتد إلى إغلاق معابر القطاع مع الأراضي المحتلة منذ عام 1948م، وإغلاق معبر رفح البري، وتشديد الحصار البحري.

ثانياً: نشأة الحصار على غزة:

مع استلام السلطة الفلسطينية المسؤولية عن قطاع غزة، بعد توقيع اتفاق أوسلو عام 1993م، بقي الاحتلال الصهيوني مسيطراً على أجزاء كبيرة من القطاع، تحديداً ما يعرف بالمحرمات، وبذلك كان يفرض قيوداً كبيرة على حركة تنقل الفلسطينيين، ومرورهم عبر الكثير من الطرق الواقعة في محيط المستعمرات، وبقيت قوات الاحتلال اليهودي تتحكم بحركة الفلسطينيين، الداخلين إلى القطاع، والخارجين منه؛ وتسيطر على المعابر الحدودية، وتتحكم في الموارد والمصادر الفلسطينية، وبعد اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000م، فرضت قوات الاحتلال الصهيوني حصاراً على الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولاسيما قطاع غزة، وأغلقت

⁽¹⁾ جريمة حصار غزة في الفقه الإسلامي، عطية فياض، مقال منشور، موقع صيد الفوائد، تاريخ زيارة الموقع:

21 يناير/كانون ثاني 2014م.

⁽²⁾ انظر: تقرير بعنوان "قوافل كسر الحصار عن قطاع غزة"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: ص5.

مرات عديدة المعابر التي تربط القطاع بالعالم الخارجي، بشكل تراوح بين الإغلاق الكلي والجزئي.⁽¹⁾

ومع انسحاب قوات الاحتلال الصهيوني من قطاع غزة، في 12 أيلول/ سبتمبر 2005م، بقي القطاع بشكل فعلي وقانوني خاضعاً للاحتلال الصهيوني، ولم يتحرر؛ بل تحول إلى أشبه ما يكون بسجن كبير، تحيط به الأسلاك والحواجز من كل الاتجاهات، في ظل واقع يستخدم فيه الاحتلال الإغلاق كسياسة عقاب جماعي.⁽²⁾

ومنذ فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية في شباط 2006م، فرض الاحتلال الصهيوني إجراءات مشددة، شكلت مرحلة جديدة في الحصار، كانت مركزة وهادفة إلى خنق القطاع وعزله عن العالم الخارجي⁽³⁾، فقد أطبقت قوات الاحتلال حصارها على القطاع بشكل شبه كامل، ما أدى إلى تعقيد الحياة اليومية للفلسطينيين، وشكل انتهاكاً واضحاً للمعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان. وبدأ الحصار بعد تشكيل الحكومة الفلسطينية العاشرة من قبل حركة حماس عام 2006م- بوقف مستحقات الضرائب الفلسطينية التي تحصلها السلطات اليهودية لحساب السلطة الفلسطينية.⁽⁴⁾

وصادقت حكومة الاحتلال الصهيوني على تلك الإجراءات العقابية بتاريخ 19 شباط / فبراير 2006م، التي اشتملت أيضاً على مطالبة المجتمع الدولي بوقف تقديم المساعدات المالية للفلسطينيين، والتضييق على العمال الفلسطينيين، الذين يعملون في الأراضي المحتلة عام 1948م⁽⁵⁾، كما منعت سلطات الاحتلال الصهيونية أيّ مساعدات غربية كانت تصل إلى الحكومة الفلسطينية العاشرة.⁽⁶⁾

وأعلنت حكومة الاحتلال الصهيوني بتاريخ 2007/9/19م قطاع غزة "كياناً معادياً"، واتخذت مجموعة من الإجراءات، لتشديد حالة الإغلاق والحصار، وجاء هذا القرار تطوراً لإعلان سلطات الاحتلال الصهيوني إغلاق قطاع غزة بالكامل، بعد انفراد حكومة حركة حماس

(1) أثر الحصار الإسرائيلي على وسائل الإعلام في قطاع غزة، أحمد إبراهيم حماد: ص 7.

(2) انظر: معابر قطاع غزة، شريان حياة، أم أداة حصار، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: ص 5.

(3) الحصار: دراسة حول حصار الشعب الفلسطيني، ومحاولات إسقاط حكومة حماس، وائل سعد: ص 77.

(4) الوضع الفلسطيني الداخلي: سنة التغيير والحصار، بشير موسى نافع: ص 28.

(5) الحصار: دراسة حول حصار الشعب الفلسطيني، وائل سعد: ص 76.

(6) جريمة حصار غزة: دراسة شرعية، ضياء علاء الدين أحمد: ص 28.

بحكم قطاع غزة بتاريخ 2007/6/13م، ومنعت أهالي غزة من الدخول أو الخروج من القطاع، ومنعت دخول البضائع إلى القطاع، إلا ما يسد رمق السكان، وهددت بقطع الوقود عن غزة.⁽¹⁾ وفي يناير/ 2008م، أمر وزير حرب الاحتلال الصهيوني إيهود باراك بإقفال المعابر مع القطاع، كما أوقفت سلطات الاحتلال الصهيوني إمدادات الوقود بشكل كامل عن القطاع بتاريخ 2008/1/20م، وهكذا أصبح قطاع غزة محاصراً كلياً؛ فجميع المعابر مغلقة في وجهه، وقد ترك قرار وقف تزويد القطاع بالوقود أثراً بالغاً على مختلف أوجه الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والإنسانية، والصحية، والتعليمية، وانهارت جميع القطاعات الاقتصادية بشكل تام، وتكبد الاقتصاد الفلسطيني خسائر فادحة.⁽²⁾

وانخفضت وتيرة الحصار نسبياً بعد الحرب الثانية على غزة في نوفمبر 2012م، التي استمرت ثمانية أيام، حيث أعقبها تسهيلات جزئية على المعابر، وزيادة مساحة الصيد، مع بقاء الحصار بشكل عام، وفي العام 2013م، استمرت سياسة الحصار على الفلسطينيين على قطاع غزة، وهو ما يهدد مستقبل الحياة الإنسانية في القطاع، وينذر بجملة من الكوارث التي تضرب القطاع في مناحي الحياة كافة، حيث أكد تقرير المكتب الإقليمي للأمم المتحدة في الأراضي الفلسطينية في قطاع غزة، الصادر في 27 آب/ أغسطس 2012م، أن "غزة لن تكون مكاناً ملائماً للعيش في 2020"، وهو أيضاً ما حذرت منه التقارير الصادرة عن الجهات الرسمية في غزة.⁽³⁾

يتبين مما سبق: أن حصار غزة مرّ بعدة مراحل وتطورات، منذ فرضه، عقب تشكيل حركة حماس الحكومة الفلسطينية العاشرة، ووصل إلى ذروته عام 2008م، ما دفع الفلسطينيين إلى كسره عبر اجتياز الحدود الفلسطينية المصرية، للتزود بالبضائع، وأن جهود كسر الحصار كانت تصطدم بالمواقف اليهودية والدولية التي ربطت أي تغيير في وضعية الحصار بإسقاط حكم حركة حماس، وقبولها بالشروط الدولية المتعلقة بالاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني

⁽¹⁾ الآثار الإنسانية للحصار والإغلاق المفروض على قطاع غزة: ص9، ومعاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، إعداد: قسم الأرشيف والمعلومات: ص5، وحصار غزة ليس خطأ بل غير مشروع: وضع الحصار بين القانون الدولي واستجابة الأمم المتحدة، نورا عريقات: ص7.

⁽²⁾ معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، تقرير معلومات 1: ص6، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

⁽³⁾ ثمن الحصار: تقرير يرصد تداعيات الحصار على حقوق الإنسان في قطاع غزة خلال عام 2013م، مركز حماية لحقوق الإنسان، وأصدقاء الإنسان الدولية: ص4 2014م، وانظر تقرير الأمم المتحدة: موقع الأونروا على الانترنت. <https://www.unrwa.org/ar/newsroom/features>

المحتل، كما أن فرض الحصار ومستوياته تأثر بالوضع الإقليمي بعد الثورات العربية، فخفت حدته في البداية، كما حدث في عام 2012م، والنصف الأول من عام 2013م، ثم اشتدت وتيرته بعد إطاحة الجيش المصري بالرئيس المصري محمد مرسي.

ولم يغير تخلي حماس عن حكومتها بغزة لصالح حكومة التوافق الوطني مطلع يونيو 2014م في إطار تطبيق المصالحة الوطنية مع حركة فتح من واقع استمرار الحصار وتداعياته على المواطنين، وجاءت الحرب الأخيرة على غزة التي بدأت في 8 يوليو/ تموز 2014م، وما نتج عنها من تدمير كبير للمنازل، والبنية التحتية، ولا يزال الحصار مستمرا حتى كتابة هذا البحث.⁽¹⁾

ثالثاً: أسباب حصار غزة:

بعد أن أعادت سلطات الاحتلال الصهيوني انتشار قواتها من غزة وبعض مناطق الضفة، بعد احتلال دام سبعة وثلاثين عامًا، بهدف التملص من مسؤوليتها عن الانتهاكات المتواصلة بحق المدنيين العزل؛ ولكنها في الوقت نفسه ترفض إلغاء التحكم بهم، والسيطرة عليهم، فهي قد رفعت اليد القانونية والأخلاقية؛ منعاً للمساءلة الدولية، وأبقت السيطرة غير المباشرة، وأمعنت في ممارسة التحكم الخانق على الفلسطينيين في غزة.⁽²⁾

لقد طرح الكيان الاحتلالي الصهيوني مبررين أساسيين لتسويق حصارها على قطاع غزة، الأول: تحرير الجندي الأسير جلعاد شاليط، ومعاينة حماس على أسره، ورفض إطلاق سراحه طيلة الأعوام الماضية، والمبرر الثاني: منع وصول أسلحة ومعدات قتالية إلى حركات المقاومة، والحيلولة دون دخول مواد أولية إلى القطاع، يمكن استخدامها في تصنيع الصواريخ والوسائل القتالية الأخرى.⁽³⁾

شددت دولة الكيان الصهيوني حصارها على قطاع غزة، وتمكنت من حشد التأييد الدولي حول شروطها الرامية إلى إخضاع حركة حماس والمقاومة الفلسطينية، المتمثلة بالآتي:
أولاً: الاعتراف بحق دولة الكيان الصهيوني المحتل في الوجود.
ثانياً: التخلي عن سلاح المقاومة، ونبذ العنف.

⁽¹⁾ انظر: حصار غزة: البدايات - القضايا والتداعيات - المواقف، ياسر أحمد عبد الغفور: ص 11-12. موقع الألوكة www.alukah.net

⁽²⁾ انظر: موقع فلسطين سؤال وجواب، مقالة: حصار غزة، ماذا حدث بعدما فازت حماس بالانتخابات على موقع فلسطين سؤال وجواب، مقالة.

⁽³⁾ انظر: بحث بعنوان "قتل الحصار على قطاع غزة في تحقيق أهدافه السياسية والأمنية"، عاطف الجولاني: ص 19، مجلة الشرق الأوسط، مركز دراسات الشرق الأوسط.

ثالثاً: الاعتراف بالاتفاقيات الموقعة مع دولة الكيان الصهيوني المحتل.⁽¹⁾

وهي نفس شروط الرباعية التي رفضتها حماس، وبعد رفضها إياها أخذت الخلافات تحتدم بين السلطة في رام الله والحكومة الجديدة في غزة، وقامت سلطات الاحتلال الصهيوني وبمشاركة أطراف دولية، بسلسلة من الإجراءات العقابية على الفلسطينيين في غزة خاصة، وكانت كالاتي⁽²⁾:

- 1- وقف إعطاء الضرائب للسلطة الفلسطينية، التي تجنيها دولة الاحتلال من الضفة الغربية، والتي تصل إلى حوالي 55 مليون دولار شهرياً، كانت تعطيها للسلطة.
- 2- وقف المساعدات الدولية للسلطة الفلسطينية.
- 3- فرض قيود على حركة الناس والبضائع داخل الأراضي الفلسطينية.
- 4- فرض أمريكا قيوداً بنكية خاصة.

رابعاً: الملاحم العامة للحصار الصهيوني على قطاع غزة:

يتسم الحصار الصهيوني على قطاع غزة بأنه حصار شامل؛ بري، وبحري، وجوي؛ أما برياً، فهناك ستة معابر تشكل المتنفس والمخرج الوحيد لفلسطيني قطاع غزة، وفي حين تسيطر مصر على معبر رفح البري، يتحكم الكيان الصهيوني بالمعابر الأخرى، التي خصص كل منها لغرض معين، لخدمة غزة، كعبور العمال، أو حركة الأفراد، أو البضائع، أو التزود بالوقود والغاز، أو استيراد مواد البناء؛ أما جويّاً، فغزة لا تملك إلاّ مطاراً واحداً هو: مطار غزة الدولي، الذي قُصِف خلال العدوان الصهيوني على غزة 2008م، والذي يشكل الصلة الجوية الوحيدة لغزة بالعالم الخارجي، وبذلك تم التحكم الصهيوني بالمجال الجوي، إضافة إلى البري، أما من جهة البحر والمناطق الساحلية، فقد ضيق الكيان الصهيوني مناطق الصيد في بحر غزة إلى ستة أميال بحرية في بداية الحصار، لتصل إلى ثلاثة أميال بحرية فقط بداية عام 2009م.⁽³⁾

وبرغم أن الضفة الغربية وقطاع غزة أراض محتلة، بموجب أحكام القانون الدولي، وبإقرار المجتمع الدولي - وهذا يملي على (الكيان الصهيوني) واجباته، كونه قوة احتلال - ورغم

(1) معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، إعداد: قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: ص5، وحصار غزة ليس خطأ بل غير مشروع: وضع الحصار بين القانون الدولي واستجابة الأمم المتحدة، نورا عريقات: ص7. وبحث سابق بعنوان "فشل الحصار على قطاع غزة في تحقيق أهدافه السياسية والأمنية"، عاطف الجولاني: ص19.

(2) موقع فلسطين سؤال وجواب، مقالة: حصار غزة، ماذا حدث بعدما فازت حماس بالانتخابات، على موقع فلسطين سؤال وجواب، مقالة.

(3) موقع فلسطين سؤال وجواب، مقالة سابقة: حصار غزة.

اتفاقية جنيف الرابعة لعام 1949م لحماية المدنيين في وقت الحرب؛ إلا أن الكيان الصهيوني يرفض الأمر تماماً، ويحاول دائماً التركيز على أن صراعه مع حركة حماس بالذات، ويبرر أفعاله وسلوكه في قطاع غزة على أنه دفاع عن النفس، في ظل وجود منظمة إرهابية تمتلك من القدرة العسكرية ما يهدد أمنه؛ إلا أن هذا الادعاء في الواقع لا يخفي حقيقة أن الكيان الصهيوني دولة محتلة، ولعل من أحدث الوثائق الدولية التي قامت بتحليل مسألة احتلال الكيان الصهيوني للضفة وقطاع غزة: تقرير بعثة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق، بشأن النزاع في غزة (تقرير القاضي ريتشارد غولدستون).⁽¹⁾

خامساً: نصوص العهد القديم التي تحدثت عن الحصار:

وردت نصوص كثيرة في العهد القديم تتحدث عن الحصار؛ إما بلفظ (حاصر)، أو بلفظ (الحصار) نفسه، ومن هذه النصوص:

1- "حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمَلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا.....إِذَا حَاصَرْتَ مَدِينَةً أَيَّامًا كَثِيرَةً مُحَارِبًا إِيَّاهَا لِتَأْخُذَهَا، فَلَا تُتْلِفْ شَجَرَهَا بِوَضْعِ فَأْسٍ عَلَيْهِ. إِنَّكَ مِنْهُ تَأْكُلُ. فَلَا تَقْطَعُهُ، لِأَنَّهُ هَلْ شَجَرَةُ الْحَقْلِ إِنْسَانٌ حَتَّى يَذْهَبَ قُدَّامَكَ فِي الْحِصَارِ".⁽²⁾

وتفسير هذا النص كما جاء في التفسير الحديث للكتاب المقدس هو: "هنا نجد أماننا

حالتين من حالات الحصار:

1- حالة حصار لمدينة بعيدة.

2- مدينة في ذات الأرض.

في وقت الارتحال لم تكن إسرائيل تبدي اهتماماً بالمدن البعيدة، وإن كان هذا الاهتمام قد يأتي وقته فيما بعد؛ لكن الموقف يختلف بالنسبة للمدن الموجودة داخل أرض الموعد، هذه المدن يجب أن تكون محور اهتمامهم الأول، والمدن التي مروا بها في طريقهم إلى أرض الموعد ربما اعتبروها مدناً بعيدة؛ لأنها صارت كذلك بعد دخولهم أرض الموعد.

المدينة -محور الحديث هنا- هي مدينة بعيدة جداً، وأول ما ينبغي عمله بالنسبة لهذه المدينة هو استدعاؤها للصلح، والاصطلاح المستخدم هنا مع القرينة يفيد "عقد معاهدة"...وعليه يمكن أن يترجم النص الذي أماننا هكذا... "أدعها إلى عقد معاهدة".

⁽¹⁾ موقع فلسطين سؤال وجواب، مقالة سابقة: حصار غزة.

⁽²⁾ سفر التثنية: 20-10/20.

إذا استجابت المدينة لداعي السلام عندئذ يعفى شعبها من حكم الإبادة والتحرير، ويصبحون خاضعين لإسرائيل ويكون من حق إسرائيل تسخيرهم في أعمال إجبارية، ومعاملتهم معاملة العبيد؛ أما إذا رفضت تلك المدينة نداء السلام المقدم لها من إسرائيل، عندئذ يجب حصار تلك المدينة، وضرب ذكورها بحد السيف... وفي عصور لاحقة قامت إسرائيل بمحاصرة مدن خارج أرض الموعد... وفي بعض الحالات تقرر بالتحديد الإبقاء على سكان تلك المدن، وتسخيرهم كعبيد... إلا أن المدن الواقعة داخل حدود أرض الموعد تمثل خطرا أعظم على أمن إسرائيل وحرمتها السياسية، واستقلالها الديني؛ لهذا كان من الضروري جدا تنفيذ حكم التحريم بالكامل على هذه المدن. كان يجب تحريم المدن الواقعة في نطاق أرض الموعد تحريما كاملا، فيباد أهلها دون أدنى إحساس بالشفقة، والحكم الواجب تطبيقه هنا: ألا تُسْتَبَقَى من سكانها نسمة".⁽¹⁾

هكذا يستند الكيان اليهودي المحتل اليوم في حصاره لقطاع غزة إلى مثل تلك النصوص التوراتية، التي تبيح حصار الشعوب والمدن والبلدات التي يرفض أهلها الرضا والاستسلام للاحتلال، والانصياع لأوامره، ويرفضون عقد اتفاقيات صلح معهم يطلب منهم فيها التنازل عن حقهم في أرضهم، فالذي لا يقر ولا يعترف لهم بذلك فمصيره نفس المصير الذي تحدده تلك النصوص الدينية؛ لأنها نصوص عامة، تشمل كل شعب يفعل نفس الفعل، في أي زمان، وأي مكان. هذا المصير هو: التحريم، أي: القتل والإبادة، وهذا ما فعله الكيان اليهودي المحتل منذ حصاره لقطاع غزة، فقد قام بحروب ثلاثة على أهل قطاع غزة، حتى كتابة هذا البحث، كانت كل حرب منها أشبه بحرب إبادة؛ ليس للذكور فقط - كما في تلك النصوص الدينية -؛ بل تعدتها إلى النساء والشيوخ والأطفال، فكم قصفوا بيوتا وأبراجا على من فيها من السكان، رجالا ونساء وأطفالا وشيوخا.

2- "وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَفْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَابَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُونَ وَحَاصَرُوا رِبَّةَ"⁽²⁾، وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ"⁽³⁾.

(1) التفسير الحديث للكتاب المقدس، تأليف: ج. أ. طومسون، ص 284-285 بتصرف يسير، ترجمة: القس جاد المنفلوطي.

(2) رِبَّةَ عَمُونَ: مدينة تقع عند منبع يبيوق وتبعد عن الأردن بنحو 23 ميلا شرقا. وكانت عاصمة أرض بني عمون وفيها مات أوربا عند محاصرة يوباب للمدينة واسمها الحديث عمان وهي عاصمة شرق الأردن. قاموس الكتاب المقدس. تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: د. بطرس عبد الملك - د. جون ألكسندر طمس - أ. إبراهيم مطر: 473/1.

(3) سفر صموئيل الثاني: 1/11.

جاء في تفسير هذا النص من العهد القديم: "أن يوبأ رجع عن بني عمون، وأتى إلى أورشليم، وفي الصيف التالي حارب داود الأراميين، والحرب المذكورة هنا في هذه الآية كانت في الصيف الذي يليه...في وقت خروج الملوك، أي: في فصل الصيف الذي يخرج فيه الملوك للحرب، فهذا هو الوقت المناسب، فأخربوا بني عمون، أي: البلد كلها، فالتجأوا إلى ربّة، مدينتهم المحصنة، فحاصرها يوبأ في الحرب الأولى أمام أبيشاي، حينما ذهب يوبأ ليحارب الأراميين التجأ بنى عمون داخل ربة المحصنة، ولم يكن عدد رجال أبيشاي كافيًا لحصار ربّة، والآن هم مستعدون، وطبعًا هدف الحرب: منعهم من أن يهاجموا إسرائيل ثانية، فلا يمثلوا خطرًا على المملكة، طالما نواياهم سيئة".⁽¹⁾

ففي هذا النص الديني يتكرر ذكر الحصار لمدينة من مدن العمونيين، وهي ربّة، بأمر من داود لقائده يوبأ وبني إسرائيل، والهدف من هذا الحصار هو نفس الهدف من محاصرة غزة اليوم، وهو- كما جاء في التفسير السابق للنص-:(منعهم من أن يهاجموا إسرائيل ثانية، فلا يمثلوا خطرًا على المملكة)، فاليهود اليوم يحاصرون قطاع غزة لنفس الهدف، وهو: منع أهل القطاع وفصائل المقاومة أن تهاجم الكيان المحتل، وهي وحدها التي تمثل خطرًا على هذا الكيان الغاصب.

3- "وَكَانَ أَهْلُ الْقَلْعَةِ يَصُدُّونَ إِسْرَائِيلَ عَنْ دُخُولِ الْمَقَادِسِ، وَيُحَاوِلُونَ الْإِضْرَارَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَوَطُّيْدَ الْأُمَمِ بَيْنَهُمْ. عَزَمَ يَهُوذَا عَلَى الْإِيقَاعِ بِهِمْ، وَحَشَدَ جَمِيعَ الشَّعْبِ لِمُحَاصِرَتِهِمْ، فَاجْتَمَعُوا مَعًا وَحَاصَرُوهُمْ سَنَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ، وَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْقَذَافَاتِ وَالْمَجَانِيْقَ، فَخَرَجَ بَعْضٌ مِنْهُمْ مِنَ الْحِصَارِ؛ فَأَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ نَقَرٌ مُنَافِقُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ، وَأَنْطَلَقُوا إِلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا: "إِلَى مَتَى لَا نُجْرِي الْقَضَاءَ وَلَا تَنْتَقِمُ لِإِخْوَتِنَا. إِنَّا ارْتَضَيْنَا بِخِدْمَةِ أَبِيكَ وَالْعَمَلِ بِأَوْامِرِهِ وَاتِّبَاعِ رُسُومِهِ، وَلِذَلِكَ أَبْنَاءُ شَعْبِنَا يُحَاصِرُونَ الْقَلْعَةَ بَعْضًا لَنَا، وَكُلُّ مَنْ صَادَفُوهُ مِنَّا قَتَلُوهُ وَنَهَبُوا أَمْلاكَتَنَا".⁽²⁾

جاء في تفسير هذا النص : "كانت قلعة السلوقيين (قلعة عكرة) مصدمة، وعثرة لليهود في أورشليم...وكانت تشبه "قاعدة عسكرية" سلوقية في أورشليم؛ أما سكانها -والذين كانوا أغلبهم من الأمم - فقد راحوا يضايقون الشعب الداخل إلى الهيكل للعبادة، سواء أكان ذلك من جهة الإهانات، أو الأذى الجسدي، كما كانت فرصة لتلصص الوثنيين على جانب من أكثر جوانب

⁽¹⁾ شرح الكتاب المقدس-العهد القديم- القمص أنطونيوس فكري <https://st-takla.org>

⁽²⁾ سفر المكابيين الأول: 24-18/6.

حياتهم خصوصية وقداسة وحساسية، أي:(العبادة) كما شجع السلوقيين بقية الوثنيين -الذين حول اليهود- على الإساءة اليهم.

من هنا كان تفكير يهوذا المكابي في التخلّص من هذا الوجود الوثني، ومن ثم حشد جيشًا كبيرًا لهذا الغرض، والقذافات: هي قواعد أو مصاطب يقذف من فوقها بسهام ذات شعلات نارية، وتُطلق لإحراق الحصون أو السفن، وغيرها، وقد عرف منذ ذلك الوقت ما يسمى بـ"النار الإغريقية"، والتي استُخدمت في مهاجمة السفن خاصة. وتستخدم في تلك القاذفات مواد قابلة للاشتعال، بحيث لا تنطفئ القذيفة بسهولة، رغم إطلاقها بقوة شديدة، كما أنها تستمر مشتعلة مدة طويلة، قبل أن تخبو. ونقرأ في سفر (حزقيال 17: 17 و 21: 27) ما يوحي بأنها نوع من الأسوار المبنية للحصار. هذا وقد استمر حصار القلعة لبعض الوقت، قبل أن تصل حملة الإنقاذ بقيادة ليسيّاس وأنطيوخس الخامس، والتي نتج عنها هزيمة يهوذا في "بيت زكريا".⁽¹⁾

هكذا يظهر في هذا النص الديني تفكير يهوذا المكابي في التخلّص من أهل القلعة؛ وذلك بأن حشد جيشًا كبيرًا، شمل جميع الشعب لمحاصرتهم، وهكذا تفعل دولة العدو اليوم في حصارها لغزة، حيث تحشد جيشًا كبيرًا لمراقبة الحدود على طول البلاد، ويقذفون أهل غزة المحاصرين بالصواريخ، كما كانوا يفعلون في حصارهم للقلعة، حيث قذفوهم بالقذافات والمجانيق، التي استعويض عنها اليوم بالصواريخ.

4- "وَحَرَجَ يُونَاثَانُ⁽²⁾، وَطَافَ فِي عَبْرِ النَّهْرِ وَفِي الْمُدُنِ، فَاجْتَمَعَتْ لِمُظَاهَرَتِهِ جَمِيعُ جُيُوشِ سُورِيَّةَ، وَقَدِمَ أَشْقَلُونَ فَلَاقَاهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِاخْتِفَالٍ. وَأَنْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى غَزَّةَ، فَأَغْلَقَ أَهْلُ غَزَّةَ الْأَبْوَابَ فِي وَجْهِهِ، فَحَاصَرَهَا، وَأَحْرَقَ ضَوَاحِيهَا بِالنَّارِ وَنَهَبَهَا، فَسَأَلَ أَهْلُ غَزَّةَ يُونَاثَانَ الْأَمَانَ فَعَاقَدَهُمْ، وَأَخَذَ أَبْنَاءَ رُؤَسَائِهِمْ رَهَائِنَ وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ، ثُمَّ جَالَ فِي الْبِلَادِ إِلَى دِمَشْقَ".⁽³⁾

جاء في تفسير هذا النص الديني: "وقد تجول يونانان في منطقة حقول سوريا (سهل البقاع)، وهي منطقة غرب الفرات، في عمليات تأييد لأنطيوخس الصغير ضد ديمتريوس وأنصاره، إذ كان يدرك جيدًا أن اليهود سيفيدون كثيرًا من هذه التوسعات؛ ولكن أهل غزة رفضوا استقباله؛ مما اضطره إلى حصارها، والتضييق عليها، حتى طلب أهلها الأمان؛ فأمّنهم، شريطة أن يسلموه أبناء رؤسائهم كرهائن في أورشليم، وهو الأمر الذي تكرر ثانية مع سمعان بعد ذلك،

(1) شرح الكتاب المقدس الأنبا مكاريوس الأسقف العام بتصريف يسير/ <https://st-takla.org/>

(2) يونانان هو الكاهن الأعظم في عهد الملك انطيوخس الصغير، حسب هذا النص "وهذه نسخة الكتب التي كتبها يونانان إلى أهل أسبرطة من يونانان الكاهن الأعظم". سفر المكابيين الأول: 5/12، وأما النص الذي فيه ذكر الملك انطيوخس الصغير فهو: "و كتب انطيوخس الصغير إلى يونانان...". سفر المكابيين: 57/11.

(3) سفر المكابيين الأول: 60/11-62.

حيث جعلها مركزا لحكمه بعد تطهيرها، وقد كانت غزة في ذلك الوقت موالية لديمتريوس الثاني بشدة، وإن كانوا قد خذلوه بعد ذلك، بانضمامهم إلى أنطيوخس السادس؛ ولكنه سواء برجع رهائنها، أم لا، فإنها كانت ستقوم بتمرد عند أول فرصة".⁽¹⁾

في هذا النص يظهر بوضوح وبصريح العبارة (حصارهم غزة)، حيث حاصرها يُونانائُن، ، وأحرق ضواحيها بالنار، ونهبها، وأخذ أبناء رؤسائهم رهائن. وهذا ما يفعله العدو اليهودي المحتل بغزة وأهلها اليوم تماما، حيث يحرقونها بالقصف المتكرر والمستمر، كل حين وآخر، وينهبون أراضيها وخيراتها، من أراض زراعية، ومياه جوفية، وأماكن استراتيجية، وأماكن مقدسة، ويأخذون أبناء غزة رهائن؛ باعتقالهم وسجنهم في سجون الاحتلال، وفي أحيان كثيرة بلا تهمة. 5- "وَكَانَ يَهُودًا يُحَارِبُ بَنِي عَيْسَى فِي أَدُومَ عِنْدَ أَقْرَبَتَيْنِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُضَيِّقُونَ عَلَى إِسْرَائِيلَ؛ فَضَرَبَهُمْ ضَرْبَةً عَظِيمَةً وَدَفَعَهُمْ وَسَلَبَ عَنَائِمَهُمْ . وَتَذَكَّرَ شَرَّ بَنِي بِيَّانٍ... فَأَلْجَأَهُمْ إِلَى الْبُرُوجِ، وَحَاصَرَهُمْ، وَأَبْسَلَهُمْ"⁽²⁾، وَأَحْرَقَ بُرُوجَهُمْ، وَكُلَّ مَنْ كَانَ فِيهَا بِالنَّارِ".⁽³⁾

جاء في تفسير هذا النص: "...بني بيان: قبيلة بدوية اشتهر رجالها بالكمن في الطرق العامة للعابرين، لمهاجمتهم وسلبهم، وكانوا يفرضون إتاوات على المسافرين، ولاسيما التجار منهم، ومن المرجح أن يكون أتباعها قد قاوموا نحما عند إعادة ترميم الأسوار؛ ولكنه من غير المؤكد إن كانت لهم علاقة بأعمال اللصوصية المذكورة في مثل السامري الصالح على الطريق من أورشليم إلى أريحا. وقد أساء أفراد هذه القبيلة كثيرا إلى بني إسرائيل على وجه الخصوص، مما استلزم معه القيام بعمل عسكري ضدهم من قبل المكابيين تماما مثلما فعل شاول بعماليق".⁽⁴⁾

يتضح من هذا النص: أن يهوذا في حصاره بني بيان أبسلهم، أي: قتلهم، ولم يبق منهم أحدا، وأحرق بروجهم، وأحرق كل من في القبيلة بالنار، وهذا ما فعله اليهود في حصارهم لغزة، أثناء الحروب الثلاثة، حيث قصفوا أبراجا كثيرة، اشتعلت نارا على أثرها، وكانوا يحرقون بالقنابل بيوتا على ساكنيها.

6- "وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قَلْعَةِ أُورُشَلِيمَ، فَإِذْ كَانُوا قَدْ مُنِعُوا مِنَ الْخُرُوجِ وَدُخُولِ الْبَلَدِ وَمِنَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، اشْتَدَّتْ مَجَاعَتُهُمْ وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، فَصَرَخُوا إِلَى سِمَعَانَ يَسْأَلُونَ الْأَمَانَ، فَأَمَّتَهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ".⁽⁵⁾

(1) شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - الأنبا مكاريوس الأسقف العام <https://st-takla.org/pub>

(2) أبسلهم: لم يبق منهم أحدا. شرح الكتاب المقدس القمص أنطونيوس فكري <https://st-takla.org>

(3) سفر المكابيين الأول: 3/5-5.

(4) شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري <https://st-takla.org/>

(5) سفر المكابيين الأول: 13/49-50.

جاء في شرح النص: "هنا نرى نهاية القلعة، فلقد استسلم جنودها بسبب المجاعة، وغالبًا صارت هذه القلعة في أيام الرومان بُرج أنطونيا، ويوحنا بن سمعان هو يوحنا هركانوس، ولقب هركانوس يطلق لمن يعتبرونه شجاعًا، وهو أول من دُعي ملكًا من المكابيين، خلف أبيه خلال العام 134/135، وكذلك في رئاسة الكهنوت، وهو دمر السامرة، وهيكل جرزيم الذي كان فيها، وأدمج الشعب الأدومي في اليهودية، وختنهم، وتحالف مع الرومان، وانفصل عن الفريسيين؛ لينضم إلى الصدوقيين أعداء الفريسيين. وكان الفريسيون يهتمون بالشريعة والتقاليد؛ ولكن الصدوقيين يهتمون بالشريعة فقط. وبموت هركانوس بدأ نجم المكابيين في الأفول".⁽¹⁾

7- وجاء في تاريخ يوسيفوس اليهودي عن هذا الحصار: "ولما سار هركانوس إلى سبسطية، وحاصر من بها من السامرة مدة طويلة، إلى أن اضطرهم إلى أكل الجيف، وهم مع ذلك صابرون له، لخوفهم من سيفه، واعتمادهم على من استجدوا به من المكدونيين والمصريين، ثم حضر الصوم الكبير الذي يحتاج هركانوس أن يكون فيه حاضرًا في أورشليم، ليقرب فيه قرابين هذا اليوم، فاستخلف بنيه على الجيش، وهما: انتيغونوس، وارسطوبولوس، وتقدم إليهما بمحاصرة السامرة، والتضييق عليهم، وتقدم إلى العسكر بطاعة ابنيه هذين، واتباع أمرهما، فسار إلى مدينة أورشليم، وسار انتيوخوس المكدوني لينجد أهل سبسطية، فاتصل خبره بابني هركانوس، فاستخلفا على سبسطية من يحاصرها، وسارا إلى انتيوخوس فحاربا وهزمها، وعادا إلى سبسطية، ووافى من مصر ليثرا بن كليوبترا الملكة؛ لنصرة السامرة، فلما اتصل خبره بهركانوس سار إليه بعد انقضاء العيد، فلقيه وقاتله، قتالا شديدا، وقتل من رجاله خلقا، وانهزم ليثرا، ولم تعاود أهل مصر بعدها إلى معاونة السامرة، وعاد الملك هركانوس إلى سبسطية، فأقام عليها إلى أن فتحها بالسيف، وقتل من بقي من أهلها، وأخربها وهدم سورها".⁽²⁾

في هذا النص يظهر واضحا ما فعله يوحنا بن سمعان، أو يوحنا هركانوس، في حصاره لقلعة أورشليم، حيث منع أهلها من الخروج منها، ومن البيع والشراء، واشتدت مجاعتهم، واستسلم جنودها بسبب المجاعة، و يظهر في النص كذلك ما فعله هركانوس في سبسطية، حيث حاصر من فيها من السامرة مدة طويلة، إلى أن اضطرهم إلى أكل الجيف، وقتل من بقي من أهلها، وأخربها، وهدم سورها، وهي نفس الجرائم التي يرتكبها يهود اليوم في حصارهم لأهل غزة، من منع أهلها من الخروج منها، إلا بشق الأنفس، ويتحكمون فيمن يخرج منها، ومن لا يخرج، سواء عبر الحدود التي يسيطرون عليها، أو حتى الحدود الأخرى، ويمنعون أهلها من

(1) شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري/ <https://st-takla.org>

(2) تاريخ يوسيفوس اليهودي: ص 92.

البيع والشراء، حينما كانوا يفرضون منع التجول على القطاع، أثناء احتلالهم المباشر له؛ مما يؤدي إلى المجاعة، لولا أن الله كان يقيض لهذا الشعب إخوانا له من داخل فلسطين المحتلة، عبر مؤسسات وجمعيات خيرية يقدمون له المساعدات والمعونات الغذائية، مع بعض ما تقدمه وكالة الغوث الدولية للاجئين الفلسطينيين من معونات؛ لكن الفرق الوحيد والجوهري بين الحصار قديما الوارد في تلك النصوص التوراتية، وحصار غزة اليوم: أن الحصار القديم غالبا ما كان ينتهي باستسلام أهل المناطق المحاصرة، كما في هذا النص وغيره من النصوص الكثيرة؛ أما حصار أهل غزة فقد امتد طويلا، ولا يزال مستمرا حتى كتابة هذا البحث، ولم يستسلم أهل غزة للحصار والمحاصرين؛ بل بقوا صامدين ثابتين؛ لأنهم أصحاب الحق في هذه الأرض، فهي أرضهم ووطنهم، وأما المحاصرون لهم فهم أذعياء، ومغتصبون لهذه الأرض، ويريدون إخراج أهلها منها.

خاتمة البحث:

وفيها النتائج، والتوصيات:

أولا: نتائج البحث:

بعد إتمام هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- 1- إن ما يقوم به اليهود من جرائم ضد الشعب الفلسطيني سببه الانحراف العقدي والفكري عندهم، ومؤصل تأصيلا عقائديا، وفكريا، وأخلاقيا، من مصادر العقيدة والفكر عندهم، وهي: التوراة، وغيرها من أسفار العهد القديم، والتلمود، وبروتوكولات حكماء صهيون، والقبالاه.
- 2- بطلان ادعاء يهود اليوم صلتهم ببني إسرائيل، ونسبتهم إليهم، وإثبات أنهم أقرب إلى الجنس "الآري" من الجنس السامي، وأن الأغلبية من يهود شرق أوروبا "اليهود الأشكنازيم" - وبالتالي يهود العالم- أصلهم من الخزر، الذين كانت لهم إمبراطورية هي "إمبراطورية الخزر"، وأن ثلث رعايا دولة الخزر كانوا من اليهود، وأن 95% من اليهود ليسوا من بني إسرائيل.
- 3- إثبات تحريف اليهود للتوراة، من خلال أدلة كثيرة، أهمها: الاختلاف بين نصوص ونسخ التوراة؛ لأنها لو كانت من عند الله لما كان فيها هذا الاختلاف البين، والله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]. إضافة إلى أقوال بعض علماء أهل الكتاب عن كتاب العهد القديم، التي تؤكد أن الكتاب قد دخله التحريف، وإن أقوالهم هذه أكبر من كل الأدلة؛ لأن "الاعتراف سيد الأدلة".

4- إن التلمود ليس كلام الله تعالى؛ بل هو أقوال وآراء الأبحار، وهي أقوال متناقضة ومتعارضة، وهذا وحده يكفي للحكم على أنه ليس كلام الله تعالى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

5- إن لليهود عقيدة راسخة مقدسة، تدفعهم بقوة إلى الإصرار الشديد في نقض العهود التي تُبرم وتُعقد مع المسلمين والعرب والفلسطينيين، وإن موقف اليهود لن يتغير، وسيظل مستقبل أي عهد، وأي اتفاق، ومبادرة سلام هو النقض والنبذ، بدليل لفظ (أوكلمًا) في قوله تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا **عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ**﴾ [البقرة: 100] الذي يفيد الاستمرارية، والتكرار في الفعل.

6- سقوط ادعاء اليهود في "أرض الميعاد"؛ لأن الأنتروبولوجيا تحطم أي أساس جنسي يدعونه؛ لأنه لا علاقة لهم جنسيا، أو أنتروبولوجيا بتلك الأرض، وإن تلك الأرض التي يعتقد بها اليهود، ويدعونها حقا خالصا لهم؛ دينيا وتاريخيا، ليست فقط هي أرض فلسطين؛ بل هي أوسع من ذلك بكثير، وما فلسطين إلا جزء من هذه الأرض الواسعة المزعومة.

7- إن لعقيدة أرض الميعاد أثرا كبيرا في احتلال فلسطين عام 1948م، وعام 1967م، وما حدث خلالهما من أحداث، وما حدث بعدهما من تداعيات.

8- إن المقصود من كتابة الأرض المقدسة لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿يَأْقُومُوا ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ هو: الأمر بدخولها، ومساكنة أهلها؛ لا ملكيتها، وذلك بشرط عدم ارتدادهم؛ وإلا سيحرم عليهم دخولها؛ والتحریم في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 26]. تحریم أبدي، وجعل مدة الأربعين سنة للتيه؛ وليس للتحریم.

9- إن قضية يهودية الدولة التي طرحها قادة وزعماء وحكام الكيان اليهودي المحتل في الآونة الأخيرة من أخطر القضايا التي تخص القضية الفلسطينية؛ لأنها تهدد مصيرها.

10- إن جريمة تهويد القدس التي يقوم بها اليهود اليوم هي من آثار عقيدة "أرض الميعاد، والأرض المقدسة"، التي يعتقد اليهود أنها منحت لهم جيلا بعد جيل.

11- إن قصة الهيكل، من أولها إلى آخرها، لا يمكن تصديقها؛ لأن ما ورد عنها في الأسفار من التناقضات والاختلافات لا يمكن أن تكون وحيا سماويا صادقا؛ فإن الوحي لا يتناقض؛ لأنه كلام الله تعالى، وكلامه -سبحانه- لا يتناقض.

12- إن النصوص التوراتية المحرفة، والتعاليم اليهودية، والتفسيرات، والفتاوى التي تصدر عن حاخامات اليهود، هي التي تغذي الوجدان اليهودي بمبررات العنف، والقسوة، والوحشية

الحيوانية، وكل الأخلاق الرذيلة، وتعطي حجة توراثية، وتبريرا للقتل، وسفك الدماء، وطرد سكان البلاد عن بلادهم.

13- إن اليهود اليوم لا يمكن أن يكونوا شعب الله المختار؛ لأن حالهم الذي هم عليه اليوم لا يتفق إطلاقاً مع اختيار الله لهم؛ وإنما الأمة المختارة المصطفاة هي الأمة الإسلامية، بشرط إيمانها الحق بالله، وعملها الصالح، وقوة صلتها بالله تعالى.

14- إن إقامة الجدار الفاصل في الضفة الغربية المحتلة يعد مخالفا لقواعد القانون الدولي، وحقوق الإنسان، والقانون الإنساني، واتفاقيات جنيف الرابعة لعام 1949م الخاصة بالأراضي الواقعة تحت الاحتلال العسكري، كما يعد خرقاً لقرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وخاصة قرار 242، و338، باعتبار أراضي الضفة الغربية أرضاً محتلة.

15- يستند الكيان اليهودي المحتل اليوم في حصاره لقطاع غزة إلى النصوص التوراتية المحرفة، التي تبيح حصار الشعوب والمدن والبلدات، التي يرفض أهلها الرضا والاستسلام للاحتلال، والانصياع لأوامره، ويرفضون عقد اتفاقيات صلح معهم، يطلب منهم فيها التنازل عن حقهم في أرضهم.

16- إن الفرق الوحيد والجوهري بين الحصار قديماً -الوارد في النصوص التوراتية- وحصار غزة اليوم: أن الحصار القديم غالباً ما كان ينتهي باستسلام أهل المناطق المحاصرة؛ أما حصار أهل غزة فقد امتد طويلاً، ولا يزال مستمراً حتى كتابة هذا البحث، ولم يستسلم أهل غزة للحصار والمحاصرين؛ بل بقوا صامدين ثابتين؛ لأنهم أصحاب الحق في هذه الأرض، فهي أرضهم ووطنهم؛ وأما المحاصرون لهم فهم مغتصبون لهذه الأرض، ويريدون إخراج أهلها منها.

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بالتوصيات الآتية:

- 1- كتابة البحوث حول جرائم اليهود ضد الشعب الفلسطيني، وهي جرائم كثيرة ومتعددة.
- 2- التوسع في البحث حول الانحراف العقدي والفكري عند اليهود.
- 3- كتابة بحوث مستقلة حول حقيقة ادعاء يهود اليوم صلتهم ببني إسرائيل، ونسبتهم إليهم.
- 4- إثراء البحث حول نشأة وطبيعة تكوين "إمبراطورية الخزر"، التي هي أصل يهود اليوم.
- 5- تخصيص بحوث حول الفرق بين مصطلح (إسرائيلي، ويهودي) في القرآن الكريم.
- 6- الإكثار من كتابة البحوث عن تحريف اليهود للتوراة.
- 7- التعمق في دراسة التلمود، ومدى قدسيته عند اليهود، وإثبات تزيفه وتحريفه.
- 8- التركيز على دراسة بروتوكولات حكماء صهيون؛ للكشف عن أسرارها، وخباياها وخطورتها.

- 9- كتابة البحوث عن نقض العهود عند اليهود، مع الله، ومع الأنبياء، وأثرها في نقضهم العهود مع الفلسطينيين.
- 10- التركيز في البحوث على علم الأنثروبولوجيا، الذي هو (علم الإنسان والحضارات والمجتمعات البشريّة)؛ لأنه ينقض أي أساس جنسي يدعيه اليهود في أحقيتهم بأرض فلسطين، ويثبت أنه لا علاقة لهم جنسيا بتلك الأرض.
- 11- الاهتمام البالغ بنقض ما يسمى بيهودية الدولة، التي يطالب اليهود العالم عامة، والشعب الفلسطيني خاصة بالاعتراف به.
- 12- تسليط الضوء على جريمة تهويد القدس، التي يقوم بها اليهود اليوم، التي هي من آثار عقيدة "أرض الميعاد، والأرض المقدسة".
- 13- على علماء الآثار المسلمين الاهتمام في بحوثهم بالآثار الأموية، والعباسية، والعثمانية، في المسجد الأقصى، ونشرها دولياً، التي تدل على إسلامية المسجد الأقصى البحتة، التي لا يشترك معها فيها أي ديانة أخرى، وينسف الادعاءات الباطلة لليهود بوجود أي أثر لهم في المسجد الأقصى.
- 14- كتابة البحوث حول حقيقة هيكل سليمان المزعوم، الذي يدعي اليهود أنه موجود تحت المسجد الأقصى.
- 15- تسليط الضوء في البحوث على الجدار الفاصل في الضفة الغربية المحتلة، وإثبات مخالفته لقواعد القانون الدولي، وحقوق الإنسان، والقانون الإنساني، واتفاقيات جنيف الرابعة لعام 1949م الخاصة بالأراضي الواقعة تحت الاحتلال العسكري، كما يعد خرقاً لقرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وخاصة قرار 242، و338، باعتبار أراضي الضفة الغربية أراضي محتلة، وأنه مخالف كذلك لدعوى اليهود في رغبتهم بالسلام والدمج مع الشعوب العربية.
- 16- إكثار البحوث حول إرهاب الدولة، الذي يمارسه الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين.
- 17- تفعيل دور الإعلام في فضح معتقداتهم ومخططاتهم.
- 18- عقد ندوات ودورات حول أفكارهم ونقضها.
- 19- كتابة ميثاق مجتمعي لمناهضة مشروعهم.
- 20- دعوة جميع الهيئات والمؤسسات لمقاطعتهم والتضافر ضدهم.
- 21- وأخيراً: إعطاء أهمية كبرى للبحوث حول حصار قطاع غزة، الذي لا يزال مستمراً حتى كتابة هذا البحث، وتداعياته الخطيرة على سكان القطاع.

- المراجع والمصادر:
- أولاً: المراجع والمصادر العربية:
- القرآن الكريم.
- 1- أباطيل إسرائيل وأكاذيب الصهاينة، دين ودولة، إبراهيم أبو داه، مكتبة زهران، القاهرة، 2003م. (د.ط)
- 2- أباطيل التوراة والعهد القديم، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ، 1990م.
- 3- أبحاث في الفكر اليهودي، د. حسن ظاظا، دار القلم-دمشق، وبيروت، 1407هـ-1987م. (د.ط)
- 4- إتحاف الأخصا بفصائل المسجد الأقصى، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي، ثم القاهري الشافعي، المحقق: د/ أحمد رمضان أحمد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتب، 1982-1984م. (د.م.ط)
- 5- اتفاقيات الهدنة العربية الإسرائيلية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، بيروت، 1968م.
- 6- أثر الحصار الإسرائيلي على وسائل الإعلام في قطاع غزة، أحمد إبراهيم حماد.
- 7- أخلاق اليهود كما ترسمها تعاليم العهد القديم والتلمود، أ. د. إسماعيل علي محمد، نشر على موقع إخوان أونلاين <http://www.ikhwanonline.com>
- 8- أرض الميعاد: دراسة نقدية للصهيونية السياسية، د. عبد الوهاب المسيري، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، 1980م. (د.ط)
- 9- أرض الميعاد، د. حسين فوزي النجار، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1985م. (د.ط)
- 10- أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية"، د. محمد أبو زيد أبو زيد، نائب مدير مركز سوريا للبحوث والدراسات، مقال في مجلة التراث العربي، عدد 85.
- 11- أساس الدين، هلال فارحي، القاهرة، 1937م. (د.ن.م.ط).
- 12- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق، دار الوفاء، ط3، 1399هـ-1979م. (د.م)
- 13- إسرائيل أخطر دولة إرهابية في العالم"، غازي حسين، مقال على <http://archive.almanar.com.lb>
- 14- إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، روجيه جارودي، ط1، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1990م.

- 15- إسرائيل قامت على شعار "سور وبرج"، 11-8-2003 وسام عفيفة، مقال على موقع العصر
./http://alasar.ws
- 16- إسرائيل لا تبحث عن هيكل سليمان.. إذن عن ماذا؟ المحامي سفيان الشوا، مقال بتاريخ
السبت 8 يوليو 2017م، موقع جريدة الدستور الأردنية. /https://www.addustour.com
- 17- إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية، إبراهيم خليل أحمد، ط1، دار المنار، 1990م.
- 18- إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبحار السقاف، عالم الكتب، القاهرة. (د.ن.م.ت.ط)
- 19- إسهام الإعلام التربوي في تحقيق الأمن الفكري لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة مكة
المكرمة، زيد بن زايد بن أحمد الحارثي، الفصل الدراسي الثاني/1428هـ-1422هـ.
- 20- أضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط9، 1422هـ-
2001م. (د.م)
- 21- إظهار الحق، محمد رحمت الله الهندي، دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد ملكاوي، الرئاسة
العامّة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، ط1، 1410 هـ.
- 22- اعتداءات إسرائيل قبل هجوم 1956/10/29م على مصر، الأمانة العامة لجامعة الدول
العربية، مصر، 1965م. (د.ط)
- 23- إعلام المساجد بأحكام المساجد، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي
الشافعي، المحقق: أبو الوفا مصطفى المراغي، ط4، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،
1416هـ - 1996م.
- 24- إعلان يهودية دولة الاحتلال تأكيد للصراع الديني في فلسطين، د. صالح الرقب، على
صفحته www.drsregeb.com، بتاريخ 2009 / 5 / 24.
- 25- أقصى المسلمين وهيكل اليهود- الحق والملكية في إطار السياق التاريخي وإشكاليات الصراع
الحاضر"، محمد الحلايقة، مقال على موقع المركز الفلسطيني للإعلام على الإنترنت.
www.palinfo.com
- 26- الأبعاد القانونية للإرهاب الدولي، د. عصام صادق رمضان، مجلة السياسة الدولية، عدد
854.
- 27- الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، محمود العابدي، عمان، 1973م. (د.ن.ط)
- 28- الآثار الإنسانية للحصار والإغلاق المفروض على قطاع غزة: ص9،
- 29- الأدب اليهودي في المرحلة التلمودية، د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور، ط1، القاهرة،
1426هـ - 2005م.

- 30- الإرهاب الدولي وشرعية المقاومة، سهيل حسين الفتلاوي، دار الثقافة، ط1، 2009 م. (د.م.)
- 31- الإرهاب الصهيوني ودوره في قيام الدولة العبرية، دلال بسما، مجلة الدفاع الوطني، العدد 44، 2003 م.
- 32- الإرهاب اليهودي، إياد عبد الخالق: فلسطين الثورة، العدد 967، 1994/1/9 م.
- 33- الإرهاب في الحركة الصهيونية، حيدر أحمد علو: على صفحته الشخصية
hayder2004@yahoo.com
- 34- الإرهاب في ميزان الشريعة، د. عادل عبد الله العبد الجبار. (د.ن.م.ت.ط.)
- 35- الإرهاب يؤسس دولة، نموذج إسرائيل، د. هيثم الكيلاني، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1417هـ-1997م.
- 36- الإرهابيون الأوائل جيراننا الجدد، وجيه أبو زكري، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1987م. (د.ط.)
- 37- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي، ترجمة: محمد هشام، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1422هـ-2002م.
- 38- الاستيطان اليهودي في القدس القديمة، مايكل دمير، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد2، العدد8، 1991م.
- 39- الإسرائيليون من هم؟ ، قدر حفني، مكتبة مدبولي، مصر، 1982م. (د.ط.)
- 40- الأسرة ودورها في وقاية أبنائها من الانحراف الفكري، أحسن مبارك طالب، مركز الدراسات
- 41- الأسفار المقدسة عند اليهود، وأثرها في انحرافهم، عرض ونقد، محمود قدح: الجامعة الإسلامية بالمدينة ، السنة الثالثة والثلاثون - العدد (111).
- 42- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د.علي عبد الواحد وافي، ط1، دار نهضة مصر، 1384هـ- 1964م.
- 43- الإسلام والشباب، محمد الزحيلي، دار القلم، دمشق، 1414هـ. (د. ط)
- 44- الأصول التوراتية للعنف اليهودي، د. عبد الغني عماد. (د.ن.م.ت.ط.)
- 45- الأقصى في خطر"، نائل نخلة (مراسل مجلة البيان في فلسطين)، مجلة البيان: جمادي الأولى-1423هـ.
- 46- الانتفاضة وتطور القضية الفلسطينية، أ. شفيق الحوت، ود. بيان نويهض الحوت، الموسوعة الفلسطينية. (د. ن.م.ت.ط.)

- 47- الانحراف العقدي، آثاره ونتائجه، د. أحمد بن علي سير المباركي رابطة العالم الإسلامي، المجمع الفقهي الإسلامي، مكة المكرمة.
- 48- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس- عمان.(د.ت.ط)
- 49- الايدولوجية الصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، عالم المعرفة، 1982م.(د.ط.م)
- 50- البداية والنهاية، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، بن كثير، القرشي، البصري، ثم الدمشقي، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ - 1988م.
- 51- البعد الخفي لجدار الفصل العنصري"، زكريا شاهين، مقال على موقع العرب نيوز، <http://alarabnews.com>
- 52- التأييد الأمريكي لتهويد القدس يزيد من الكراهية والبغضاء للولايات المتحدة، د. غازي حسين، [/https://pulpit.alwatanvoice.com](https://pulpit.alwatanvoice.com)، 2013/1/24م،
- 53- التاريخ اليهودي، إسرائيل شاحك، ط1، بيروت-لبنان، 1995م.
- 54- التبيان شرح أركان الإيمان، د. سعد عاشور، دار المنارة، غزة- فلسطين، ط2، 2007م.
- 55- التجانس اليهودي والشخصية اليهودية، د. عبد الوهاب المسيري.(د.ن.م.ت.ط)
- 56- التدايعات السياسية لجدار الفصل، حلّ قضايا الوضع النهائي وفقاً للرؤية الصهيونية، مجلة فلسطين المسلمة، العدد التاسع، سبتمبر 2003م.
- 57- التصور الصهيوني للترحيل: نظرة تاريخية عامة، نور الدين مصالحة، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد7، صيف 1997م
- 58- التصوير القرآني للنفسية اليهودية، دراسة تحليلية، د. أيمن السيد علي الصياد، ملخص بحث، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، عدد12، السنة 87.
- 59- التعاليم الدينية اليهودية، د. علي خليل، طبعة المركز الفلسطيني للإعلام- رسالة ضوئية على شبكة الانترنت على موقع www.palestine.inbo.org.
- 60- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983م.
- 61- التفرقة العنصرية، السيد محمد عاشور، مكتبة المهتدين الإسلامية، 1407 هـ - 1986م.(د.ط.ن)
- 62- التفسير الحديث للكتاب المقدس، ج. أ. طومسون، ترجمة: القس جاد المنفلوطي.(د.ط.م.ن)

- 63- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418 هـ.
- 64- التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، ط10، دار الجيل الجديد - بيروت، 1413 هـ.
- 65- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، ط1، 1997م.
- 66- التلمود: استكمال الاسطورة، وتأصيل العنف، د. عبد الغني عماد، مقال بتاريخ: 14 كانون/يناير 2010. <http://www.tourathtripoli.org>
- 67- التلمود البابلي، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط1، المؤسسة الأردنية للبحوث والمعلومات، عمان-الأردن، 2011م.
- 68- التلمود: تاريخه، وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس، ط8، 1423هـ-2002م.(د.م)
- 69- التلمود، وأثره في صياغة الشخصية اليهودية، د. عودة عبد عودة عبد الله، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، 2006م.(د.ط)
- 70- التوراة السامرية، النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية، ترجمة الكاهن السامري: أبو الحسن إسحق الصوري، نشرها وعرف بها: الدكتور: أحمد السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط1، 1398هـ-1978م.
- 71- التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد حسنين علي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.(د.ط.ت)
- 72- الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ط1، غراس للنشر والتوزيع، 1422هـ.(د.ط)
- 73- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.(د.م)
- 74- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ - 1964م.

- 75- الجدار الأمني الفاصل بين الكيان الصهيوني والضفة الغربية، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط1، عمان- الأردن، 2002م.
- 76- الجدار الأمني الفاصل بين الكيان الصهيوني والضفة الغربية، علي الشرعة، ط1، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2002 م.
- 77- الجدار الحديدي فصل عنصري باسم السلام: ميتشيل بليتنيك، مجلة زد نيوز، ترجمة: حميد نعمان، موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة المعلومات الدولية
(www.palestine-info.info/arabic/terror/articles/jedar.htm).
- 78- الجدار الصهيوني في فلسطين المحتلة: طبيعته - دوافعه - وأخطاره، د. صالح الرقب. (د. ن.م.ت.ط)
- 79- الجدار العازل يثير أسئلة أكثر مما يحل مشكلات: صحيفة البيان، الجمعة 24 جمادى الآخرة 1424هـ- 22 أغسطس 2003 م-العدد 640.
- 80- الجدار الفاصل الإسرائيلي في الفكر الصهيوني، د. وجدي عبد الفتاح سواحل، المركز القومي للبحوث، القاهرة.(د.ت.ط)
- 81- الجدار الفاصل "عقلية الجيتو"، أوري أفنيري، موقع المشهد الإسرائيلي على(شبكة المعلومات الدولية)، 2003/9/5م.
- 82- الجدار الفاصل الدوافع والآثار(الجزء الثالث)، بلال الشويكي، المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاحتلال التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، موقعه على شبكة المعلومات الدولية (www.nbprs.net).
- 83- الجدار الفاصل ومستقبل الدولة الفلسطينية، دراسة في الجغرافية السياسية، صبحي يوسف الأستاذ، مجلة جامعة الأزهر بغزة، 2010م، العدد1، المجلد12.
- 84- الجدار الفاصل يكشف للعالم بشاعة الاحتلال اليهودي"، عيسى القدومي، مقال في مجلة الفرقان، الكويت، العدد رقم302، التاريخ 2004/07/19م.
- 85- الجدار حول القدس: مقدمات الانتفاضة الثالثة"، صالح النعامي، مقال على موقع تلفاز الجزيرة على شبكة المعلومات الدولية (www.aljazeera.net) 1427/4/19هـ- 2006/5/17م.
- 86- الجدار خطوة يأس، داليا شاحوري، مقال بتاريخ 2003/12/25م. صحيفة هآرتس.
- 87- الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، خالد القشطيني، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م.

- 88- الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، د. إسماعيل أحمد ياغي، دار المريخ للنشر، الرياض، 1403هـ-1983م. (د.ط)
- 89- الجذور الدينية للإرهاب الصهيوني، د.غازي حسين، أرشيف موقع قناة المنار اللبنانية، <http://archive.almanar.com.lb20-11-2012>
- 90- الحرب الثالثة على غزة، الأسباب، اليوميات، النتائج، د. عدنان أبو عامر، غزة-فلسطين، 1436هـ-2014م. (د.ط)
- 91- الحركة الصهيونية؛ طبيعتها، وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، د. محمد خليفة حسن، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 1985م.
- 92- الحروب الصليبية هل انتهت؟، عبد الوهاب زيتون، ط1، دار المعرفة، مصر، 1412هـ-1992م.
- 93- الحصار: دراسة حول حصار الشعب الفلسطيني، ومحاولات إسقاط حكومة حماس، وائل سعد، ط1، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 1427هـ-2006م.
- 94- الحفريات الإسرائيلية حول المسجد الأقصى ومسجد الصخرة المشرفة، روجي الخطيب، عمان-1981م. (د.ن.ط)
- 95- الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي (نسبة إلى قرية تونس في صعيد مصر)، قدم له: عباس محمود العقاد، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان. (د.ت.ط)
- 96- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، دار الفكر- بيروت. (د.ط.ت)
- 97- الدولة اليهودية، تيودور هرتزل. (د.ط.م.ن.ت)
- 98- الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة حسن خضر، ط1، سينا للنشر، 1994م. (د.م)
- 99- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار العصماء - دمشق، ط1، 1427هـ.
- 100- الرصاص المصبوب، عدوان على غزة فشل بإخضاعها: مقال على موقع الجزيرة نت. <http://www.aljazeera.net>
- 101- الرّوضُ البّسامُ بترتیبٍ وتخریجٍ فوائِدٍ تَمَام، أبو سليمان جاسم بن سليمان حمد الفهيد الدوسري، ط1، دارُ البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، 1408 هـ - 1987م.
- 102- السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، شرح سفر العدد، القس وليم مارش، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1973م.

- 103- السياج الأمني، وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2004م، الموقع الإلكتروني
www.altawasul.com
- 104- السيرة النبوية، ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ - 1955م.
- 105- الشتات الفلسطيني: هجرة أم تهجير؟ شريف كناعنة، القدس، مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية. (د.م.ت.ط)
- 106- الشخصية اليهودية الإسرائيلية وأثرها في صياغة الحرب النفسية اليهودية الإسرائيلية، د. محمود سعدات، على شبكة الألوكة [/https://www.alukah.net](https://www.alukah.net)
- 107- الشخصية اليهودية من خلال القرآن: تاريخ، وسمات، ومصير، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط1، 1419هـ - 1998م.
- 108- الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، د. رشاد عبد الله الشامي، عالم المعرفة، 1986م. (د. ط، م)
- 109- الصبر والثبات في مواجهة الحصار، دراسة تطبيقية على حصار قريش للنبي ﷺ ومن معه، د. نعيم أسعد الصفدي، بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، في الفترة: 2 - 3 / 4 / 2007م.
- 110- الصحاح: تاج اللغة، وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الجوهري، الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
- 111- الصراع العربي - الإسرائيلي، مائة سؤال وجواب، بيدرو بريجر، ترجمة: إبراهيم صالح، مراجعة وتدقيق: أكسم فياض، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012م.
- 112- الصراع العربي الإسرائيلي، من مذكرات وذكريات الفريق عبد المنعم واصل، الفريق عبد المنعم واصل، ط1، مكتبة الشروق الدولية، 1423هـ - 2002م.
- 113- الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، د. عبد الوهاب المسيري، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1423هـ - 2002م.
- 114- العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسه، ط2، العربي للإعلان، والنشر، والطباعة. (د.م.ت.)
- 115- العقائد الإسلامية، السيد سابق، دار الفتح للإعلام العربي - القاهرة، ط10، 1420هـ - 2000م.

- 116- العقيدة اليهودية في فلسطين ونقدها، عابد توفيق الهاشمي، ط1، دار اقرأ، اليمن، 1412هـ-1992م.
- 117- العقيدة اليهودية، سعد الدين صالح، ط2، دار الصفا للطباعة والنشر، القاهرة، 1410هـ-1990م.
- 118- العنصرية الصهيونية، د. المسيري، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1399هـ-1979م. (د.ط)
- 119- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد الزغبيني، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418هـ-1998م.
- 120- العنف عند الحاخامات، حسني عبد الحافظ، مقال في مجلة الوعي الإسلامي (مجلة إسلامية شهرية جامعة، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، بدولة الكويت)، العدد 345، السنة الحادية والثلاثون، جمادى الأولى، 1415هـ-أكتوبر 1994م.
- 121- العنف في الأيديولوجية الصهيونية، حمد سعيد الموعد، مجلة الأرض، العدد الرابع، 1988م.
- 122- العهد القديم دراسة نقدية، د. علي سري محمود المدرس، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 1427هـ-2007م.
- 123- الغزو الإسرائيلي للبنان، هيثم الكيلاني (مع مجموعة من الباحثين بإشراف العماد مصطفى طلاس)، مؤسسة تشرين للصحافة والنشر، دمشق 1983م. (د.ط)
- 124- الفرق بين الجهاد والإرهاب، د. لمياء بنت سليمان الطويل، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، عدد 97.
- 125- الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره، ومذاهبه، د. حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م. (د.م.ط)
- 126- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م.
- 127- القبيلة الثالثة عشرة، ويهود اليوم، آرثر كيسنلر، ترجمة: أحمد نجيب هاشم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م.
- 128- القتال؛ مشروعية وآداباً في الإسلام واليهودية والنصرانية، د. بكر زكي عوض. (د. ن.م.ت.ط)
- 129- القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والعلم، د. موريس بوكاي، مكتبة مدبولي- مصر، ط1، 1996م.
- 130- القضية الفلسطينية، د. سمر بهلوان، مطبعة دار الكتاب، دمشق، 1990م. (د.ط)

- 131 - القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، د. رشاد عبد الله الشامي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 186، الكويت.
- 132- الكتاب المقدس في الميزان، عبدالسلام محمد، ط1، 1412هـ-1991م.(د.ن.م)
- 133- الكتب التاريخية في العهد القديم، محاضرات ألقاها د. مراد كامل على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية، القاهرة، 1968م. (د.ط)
- 134- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ. (د.ط).
- 135- الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة: الدكتور يوسف نصر الله لكتاب: (اليهودي على حسب التلمود) للدكتور الفرنسي (روهلنج)، وكتاب للدكتور الفرنسي (اشيل لوران) بعنوان: (تاريخ سورية لسنة 1840م)، تصحيح وتعليق: الشيخ مصطفى بن أحمد الزرقا.(د.ن.م.ط.ت)
- 136- المادة الأولى من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، جريدة الرياض، 1418\11\29 هـ ، العدد 10818.
- 137- المجازر الصهيونية المرتكبة بحق الشعب العربي الفلسطيني، خلال القرن العشرين، جيش التحرير الفلسطيني، إدارة التوجيه المعنوي والسياسي، دمشق 2001م.(د.ط)
- 138- المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، د. جواد الحمد: ص38-47، عمان، 1978م.(د.ط)
- 139- المجتبي من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، 1406 - 1986م.
- 140- المجتمع اليهودي، زكي شنوده، مكتبة الخانجي، القاهرة.(د.ط.ت)
- 141- المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، المطبعة الفنية الحديثة.(د.ت.ط)
- 142- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ-1990م.
- 143- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.

- 144- المستوطنون الصهاينة في الضفة الغربية، الاعتداء على الأرض والإنسان، غسان محمد دوعر، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت. (د.ط.ت)
- 145- المسجد الأقصى هل هو الجامع القبلي ذو القبة الفضية؟ أم هو مسجد قبة الصخرة ذو القبة الذهبية؟ أم هو كل ما وقع في داخل السور الذي يحيط بكليهما؟" عبد الله أحمد خليل. مقال على موقع رسالة الله [/https://resaletallah.com](https://resaletallah.com)
- 146- المسجد الأقصى وأسطورة الهيكل اليهودي، أحمد أبو زيد، مقال بتاريخ 10 ربيع الثاني 1430هـ.
- 147- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت. (د.م.ط.ت)
- 148- المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، د. محمد علي البار، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1407هـ-1987م. (د.ط)
- 149- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية - بيروت. (د.ط.ت)
- 150- المعالم الأثرية في السنة والسيرة، محمد بن محمد حسن شرَّاب، ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت ، 141هـ.
- 151- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م. (د.ط)
- 152- المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403هـ-1983م. (د.ط)
- 153- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة. (د.ط.ت.م)
- 154- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق : صفوان داوودي، دار القلم - دمشق، ط1، 1992م.
- 155- الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي، مطبعة وهبة، القاهرة، 1988م. (د.ط)
- 156- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، 1404هـ. (د.ط)
- 157- المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، ط28، 1973م.

- 158- المنظمات والحركات والجماعات المتطرفة في إسرائيل، مقال على وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا/ <http://info.wafa.ps>
- 159 - الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ط1، مطابع دار الصفوة - مصر، (من 1404 - 1427 هـ).
- 160- الموسوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، 1984م.
- 161- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي: مراجعة: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.
- 162- النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1428هـ-2003م.
- 163- النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.(د.ط)
- 164- الهاجاناه.. قصة عصابات وحشية شكلت النواة الأولى لجيش الاحتلال الإسرائيلي، فاطمة نادي، مقال بتاريخ أبريل، 2019م / <https://www.sasapost.com/>
- 165- الهيكل الثالث مؤامرة جديدة لهدم الأقصى، مجدي نور الدين، مقال بمجلة الرابطة - العدد 356 - مكة المكرمة جمادى الآخرة 1415هـ.
- 166- الهيكل اليهودي المقدس، خرافات بلا حدود، أ. د. صالح الرقب، ط1، مركز النور للدراسات والأبحاث، فلسطين-غزة، 1423هـ-2002م.
- 167- الوسيط في علم الأديان، عابد توفيق الهاشمي، ط1- دار الفكر المعاصر - صنعاء، 1419هـ-1998م.
- 168- الوعد في التوراة، عبد المجيد حمدان، القدس، كانون ثاني، 1993م. (د.م.طن.)
- 169- اليهود تاريخ وعقيدة، د. كامل سغفان، دار الاعتصام، القاهرة.(د.ط.ت)
- 170- اليهود واليهودية، التاريخ والعقيدة والأخلاق، السيد فرج، دار الوفاء، المنصورة، 1997م.(د.ط)
- 171- اليهود: من عهد داوود إلى دولة إسرائيل، د. علي محمد عبد الله، ط1، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 2012م.

- 172- اليهودية بين النظرية والتطبيق، علي خليل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م. (د.م.ط)
- 173- مقارنة الأديان، اليهودية، د. أحمد شلبي، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م
- 174- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1418 هـ.
- 175- أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، محمود شيت خطاب، ط3، دار الاعتصام، 1970م. (د.م)
- 176- أيام دامية في المسجد الأقصى: أحمد العلمي، دار الجليل للنشر، عمان، 1983م. (د. ط.)
- 177- بحوث ندوة طرابلس حول الصهيونية والعنصرية، الصهيونية حركة عنصرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، تموز 1976م. (د.ط)
- 178- بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية - بيروت، قدم له وخرج نصوصه، وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، ط1، 1410هـ - 1989م.
- 179- بنو إسرائيل في القرآن والسنة، محمد سيد طنطاوي، دار الشروق - القاهرة، ط2، 1420هـ، 2000م.
- 180- بنو إسرائيل، د. محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، 1999م. (د. ط.)
- 181- بيان مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بشأن ظاهرة الإرهاب، 15 شعبان، 1922هـ، 1 نوفمبر 2001م. <https://www.islamweb.net> / بتاريخ 20/4/2002م.
- 182- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد الزغبى، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، طنطا - مصر، 1414هـ - 1994م.
- 183- تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، مطبعة المقتطف - مصر، 1904م. (د. ط.)
- 184- تاريخ الحرم القدسي، عارف العارف، 1366هـ - 1947م. (د.ن.م.ط)
- 185- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، ط2، دار التراث - بيروت، 1387هـ.
- 186- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1389هـ - 1969م. (د.ط)

- 187- تاريخ شعب العهد القديم، الأب ديلي (الأستاذ في جامعة باريس الكاثوليكية) ترجمة: الأب جرجس مارديني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961م. (د.ط)
- 188- تاريخ يوسفوس اليهودي، بيروت، 1982م. (د.ط.ن)
- 189- تأملات في المسألة الشارونية" كتبه عبد العزيز كامل، مجلة البيان: عدد160، السنة الخامسة عشر، ذو الحجة، 1421هـ، تصدر عن المنتدى الإسلامي.
- 190- تجسيد الوهم، دراسة سيكلوجية للشخصية الإسرائيلية، قدي حفي، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1971م. (د.ط)
- 191- تداعيات المشروع الإسرائيلي في الفصل الأحادي الجانب والجدار الفاصل، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان-الأردن، 2004م. (د.ط)
- 192- تطور مفهوم جرائم الإبادة الجماعية في نطاق المحكمة الجنائية الدولية، د. معمر رتيب عبد الحافظ، ود. حامد سيد محمد أحمد، ط2، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة- 2016م.
- 193- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م. (د. ط)
- 194- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ - 1999م.
- 195- تفسير الكتاب المقدس-العهد القديم- من تفسير وتأملات الآباء الأولين القمص تادرس يعقوب، موقع الأنبا تكلا هيمنوت [/https://st-takla.org](https://st-takla.org)
- 196- تقرير الأمم المتحدة: موقع الأونروا. <https://www.unrwa.org>
- 197- تقرير بعنوان "قوافل كسر الحصار عن قطاع غزة"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. [/https://www.alzaytouna.net](https://www.alzaytouna.net)
- 198- تقرير بعنوان: 3 حروب إسرائيلية على غزة، موقع وكالة الأناضول التركية باللغة العربية، <https://www.aa.com.tr>
- 199- تقرير حول أوضاع الأسرى الفلسطينيين إعداد: الأسير المحرر رافت حمدونة. موقع دنيا الوطن [/ https://www.alwatanvoice.com](https://www.alwatanvoice.com)
- 200- تقرير ميتشيل: دعوة لإجهاض انتفاضة الأقصى، د. سامي محمد صالح الدلال، مجلة البيان: عدد 166، ص74، السنة: السادسة عشرة، جمادى الآخرة - 1422هـ، سبتمبر - 2001م.

- 201- تهافت العلمانية في الصحافة العربية، المستشار سالم علي البهنساوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة - مصر، ط1، 1410هـ - 1990م.
- 202 - تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 2001م.
- 203- ثمن الحصار: تقرير يرصد تداعيات الحصار على حقوق الإنسان في قطاع غزة خلال عام 2013م، مركز حماية لحقوق الإنسان، وأصدقاء الإنسان الدولية: ص4 2014م،
- 204- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.
- 205- جدار الخوف، إبراهيم أبو الهيجاء، سلسلة دراسات فلسطينية، مركز الإعلام العربي، القاهرة، 2004م.(د.ط)
- 206- جدار الضم : ضم الأراضي بالقوة من خلال إقامة، الجدار في عمق الأراضي المحتلة، المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، غزة، فلسطين، 2004م.(د.ط)
- 207- جدار الضم والتوسع الصهيوني حول القدس، د. عدنان أبو عامر. مقال على صفحته الشخصية بتاريخ الثلاثاء 16 يناير 2018 <https://adnanabuamer.com>
- 208- جدار الفصل الإسرائيلي، محمد غنايم، مقال على موقع الجزيرة نت (www.aljazeera.net).
- 209- جدار الفصل..الآثار والمخاطر، موقع المركز الفلسطيني للإعلام على شبكة المعلومات الدولية (www.palestine-info.info/arabic) 2003/11/8م.
- 210- جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام، مقال على موقع المركز الفلسطيني للإعلام، <https://www.palinfo.com>.
- 211- جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس، الدوافع- والآثار السياسية، د. صالح الرقب، بحث مقدم إلى جمعية القدس للبحوث والدراسات، غزة-فلسطين، 1431هـ- 2010م.(د.ط)
- 212- جدار الفصل العنصري في القدس، الواقع العملي لفرض حل إسرائيلي نهائي، عليان الهندي. (د. ن.م.ت.ط)
- 213- جدار الفصل العنصري في القدس، جمال حماد المقيد، (كاتب صحفي وباحث)، غزة- فلسطين، تاريخ النشر: 2014/12/24م، موقع دنيا الوطن <https://pulpit.alwatanvoice.com>
- 214- جدار الفصل العنصري في فلسطين، شبكة المنظمات البيئية الفلسطينية.(د.ن.م.ت.ط)

- 215- جدار الفصل العنصري ومشاريع التهويد تحطم أسوار القدس، عماد خضر، موقع المسلم
(http://almoslim.net)، 1427/8/27.
- 216- جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام" المركز الفلسطيني للإعلام -قسم الدراسات تاريخ
النشر: الأحد /20 ديسمبر/ 2015 -https://www.palinfo.com
- 217- جدار الفصل العنصري: حقيقته، أخطاره، وتحدياته، مركز البراق للبحوث والدراسات والثقافة،
البييرة، فلسطين، 2003م، الموقع (البراق) الإلكتروني www.alburaq.org
- 218- جدار الفصل العنصري: ظافر بن خضراء، ورولا يوسف البرغوتي.(د.ن.م.ت.ط)
- 219- جدار الفصل في سياق التمييز العنصري الإسرائيلي، يوري ديفيس، ضمن كتاب جدار
الفصل العنصري في فلسطين. (د.ن.م.ت.ط)
- 220- جدار الفصل ومستقبل حدود الدولة الفلسطينية"، معتز أبو الدبس، مقال بتاريخ
https://pulpit.alwatanvoice.com2010/2/25
- 221- جدار القدس يعزل آلاف الفلسطينيين عن مدينتهم، جعفر هادي حسن، صحيفة الحياة
اللندنية، 2005/7/18م.
- 222- جذور البلاء، أ. عبد الله التل، ط1، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-
لبنان، 1390هـ-1971م.(د.ط)
- 223- جريدة الاتحاد، د. عبد الوهاب المسيري، السبت 13 مارس
http://www.alittihad.ae 2004
- 224- جريمة الإبادة الجماعية، د. خالد السيد، بحث في مركز الإعلام الأمني. (د.ن.م.ت.ط)
- 225- جريمة حصار غزة في الفقه الإسلامي، عطية فياض، مقال منشور، موقع صيد الفوائد،
تاريخ زيارة الموقع: 21 يناير/كانون ثاني 2014م.
- 226- جريمة حصار غزة: دراسة شرعية، ضياء علاء الدين أحمد، غزة-فلسطين، 2011م.
- 227- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط1،
دار العلم للملايين - بيروت، 1987م.
- 228- جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع، د. محمّد محمود سيد ندا، طبعة دار
اللواء.(د.م.ت.ط)
- 229- حرب عام 1948م، وآثارها على مدينة القدس، د. أكرم محمد عدوان، الجامعة الإسلامية،
كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار، غزة، 2008م.(د.ط)
- 230- حرب فلسطين 1947-1948م، الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، بيروت،

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1986م. (د.ط.)
- 231- حربنا مع حماس دينية، مقال بتاريخ 2014/8/14م، وكالة صفا. <https://safa.news/>
- 232- حروب إسرائيلية على غزة خلال 6 سنوات، مقال بتاريخ 11/يوليو 2014م. <https://www.noonpost.org>
- 233- حروب العدوان الصهيوني على غزة، حسين عوض، بتاريخ 19 آب 2014 <http://amin.org>
- 234- حصار غزة ليس خطأ بل غير مشروع: وضع الحصار بين القانون الدولي واستجابة الأمم المتحدة، ورقة عمل مقدمة من نورا عريقات. موقع الدليل المدني <https://daleel-madani.org>
- 235- حصار غزة، ماذا حدث بعدما فازت حماس بالانتخابات، مقالة على موقع فلسطين سؤال وجواب. <https://www.palqa.com>
- 236- حصار غزة: البدايات- القضايا والتداعيات-المواقف، ياسر أحمد عبد الغفور. موقع الألوكة www.alukah.net
- 237- حق العودة للشعب الفلسطيني، ومبادئ تطبيقه، رمضان بابادجي وآخرون، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996م. (د.ط.)
- 238- حقائق حول عدم أحقية اليهود في أرض فلسطين بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي آي التنزيل، د. ربيع بن محمد بن علي. (د.م.ن.ط.ن)
- 239- حقيقة الفكر الإسلامي، د. عبد الرحمن الزبيدي، دار المسلم، الرياض، ط2، 1422هـ.
- 240- حكاية الجدران والغيتوهات"، د. محمود عوض، مقال بتاريخ 2006/2/19م، على موقع بريد العرب على (الإنترنت). <http://arabmail.de/aoad>
- 241- حكومة إسرائيل تقرّ مسار الجدار حول القدس محتجزة وراهه أكثر من 100 ألف مقدسي، عبد الرؤوف أرناؤوط، مقال في صحيفة الأيام.
- 242- حماية المجتمع المسلم من الانحراف الفكري، د. عبد الله بن عبد العزيز الزبيدي، مجلة البحوث الإسلامية: عدد77،
- 243- حمى سنة 2000، عبد العزيز كامل. (د.ن.م.ت.ط.)
- 244- حوار لمجلة البيان مع الشيخ رائد صلاح بعنوان "ساومونا بعد الاعتقال على مواقف سياسية مهينة فرفضنا"، إعداد: نائل نخله، عدد 202، جمادى الآخرة-1425هـ.

- 245- حوار مع د. صالح الرقب: الأسباب الحقيقية وراء بناء اليهود للجدار الفاصل، بتاريخ 22 شوال 1424هـ، موقع المسلم <http://almoslim.net>
- 246- خطر اليهودية العالمية، أ. التل: ص 59.
- 247- خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود، إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن، دار الكتاب العربي، دمشق- القاهرة، ط1، 2008م.
- 248- خلق المسلم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط1. (د.ت)
- 249- داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، د. أحمد عيسى الأحمد، مطبعة حكومة الكويت، 1410هـ - 1990م. (د.ط)
- 250- دائرة المعارف الحديثة، أحمد عطية الله، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1975م. (د.ط)
- 251- دراسات في الأديان، د. سعود بن عبدالعزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف- الرياض، ط1، 1418هـ-1997م.
- 252- دراسات في الأديان، د. عماد الدين عبد الله الشنطي، دار المنارة، غزة-فلسطين، ط2، 1429هـ، 2008م.
- 253- دراسة في جيوبوليتيكا الجدار الفاصل وأثاره على الشعب الفلسطيني، محمد داود، نشر في عدة مواقع على شبكة المعلومات الدولية، منها: شبكة الجالية الفلسطينية، وشبكة حيفا لنا.
- 254- دستور العلماء، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي نكري، تعريب: حسن فحص، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
- 255- دور الحاخامات والتمدينين اليهود، في اغتصاب فلسطين، ورقة عمل مقدمة من الشيخ بسام كايد-رئيس رابطة علماء فلسطين-لبنان لورشة عمل أقامتها رابطة علماء فلسطين في بيروت.
- 256- رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ترجمة وتقديم: د. حسن حنفي، مراجعة: د. فؤاد زكريا، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005م.
- 257- رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد الحمد، المستودع الدعوي الرقمي [/https://dawa.center](https://dawa.center)
- 258- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1422هـ.
- 259- سر وحشية المجازر اليهودية المتواصلة في فلسطين، د. صالح الرقب، مقال على صفحته الشخصية <http://www.drregeb.com>

- 260- سمات الشخصية اليهودية الإسرائيلية، د. محمود فتوح محمد سعادات، مقال على موقع الألوكة، <http://www.alukah.net>
- 261- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ت.ط)
- 262- سنن الترمذي، محمد بن عيسى، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1395هـ - 1975م.
- 263- سياسة الاستعمار الصهيوني تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، د. حسن صبري الخولي، القاهرة. (د.ن.ت.ط)
- 264- سياسة اليد الطويلة، حنه شاهين، العدد 136-137، مارس-إبريل، 1983م.
- 265- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط1، 1398هـ / 1978م.
- 266- سيكولوجية الصهيونية، د. محمد المهدي، دار البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001م. (د.ط)
- 267- شبكة العين الإخبارية [/https://al-ain.com](https://al-ain.com)
- 268- شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المحقق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط5، 1419هـ.
- 269- شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري، موقع الأنبا تكلا هيمانوت
- 270- شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص أنطونيوس فكري <https://st-takla.org>
- 271- شرح الكتاب المقدس - العهد القديم - الأنبا مكاريوس الأسقف العام - <https://st-takla.org/pub>
- 272- شرح الكتاب المقدس الأنبا مكاريوس الأسقف العام <https://st-takla.org>
- 273- شريعة الحرب عند اليهود، د. حسن ظاظا، ومحمد عاشور: ص110، ط1، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر، 1976م.
- 274- صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (د.ن.م.ت.ط)

- 275- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت. (د.م.ط.ت)
- 276- صحيفة الشرق القطرية عدد 8-19-1997م.
- 277- عروبة فلسطين في التاريخ، محمد أديب العامري، المكتبة العصرية، بيروت- صيدا، 1972م. (د.ط.)
- 278- عقيدة اليهود في المواثيق والعهود، د. مدثر إسماعيل www.palscholars.com
- 279- عقيدة اليهود في الوجد بفلسطين عرض ونقد، محمد بن علي بن محمد آل عمر، وأصله (رسالة علمية لنيل الماجستير) للباحث محمد آل عمر من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط1، مجلة
- 280- علم الأخلاق لسبينوزا، ترجمة: جلال الدين سعيد، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، 2009م.
- 281- علم الإرهاب د. محمد عوض الترتوري، د. أغادير عرفات جويحان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، عمان- الأردن، 2006م.
- 282- عنصرية إسرائيل: فلسطينيو 48 نموذجا، إعداد عباس إسماعيل، ط1، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت-لبنان، 1429هـ-2008م. (د.ط.)
- 283- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي: 270/11، ط2، دار الكتب العلمية - بيروت، 1415 هـ.
- 284- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. دار المعرفة - بيروت، 1379هـ. (د.ط.)
- 285- فشل الحصار على قطاع غزة في تحقيق أهدافه السياسية والأمنية، عاطف الجولاني، مجلة الشرق الأوسط، مركز دراسات الشرق الأوسط.
- 286- فلاسفة الشرق، أ. ف. توملين، ترجمة: عبد الحميد سليم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994م.
- 287- فلسطين بين الحقائق والأباطيل، مهندس أحمد عبد الوهاب، ط1، 1392هـ، 1972م. (د.م.ن.)

- 288- فلسطين واجبات الأمة، د. راغب السرجاني: ص21-95، باختصار شديد، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1431هـ-2010م.
- 289- فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، بيان نويهض الحوت: ص295، ط1، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991م.
- 290- قاموس الكتاب المقدس | دائرة المعارف الكتابية المسيحية [/https://st-takla.org/](https://st-takla.org/)
- 291- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: د. بطرس عبد الملك- د. جون ألكسندر طمس- أ. إبراهيم مطر. (د.ن.م.ت.ط.)
- 292- قاموس الكتاب المقدس، د. جورج بوست. المطبعة الأمريكية، بيروت، 1894م. (د.ط.)
- 293- قانون العودة وقانون الجنسية الإسرائيليان، أنيس قاسم، مركز الأبحاث، بيروت، 1972م. (د.ط.)
- 294- قبل الكارثة... نذير ونفير، د. عبد العزيز بن مصطفى كامل، ط1، 1421هـ- 2000م.
- 295- قبل أن يهدم الأقصى، عبد العزيز مصطفى. (د.ن.م.ت.ط.)
- 296- قرارات المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، الدورة السادسة عشرة، في 26 شوال 1422هـ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
- 297- قصة الحضارة، ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت: تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، 1408هـ - 1988م. (د.ط.)
- 298- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط1، مطبعة دار التأليف- القاهرة، 1388هـ - 1968م.
- 299- قضية إسرائيل، دراسة في الصهيونية السياسية، روجيه جارودي، ترجمة نزيه الشوفي، المنارة، بيروت، 1997م. (د.ط.)
- 300- قضية فلسطين أمام القانون الدولي، د. محمد طلعت غنيمي، ط1. (د.م.ن.ت.)
- 301- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيدي، البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. (د.م.ت.ط.)
- 302- كنوز التلمود، ترجمة محمد خليفة التونسي، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت، 1409هـ- 1989م.
- 303- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.

- 304- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط2، 1402هـ-1982م.
- 305- ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطيني، أ. د/ صالح الرقب، ط2، غزة-فلسطين، 1424هـ-2013م.
- 306- مجازر وممارسات الإرهاب الصهيوني، غازي السعدي، عمان، 1985م.(د.ن.ط)
- 307- مجلة الباحث، بيروت، العدد24، 1982.
- 308- مجلة البيان: عدد 117، السنة الثانية عشرة، جمادى الأولى، 1418هـ، سبتمبر 1997م. تصدر عن المنتدى الإسلامي.
- 309- مجلة البيان، عدد122، شوال- 1418هـ، تصدر عن المنتدى الإسلامي، في حوار مع رئيس بلدية أم الفحم الشيخ رائد صلاح.
- 310- مجلة الدفاع العربي، العدد 7، إبريل/ نيسان 1996، بيروت.
- 311- مجلة المستقبل العربي، عدد292، سبتمبر1982م.
- 312- مجلة الهدف، بيروت، العدد 1037، 13/1/1991م.
- 313- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م.(د.ط)
- 314- مجموعة الوثائق السياسية، لمحمد حميد الله الحيدر آبادي، مع مقارنة بين سائر الروايات، ط6، دار النفائس- بيروت، 1407هـ.
- 315- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الحنفي، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420هـ / 1999م.
- 316- مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث. العلاج الإسلامي ودور الخدمة الاجتماعية فيه، محمد سلامة غباري، المكتب الجامعي، الإسكندرية، ط 2، 1989م.
- 317- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفّي الدين، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.
- 318- مسارب العدوان في الفكر الصهيوني، وأثرها في التعرض للمقدسات الإسلامية، الشيخ محمد علي التسخيري، وعلي المؤمن، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، العدد13.

- 319- مسار الجدار حول شرقي القدس: (بتسليم)، مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، موقعه على شبكة المعلومات الدولية (www.btselem.org/Arabic)
- 320- مستقبل القدس، وسبل إنقاذها من التهويد، د. إبراهيم أبو جابر وآخرون، جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف الإسلامية، مركز الدراسات المعاصرة، أم الفحم، 1997م. (د. ط)
- 321- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث - القاهرة، ط1، 1416 هـ - 1995م.
- 322- مشروع القدس الكبرى 1967-2020م، د. أمين أبو بكر، جامعة القدس المفتوحة، منظمة التحرير الفلسطينية، الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات. (د.م. ط.ت)
- 323- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني، الشافعي، المحقق: محمد المنقعي الكشناوي، دار العربية، ط2، بيروت، 1403هـ.
- 324- معابر قطاع غزة، شريان حياة، أم أداة حصار، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات /https://www.alzaytouna.net
- 325- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي، الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420هـ.
- 326- معاناة قطاع غزة تحت الحصار الإسرائيلي، إعداد: قسم الأرشيف والمعلومات، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات. / https://www.alzaytouna.net
- 327- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008م.
- 328- معجم المصطلحات الصهيونية، أفرايم ومناحي تلمي، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان-الأردن، ط1، 1988م.
- 329- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م. (د.م. ط)
- 330- معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبد الستار فتح الله سعيد، ط4. (د.ن.م.ت)
- 331- معطيات وإحصائيات، الموقع الإلكتروني بتسليم ww.btselem.org (2006)
- 332- مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، عبد الوهاب أبو طويلة، دار القلم. (د.م. ط.ت)

- 333- مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3، 1420هـ.
- 334- مقارنة الأديان- اليهودية- د. أحمد شلبي، ط8، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م.
- 335- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.(د.م.ط)
- 336- مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط2، دار القلم، دمشق- بيروت، 1398هـ-1978م.
- 337- ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، روجيه جارودي، ترجمة مصطفى كامل فوده، 1983م.(د.م.طن)
- 338- من ملفات الإرهاب الصهيوني في فلسطين: مجازر وممارسات، غازي السعدي، ط1، دار الجيل للنشر، عمان، 1985م.
- 339- موسوعة البحوث المنبرية <http://www.alminbar.net> /
- 340- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية، د. عبد الوهاب المسيري، مكتبة المهتدين، 1975م.(د.م.ط)
- 341- موسوعة اليهود، واليهودية، والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط1، 1999م.
- 342- نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، عبد الحفيظ بن عبد الله المالكي (رسالة دكتوراة)، الرياض، 1427هـ - 2006م.
- 343- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط4.(د.ت)
- 344- نظام "حنيبعل".. جندي ميت أفضل من جندي مختطف! وكالة صفا الإخبارية 2014/8/13.
- 345- هل بدأ العد التنازلي لهدم الأقصى وإنشاء الهيكل اليهودي، ناصر العمر، مقال بتاريخ 8 ذو الحجة 1426هـ. موقع المسلم <https://almoslim.net>
- 346- هل بدأ العد التنازلي لهدم المسجد الأقصى ليقام مكانه هيكل سليمان المزعوم؟، د. محمد مورو، مجلة البيان: العدد 235، ربيع الأول-1428.
- 347- هل سيهدم المسجد الأقصى قريباً؟، الحلقة الأولى، د. صالح الرقب، مقال على موقع فلسطين أون لاين، <http://felesteen.ps>.

348- همجية التعاليم الصهيونية، الأب حنا بولس مسعد: ص104، ط2، المكتب الإسلامي، 1403هـ-1983م.

349- هيكل سليمان الثالث، د. جميل عبد السيد فرح، شركة الطابعة المصرية، القاهرة.(د.ت.ط)

350- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السموهودي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1419هـ.

351- يا مسلمي العالم أفيقوا قبل أن يهدم المسجد الأقصى، أ. د. صالح الرقب، ط2، غزة- فلسطين، 1423هـ-2003م.

352- يهودية دولة إسرائيل: جذور المصطلح، وتأثيره على القضية الفلسطينية، د. أسامة محمد أبو نحل، على صفحته www.drregeb.com، بتاريخ 2009 / 5 / 24.

353- يوميات هرتزل، إعداد: أنيس صايغ، ترجمة: هilda شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1968م.(د.ط)

ثانياً: المصادر والمراجع العبرية:

- 1- אברהם אבן שושן : המלון החדש, כרך רביעי .
- 2- אנציקלופדיה כללית כרטא בכרך אחד, כרטא משרד הביטחון, 1990,
- 3- חנוך אלבק: מבוא למשנה, הוצאת מוסד ביאליק ודביר, תל- אביב, 1983.
- 4- יחזקיל, קוגמן, מלון עברי ערבי בירות 1970. עמ 37.
- 5- עדין שטיינזלץ: התלמוד לחול.

ثالثاً: المصادر والمراجع الإنجليزية:

- 1-Herbert Danby: The Mishnah, the Clarendon Press, Oxford, 193
- 2- Jacob Levy :Talmudim Und Midraschim, F. A Brockhouse, Leibzig, 1876
- 3- Jacob Neusner : Rabbinic Political Theory, Religion in the Mishnah, Chicago
- 4- Moses Mielziner:Introduction to the Talmud,3d edition, New York 1925
- 5- My Irrelevant Deventer-Arnold Leese. P9 I.F.L. Printing and publishing coy. London 1938

6-The New Encyclopedia Britannica, Vol. 22, the University of Chicago,1986,

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- www.facebook.com/fadelsalehsamra22y -
- <http://www.pcbs.gov.ps>
- <http://www.pcbs.gov.ps> ، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، -
- www.altawasul.com الموقع الإلكتروني -
- <https://www.paldf.net/م2003/1/16> شبكة فلسطين للحوار -
- <https://www.btselem.org/arabic>
- <https://www.mezan.org> مركز الميزان لحقوق الإنسان -
- <http://www.addameer.org> مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان -
- <https://encyclopedia.ushmm.org> موقع -
- <https://www.aljazeera.net/news> موقع الجزيرة نت -
- <http://old.almoslim.net> موقع المسلم على الانترنت -
- <http://www.almaany.com/>، موقع المعاني -
- www.hipardut.org.il موقع عبري على الانترنت لمؤيدي الفصل أحادي الجانب -
- <https://arabi21.com> موقع عربي 21 -
- <https://arabic.rt.com> موقع قناة روسيا العربية على الانترنت -
- <http://www.caus.org.lb/> موقع مركز دراسات الوحدة العربية على النت -
- <http://cda.gov.ps> موقع هيئة شؤون الأسرى والمحررين -
- <http://mfa.gov.il> موقع وزارة الخارجية الاسرائيلية -
- <http://www.wafainfo.ps> وكالة وفا الفلسطينية -
- <https://ar.wikipedia.org/wiki>